

$$\begin{pmatrix} 1 & 2 & 3 & 4 & 5 & 6 \\ 2 & 3 & 4 & 5 & 6 & 7 \\ 3 & 4 & 5 & 6 & 7 & 8 \\ 4 & 5 & 6 & 7 & 8 & 9 \\ 5 & 6 & 7 & 8 & 9 & 10 \\ 6 & 7 & 8 & 9 & 10 & 11 \end{pmatrix}$$

[illegible]

Call.

أبو بكر بن عبد الله

الكتاب  
كتاب القائلين  
الذين

**Collection of Prof. Muhammad Iqbal Mujaddidi  
Preserved in Punjab University Library.**

پروفیسر محمد اقبال مجددی کا مجموعہ  
پنجاب یونیورسٹی لائبریری میں محفوظ شدہ



جميع حقوق الطبع محفوظة  
لمكتبة العلوم والحكم  
لمدينة المنورة  
الطبعة الثالثة  
١٤١٧ هـ / ١٩٩٦ م

مكتبة العلوم والحكم  
ص ٢٨٨  
هـ ١٤١٧ / م ١٩٩٦  
لمدينة المنورة - المملكة العربية السعودية

# عَقِيدَةُ الْمُؤْمِنِ

كتاب يبحث العقيدة الإسلامية على ضوء الكتاب  
والسنة ويحاكي صفاتها بأسلوب علمي مبسّط  
واضح، على أساس من البرهنة المضارعة التي  
تقوم على الأدلة المنطقية والنقلية الشرعية



تأليف

أبو بكر محمد بن أبي بكر الجازي

الناشر

مكتبه العلوم والحكم

المدينة المنورة



131390

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

Abu Bakr Jaber Al-Jawary

Teacher in Masjid Al-Nabawi Al-Shareef  
Madina Munawwara  
Tel. 8371500  
P.O Box: 871 - Saudi Arabia



أبو بكر جابر الجزائري

المدرس بالمسجد النبوي الشريف  
المدينة المنورة  
هاتف: ٨٣٧١٥٠٠  
ص ب : ٨٧١ - المملكة العربية السعودية

Date / / 199

بسم الله الرحمن الرحيم

تاريخ ٢٤ / ٤ / ١٤١٤

## اعلان بعقد وكالة =

بعد حمد الله تعالى، والصلوة والسلام على رسول  
محمد طاب الله عليه وآله، وبعد، فقد كنت  
أقول لقد وكلت وأثبتت عن مكتبة العلوم والحكم  
بالمدينة المنورة، هذه المسئلة عن طبع كتيب  
ونشرها، كما أشرت على تحصيل حقوقه من دور النشر  
التي تنشر كتب في المملكة وخارجها، وأنه بهذه التاريخ  
لم يسمح لأحد بطبع كتيب أو كتاب إلا بإذن  
خاص من مكتبة العلوم والحكم بالمدينة المنورة  
لذا أحرر بتاريخ ١٤١٤ / ٤ / ١٩١٤  
والشهاد عليه ووثق

أحمد عثمان محمد الطيب، عموز الخزانة  
عزيمه  
أبو بكر جابر الجزائري

أبو بكر جابر الجزائري

المدرس بالمسجد النبوي الشريف

أحمد عثمان محمد الطيب، عموز الخزانة  
عزيمه  
١٤١٤ / ٣ / ١٩١٤



Date

199

حفظ الأنعام

٢٢٥٠

باسم الله الرحمن الرحيم، إلهنا ربنا ورب كل شيء، اللهم صل على محمد وآل محمد

صل على محمد بن عبد الله بن عبد المطلب، صل على محمد بن عبد الله بن عبد المطلب

بأمر الله تعالى وبإذن الله تعالى، في هذا اليوم المبارك، في هذا اليوم المبارك

بأمر الله تعالى وبإذن الله تعالى، في هذا اليوم المبارك، في هذا اليوم المبارك

بأمر الله تعالى وبإذن الله تعالى، في هذا اليوم المبارك، في هذا اليوم المبارك

بأمر الله تعالى وبإذن الله تعالى، في هذا اليوم المبارك، في هذا اليوم المبارك

بأمر الله تعالى وبإذن الله تعالى، في هذا اليوم المبارك، في هذا اليوم المبارك

بأمر الله تعالى وبإذن الله تعالى، في هذا اليوم المبارك، في هذا اليوم المبارك

بأمر الله تعالى وبإذن الله تعالى، في هذا اليوم المبارك، في هذا اليوم المبارك

بأمر الله تعالى وبإذن الله تعالى، في هذا اليوم المبارك، في هذا اليوم المبارك

بأمر الله تعالى وبإذن الله تعالى، في هذا اليوم المبارك، في هذا اليوم المبارك

بأمر الله تعالى وبإذن الله تعالى، في هذا اليوم المبارك، في هذا اليوم المبارك

بأمر الله تعالى وبإذن الله تعالى، في هذا اليوم المبارك، في هذا اليوم المبارك

## المقدمة

الحمد لله الذي خلق السموات والأرض ، وجعل الظلمات والنور ، خلق الإنسان من طين ، ثم جعل نسله من سلالة من ماء مهين ، شرف آدم أبا البشر بخلقه بيديه ، ونفخ فيه من روحه . وكرم ذريته فصورهم في الأرحام في أجمل صورة وخلقهم في أحسن تقويم . ورزقهم من الطيبات ، وفضلهم على كثير من المخلوقات ، وزودهم بالعقل ليعرفوه وأمدهم بالنعم ليزكروه ، ويشكروه .

أنزل الكتب ، واصطفى من الملائكة رسلا ، ومن الناس ، لا بلاغ عباده شرائعه من الدين ، ليعبدوه ويوحّدوه ، فتكمل بذلك آدميتهم ، وتشرف به إنسانيتهم ويتأهلوا لكرامة الدار الآخرة ، والسعادة الدائمة فيها ، حيث كتب لهم ذلك وقدره تقديرا . ف سبحانه من رب رحيم ، وإله عظيم ، لا إله غيره ، ولا رب سواه .

والصلاة والسلام التامان ، الأكملان ، الدائمان ، المتلازمان على محمد حبيب الله ، وخاتم رسله وأنبيائه ، صفوة الخلق وخيرتهم ، وإمام الأنبياء وسيدهم ، صاحب لواء الحمد ، والمقام المحمود ، والحوض المورود ، وسيد كل مولود . وعلى إخوانه الأنبياء والمرسلين ، وآل بيته الطيبين الطاهرين ، وصحابته البررة الراشدين . ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين .

أما بعد : فإنه نظراً لأهمية العقيدة الإسلامية في حياة الفرد

المسلم وضرورة خلّوها من الشك ، وسلامتها من شوائب الشرك ،  
ونقاها من كدورات<sup>(١)</sup> الخرافات .

ونظراً إلى الهزّات العنيفة القوية التي تتعرض لها العقيدة  
الإسلامية في هذه الأيام من جراء طغيان المادة من جهة ، ومن طفرة  
العلوم الكونية المادية من جهة أخرى .

نظراً إلى هذا وذاك فقد رأيت أنّ الحاجة جدّ ماسة إلى وضع  
كتاب مناسب في عقيدة المؤمن على ضوء كتاب الله ، وسنة رسوله  
صلى الله عليه وسلم ، على أن يكون سهل العبارة ، قريب الإشارة ،  
حججه قوية ، وأدلته قطعية ، مضاء بضياء الأدلة السمعية الدينية  
الشرعية ، مناراً بأنوار الحجج العقلية النظرية القياسية .

كما رأيت أنّي أقرب من شاطئ نهاية حياتي ، وأنقدم بسرعة  
لحويّات مماتي ، ورحوت ربي أن لا يأتيني أحلي إلا بعد أن تفضي  
لُباتاتي<sup>(٢)</sup> في وضع الكتاب المطلوب ، وتركه بعدي صدقة جارية ،  
وحسنة سرية ، يصلني من بركتها ما يزيد في نعيمي إن كنت من  
المنعمين ، أو ما يخفف عني عذابي إن كنت من المعذبين .

واستعنت بالله تعالى على وضع الكتاب المرغوب ، وأخذت في  
الجمع والتأليف ، وفي التحرير والنحير ، ولم يمض طويل زمن حتى  
تم وضع كتاب في عقيدة المؤمن على ضوء الكتاب والسنة وجاء كما  
أملت سهل العبارة ، قريب الإشارة ، حججه قوية ، وأدلته قطعية .

غير أن كثرة الأعمال ، وانشغال البال قد حالت - مع الأسف -  
دون التفتيح وإن لم تحل دون التصحيح ، فمعدرة إلى الأخوة القارئین

(١) كدورات جمع كدورة وهي الكدرة الذي هو صد نصفه .

(٢) اللبنة بالضم الحاجة

إن رأوا تقديم ما حقه التأخير ، أو تأخير ما حقه التقديم . أو زيادة كلمة في جملة ، أو نقصها من أخرى : فأخل ذلك بجمال التركيب ، أو حسن الترتيب فأفقد الكلام طلاه ، والأسلوب حلاه .

هذا والكتاب لو لم أكن جامعاً ، ومؤلفه لقلت فيه ما يرغب في اقتنائه ويبعث النفس على شرائه .

وهذا أراه غير مانعي من أن أقول فيه كلمة تقويم ، لا تعظيم ولا تفخيم ، تحدد معالمه ، وتظهر محاسنه ، وتبين ما فيه من خصائص ، وما له من مميزات . وهل في ذكر ذلك من بأس إذا كان يحمل الأخوة المؤمنين على قراءة الكتاب ، واعتقاد ما فيه من الحق والصواب ؟ لا سيما وأني ما كتبت إلا لهم وما جمعته وألفته إلا لعلمي بحاجتهم الأكيدة إليه ، وافتقارهم الشديد إلى مثله ، إذ هم يعيشون في زمن أصبح من الصعب فيه قراءة كتب الأولين ، والاستفادة منها ، وذلك لعوامل كثيرة من أهمها ما يلي :-

أولاً : ضعف الملكة العلمية التي يتأتى بها للقارئ أن يفهم ما يقرأه ، ويستفيد منه ما هو في حاجة إليه من تصحيح معتقد ، أو فهم حكم ، أو تحقيق مطلب .

ثانياً : قلة العلماء الدارسين لكتب الأولين ، المحققين لها ، العالمين بما فيها ، الذين يرجع إليهم الطالب اليوم فيما خفى عنه منها ، أو أشكل عليه فيها .

ثالثاً : انعدام الهمم العوالي ( إلا ما شاء الله ) ، تلك الهمم التي كانت تحمل أصحابها على الصبر في الطلب ، وعلى المثابرة في الدرس حتى يلين الصلب ، ويسهل الصعب ، فتكشف مخدّرات المعاني ، وتتجلى شمس العلوم والمعارف .

رابعاً ما طبع به العصر اليوم أهله من حُب العجلة والعاجلة ،  
والرعة عن الأحبة<sup>(١)</sup> والاحلة والعلم من شروط اكتسابه ، والحصول  
عنه التيسر والآلة والرعة فيما عند الله .

هذه بعض العوالم التي جعلت الحاجة إلى مثل هذ الكتب  
ندي غداً له حاجة ماسة . وأعمل في تأليفه وإخراجه من الأعمال  
صاحبه لدعوة<sup>(٢)</sup>

ولاب فبني كمنه تقوية<sup>(٣)</sup> الكتب حيث أقول .

بـ هذ الكتب لدى سميت « عقيدة المؤمن » هو حق - حو  
عقيدة مؤمن ، مستعمل على أصوله ، جامع فروعه ، لم يترك من  
أصول عقيدته ما يحل به ، ولم يغفل من فروعه ما يضعفها أو  
يذهب ، فقد سمي على الإيمان بالله تعالى ، وأذنت ومراتب المؤمنين  
فيه ، وعلى توحيد الله تعالى ، وأقسامه ، وعلى الشرك وأنواعه  
ومظاهره ، وعلى بيان النبيلة والنوسل ، والشدة والاستشفاع ، وعلى  
أولياء الرحمن وكرهاتهم ، وأولياء الشيطان ومهاداتهم ، وعلى الإيمان  
بالملائكة وأذنت وجودهم العقبية والسمعية ، وعلى بيان مراتبهم وأعمالهم  
وأحوالهم ومادة حقائقهم ، وعلى ذكر نحن ومادة حقائقهم ، وعلى ذكر  
أحوالهم وأعمالهم ، وأحوالهم ، وعلى ذكر الشياطين وما حلوا عليه ، وما  
يحفظ لإسناد مهم ، ويسجيه من كيدهم

وعلى الإيمان بالكتب الإلهية المبرنة ، ومن برئت عندهم وأذنت  
نوبه ، وما عدده ، ومسحها ، ومسوحها ، وعلى الإيمان بالرسول

١ (١) لاجه ... صاحب المومس محظ ... كل كرج هو رجل واحد ناجر  
... لاجه ... لاجه ... لاجه

٢ ...

(٣) أي ساد فقه الكتب معوية ، ومن نحن شئ فوهم نفسه كذا معنى تقوية

عليهم الصلاة والسلام ، وبيان عددهم وأسمائهم ، وأسماء أمهم ، وبيان ديارهم وأزمتهم ، وعلى أعظمهم وهم أولو العزم ، وعلى أدلة الوحي وثبوتهم بالأدلة العقلية والسمعية ، وحاجة الناس إلى الوحي الإلهي ، وعدم استغنائهم عنه بحال من الأحوال .

وعلى المعاد ، والبعث ، والجزاء وإمكان ذلك ، وجوب الإيمان به ، وعلى كيفية البعث وأحوال الناس فيه ، وما يجري عليهم ، ويطرأ لهم من وزن أعمالهم وعبورهم على الصراط ، ونجاة الناجين ، وهلاك الهالكين ، وعلى ذكر دار السلام وما فيها من نعيم مقيم ، وعلى ذكر دار البوار وما فيها من جحيم وحميم ، وعلى الإيمان بالقدر وأدلة وجوب الإيمان به العقلية القياسية ، والدينية الشرعية ، وعلى ذكر الجبر والاختيار ، والإرادة والمشيئة . والهداية والإضلال ، والحسنة والسيئة .

وعلى خاتمة في بيان ثمرة هذه العقيدة ، وفائدتها المقصودة منها ، والمتوخاة فيها . ومن خصائص هذا الكتاب احتواؤه على كل أجزاء العقيدة الإسلامية ، وبحثها بالتفصيل ، ومن مميزاته جمعه في إثبات مسائله بين الدليلين العقلي والسمعي ، وكتابته بروح العصر . والله أسأل أن ينفع به من يقرأه ويدرسه ، وأن لا يحرمني أجر ما بذلت فيه من جهد هو من فضل ربي علي وإكرامه لي . والحمد لله رب العالمين .





## حاجة الإنسان إلى العقيدة وضرورتها له

ما هو الإنسان ؟

الإنسان هو هذا الكائن الحي المتصّبُّ القامة ، البادي البَشَرة ، ذو العقل والتفكير والأخلاق الفاضلة ، والعواطف الجيَّاشة ، والإحساسات الصادقة ، والمنطق السليم ، والكلام الفصيح المبين . ابتداءً الله تعالى خلقه من طين ، ثم جعل ذريته من سلالَةٍ من ماءٍ مهين ، إذ خلق آدم من طين بيديه ، ونفخ فيه من روحه ، وخلق منه أنثاءً حواءَ ، وعلمه الأسماء ، وأسجد له ملائكة السماء ، فسجدوا كلهم أجمعون إلا أبلّيس أبى . ونهاه عن الأكل من الشجرة فَنَسَى ، فأكل منها ، فعصى وَغَوَى ، وتلقى كلمات من تعالى ، فقالها فتاب عليه وهَدَاه ، وأهبطه إلى الأرض خَلِيفَةً فيها بعد أن هيأها له ، وسخرَ له كُلَّ ما فيها .

هذا هو الإنسانُ في معتقِدِنَا ، وهو - أي معتقِدُنَا هذا في الإنسان - مستقى من وحي السماء لا مجال فيه للقياس ولا للنظر والاستدلال ، إذ مثله لا يُعَلِّم بغير الوحي أبداً .

وهذه حقوقه عندنا : حرمةُ دمه ، وماله ، وعرضه ، واحترام مشاعره وعواطفه وأخلاقه ، والاعترافُ بحرياته الشخصية ما لم يخلُ بكرامته ، ومصالح الهيئة الاجتماعية التي هو أحد أفرادها ، وجزء من أجزائها .

وأدلة عقيدتنا هذه في الإنسان هي أخبار خالقه عنه ، وعن كيفية خلقه وتنشئته ، الواصلة إلينا من طريق يحيل العقلُ البشريّ تكذيبها وإنكارها وهي

أقواله تعالى ، في كتابه الكريم : القرآن العظيم ، إذ قال تعالى في خلق آدم ،

﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنْ صَلْصَلٍ مِنْ حَمَلٍ مَسْنُونٍ﴾<sup>(١)</sup>

وقال عنه أيضاً :

﴿إِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَكَةِ إِنِّي خَلَقْتُ بَشَرًا مِنْ طِينٍ ﴿٧١﴾ فَإِذَا سَوَّيْتُهُ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِنْ رُوحِي فَقَعُوا لَهُ سَاجِدِينَ﴾<sup>(٢)</sup>

وقال عنه أيضاً :

﴿بَدَىٰ أَحْسَنَ كُلِّ شَيْءٍ خَلَقَهُ وَبَدَأَ خَلْقَ الْإِنْسَانِ مِنْ طِينٍ﴾<sup>(٣)</sup>

وقال في خلق ذريته :

﴿ثُمَّ جَعَلْنَا نَسْلَهُ مِنْ سُلَالَةٍ مِنْ مَاءٍ مَهِينٍ﴾<sup>(٤)</sup>

وقال في خلق الإنسان الذي هو ابنُ آدم :

﴿إِنَّا خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنْ نُطْفَةٍ أَمْشَاجٍ﴾<sup>(٥)</sup>

وقال في خلقه أيضاً :

﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنْ سُلَالَةٍ مِنْ طِينٍ ﴿٢٢﴾ ثُمَّ جَعَلْنَاهُ نُطْفَةً فِي

(١) سورة الحجر (٢٦)

(٣) سورة السجدة الآية (٧)

(٤) سورة النحل (٦١ ، ٧٢)

(٥) سورة الإنسان الآية (٢)

(٤) سورة السجدة الآية (٨)

قَرَارٍ مَكِينٍ ﴿١٣﴾ ثُمَّ خَلَقْنَا النُّطْفَةَ عَلَقَةً فَخَلَقْنَا الْعَلَقَةَ مُضْغَةً فَخَلَقْنَا  
الْمُضْغَةَ عِظْمًا فَكَسَوْنَا الْعِظْمَ لَحْمًا ثُمَّ أَنْشَأْنَاهُ خَلْقًا آخَرَ فَتَبَارَكَ اللَّهُ  
أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ ﴿١٤﴾

وقال : في خلق المرأة الأولى حواء :

﴿يَتَّخِذُهَا النَّاسُ آفُقًا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا  
زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً﴾ ﴿١٥﴾  
وقال عنها أيضاً :

﴿هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَجَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا لِيَسْكُنَ إِلَيْهَا﴾ ﴿١٦﴾

وقال في تعليمه - آدم - الأسماء والبيان :

﴿وَعَلَّمَ آدَمَ الْأَسْمَاءَ كُلَّهَا ثُمَّ عَرَضَهُمْ عَلَى الْمَلَائِكَةِ فَقَالَ أَنْبِئُونِي بِأَسْمَاءِ  
هَٰؤُلَاءِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾ ﴿١٧﴾

وقال :

﴿الرَّحْمَنُ عَلَّمَ الْقُرْآنَ خَلَقَ الْإِنْسَانَ عَلَّمَهُ الْبَيَانَ﴾ ﴿١٨﴾

وقال في خلقه - آدم - يديه وتسويته له ، وإسجاده ملائكته له :

﴿إِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي خَلَقْتُ بَشَرًا مِنْ طِينٍ فَإِذَا سَوَّيْتُهُ وَنَفَخْتُ فِيهِ

(١) سورة المؤمنون الآيات (١٢ - ١٤) .

(٢) سورة النساء الآية (١) .

(٣) سورة الأعراف الآية (١٨٩) .

(٤) سورة البقرة الآية (٣١) .

(٥) سورة الرحمن الآية (١ - ٤) .

وقال في نهيه - آدم - عن الأكل من الشجرة التي أكل منها بتغير من الشيطان فعصى وغوى :

وَقَدْ عَهِدْنَا إِلَىٰ آدَمَ مِنْ قَبْلِ قَنُوسٍ وَلَمْ نُخَذِلْهُ عَزْمًا ﴿١٥﴾ وَإِذْ قُلْنَا لِمَنْتُمْ أَنْجِدُوا لَأَدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ أَبَى ﴿١٦﴾ فَقُلْنَا يَكْدُمُ هَٰذَا عَدُوَّكَ وَلَوْ جَكَ فَلَا يُخْرِجُكَ مِّنَ الْجَنَّةِ فَتَشْوَى ﴿١٧﴾ إِنَّكَ لَا تَجْعَلُ فِيهَا وَلَا تَعْرَى ﴿١٨﴾ وَأَنَّكَ لَا تَظْمَأُ فِيهَا وَلَا تَصْحَى ﴿١٩﴾ فَوَسَّسَ إِلَيْهِ الشَّيْطَانُ قَالَ يَكْدُمُ هَلْ أَذْلَكَ عَلَىٰ شَجَرَةِ الْخُلْدِ وَمُلْكٍ لَّا يَسْهُو ﴿٢٠﴾ فَأَكَلَا مِنْهَا فَبَدَتْ لَهُمَا سَوْءَاتُهُمَا وَطَفِقَا يَخْصِفَانِ عَلَيْهِمَا مِن وَرَقِ الْجَنَّةِ وَعَصَى آدَمُ رَبَّهُ فَغَوَى ثُمَّ اجْتَبَاهُ رَبُّهُ فَتَابَ عَلَيْهِ وَهَدَى ﴿٢١﴾ قَالَ اهْبِطْ مِنْهَا جَمِيعًا بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ ﴿٢٢﴾

وقال تعالى :

﴿فَتَقَرَّبَ دُمٌّ مِنْ رَبِّهِ ۖ كَلِمَتٍ فَنَابَ عَلَيْهِ ۖ إِنَّهُ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ﴾ (٣)

وقال في بيان هذه الكلمات من سورة الأعراف :

﴿قَالَ رَبَّنَا ظَلَمْنَا أَنْفُسَنَا وَإِنْ لَمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾<sup>(١)</sup>

وأقوال رسوله ﷺ التي تلقاها وحياً من ربه سبحانه وتعالى فقد روى مسلم في صحيحه عنه ﷺ قوله : خُلِقَتِ الْمَلَائِكَةُ مِنْ نُورٍ ، وَخُلِقَ الْجَانُ مِنْ مَارِجٍ مِنْ نَارٍ ، وَخُلِقَ آدَمُ مِمَّا وُصِفَ لَكُمْ<sup>(٢)</sup> ، يعني ﷺ وخلق آدم من طين . كما بين ذلك في القرآن الكريم ، وقال ﷺ في رواية البخاري ومسلم يَجْتَمِعُ الْمُؤْمِنُونَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فيقولون : أَلَا تَنْتَظِرُونَ مَنْ يَنْشَعُ لَكُمْ إِلَى رَبِّكُمْ ؟ فَيَأْتُونَ آدَمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ فيقولون : أَنْتَ أَبُو الْبَشَرِ خَلَقَكَ اللَّهُ بِيَدِهِ ، وَنَفَخَ فِيكَ مِنْ رُوحِهِ ، وَأَمَرَ الْمَلَائِكَةَ فَسَجَدُوا لَكَ . إلخ<sup>(٣)</sup> . . . والشاهد منه في قوله ﷺ خَلَقَكَ اللَّهُ بِيَدِهِ . فلو لم يكن خَلَقَهُ خَلْقاً مَبْشِراً ، وإنما كان كخَلْقِ سَائِرِ النَّاسِ لما كان لذكر اليد والخَلْقِ أي ميزة ، أو فضيلة على خلقِ غيره من بني آدم . وقال ﷺ في رواية البخاري ومسلم وأحمد واللفظ له : إِجْتَجَعَ آدَمُ وَمُوسَى فَقَالَ مُوسَى : يَا آدَمُ أَنْتَ الَّذِي خَلَقَكَ اللَّهُ بِيَدِهِ ، وَنَفَخَ فِيكَ مِنْ رُوحِهِ أَغْوَيْتَ النَّاسَ وَأَخْرَجْتَهُمْ مِنَ الْجَنَّةِ . قَالَ : فَقَالَ آدَمُ ، وَأَنْتَ مُوسَى الَّذِي اصْطَفَاكَ اللَّهُ بِكَلَامِهِ تَلُومُنِي عَلَى عَمَلٍ أَصْنَعُهُ قَدَرَهُ اللَّهُ عَلَيَّ قَبْلَ أَنْ يَخْلُقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ بِأَرْبَعِينَ سَنَةً ! قَالَ : قَالَ فَحَجَّ آدَمُ مُوسَى<sup>(٤)</sup> .

وقال ﷺ في رواية أحمد وأبي داود والترمذي وصححها : إِنْ اللَّهُ خَلَقَ

(١) سورة الأعراف الآية (٢٣) .

(٢) متن مسلم (٢٢٩/٨) .

(٣) اللؤلؤ والمرجان (٥٠/٤٩/١) .

(٤) اللؤلؤ والمرجان (٢١١/٣) مسلم (٤٩/٨) . وكذا أبو داود في (٥٢٨/٢) والفتح الرباني

(١٢٧/١) والفاظهم متقاربة .

آدم من قبضة قبضها من جميع الأرض فجاء بنو آدم على قدر الأرض ، فجاء منهم الأبيض والأحمر والأسود وبين ذلك ، والسهل والحزن وبين ذلك ، والخيث والطيب وبين ذلك (١) .

وقال ﷺ في رواية البخاري : « خَلَقَ اللَّهُ آدَمَ عَلَى صُورَتِهِ وَطَوْلِهِ سِتُونَ ذِرَاعًا ، ثُمَّ قَالَ : اذْهَبْ فَسَلِّمْ عَلَى أَوْلَئِكَ النَّفَرِ مِنَ الْمَلَائِكَةِ فَاسْتَمِعَ مَا يُحْيَوْنَكَ ، فَإِنَّهَا تَحِيَّتُكَ وَتَحِيَّةُ ذُرِّيَّتِكَ ، فَقَالَ السَّلَامُ عَلَيْكُمْ . فَقَالُوا : عَلَيْكَ السَّلَامُ وَرَحْمَةُ اللَّهِ ، فزادوه وَرَحْمَةُ اللَّهِ ، فَكُلُّ مَنْ يَدْخُلُ الْجَنَّةَ عَلَى صُورَةِ آدَمَ ، فَلَمْ يَزَلْ الْخَلْقُ يَنْقُصُ بَعْدُ حَتَّى الْآنَ » (٢) .

وقال ﷺ : في رواية مسلم : « خَيْرُ يَوْمٍ طَلَعَتْ فِيهِ الشَّمْسُ يَوْمَ الْجُمُعَةِ ، فِيهِ خُلِقَ آدَمُ ، وَفِيهِ أُدْخِلَ الْجَنَّةَ ، وَفِيهِ أُخْرِجَ مِنْهَا وَلَا تَقُومُ السَّاعَةُ إِلَّا فِي يَوْمِ الْجُمُعَةِ » (٣) .

وبعد : فهذه الأقوال الإلهية ، والأحاديث النبوية كلها قاضية بخلق آدم عليه السلام خلقاً مباشراً . خلقه الله تعالى بيده ، ونفخ فيه من روحه ، وأسجد له ملائكته ، وعلمه الأسماء كلها ، وجعل طولهُ ستين ذراعاً ، وأسكنه جنته ، ثم أخرجهُ منها لما أكل من الشجرة فعصى وعوى ، وأهبطهُ إلى الأرض هو وزوجهُ حواء التي خلقها الله منه بالأمر الإلهي ، وأمره إذا أراد شيئاً أن يقول له : كُنْ فيكون .

ومن آدم وحواء وبطريق التناسل والخلق التدريجي خلق الله ذريته في كمالهم وجمالهم فصحاء عِقاء سادة في الأرض ، قد سخر الله لهم كل ما

(١) ٥٥ (٢ ٥٢٥) ، الترمذي في تفسير سورة البقرة . وأحمد في (٥ / ٣٣٨) .

(٢) ٨ (٦٢) ، عن صورته أي عن صورة آدم التي خلقه بها كما في آخر الحديث

(٣) مسلم (٦٣) .

فيها ليتفتعوا به في حياتهم الدنيا ، وبعث فيهم الرُّسُلَ ، وأنزل عليهم الكتب تكميلاً لأدميتهم وإسعاداً لهم في حياتهم ، وإعداداً لهم بواسطة تزكية نفوسهم ، وتطهير أرواحهم للسعادة الآخروية في الملكوت الأعلى بعد موتهم وانتضاء آجالهم .

هذا هو الإنسان المكرّم في مُعْتَقَدِ المؤمنين أجمعين . وأما الإنسان في معتقد الملحدين الكافرين فهو متحول عن خَلْقِهِ هبطت من بعض الكواكب إلى الأرض ثم نَمَتْ فيها فكانت حيواناً رديئاً في أبسط شكل ، ثم تغيرت الأرض بفعل بعض المؤثرات الطبيعية ، فاضطر هذا الحيوان المخلوق لتغيير شكل معيشته ، فتبع ذلك تَغْيِيرُ في صفاته ، ثم استحال مع طول الزمن وكثرة المؤثرات<sup>(١)</sup> المختلفة إلى أحوال فارق فيها جنسه الأول ، ثم ارتقى إلى قرد على مبدأ النشوء والارتقاء الذي فتنا به ثم مرت عليه ملايين السنين فارتقى إلى حيوان آخر هو بين القرد والإنسان بواسطة بينهما ، ثم انقراض هذا الحيوان بواسطة بدليل عدم العثور عليه في آثار الأحياء . ولعل انقراضه كان على مبدأ الانتخاب الطبيعي ، والبقاء للأصلح كما يقولون ، ومن ذلك الحيوان الواسطة المفقود ارتقى الإنسان إلى ما هو عليه الآن !! .

وبنوا معتقدهم هذا في خلق الإنسان ، وأنه متحول من القرد على أساس مجموعة نظريات هي الانتخاب الطبيعي ، والبقاء للأصلح ، والنشوء والارتقاء ، والمطابقة ، وعامل الوراثة . وهي في الجملة نظريات صحيحة معلومة بالحسّ ، وهي سنن الله تعالى في الخلق والتكوين لكثير من المخلوقات - فالإنسان ابن آدم يوجد أولاً خَلْقُهُ في نطفة الرجل وماء المرأة ، ثم يكون حيواناً منوياً ذكراً أو أنثى ، ثم يتلاقح كما هي سنة الله تعالى في

(١) لا غرابة في هذا التصور المضحك المزري ، لأنه البديل لهم عن الإيمان بخلق الله تعالى للإنسان، إذا أنهم لو آمنوا بأن الله تعالى خلق آدم خلقاً مباشراً كما ذكر تعالى ، لأنوا بالله وعبدوه ، وهم لا يريدون ذلك ، فلذا هم مضطرون إلى هذا الافتراء والهراء والتلفيق أعماهم الله ولعنهم .



اللقاح ، ثم يتدرج خلقه من حال إلى حال إلى أن يتم خلقه فيصير بشراً سوياً  
كما جاء ذلك في قوله تعالى :

﴿ثُمَّ جَعَلْنَاهُ نُطْفَةً فِي قَرَارٍ مَّكِينٍ ﴿١٣﴾ ثُمَّ خَلَقْنَا النُّطْفَةَ عَلَقَةً فَخَلَقْنَا  
الْعَلَقَةَ مُضْغَةً فَخَلَقْنَا الْمُضْغَةَ عِظْماً فَكَسَوْنَا الْعِظْمَ لَحْمًا ثُمَّ أَنشَأْنَاهُ  
خَلْقًا آخَرَ فَتَبَارَكَ اللَّهُ أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ ﴿١٤﴾﴾

وكما صح به قول الرسول ﷺ : « وَإِنْ أَحَدُكُمْ يُجْمَعُ خَلْقُهُ فِي بَطْنِ أُمِّهِ  
أَرْبَعِينَ يَوْمًا نُطْفَةً ، ثُمَّ يَكُونُ عَلَقَةً مِثْلَ ذَلِكَ ، ثُمَّ يَكُونُ مُضْغَةً مِثْلَ ذَلِكَ ، ثُمَّ  
يَأْتِي إِلَيْهِ الْمَلِكُ فَيَنْفُخُ فِيهِ الرُّوحَ ، ثُمَّ يَوْمَرُ بِكُتُبٍ أَرْبَعٍ كَلِمَاتٍ : رِزْقُهُ  
وَأَجَلُهُ وَعَمَلُهُ وَشَقِيٌّ أَوْ سَعِيدٌ » (١) ، وقد سئل رسول الله ﷺ بم يكون الشبه  
في الولد ؟ فقال فإذا سَبَقَ ماء الرجل ماء المرأة نَزَعَ الولدَ لَهَا ، وإذا سَبَقَ ماء  
المرأة نَزَعَتْ الولدَ ، رواه البخاري (٢) . وهو إشارة إلى عامل الوراثة . وعجمة  
التمر تلقى في الأرض نواة لا حياة فيها ، ثم تنقل عن غصن أخضر . ثم  
يتدرج خلقها حتى تصبح نخلةً بأسفله لها طلع تضيد رزقاً للعباد ، وبالجمله  
فسنن الله تعالى في الخلق التدريجي في الإنسان والحيوان والنبات ثابتة لا  
تنكسر ، وسنته تعالى في انتقال صفات الأصل إلى فرعه ثابتة كذلك ، وسنته  
تعالى في البقاء للأصلح ظاهرة في كثير من الكائنات ، ولكن هذه السنن هي

(١) سورة ( المؤمنون ) الآيةان ( ١٣ ، ١٤ )

(٢) أخرجه الشيخان من حديث ابن مسعود مطولاً ( راجع اللؤلؤ والمرجان فيما اتفق عليه الشيخان  
٢٠٧/٣ - ٢٠٨ ) طبعه عيسى الحلبي وشركاه

(٣) ( في ٨٨/٥ ، ١٠/٤ ) من مسلم بلفظ ( إذا علا ماؤها ماء الرجل شبه الولد أخواله . وإذا  
علا ماء الرجل ماءها شبه أعمامه ) ( ١٧٣/١ ) مشورات المكتب التجاري للطباعة والنشر  
وانتوزيع بيروت

من خلق الله وتقديره ، وهي خاضعة لارادته ومشيته ، ولذا يخرقها بالمعجزات التي يعطيها لأنبيائه تدليلاً على صدق ما ادعوه من أنهم أنبياءه ورسله ، فخلق عيسى عليه السلام كان على خلاف سنّة الخلق المعروف في سائر بني آدم كما قال تعالى :

﴿ إِنَّ مَثَلَ عِيسَىٰ عِنْدَ اللَّهِ كَمَثَلِ آدَمَ خَلَقَهُ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ ۝ ﴾<sup>(١)</sup>

وتكلم عيسى في المهد في أسبوع ولادته كان على خلاف سنّة الله تعالى في نطق الإنسان الذي لا يتم إلا بعد قطع الطفل مرحلة من حياته . وسلامة إبراهيم من إحراق النار لما يلتقى فيها من أجسام قابلة للاحتراق ، وأمثلة إبطال الله تعالى لسنّته في خلقه متى شاء ، ذلك كثيرة . والمقصود من هذا أن ما يسميه الملاحدة بالقوانين الطبيعية ويتخذون منه دليلاً على كفرهم بالله تعالى ، ما هو في الواقع إلا سنن الله تعالى التي أودعها في الكون . يوجد بها ويخلق ما يشاء إيجاده وخلقه ، وهي خاضعة له تعالى متى شاء أمضاها ، ثابتة لا تتغير ، ولا تتبدل كما قال الله تعالى :

﴿ فَلَن تَجِدَ لِسُنَّتِ اللَّهِ تَبْدِيلًا وَلَن تَجِدَ لِسُنَّتِ اللَّهِ تَحْوِيلًا ۝ ﴾<sup>(٢)</sup>

ومتى شاء أوقفها وأبطلها لحكمة منه اقتضت ذلك وهو العزيز الحكيم .

بيد أن خلق آدم وحواء عليهما السلام كان بالخلق المباشر ، ولم يكن أبداً كما تخيل الملاحدة ، وتصوروا ، لأخبار الله تعالى وأخبار رسله التي يستحيل فيها الكذب ، هذا وقد ناقش العلماء المؤمنون هذه النظريّة الدارونية

(١) سورة آل عمران الآية (٥٩) .

(٢) سورة فاطر الآية (٤٣) .

التي أصبحت مذهب الملاحدة ومعتقدهم ، وأبطلوها نهائياً بنفس المقاييس  
والنظريات الطبيعية التي أثبتتها الداروينيون بها .

وهذه بعض الاعتراضات التي عورضت بها النظرية الدارونية  
وأبطلتها :

١ - إذا كانت نظرية النشوء والارتقاء مطردة في كل شيء فعن أي شيء  
ترقت الأنعام التي هي الإبل والبقر والغنم ؟<sup>(١)</sup> ، وعن أي شيء ترقى البهائم  
ذات القوائم الأربع : الخيل والبغال والحمير ، والأسود والنمر والفيل والذئب  
والكلب .

٢ - ومضت القرون الطويلة على هذه الحيوانات ولم تترق إلى ما هو  
أكمل منها إذ الكمال لا حد له ، فبقي الفرس فرساً ، والكلب كلباً ، والأسد  
سداً ، والذئب ذئباً . والإنسان إنساناً منتهياً كل منها إلى ما هو عليه الآن ،  
ومنذ قرون طويلة ؟؟؟ .

٣ - لم بقي القرد الأول ، وانقرض الحيوان الواسطة الذي ترقى من  
القرد ؟ فلو كانت نظرية البقاء للأصلح ، والانتخاب الطبيعي مطردة لانقرض  
القرد الأول وبقي الحيوان الواسطة الذي ترقى عن الأول ، لأنه أكمل منه  
وأصلح والبقاء للأصلح ؟؟

فلم هنا كان البقاء لغير الأصلح ؟ ولم أساء الانتخاب الطبيعي هنا  
فانتخب الناقص فأبقاه ولم ينتخب الكامل فأرداه ؟ .

٤ - إن مذهبكم المادي قائم على أساس نكران القياس والنظر  
والاستدلال . فلم تؤمنوا بغير المرئي المحسوس ، فلم خالفتموه هنا ، وقتلتم

<sup>١١</sup> ، يقول الله تعالى من سورة الرمز : وأمر لكم من الأنعام ثمانية أرواح الآية (٦) فليست كيف عبر  
نفس عن خلق الأنعام بلعظ الإبران ولم يعبر بلعظ الإخراج كما قال في التمار : وأمر من  
السماء ماء فأخرج به من الثمرات رزقا لكم من سورة البقرة الآية (٢٢)

بالنظر والقياس والاستدلال ، لأنكم ما شهدتم الخلية الأولى التي زعمتم أنها نزلت من بعض الكواكب . كما أنكم لم تشاهدوا المؤثرات الطبيعية التي زعمتم أنها اقتضت من الحيوان الأول أن يغير أسلوب معيشته حتى ترقى تبعاً لذلك ، كما أنكم لم تشاهدوا الحيوان الواسطة وقلتم بمجرد النظر والقياس ، وبذلك نقضتم مذهبكم المادي ، وخرجتم عنه ، فثبت عجزكم ، وبطل معتقداكم في النظرية الدارونية التي قال عنها أحد العلماء المؤمنين : « انها نظرية أبوها الكفر وأمها القذارة . . »<sup>(١)</sup> .

وأخيراً فقد اعترف كبار أصحاب النظرية الدارونية بعجزهم وقالوا : بالحرف الواحد : إن نظرية النشوء والارتقاء ليست ثابتة علمياً ، ولا سبيل إلى إثباتها بالبرهان أبداً ، وإنما آمنة بها ، لأنها البديل الوحيد عن الإيمان بالله ! . وبهذا اقتضحت اللعبة ، واكتشفت الجريمة : والحمد لله .

#### ( مقارنة )

ولنختتم الحديث عن الإنسان بالمقارنة التالية ، ليتجلى الفرق بين الإنسان عند المؤمنين ، والإنسان عند الملاحدة الدارونيين . فنقول :

#### الإنسان عند المؤمنين :

خلق في السماء خلقاً مباشراً مستقلاً ، خلقه الله بيده ، ونفخ فيه من روحه ، وعلمه الأسماء كلها ، وأسجد له ملائكة السماء ، خلقه في أحسن تقويم ، وخصه بالتكريم بين العالمين :

حرم دمه وماله وعرضه إلا بحق . أرسل إليه الرسل ، وأنزل عليه الكتب ، فهاهنا بذلك للكمال ، وأعد له سعادة الحال والمآل . أخبر عن خلقه ، وتكوينه ، وكرامته ، ومآله ، وخالفه وأنبيائه الذين أرسلوا إليه .

(١) قصة الإيمان (١٩٣) من فصل بين دارون والحبر

## الإنسان عند الملحدين :

خلق بواسطة النشوء والارتقاء في أقبح صورة ، ثم تدرج في ملايين السنين إلى أن أصبح قرداً ، ثم ترقى إلى حيوان أرقى من القرد في ملايين أخرى من السنين ، ثم صار إنساناً بعد ملايين السنين .

أخبر عن خلقه ونشوئه وتكوينه كبار الملاحدة ، وشرار الناس ، وأكثرهم فساداً وفجوراً ، مآله الهلاك والدمار ، فلا خلود له ولا بقاء .

والآن يا معشر العقلاء فأي الإنسانين أحق بالتكريم ، وأي الإنسانين يجب أن يعترف به الناس أجمعون ، إنسان المؤمنين أم إنسان الملاحدة ( الداروينيين ) ؟ !

إنه من المسخ في العقول والشذوذ في الفهوم ، والانحراف في الفطر قول بنظرية ( الداروينيين ) في الإنسان ، إنها نظرية فاسدة خبيثة أبوها الكفر وأُمها القذارة<sup>(١)</sup> .

(١) نفس المرجع في ص (٢١)

## العقيدة

ما هي العقيدة ؟

العقيدة هي : مجموعة من قضايا الحقّ البديهيّة المسلّمة بالعقل ، والسمع ، والفطرة ، يَعتقدُ عليها الإنسان قلبه ، ويثني عليها صدره جازماً بصحتها ، قاطعاً بوجودها وثبوتها ، لا يرى خلافها أنه يصح أو يكون أبداً .

وذلك كاعتقاد الإنسان بوجود خالقه ، وعلمه به ، وقدرته عليه ، ولقائه به ، بعد موته ونهاية حياته ، ومجازاته إياه على كسبه الاختياري وعليه غير الاضطراري . وكاعتقاده بوجوب طاعته فيما بلغه من أوامره ونواهي من طريق كُتبه ورُسُله طاعة تزكو بها نفسه ، وتتهذّب بها مشاعره ، وتكمل بها أخلاقه ، وتنظم بها علاقته بين الخلق والحياة .

وكاعتقاده بغنى ربّه تعالى عنه ، وافتقاره هو إليه ، وفي كلّ شأنه حتى في أنفاسه التي يرددها ، فبالله تعالى حياته ، وعليه وحده توكله واعتماده ، إذ هو محط رجائه إذا طمع ، ومأمن خوفه إذا خاف ، يحبه يُحبّ ، ويبغضه يُبغض .

هو مولاه الذي لا مولى له غيره ، ومعبوده الذي لا معبود له سواه ، لا يرى ربوبيةً غيره ، ولا يعتقد ألوهيةً سواه .

## حاجة الإنسان إلى العقيدة

دعوى استغناء الإنسان عن العقيدة دعوى باطلة ، يكذبها الواقع ويبتطلها تاريخ الشرية الطويل ، إذ واقع البشرية شاهد على أن الإنسان حينما كان ، وفي أي ظرف وجد ؛ وعلى اختلاف أحواله ، وتباين ظروفه لا يخلو من عقيدة تبدأ . وسواء كنت تلك العقيدة حقاً أو باطلاً ، صحيحة أو سدة حتى أولئك الذين يدعون اليوم أن العلم قد أغنى عن العقيدة وعن التدين ، وأن الإنسان في عصر الذرة ، وغزو الفضاء لم يصبح في حاجة إلى الإيمان بالله تعالى ، وبالغوا في الكفر والإنكار حتى قالوا : إن الإله لم يخلق الإنسان وإنما الإنسان هو الذي خلق الإله<sup>(١)</sup> ، وهم يريدون بذلك أن الإنسان في الظروف الصعبة التي كان يعيشها ، والمخاوف تتناهب من كل ما حوله من مظاهر الكون ، إذ هو يخاف المرض ، ويخاف الفقر ، ويخاف الرعد والبرق ، والفيضان والسيول ، والعواصف والزلازل ، وحتى الحيوانات ، اضطرب لأجل ذلك إلى الإيمان بقوة غيبية ذات قدرة لا تعجز ، وسلطان لا يعذب ولا يقهر ، سماها إلهاً يفرع إليه عند الشدائد ، ويتقرب إليه بالعبادات ليدفع عنه الشرور ، ويقيه من المهالك ، لهذا قالوا : إن الإنسان هو الذي خلق الإله ، وليس الإله هو الذي خلق الإنسان ، وهو قول مضحك ، وجهل فاضح ، وكلم صريح ، وكذب ممقوت ، ومغالطة مكشوفة ، وسخف عقول لا حد !

١ هذه عبارة من ديموسنيوس في كتابه "الدين الطبيعي" ، وهذه عبارة من

وتحرير هذه القضية الفاسدة : هو أنهم إن كانوا يعنون بالإله الذي خلقه هو إله الوثنيين الذين اتخذوا أصناما آلهة ، نحتوها بأيديهم ، وعبدوها بأهوائهم . فنعم . هذه الآلهة خلقها الإنسان ؟ وليست هي التي خلقت الإنسان وأما إن كانوا يعنون بالإله الذي خلق الإنسان الله الذي خلق السموات والأرض وما فيها ، وما بينهما ، وخلق الإنسان ، وكرمه فأنزل عليه كتبه ، وبعث إليه رسله ، وعرفه بنفسه ، وبشرائعه التي بها يتم كماله ، وتحقق سعادته ، فقولهم مغالطة ، وجهل ، وسخف ، وكذب ، إذ الإنسان لم يخلق حتى نفسه فضلا عن أن يخلق غيره فكيف بالله خالق كل شيء وربّه ومليكه . سبحانه الله وتعالى عما يصفون .

إن ادعاءهم استغناء الإنسان اليوم عن الإيمان بالله تعالى ، لأنه عرف الطبيعة ، واكتشف أسرار الكون ، فما أصبح يخاف المرض ، ولا الفقر ، ولا الفيضانات ، ولا الزلازل ، والجوائح ، ولا العاهات ، ادعاء باطل لا وزن له ولا قيمة أبدا<sup>(١)</sup> ، إذ الإنسان ما زال يخاف من كل هذه ، وجميع وسائله التي يملكها ليدفع بها عن نفسه لم تؤمنه بعد ، ولم تؤمنه أبدا ، وكيف ؟ والآلام التي يعانها الإنسان اليوم جسمانياً وروحياً تزداد يوماً بعد يوم ، وفي كل أنحاء الوجود البشري ، فوباء الكوليرا ، وأمراض السرطان ، والبرص ، والصرع ، وغيرها ما زالت تفتك بالآلاف من الناس ، وفي كل سنة ، والمجاعات تهدد مناطق شاسعة من العالم ، والفيضانات تجرف كل سنة القرى العديدة ، وتقتل وتشرد الآلاف من الناس ، والزلازل من الحين إلى الحين يدمر المدن والقرى ، ويودي بحياة الآلاف من البشر ، ولم يستطع الإنسان الكافر بالله ، والذي يدعي أنه خلق الإله ، لم يستطع أن ينجو من هذه الويلات فضلا عن أن يضع لها حدا ، أو يوقف وجودها . بل ازدادت مصائب الإنسان ومحنته ، وعظم الخطب واشتد عليه ، لما كفر بربه ، ودينه ، فأصبح في تمزق شخصي ، وهبوط نفسي ، وسقوط خلقي كاد يفقد معها

(١) ادعاء باطل خبر إن الموجودة في أول الكلام وما بينهما اعتراض فلينبه له



طعم حياته ولذة وجوده ، لقد غاض ماء الحياة من وجهه فأصبح صفيقاً ، عريداً ، فاحشاً ، متفحشاً ، وغار معين الكرامة الأدمية فيه فصار لا غيره له ولا شهامة ولا كرامة ، ولا مروءة . ألف الكذب ، والغدر ، والخيانة ، وتعود الجريمة ومرد على النفاق ، والتضليل ، والخداع<sup>(١)</sup> فساءت المجتمعات البشرية وهبطت فيها الحياة إلى أبعد حدود الهبوط والسقوط ، حتى صاح العقلاء منددين بالكفر والإلحاد ، مطالبين بالرجعة إلى الدين والإيمان ، بل حتى كبار الملاحدة قد نكسوا على رؤوسهم ، وقالوا في وضوح : لا غنى عن الدين ، وطالبوا علماء النفس والاجتماع بأن يضعوا لهم ديناً . ولكن بدون الإيمان بالله ، وذلك لأن الله يأمر بالعدل ، والاحسان ، وإتاء ذي القربى ، وينهى عن الفحشاء والمنكر ، والبغى<sup>(٢)</sup> ، وهم لا يريدون عدلاً ، ولا معروفاً ، ولا إحساناً ، كما لا يريدون أن يتخلوا عن الظلم ، ولا عن الفحش ، والمنكر . ولذا فهم يريدون ديناً صناعياً يهذب نفس الإنسان ، ويكمل أخلاقه ، وبدون ذكر الله فيه ، ولا ذكر أمره تعالى أو نهيه : وهيهات ، هيهات أن ينفع دين صناعي في تقويم الأخلاق ، وإصلاح النفوس ، وتهذيب المشاعر ، وتطهير الأرواح ، إن القوم مغرورون ، مخدوعون ، جهال ، صالون ، مضللون ، لعنهم الله فأصمهم وأعمى أبصارهم .

والقصد من إيراد هذا الذي ذكرناه هو تقرير حقيقة علمية ثابتة بكل القوانين العقلية ، والشرعية ، وهي أن الإنسان دائماً في حاجة إلى الإيمان ، والتدين ، والعقيدة ، وأن الدين ضرورة من ضرورات حياته ، وحاجة من حاجات نفسه ، فلا غنى له عن الإيمان بربه ، وعن عبادته بحال من الأحوال ومن هنا لم تخل أمة وجدت على وجه الأرض ومنذ عهد الإنسان بالحياة من عقيدة ودين<sup>(٣)</sup> ، ومصداق ذلك قوله تعالى :

١ - قوله عليه السلام : « لا شيء من الدنيا إلا وله دين » أخرجه ابن جرير .

٢ - مفسر من سنة (٩٠١) في سورة النحل .

(٣) - قوله تعالى : « لا إله إلا الله » أخرجه ابن جرير . وذكره القرآن بكسبه . قد -

﴿وَإِنْ مِنْ أُمَّةٍ إِلَّا خَلَا فِيهَا نَذِيرٌ﴾<sup>(١)</sup>

والمراد من النذير نبي ، أو رسول ، أو عالم وارث لعلم النبوة ينذر تلك  
الامة عاقبة الكفر بالله ويكتبه ، ورسله ، وشرائعه ، ويحذرها من نتائج الشرك  
بربها ، والمعصية له ، ولرسله وما يتبع ذلك من انحراف السلوك بالظلم ،  
والشر والفساد .

---

= وجدت في التاريخ مدن بلا حصون ولا قصور وبلا سدود ولا قناطر ولكن لم توجد مدن بلا  
معابد . .  
(١) سورة فاطر الآية (٢٤) .

## وجه ضرورة الدين للانسان

الإنسان منذ أن وُجد على هذه الأرض بهيوط أبيه الأول آدم ، وأبمه حواء عليهما السلام من الجنة دار السلام ، وهو في حاجة ماسة وملحة أيضاً إلى قوانين ضابطة تعدل من غرائزه ، وتنظم سلوكه ، وتحدد اتجاهاته ، وتهينه للكمال الذي خلق مستعداً له في كلتا حياتيه : الأولى هذه التي يقضيها قصيرة على هذه الأرض ، والثانية التي تتم له في عالم غير هذا العالم الأرضي الهابط ، وإنما في عالم الطهر والصفاء ، في الملكوت الأعلى كما أخبر بذلك ربه بواسطة كتبه التي أنزلها ، وأنبيائه الذين أرسلهم .

غير أن تلك القوانين المطلوبة لتعديل غرائزه ، وتنظيم سلوكه ، وتحديد اتجاهاته في الحياة لا توجد وهيئات هيئات أن توجد في تشريع غير رباني ، أو سماوي لا دخل لأهل الأرض في وضعه وشرعه ، إذ لا يُعرف الإنسان بعواطفه وأسناقه ، ولواعج نفسه ، وبأفكاره ، وآماله ، ومتطلعاته ، ولا يقوى على توفيقه مطلوبه من ذلك كله إلا الله خالقه . فهو - إذا - وحده الذي يحق له أن يضع له من القوانين ، والشرائع ، والأديان ما يكمله به ويعده للكمال والسعادة الأبدية الخالدة .

ولذا كان الدين ضرورياً للإنسان بوضعه الخاص يأكل ويشرب ، ويتوقى الحر والبرد ، عليه أن يعمل لإعداد ذلك لنفسه فيوجد بالسنن التي وضعها ، ضاعمه وشرابه ، ولباسه ، ودواءه ، وسكنه ومركوبه . وهذه حالنا نحن نحتاج تعاون أفرادنا لتوفير ما به تقوم حياتهم . وتستمر إلى نهاية أجلها

والإنسان بفطرته يَشعرُ بضعفه . وحاجته إلى ربه في إعانته وتوفيقه ورعايته وحفظه ، ولذا فهو يطلب التعرف إلى ربه . والتعرّف إليه بما يحب من أنواع القرب وضروب الطاعات والعبادات .

والإنسان بمواهبه ، وأفكاره ، ومشاعره ، وأحاسيسه، يطلب دائماً المزيد من السمو والرّفعة في ذلك . حتى لا يريد أن يقف عند حدٍّ أبداً ، فهو إذاً في أحواله الثلاثة التي ذكرنا مفتقراً إلى تشريع ديني ، إلهي يلائم فطرته ، وينظم له علاقته فيما بينه وبين أفرادهِ الذين لا يستغني عن التعاون معهم لتوفير أسباب حياته ، ويقائنها صالحة في هذا الوجود من مَطعم ، ومشرب ، وملبس ، ومسكن ، ومركب ، ويمدّه بعلوم ومعارف عن ربه ولقائه ، وعن كيفية عبادته ودعائه ، وذكره والتقرب إليه بفعل طاعته ، وإتيان محابّه ، وترك مكارهه ، واجتناب مساخطه ، كما يمدّه بفيض علمي كامل عن الحياة والكون يعرف به حقيقة الوجود ، وعلة الكون والحياة ، وأسباب السمو والكمال ، والهبوط والنقصان التي تطرأ له في حياته الأولى والأخيرة .

وبناءً على كل ما تقدم فضرورة الإنسان إلى دين إلهي صحيح أشدُّ من ضرورته إلى العناصر الأولية لحفظ حياته من ماء ، وغذاء ، وهواء ، ولا ينكر هذه الحقيقة ، أو يجادل فيها إلا معاند ، مكابر ، لا يؤبّه لعناده ، ولا يلتفت إلى جداله ! .

كما أن دعوى العقل في إمكانه الاستقلال بهداية الإنسان إلى ما يصلحه ويسعده ، دعوى باطلة ساقطة لا وزن لها ولا واقع ، وذلك لأننا رأينا الكثير من الأمم والشعوب لما فقدت هداية الوحي الإلهي لم تغن عنها هداية العقول شيئاً ، فضلت وهلكت ، ومما قاله القرآن في هذا الموضوع قوله تعالى من سورة الأحقاف .

﴿وَلَقَدْ مَكَّنَّاهُمْ فِيمَا إِنْ مَكَّنَّاكُمْ فِيهِ وَجَعَلْنَا لَهُمْ سَمْعًا وَأَبْصَارًا وَأَفْئِدَةً فَمَا أَغْنَى عَنْهُمْ سَمْعُهُمْ وَلَا أَبْصَارُهُمْ وَلَا أَفْئِدَتُهُمْ مِنْ شَيْءٍ إِذْ كَانُوا

يُحَدِّثُونَ بِغَايَةِ اللَّهِ وَحَاقَ بِهِمْ مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِءُونَ ﴿١١﴾

وذلك لأنَّ العقول لا تهدي إلى معرفة كل ما ينفع الإنسان في حياته ليأخذ به . ولا إلى معرفة كل ما يضر الإنسان في حياته كليهما ليتجنبه . وينجو مما يضره إلا في ضوء الشرع الإلهي . ونور وحيه . لأنَّ العقول لا تعدو كونها آلة إدراك كحاسة العين التي هي آلة إبصار . والعين قطعاً لا تبصر . ومهما كانت سليمة وقوية إلا في الضوء والنور . ولا يمكنها أن ترى وتبصر في الظلام أبداً . وفي أي حال من الأحوال . العقل مثل العين سواء بسواء . كما أن العين لا تبصر إلا في الضوء والنور ، فإنَّ العقل لا يدرك إلا على ضوء الشرع الإلهي . ونور وحيه تعالى إلى أنبيائه ورسله . ومن رأى غير هذا فإنه يغالط نفسه . ويكابّر في شيء من الخطأ . والضلال المكابرة فيه . لكونه من المحسوس المشاهد .

كما أن دعوى الاكتفاء بالعلم عن الوحي الإلهي الذي تمثله الشرائع الإلهية الصحيحة ، السليمة من التحريف ، والزيادة ، والنقص ، والتبديل كالدين الإسلامي مثلاً دعوى باطلة قطعاً ومن وجهين أيضاً :

الأول : - أنَّ ما عند الناس من بعض العلوم ، والمعارف في الفنون والأخلاق . والآداب إنما هو بدون شك مأخوذ من الوحي الإلهي إما بالنص اللفظي . أو بالاستنباط . وإنما نسب إلى بعض الأشخاص مغالطة وتضليل لا غير .

والثاني : - أن العلم المادي مقصور على نفع الإنسان في الجانب المادي منه ، وهو الجسم ومتطلباته . وأما الجانب الروحي وهو الأهم قطعاً فإنَّ العلم المادي لم يخدمه في شيء . ولم يقدم له أي نفع البتة . لأنه لم يكن روحياً مجانساً للروح فيقدم له ما هو في حاجة إليه .

(١) الآية (٢٦)

إن العلوم الإنسانية الخالية من الوحي الإلهي لم تعد الكشف عن بعض الظواهر الكونية المادية فقط

﴿يَعْلَمُونَ ظَاهِرًا مِّنَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ عَنِ الْآخِرَةِ هُمْ غَافِلُونَ﴾<sup>(١)</sup>

فكيف إذاً تستطيع أن تقدم أي خدمة للروح . وهي لم تكسر حجاب المادة بعد . ولم تعرف أي سر عن حقائق الكون وعِلله .

وقد اعترف علماؤها بالمعجز الكامل عن معرفة العلل والأسرار لأية ظاهرة من ظواهر هذا الكون فقالوا : اسألونا بكيف . لا بماذا ؟ يعنون قولوا لنا : كيف وقع الشيء الفلاني ؟ فإننا نجيبكم . أما لماذا وقع فإننا لا نعرف الإجابة عنه . ولا نملكها أبداً . وذلك لحرمانهم من علوم الوحي الإلهي .

وشيء آخر أليست العلوم المادية قد بلغت الذروة في الكمال بعد أن قطعت شوطاً بعيداً في التطور والشمول في كل المجالات . ومع هذا الكمال فإن البشرية في شقاء دائم . ولم تخط يوماً خطوة إلا إلى شقاء آخر أكبر والواقع يشهد . وكفى به شهيداً . ولذا فإنه لا مناص من الاعتراف بالحقيقة ، والتسليم بها . وهي أن الدين الحق ضروري للإنسان . لا غنى له عنه بحال من الأحوال . وأن كمال الإنسان . وسعادته متوقفان عليه توقف المعلول على علته . والمسبب على سببه .

وليعلم أخيراً أن الدين الذي نعني ضرورته للإنسان لتوقف سعادته وكماله عليه في الدنيا والآخرة إنما هو الدين الحق الصحيح . الدين الذي شرعه الله ، وصحت نسبته إليه تعالى . أما الأديان الباطلة المفتراة كالبودية ، والمجوسية ، والمحرقة المبدلة كاليهودية ، والنصرانية فإنها وإن سُميت أدياناً فإنها خالية من الوحي الإلهي الذي يمثل فيها شرعاً إلهياً متكاملًا يقدم للإنسان كل ما يحتاج إليه لإصلاح جسمه ، وروحه ، وإسعادهما في الدنيا ،

(١) سورة الروم الآية (٧) .

والآخرة . والدليل الواضح لذلك أن أوروبا المتدنية بالنصرانية لم تتقدم حضارياً إلا بعد التمرد . والكفر بالدين الذي كانت تعيش عليه زمناً طويلاً وهو يكبلها ويقيدها . حتى قام رجال منها ، وحاربوه . وخرجوا عن قيوده ، وكفروا بشرائعه . وبذلك تم لهم الانعتاق من الضلال . والانطلاق من الباطل .

وإن بحثت البشرية الراشدة العاقلة عن دين إلهي صحيح سليم فإنها واجدته قطعاً وبدون شك في الإسلام دين البشرية العام . الذي تضمنه كتابه القرآن الكريم . الذي لم ينقص منه حرف منذ أن نزل . ولم يزد فيه آخر . ولم تحرف فيه كلمة عن موضعها منه . ولم تخرج عبارة عن مدلولها قط . بالرغم من مرور ألف وأربعمائة سنة عليه تقريباً .

إن الدين الإسلامي هو الدين الكفيل بإنقاذ البشرية اليوم . والخروج بها من محنتها . محنة المادية العاتية . التي سلبتها أو كادت كل معاني الأدمية الكريمة . والاسانية الفاضلة حتى صيرت الإنسان آلة لا فهم لها ولا ذوق ، ولا تقدير لها ولا احترام . . .

فإلى الإسلام يا عقلاء الناس . فإنه الدواء لدائكم ، والهداية لكم من صلاتكم . فاقبلوا عليه عقيدة ، وحكماً . ونظاماً فإنه ينجيكم ويسعدكم .

جربوا فإن التجربة أكبر برهان !!

## الإيمان بالله رب العالمين

إن المسلك السهل والسليم في آن واحد للبحث عن الإيمان بالله تعالى أي عن وجوده تعالى ، والتصديق به عز وجل رباً وإلهاً ، هو مسلك احترام العقل البشري ، وقبول احكامه التي يصدرها على الأشياء نفيّاً أو إثباتاً ، وجوداً أو عدماً ، ومن ذلك حكمه الواضح الصريح بوجود الباري عز وجل ، وبوجوب معرفته وطاعته ، والتقرب اليه ، والأخذ بهدأيته ، والسير في طريق أوليائه من صالحى عباده .

ولنستمع إليه - العقل - وهو يُورد أدلته ، ويقدم شواهدهُ ، ويُظهر بيانه ، ليصدر بعد ذلك حكمه النهائي في قضية الإيمان بالله تعالى ، وأسمائه وصفاته ، ووجوب طاعته وعبادته ، والأخذ بهدأية وحيه ، واتباع شرعه : إنه يقول بمنطقه السليم : إن السماء التي تظلنا ، ونشاهدها بحواسنا ، ونراها بأب أعيننا ، ولا نستطيع عدّها لكثرتها ، ولا حدّها لبعدها وعلوها . هذه السماء يقول - العقل - إنها موجودة فعلا ، ولا سبيل إلى إنكارها بحال من الأحوال ، فمن أوجدها ؟؟ .

ويقول : هذه الأرض التي نعيش عليها وهي موجودة فعلا ، ولا معنى لإنكارها أبداً ، فمن أوجدها ؟؟ .

ويقول : هذه الكائنات الحية على تباينها ، واختلاف أنواعها من أرقاها وهو الإنسان ، إلى أدناها كالنحلة ، والنملة ، والعنكبوت ، وهي موجودة فعلا ، ولها غرائزها ، ومداركها الخاصة ، وأنظمة حياتها ، وطرق معاشها ، وحفظ أنواعها إلى اجالها ، ولا مجال لإنكار ذلك بحال ، فمن أوجدها ؟



ومن وهب حياتها ، ومن خلق لها أرواقها وهداها إلى طلبها ، والحصول  
عنها ، والانتفاع بها في حفظ نوعها واستمرار وجودها ، إن العقل يقول  
بحتم عن الموجد ، عن الخالق ، عن الرزاق ، عن المدير ، عن المظم ،  
عن المسحر ، عن حلق الكون ، عن واهب الحياة لكل ذي حياة ، وعن  
سائل لخدمة من دل من وهب له ، ومتع بها مدة حياته الموقوتة ، وفترة عمره  
محدود

بحتم ، وضلوا ، واستقصوا في البحث والطلب ، وعموا أنه لا  
موجد شيء ، موجد أوحد نفسه بنفسه ، فلا كائن كونه نفسه في هذه  
عالم الموجدية ، والكائنات المستهددة المحسوسة مد

بحتم عن خلق ، رزق ، مدير ، ذي إرادة ، وحكمة ، وعلم ،  
وقدرة ، حيوان ، هيرق ، علم وقدره ، ويدع ، ويظم ، ويدبر برادة  
حاجته ، بحتم عنه ، ولا تستهيو بالعقل أو تردروه ، وأنتم تعلمون أن  
أحداكم قد ففده أصبح محبون ، محتل التفكير والتقدير ، مسبوب لإرادة  
مستدبر ، يخوف بما لا يعرف ، ويرمي إلى ما لا يهدف ، فتقولون :  
الموجودات أحدثت نفسها بنفسها ، أو تقولوا إنها أحدثت بدون موجد فإن  
ذلك مبرر لكم ، محتل كرامتكم ، خارج بكم عن دائرة العقلاء من بني الناس  
الحيين ، لأن العقول كلها مضافة مجتمعة على أن الشيء لا يوجد نفسه ، كما  
لا يجد بعد ، موجد ﴿ أَمْ خُلِقُوا مِنْ غَيْرِ شَيْءٍ أَمْ هُمْ الْخَالِقُونَ ﴾

بكم تعلمون أن جميع الكائنات التي تخضع للحس والمشاهدة مادة ، وللمادة  
ميتة قطع ، والميت لا يخلق الحي ، وكيف يهب الحياة من هو ميت ؟

وربده في تثبيت من هذه الحقيقة وهي أن الشيء يستحيل أن يحتم  
نفسه وأن كل موجد لا ، له من موجد نقول : إنه لما لم يجد للكائنات موجد

لها من نفسها اضطربنا إلى الإيمان بوجود إله قوي ، قادر ، ذي إرادة ، وعلم ، وحكمة وهو الله الذي أخبرنا بواسطة كتبه التي أنزلها ، وأنبيائه الذين أرسلهم أنه رب كل شيء ، وخالق كل شيء ، وأنه هو بديع السموات والأرض ، ومدير الأمر فيهما ، له وحده الخلق والأمر ، وهو على كل شيء قدير ، وزيادة في التثبيت والتقرير نهبط إلى عالمنا الأرضي هذا ، وننظر إلى الأشياء الموجودة فيه وهي لا تعد كثرة ، هل نجد بينها من يخلق نفسه بنفسه ، أو يخلق غيره .

فها هي ذي النباتات على كثرتها ، واختلاف أجناسها ، وتنوع أفرادها لا تخرج عن سنة وجودها التي سنت لها ، واطردت فيها ، وهي وجود تربة صالحة ، وماء كاف لسقيها ، ومناخ طيب صالح للحياة والنماء فيه مع تقدم وجود البذرة الحية بالقوة المكفورة - المغطاة - بالتربة الملائمة لإنباتها، إن النباتات بهذا هي مفتقرة إلى عناصر شتى - وهي البذرة ، والتربة ، والهواء ، والماء ، لم تكن لتوجد لها النباتات لنفسها ، فكيف يصح إذاً أن يقال : إنها خلقت نفسها بنفسها ، اللهم إنه لا يقول بهذا إلا مجنون أو مغرور يجاهد ويعاند ! .

وها هي ذي الحيوانات على اختلافها ، وكثرة أفرادها من أرقاها وجوداً وحياة إلى أهبطها حياة ووجوداً لا يوجد بينها حيوان واحد يخلق نفسه بنفسه . وإنما جميعها وكل واحد منها يخلق تبعاً لسنة الخلق فيه ، والمطرودة في كل أفرادها ، وهي بالنسبة إلى الإنسان الذي هو أرقاها وأفضلها ، وجود نطفة من أبوين ذكر وأنثى ، واستقرارها في الرحم المعدة لها ، وتطور تلك النطفة من حال إلى حال إلى أن يتم الخلق ، ويخرج الإنسان طفلاً صغيراً ، ثم ينمو حسب النمو فيه إلى أن يبلغ أشده فيتكهل ويهرم ويموت ، وهو في كل ذلك الخلق والتطور والنماء والكمال والنقصان والموت والفناء لا يملك من أمره شيئاً .

فهل يُعقل أن يقال أن الإنسان خلق نفسه بنفسه ، وإذا بطل هذا في

لِإِسْنَانٍ فَهَلْ يَصِحُّ فِيمَا دُونَهُ مِنْ سَائِرِ الْحَيَوَانِ ؟ اللَّهُمَّ لَا ، وَإِذَا فَهَلْ يَعْقِلُ أُنْ  
سَمِ الْخَلْقِ وَالْإِبْدَادِ بَدُونَ مَا خَالَقَ وَلَا مُوجِدٌ ؟ اللَّهُمَّ لَا ، حَتَّى وَلَوْ كَانَ  
مَحْدُوقٌ حَقًّا ، أَوْ الْمَوْجُودُ فَحَالٌ قَهْوَةٌ ، وَهَلْ يُوَحِّدُ عَاقِلٌ فِي دِينِ نَاسٍ  
يَلِي الْمَوْجُودَ عَظِيمًا كَعِمَارَةِ صَحْمَةٍ ، أَوْ دُونَ ذَلِكَ كَرَعِيفِ خَيْرٍ ، ثُمَّ يَكْرُرُ  
أَنْ لَهُ مُوَحِّدٌ أَوْحَدُهُ ، وَيَعْتَدِرُ عَنْ إِكْرَاهِهِ وَجُودُهُ بِأَنَّهُ لَمْ يَرِ مُوَحِّدُهُ وَلَمْ  
يَسْأَلْهُ اللَّهُمَّ لَا ، وَهَذَا فَكَيْفَ يَعْقِلُ الْكَثِيرُ لَوْحُودَ لَهُ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ ، مُحَرِّدُ  
كُلِّ شَيْءٍ فَقَطْ ، مَعَ أَنَّ هَذَا كَيْسُ الْإِسْنَانِ نَبِيٍّ فِي حَسْبِهِ قَدْ مَرَّ كُلُّ نَاسٍ  
بِمُوحِّدِهِ وَلَمْ يَرَهُ بِسِوَا فَقَطْ ، وَهَذَا نَعْقِلُ نَسْرَتِي لَمْ يَكْرِهْهُ أَوْ يَكْتَرِهْهُ أَحَدٌ  
فَقَطْ مَعَ أَنَّهُ لَمْ يَرِ فَقَطْ ، وَأَمَّا كُلُّ مَنْ نَعْسَ وَنَعْقِلُ لَوْحُودَ تَرَاهُمْ سِدَّةً  
حَسْبَهُمْ وَلَمْ يَرِ مُوَحِّدَاتٍ مِنْ نَاسٍ مُوَحِّدُهُ وَلَمْ يَرَهُ فَقَطْ ، وَذَلِكَ لِدَلَالَةِ  
بِحُدُودِهِ عَلَى مُوَحِّدِهِ ، لَنْ نَعْقِلُ يَحِيلُ وَحُودَ أَيِّ شَيْءٍ بَدُونَ مُوَحِّدِهِ ، كَمَا قُلْنَا

﴿ خُفِّفُوا مِنْ عِبْرَتِي ۖ لَهُمْ أَخْلُقُونَ ﴾

و لا تعجب من هذا ان اصلاحاً محمداً معروفته نفس لله تعالى في  
حقيقه بعض محبوبات . و يوجد بعض محبوبات صروف و حركات  
الحدود منه دليل على عدم وجوده في سجدته و تعالى فتدبر قد عرف  
نفسه من سجدته و تكبره لا مظهر و كيف يشرح تلك الحركات و لغرض من  
الحدود و لا حرجه في انفسه و يوجد لله تعالى وهو سجد عجب  
و حبه و محبه لا فمته كانت معروفه نفس لله تعالى في حقيقه و اشياء و يوجد  
سجد على عدم وجوده في انفسه و يعكس ذاته على وجوده . و عظمه .  
و لا فمته و لا عظمه .

۱- آنچه فی حق آنکه در کتب من قدیمه در صفحہ ۱۵۸

وجوده وهو صنعه . ثم قدر له أن زار بستان النخل ووقف على كيفية غرس النخل وتربيته . وتبَّير طلمه . فعاد فأنكر أن يكون التمر من صنع الله تعالى . لأنه رأى كيف ينشأ النخل . وكيف تتم تربيته وإصلاحه حتى يشمر تمراً حلواً . وتناسى أن الذي صنع التمر هو الله الذي أوجد البذرة . والتراب . والماء والهواء . وأوجد الفلاح . أوجد له قدرة . ووهبه علماً حتى فلاح الأرض . وغرس البذرة . وسقاها . ورباها . وأبرها لما اطلعت . ورعاها حتى أصبحت تمراً حلواً .

فهذا مثل منكري الخالق عز وجل من الملاحدة الذين أنكروا وجود الله لمجرد معرفتهم لبعض ظواهر الكون ، وإذا قيل لهم لقد عرفتم قوانين الكون ، وسنته فمن وضع تلك القوانين ، ومن سن تلك السنن في الكون ، والتي بواسطتها يتم خلق الأشياء وإيجادها ؟؟ قالوا : فراراً من الإيمان بالله عز وجل حتى لا يعبدوه ، قالوا : الطبيعة ؛ ولو أن الطبيعة نطقت وقالت لهم : اعبدوني لكفروا بها ، وأنكروها ، كما كفروا بالله ، وأنكروا وجوده ، وهو يناديه في كتابه :

﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اعْبُدُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾<sup>(١)</sup>

ومما يدل على أن الملاحدة ما كفروا بالله إلا فراراً من عبادته ، والتزام شرائعه ، أن الإيمان بالله تعالى خالفاً للكون ، مدبراً له ليس بأصعب ولا أبعد في الاستحالة من الإيمان بالطبيعة الميتة ، العمياء ، الصماء خالفاً مبدعاً ، كما قال أحد علماء الكون : لو كان يمكن للكون أن يخلق نفسه لكان يتمتع بأوصاف الخالق ، وفي هذه الحال سنضطر أن نؤمن بأن الكون هو الإله ، وينتهي الأمر إلى التسليم بوجود إله ، ولكنه إله عجيب ، لأنه غيبي ومادي في آن واحد . ثم قال : « إنني أفضل أن أؤمن بذلك الإله الذي خلق العالم

(١) سورة الفرقة الآية (٢١) .

ما هي الطبيعة ؟

من هذا: مصدر من نوى، وفنرة، وحصاص، مشتمة عليها  
و: حدثت نفسها، فكيف بدسى - نضيفة - نهم، لا، وهو مما  
حدثت عنه، ولا تفتد، معنى هذا الخبر أن نضيفة وحدثت  
نفسها، لا، بحدث غير من موجودات، لا، المادة المركبة من  
عنصرين، والمذبح فيه حوصيه، وصعدت مشقة إلى من يوجد عنصره،  
والمذبح فيه حوصيه، وحينئذ فهي حادثة محذوفة فكيف يصح أن تكون  
بها، حصة، سبب، بها، حق، ونكوى، ولأد، ونضيفة،

مسجدات - مسجد - صراط - حق - عبودیت

١- عند سيطرة حكومت حديثة المركزية من عنصر  
٢- من جانب واحد . وكل حدث مشترك في محدث حادثة قطع  
٣- ففهمنا ان هذا هو المبدأ في جميع الحالات .

١ - ... ..  
٢ - ... ..  
٣ - ... ..

خسيساً كالموت والعدم . وبما يقضي على هذه الفرية الدجلية ،  
 التلصصية ، التي اغتربها أهل الغفلة عن ذكر الله تعالى ، وتلاوة كتابه حتى  
 أصبحت شبهة عقلية تضطرب لها قلوبهم ، وهي نسبة الخلق والإيجاد إلى  
 المادة : أن يقال : إن الإبداع الموجود في الكون كله علويه وسفليه ، من  
 الذرة الى المجرة شاهد حق ، وقاضي عدل باستحالة صدورهِ عن الطبيعة  
 العمياء الميتة ، أو عن الصدفة البعيدة عن كل حكمة ، الخالية من كل  
 إرادة ، وعلم وتدبير .

### ما هي الصدفة ؟

إنهم يعنون بالصدفة أن الأشياء تم تكوينها على ما هي عليه من  
 الجمال ، والإبداع والنظام بطريق الموافقة لا بطريق القصد ، والإرادة ،  
 والتدبير بحيث لم يكن هناك قصد ، ولا إرادة ، ولا تدبير .

وهي قضية القول بها مخجل ، والنظر فيها لهو وباطل .

وخلاصة هذه الأضحوكة والأعجوبة معاً : أنه بمرور الزمن الطويل  
 الذي لا يتكلمون فيه إلا بالأرقام الهائلة كمئات الملايين تضليلاً وتدجيلاً ،  
 فيقولون مثلاً : عناصر الذرة تلاءمت وتناسبت بمرور ملايين السنين ، والحياة  
 وجدت خلية على الأرض و بمرور ملايين السنين كانت الحياة على هذه  
 الصورة من الجمال والكهل ، وليس وراء ذلك إرادة هادفة ، ولا تدبير ، وإنما  
 هي صدف وموافقات تم بواسطتها الكون والحياة ، وقد أقاموا نظريتهم هذه  
 على أساس من الافتراضات الوهمية ، والقياسات الفاسدة التي لا يقبلون  
 مثلها لوقالها غيرهم ، لأنهم يدعون أنهم لا يؤمنون بغير المحسوس المشاهد  
 غير أنهم هنا خرجوا عن مبدئهم وقالوا بالفرض والقياس تأييداً لترهاتهم ،  
 وأباطيلهم ، وضلال عقولهم في القول بالصدفة ، وأنها علة الحياة ، وأداة  
 التكوين والإيجاد ، كل ذلك هروباً من الايمان بالله عز وجل ، الذي لم  
 ينكروه ، ويكفروا به إلا تخلصاً من الطاعة والنظام .

هذا وقد ذكر العلماء لإبطال فرية الصدفة في الحلق والاداع مثله  
 عديده قصوا بها على هذه النظرية المبته ، العمياء ، القائمة على اساس  
 نوبهم ، والتحليل اللا شعوري منها . قولهم ان مثل من يقول لاداع  
 موجود وحده طريق الصدفة لا عبر ، وليس ثم من إرادة لأحد ، وما هي  
 صدفة والتدانيه فقط كمثل من يقول ان دار نضاعة بها صدوف من  
 احروف يكفى لتصفيف كتب ، وأصاب انداز هرة من زئران عفيف ،  
 فسقطت تلك احروف على عصها ، فكوت بالصدفة كتب د نوب ،  
 وقصور عمية محتففة ، وفي موضع شتى ، كمثل من يقول : ان رجلا أعشى  
 ، ت م به في نوحه ، وأعطي لفبرة ، وقيل له ارم هذه الإبرة واحدة بعد  
 سنة تدخل لأبى في ثقب الإبرة الممرورة في نوحه ، وتدخل ثشي في  
 " من الإبرة لأبى ، وتنته في عين الشية ، وهكذا طريق لصدفة حتى  
 تدخل كل الإبرة في عصها عصف ، وترحل كما علم أعشى لا يبصر شيئا ،  
 فخر عدل صدق صحبه هديل العنستين " لهم لا ، لأن هـ من قبل  
 مسجلين لى لا يسهل لغفول ولا غره ، ورد فكيف يصدق ان يكون كنه  
 حـ فيه من اداع وتظم في كل ذرة من ذرته ، ثم طريق الصدفة  
 والتدانيه

لهم ان محذوف صدق بهذه سرهات محذور قطع لا تصح بسنه لى  
 عفا ، ولا يدبر في حادهم دنا ، وكالصدفة عند لملاحدة الضرورة .

### ما هي الضرورة ؟

الضرورة معناه ان شؤعات الموجودة حصت بطريق  
 ضرورة ، فحاجة ان يوه إلى تدول عدائها من شحار علية هي لى جعلت  
 علفها صدر ، حـ اسمكه لمدحه إلى تسبح في الماء هي لى وجدت  
 علفها لى يساعده على السباحة إلى غير ذلك من الهراء والتعسف  
 حـ حـ ، هـ لسطو السقم وما قالو بهذه لرهات وأذابل إلا معد في  
 جهرب من مـ حجه لخصفه وهي لإسكان الله لصاع الحكيم ، الذي لا يهـ

إلا هو ولا رب سواه ، وإلا فما يسمونه بالضرورة إنما هو العناية الإلهية بمخلوقاته ، أولم يروها في ذات الولد وكيف تدر اللبن لمولودها بمجرد أن تضعه ، وفي ولدها الذي كان في بطنها يتغذى بواسطة الأنبوب المتصل بسرته ، ولما انفصل عنها وخرج من بطنها وحملت له الغذاء في ضرعها ، وهدى الله ذلك المولود الى معرفة امتصاص حلمة الثدي ليتغذى باللبن إلى أن يصبح قادراً على التغذي بالحبوب والفواكه ، والخضر . أولم يروا إلى ذكور الحيوانات كيف تأتي إناثها مدفوعة إلى ذلك بما أودع الله فيها من غريزة إتيان الجنس لتجلب الأنتى ذات اللبن ، فتوفر للإنسان لحماً ، ولبناً ، وجبناً ، وسمناً هو في حاجة إلى مثله لاستكمال غذائه الذي هو عنصر نمائه وحياته إلى أجله . أولم يروا إلى ذبابة لقاح التين كيف تخرج من حبتها بعد نضجها لتدخل في التينة فتلقحها ، ثم تخرج منها لتدخل في أخرى فتلقحها ، كل ذلك ليتوفر للإنسان فاكهة من ألد الفواكه ، وأكثرها نفعاً له . أولم يروا إلى الرياح كيف تثير السحاب وهو الضباب الناتج عن تبخر الرطوبات في الأرض ، ومياه الأنهار ، والبحار ، وكيف يبسط الله تعالى ذلك السحاب في السماء على نسب ومقادير خاصة فيتكثف في طبقات الجو ، ويصبح يحمل كميات من الماء عذبة صافية ثم يمطر حيث يأذن الله تعالى ، فتحيا به الأرض بعد موتها . فتخرج للإنسان غذاءه من الحبوب ، والفواكه ، والخضر . فليقولوا لنا: أين الضرورة في إيجاد اللبن في الضرع ؟ وأين الضرورة في لقاح الحيوان ؟ وأين الضرورة في تلقيح ذباب التين لانشاء حتى يكون التين ؟ وأين الضرورة في عملية التبخر والتكثف ، وإثارة الرياح للسحب ، ونزول المطر بالمقادير والكميات المحدودة ، والأوقات المحدودة ، وفي إنبات الأرض وخروج الثمرات المختلفة ، أين وجه الضرورة في ذلك ؟؟ .

إنه لا ضرورة ، وإنما هي عناية الله الذي أعطى كل شيء خلقه ثم هدى . ونختتم هذا الجزء من البحث بالحجة العقلية التالية : إن النباتات ، والحيوان ، والإنسان هذه الثلاثة سلم الماديون بحدوثها ، وبأن الإنسان



أحدثها عهداً بالحيوة فيقول لهم : من أحدثها ؟ والحجوب لا يحجب من ولا من  
ثلاثة حجوب

أقول : أن نقول : إن الله هو الذي أحدثها ونسبى : أن تكون حديث  
بواسطة ذوات المعادة ، وأحوالها ، وعصايرها عن بردة ، وقصد ، وعنده ،  
معنى أن المعاصر لمعاده فكثرت وديرت وتفتت على سبعين سحوبات على  
ما هي عنه من صور وتمكن : وثالث أن يكون وحده من طريق صدقه  
معنى أن لذات ثلاث ، وتجمعت على سبب وأوضح بخصوصية صغرى  
صدقه ، فتكثرت هذه المحنوفات بها فيها لحجوب وبأس

فإن التفرع من أولى المصحة ونقول : ما نشي في الملاحدة برده :  
ولا نقول به ، لأنه يستلزم قصد ويرد ، وهم لا يقولون بالمقصود  
لأرادة أنه : وأما ثلث فهو محال عقلاً لظلال قول صدقه وفساده كذا  
نعم ، ونعمه فم بيق ، لا لأفحص أول وهو : أنه تعالى هو الذي أحدثها  
فطريق سبب المقصودة ، ثني وضعها خلق كل المحنوفات ، ويحدد هـ  
عالمه بذلك وحج تكثرت بأنه ملاحدة لثلاثة ثني هي صيغة ،  
وصدقه ، والتصوره ، ووحج لإيمان الله لخلق ، المبر ، الحكيم ،  
عبيد

والآن ولما ثبت دلل هين العقنية وجود الله تعالى ، ووحج لإيمان به  
ربنا ونهنا فيه يسعى التعرف إليه سبحانه وتعالى

## معرفة الله جل جلاله ومراتب المؤمنين فيها

إن للمعرفة بالله تعالى مراتب يترقى فيها المؤمنون به عز وجل حتى يبلغوا الكمال في معرفة ربهم سبحانه وتعالى ، ويقدر معرفتهم له جل وعز تكون تقواهم له ، وخشيتهم منه ، ومحبتهم ، وطاعتهم له ، وتقربهم إليه ، وتوسلهم .

فالمرتبة الأولى : من مراتب المعرفة بالله عز وجل هي مرتبة علماء الكونيات الذين يحصلون على إيمانهم بالله ، ومعرفتهم له بواسطة النظر والاستدلال بالخلق في الكونيات ، والإبداع فيها ، فيؤمنون بخالق ذي قُدرة وإرادة ، وعلم ، ويعرفونه بتلك الصفات من القدرة ، والإرادة ، والعلم ، والحكمة ، والتدبير . غير أنهم يجهلون من أسمائه تعالى وصفاته ما به تعظم محبتهم له ، وخشيتهم منه ، وطلبُ التقرب إليه ، والمنزلة عنده ، وذلك لعدم إيمانهم بكتابه ورسوله<sup>(١)</sup> ، إذ به تتم المعرفة الحقّة لله سبحانه وتعالى .

وهؤلاء قد ينفعهم إيمانهم في الحياة الدّنيا بقدر ما أُمِرَ لهم من تعظيم الله تعالى ، ومحبة فيه ، وقد ينفعهم في الآخرة بتخفيف العذاب عنهم .

المرتبة الثانية : من مراتب معرفة الله عز وجل هي مرتبة أهل

---

(١) المراد من الكتاب هنا القرآن الكريم . ومن الرسول محمد صلى الله عليه وسلم .



واقوامهم يقيناً . وأكثرهم له تعالى محبةً وطاعة . وأشدُّهم له تقوى وخشية . كما قال إمامهم وخاتمهم محمد ﷺ وهو يخاطب أكمل الناس إيماناً باللَّهِ ومعرفةً لهُ بعد الأنبياء والمرسلين وهم صحابته رضوانُ اللّهِ عليهم « فواللّهِ إني لأعلمكم باللّهِ وأشدكم لهُ خشيةً »<sup>(١)</sup>.

### الطريقة الأولى

الى معرفة الله سبحانه وتعالى

#### الهداية العقلية

إن العقل السليم إذا أصدر حكماً على شيء ما من الأشياء المحسوسة ، أو المعقولة فإن حكمه لا ينتقض أبداً بخلاف حكم غيره مما طريقه الحواس ، أو العادات ، أو الاستقراء فإنه كثيراً ما ينتقض ، فالعين المبصرة قد تصدر حكماً ما على مرئي من المراتب بأنه ثابت ، أو متحرك فتخطئ في الحكم . والأذن السامعة قد تصدر حكماً على مسموع بأنه صوت إنسان ، أو حيوان ، فيتبين خلاف ما حكمت به . وكذا الذوق . أو الشم فقد يحكم الذوق بأن طعم كذا من المأكولات حلو أو مر . ويتبين الأمر بخلاف ذلك . ويحكم الشم بأن رائحة كذا طيبة أو كريهة . ويظهر خطأ الحكم .

وأما حكم العادات القائم على التجارب فإن الخطأ فيه أكثر . وأكثر منه خطأ حكم الاستقراء والتتبع . لأن الإنسان مهما أوتي من قوة لا يستطيع أن يحيط علماً بالأشياء كلها . فلذا كان الخطأ أكثر في أحكام الذين يبنون أحكامهم على التجارب والملاحظات . والقياسات والافتراضات أما أحكام العقل فإنها متى ثبتت سلامة العقل وصحته لا تنتقض أبداً . وسواء كانت واجبة . أو جائزة أو مستحيلة . ومن أمثلة ذلك حكم العقل في الواجب : أن كل معلول لا بد له من علة .

(١) رواه البخاري ومسلم - اللؤلؤ والمرجان فيما اتفق عليه الشيخان (١١١/٣)

وحكمه في الحائر : أن يسكن المتحرك أو يتحرك ساكن متى وجدت علة الحركة أو السكون . وحكمه في المستحيل أن القائم ليس بقاعد

وهذه العصمة لحكم العقل السليم من لحظتنا تدور أحكامه لصورته والنظرية على حد سواء ومن أحكام العقل ضرورية أن يوجد بصفة الانسب ، وأن لا رجل غير لمرأة ، وأن ليسوء من لأوعيه غير الفروع إذ هذه لأحكام تدرك غير تام ، ولا نظر أو سداس

ومن أحكام العقل النظرية أن ثلاثة تمثل لأربعة وتعتبرين ، وأن الواحد نصف مدين لأثنى عشر ، وأن لعلم حدث ، وأن لمعقول لا بد له من علة ، إذ هذه لأحكام العقلية لا تدرك إلا بالنظر والمدين ، ومع هذا فإن لحظتنا لا يتصرف إليها بد

ومن هذا كتب الهدية العقلية حد ضريقي لإبدان الله ، ومعرفة سحبه ولعاني

فيسد هذا حكمة من أحكام العقل وقوانينه خاصية موجود لله تعالى ، وهذه هي معرفته غير وحل ، ومن ذلك

## ١ - قانون العلة :

فقد روي في قصود كل بسبب عقل أن كل مغير من جسم وحر و صفة لا بد له من سبب مغير له ، ولا يخرج شيء عن هذا تدور جد من لأحوال ، إذ كل من يرى به موضوعه ، أو أنه موضوعه بحكم علم الفهم عند أن لألبيه وأصعها في مكاتب لدى هي موضوعه وقد ، من لألله أصعها أصعها ، ويجعل من المحال أن تكون لألله ، وأصعها في مكاتب لا وضع وأصعها فيه ، وأن لأنه قد أصعها لا أصعها أصعها

ويؤمن الإنسان بهذا إيماناً راسخاً : ولا يستطيع أحد أن يقنعه بخلافه ابداً ، وذلك لأن العقل حكم بأن كلَّ آلة لها من صانع ، وأنَّ كل مُتغيِّر من الأشياء من صفة إلى صفة ، أو من مكان إلى مكان لا بد له من علة تغير بسببها . وهذا القانون أو الحكم العقلي يسري على العالم كلّهُ بجميع أجزائه ، من المادة والحركة والتنوعات - أي أنواع المخلوقات - في وجوده وتغيّره ، فلا بد لوجوده من عِلَّةٍ ، ولا بد لتغيّره من سبب أثر فيه فهو يتغير من حال إلى حال لأجله . ولا بد أن تكون العلة التي اقتضت وجوده وتغيّره علةً كافيةً ، وإلا لما تم لها هذا الإيجاد والتغير .

وبالنظر إلى مظاهر الإبداع ، والقصد ، والتنظيم ، والتنسيق ، والإحكام في الخلق والإيجاد ، والتدبير في التصريف أثناء التغير والتبديل فإن العلة التي اقتضت وجود العالم وسائر المخلوقات فيه لا بد وأن تكون ذات قدرة ، وإرادة ، وعلم وحكمة ، إذ لا بد من الكفاية فيها ، وإلا لما تم هذا الخلق ، والابداع ، والتنظيم ، والاتقان ، والتدبير الحكيم ، ومحال أن تكون العلة الكافية هي الطبيعية لعدم القصد لها ، والارادة ، والعلم ، والحكمة ، كما لا تكون ( الصدفة ) لاستحالة ذلك مع وجود الإبداع المدهش للعقل ، والتنظيم المحير له ، والموافقات يستحيل بها تجمع المادة ، وتوافقها حتى يتم الخلق ، والابداع ، والتنظيم . كما لا تكون ولن تكون الضرورة ، إذ نظرية الضرورة سخر منها كل ذي عقل صحيح ، ومجها كل صاحب ذوق سليم .

ولم يبق أن تكون تلك العلة الكافية التي اقتضت وجود العالم وتنوعاته الا الله سبحانه وتعالى .

وهكذا اصدر العقل السليم حكمه الصحيح الذي لا ينقض أبداً بوجود الله ذي الأسماء الحسنی ، والصفات العليا ، فأمن به

مؤمنون، وعرفوه بواسطة هذا الحكم الغنيبي السليم الصحيح،  
والذي لا ينقصه.

٢ - قانون الوجوب :

ب. قبول محبت هه خدای طرف لائیتوان عقلی غیبی وجود نه  
عقلی در محبت و پسند به . و نوع یافته . و در جواب طوعه و نفع  
یافته . و حقیقت هه تصور هه آن بقدر این موجودات من هه  
خداوند نمی خواهد تعریف نمودنی و نفسانی من کل موجودات من  
حسنت . و سب . و حسرت . و پشیمانی . و اهل کمال وجوده و حد . و  
تسلیم . و او حقیر . و لا حول و قوه من و احد من هه ثلاثه احد  
من و احقر . و نقص . عقل الصالح بعد . و تسلیه جمیع العقلاء به .  
و حقیقت محبت به . و واجب عدم تصور دفعه تقصیر غلبه و انفس -  
و حقیقت مستحق - و هم شخص موجب - به و واجب تصور دفعه  
تقصیر غلبه لا یستطیع

حقیقتہً انکار ہے۔ یہ نہیں ہے جس کی بابت - اُمہ م لا یوحی صوبہ  
 ہوا ہے نہ قصہ غیبیہ ولا یصح ہ ولا یصلی ورسا علی ہد فیہا وحوذ  
 کثرت و حب و مسیحہ و حارہ ۱۰۱۰

والجواب أن وجود الكائن ليس واجباً، إذ تصور عدمه ممكن، ولا يوجب تناقضاً عقلياً، ثم لا يس مستحيل، إذ تصور وجوده لا يوجب تناقضاً عقلياً، وإنشأ وهي موجودة فعلاً، إذ قد نه كل وجود الكائن واجب، ولا مستحيلاً نفساً لا يكون حيزاً، إذ لا حيزه ثلاثة فقط، وإذا نفس لا يكون وجوداً متمكناً حيزاً لا غير، فبما يفرض ما دامت الكائنات حيزاً لوجود ممكنه فقط، وقد وجدت فعلاً، ثم الذي اقتضي وجوده ورححه على عدمه، والجواب أن عدمه لا ينافي مع عدمه، إذ تصور وجوده مع عدمه لا يوجب تناقضاً عقلياً، لا يباحه تناقضاً عقلياً لا يقبل، وإذا فما هي هذه العلة

التي اقتضت وجود الكائنات ؟ وكون هذه العلة التي اقتضت وجود الكائنات هي الطبيعة باطل ، لأن الترجيح لا يكون إلا عن قصد وإرادة ، والطبيعة لا إرادة لها ولا قصد كما يعترف بذلك القائلون بها . وكونها الصدفة باطل ، ما تقدم من استحالة ذلك لوجود الإبداع ، والتناسق ، والتآلف ، والوزن الدقيق ، ولأن الموافقات لا تتم إلا بعقل جبار ، وإرادة عظيمة ، وتدبير وحكمة ، وكونها الضرورة باطل بل من أبطل الباطل لأن الضرورة ليست إلا وهماً من أوهام الخيال ولا قائل بها البتة ، وقد بينا أنها عناية الله تعالى بمخلوقاته ، تلك العناية الإلهية التي أعطت كل مخلوق خلقه ، وهدته إلى ما يكمل به وجوده وتحفظ به حياته إلى أجله الذي حُدِّدَ له . إذاً فإنه لم يبق من علة لوجود الكائنات اقتضت وجودها ، وزججته على خلافه إلا أن يكون الله جلّ جلاله ، هو الذي اقتضى وجودها وزججه ، فكان الكون على ما هو عليه من إبداع وتنظيم . ومظاهر القدرة ، والعلم ، والتدبير ، والإحكام ، والإتقان كلها دالة على علم الله ، وقدرته ، وكمال تدبيره ، وعظيم حكمته .

بهذا عُرِفَ الله جلّ جلاله ، وآمن به المؤمنون ، وأحبوه ، وعبدوه ، وتقرَّبوا إليه .

### ٣ - قانون الحدوث :

لقد ثبت اليوم وبدون شك حدوث سائر الكائنات الحية ، ومن أقربها عهداً بالحدوث الإنسان ، كما قرر هذا علماء الكون وطبقات الأرض . وبهذا ثبت حدوث العالم بأسره قطعاً وبقيناً ، لأن الشيء الواحد لا يكون قديماً وحديثاً في آن واحد ، كما لا يكون بعضه قديماً ، والبعض الآخر حديثاً ، إذ القول بهذا يوجب تناقضاً عقلياً لا يصح ، ولا يقبل في قضايا العقول السليمة .

وإذا سلّمنا بحدوث العالم كله ، وهو مُسَلَّم ، حتى من الطبيعيين



أنفسهم فإنه لا انفكك حينئذ من التسليم بوجود علة كافية لإحداثه إذ وجود معلول وهو الحدث بدون علة يوجب تناقضاً عقلياً لا يصح لإطباق العقول السليمة على رفضه ، وعدم قبوله .

هذا وما في العالم الحديث من إبداع ، ونظام ، وتدبير يوجب عقلاً أن تكون العلة التي ترتب عليها حدوث العالم علة كافية ، ذات قدرة وعلم ، وإرادة وقصد ، وحكمة وتدبير ، كما يوجب أن تكون العلة واجبة الوجود لذاتها بحيث لا يتصور افتقارها إلى علة أخرى لئلا يلزم الدور ، والتسلسل وهما محالان في حكم العقول .

وأخيراً فالعلة الكافية التي وجب عقلاً أن تكون ، ووجب أن تكون واجبة الوجود هي الله الخالق ، المدبر ، الحكيم ، ذو الأسماء الحسنى ، والصفات العليا ، رب العالمين ، وإله الأولين والآخرين .

وبهذا القانون الخاص - قانون الحدث - ثبت وجود الله تعالى عقلاً ، ووجب الإيمان به رباً وإلهاً ، وعينت عبادته بفعل ما يحب ، وترك ما يكره ، طلباً لرضاه ، والسعادة في جواره الكريم يوم لقائه بعد فناء هذا العالم الحادث ، وانقضائه .

#### ٤ - قانون النظام :

إن التأمل في الكون كله علويه وسفليه يكشف عن حقيقة كبرى . لا مجال لإنكارها ، أو تجاهلها والإغضاء عنها ، أو الغض من شأنها ، ألا وهي هذا النظام الدقيق ، المعجيب الذي رُبِطت به أجزاء الكون كله من الذرة إلى المجرة ، هذا النظام المدهش ، المحير للعقول ، الذي يُحيل العقل البشري السليم أن يكون ناجماً عن صدفة وتلقائية ، أو عن تفاعلات كيميائية أو يكون نتيجة للحركة المستمرة للمادة منذ ملايين السنين كما يرغم الخياليون ، والمغرورون ، المخدوعون ؛ إنه لمن أمحل المحال ، وأبطل الباطل أن يصدر هذا النظام الشامل للخلق كله

عن غير ذي إرادة ، وقصد ، وعلم ، وحكمة ، وتدبير ، إن نظرة إلى السماء ، إلى خلقها ، وتكوينها ، إلى الإحكام والإتقان فيها ، إلى أبعادها ، إلى سعتها ، إلى عدد نجومها ، ومواقعها ، إلى الأفلاك الدائرة فيها . إلى ضوء شمسها ، ونور قمرها . هذه النظرة الفاحصة الشاملة ترى الإنسان العاقل من مظاهر القدرة ، والعلم ، والإرادة ، والقصد ، والتصميم ما يجزم معه ببطلان هراء الماديين . وترهات الملحدين ؛ ويسلم بوجود إله عظيم متصف بصفات الربوبية ، ونعوت الألوهية .

وأي نظرة فاحصة دقيقة إلى الأرض ، إلى خلقها وتكوينها ، إلى محيطاتها . وأنهارها ، إلى جبالها ووادها . إلى مرتفعاتها وسهولها ، إلى النباتات والأشجار ، إلى التنوع في الحيوانات ، وإلى الاختلاف في أجناس البشر لوناً ولساناً ، تقف بالناظر عند حقيقة لا يستطيع إنكارها . ولا إخفاءها وجحودها وهي أن وراء هذا الخلق والإبداع خالقاً ، مبدعاً ، عليمًا ، حكيمًا ، وهو الله الذي لا إله إلا هو ، ولا رب سواه . قال الله تعالى في هذا المعنى من سورة ق :

﴿ أَفَلَمْ يَنْظُرُوا إِلَى السَّمَاءِ فَوْقَهُمْ كَيْفَ بَنَيْنَاهَا وَزَيَّنَّاهَا وَمَا لَهُ مِنْ فُرُوجٍ ۚ ﴾ وَالْأَرْضَ مَدَدْنَاهَا وَأَلْقَيْنَا فِيهَا رَوَاسِيَ وَأَنْبَتْنَا فِيهَا مِنْ كُلِّ زَوْجٍ بَازِجٍ ۚ تَبَصَّرْهُ وَذِكْرٌ لِكُلِّ عَبْدٍ مُنِيبٍ ﴿١١﴾

إن نظرة عابرة فقط إلى النور ، والحلّك ، وهذا الهواء المشترك ، إلى ائتلاف الهواء ، إلى عناصر الماء ، إلى النوعية ، والزوجية في كل شيء فيها ، وعليها ، تكفي في إقناع ذي العقل بوجود إله ذي قصد وإرادة ، وحكمة وتدبير ، وقدرة لا تحد ، وعلم لا يحيط به أحد ، ألا



واحد من بين سائر أنواعه ، فمن أعظم كائن فيه ، إلى أصغر كائن وأحقره ، الكل يخدم ذلك النوع ، وهي حقيقة مدهشة للغاية ، أن يكون هذا الكون الفخم الهائل بكل ما فيه من أجرامه السماوية ، ومخلوقاته الأرضية ، الجميع مسخر تسخيراً خاصاً لخدمة نوع واحد من بين سائر المخلوقات التي حوّاها الكون ، وانتظمها هذا الوجود المادي القائم على أساس الحق والعدل ، والخالي من جنس اللعب والعبث كما سبق بيانه .

وهذا النوع المسخر له الكون كله هو الإنسان وحده ، والمثل الذي يوضح هذه الحقيقة التي تبدو غريبة بادية ذي بدء عجيبة هو : أن يأمر أحد الملوك العظماء ببناء قصر فخم ، كبير ، فيبنى على أحسن طراز ، ويجعل بأحسن أنواع التجميل ، ويزود بكل أسباب الراحة ، والإرتفاق ، بحيث يصبح آية في باب القصور الملكية في دنيا الناس متعة وجمالاً ، ثم ينزل به ضيفاً كريماً عليه ، ويقول له : لقد بنينا لك هذا القصر لتعيش طوال حياتك متمتعاً بكل ما فيه من خيرات ونعيم . فالملك هو الله ، والقصر هو الكون ، والضيف هو الإنسان ، وهذه الحقيقة قد قرّرها القرآن أيضاً وأكدها كالحقيقة الأولى وذلك في قوله تعالى :

﴿اللَّهُ الَّذِي سَخَّرَ لَكُمُ الْبَحْرَ لِتَجْرِيَ الْفُلُكُ فِيهِ بِأَمْرِهِ وَلِتَبْتَغُوا مِنْ فَضْلِهِ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿١٢﴾ وَسَخَّرَ لَكُم مَّا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعاً مِنْهُ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴿١٣﴾﴾

ولنستعرض الآن بعض مظاهر العناية بالإنسان في الكون :

(١) سورة الحاثية الأيتان (١٢ ، ١٣) .

## ١ - في السماء :

إن في السماء الدنيا كواكب كثيرةً ونجوماً عديدة ، وفيها الشمس وفيها القمر ، والأرض أكثر تعلقاً بهما من غيرهما من سائر الأجرام السماوية . فبالنجوم المشرقة ، والكواكب المنيرة ازدانت السماء الدنيا التي هي سقف لهذه الدار التي يسكنها الإنسان ويعمرها ، وبالقمر سمير ذي المنازل والتقدير استنار غالب ليل الإنسان ، وبه يعرف عدد لسنين والحساب ، وبالشمس المضيئة أشرق النهار على الإنسان ، وبها عرف ليله . وميز نهاره ، ومنها استمدت أرضه دفئها ، وحرارتها ، وضافتها المودعة فيها . ولولا الشمس لتجمدت الأرض ، ولما كانت صالحة للحياة . وفي السماء تتجمع السحب وتراكم ، ومنها تنزل الأمطار مياهاً عذبة بها حياة الإنسان وسعاده . وفي السماء في علوها وارتفاعها ، وكثرة أجرامها ، ومجرّاتها ، وكواكبها ، ونجومها ، وشموسها ، وأقمارها آيات عظام تهدي الإنسان إلى معرفة ربه ، وتبين له قدرته عليه ، وتريه سوايح نعمه به .

## ٢ - في الأرض :

إن في الأرض النحر ، والأنهار ، والمعادن ، والجال ، والسهول ، والتلال فيها الأحياء المائية . والحيوانات البرية . ذات المنافع العديدة . والفوائد الجمّة الكثيرة ، وبها الأشجار المطلة والمثمرة . وبها المزروع ، والنباتات التي هي أرزاق ، وأقوات ، وكلها مسخرة للإنسان معطاة له ، ثم يكن فيها شيء لغيره ، ولا يخرج منها شيء عن منفعتة ، وفائدته بحال من الأحوال .

وبعد هذا الذي أجملناه في تقرير كون الوجود كله من أرض وسماء قد وضع مسخراً لخدمة الإنسان ، وذلك دليل على وجود خالق حكيم ولاسك معاً . وهو الله تعالى الذي خلق الكون أولاً ، ثم خلق الإنسان وسخر له كل ما خلق في الكون عناية به ، وكرامة له ، نذكر

ظاهرة كونية واحدة من ظواهر العناية بالإنسان لتزيد بها قانون العناية تأكيداً . وتوضيحاً وهي ظاهرة اللقاح في النبات والحيوان . وهي ظاهرة مسلّمة من كل العقلاء . فالنباتات كلها فيها الذكر ، وفيها الأنثى ، ويجري اللقاح بينها حسب سنّة ثابتة وقانون مرسوم لا يخالف ، وذلك ليتوفر للإنسان غذاؤه من الحبوب ، والفواكه ، والخضر التي هي العنصر الهام في غذائه الذي هو قوام حياته . وظاهرة اللقاح في الحيوان أبين وأوضح ، فالتيس مثلاً يطلب أنثاه مندفعاً إليها ، ويجري وراءها ، له صوت عجيب ، حتى إذا أتم لقاحها ، وفرغ منها اعتزلها اعتزالاً كلياً إلى أن تضع حملها ، وترضعه ، ويكاد يستغني عنها ، يعاودها التيس مرة أخرى ، ويجد من غريزته المودعة فيه دافعاً قوياً نحوها لا يملك التخلي عنه ، ولا السيطرة عليه حتى يتم مهمته التي هيء لها .

ولنتساءل لم يتم هذا ؟ ولصالح من ؟ إنه يتم من أجل الإنسان . ولصالح الإنسان فقط ، إذ بهذا يتوفر له قسط آخر مهم من غذائه الذي هو اللبن والجبن ، واللحم ، كما يتوفر له كساؤه ، وفراشه ، وغطاؤه .

واخيراً هذه العناية بالإنسان المتجلية في الظواهر الكونية كلها إن لم تدل على وجود خالق للكون ذي إرادة ، واختيار ، وعلم ، وقدرة ، وقصد ، وحكمة ، خلق الإنسان وسخر له الكون كله كما هو مشاهد محسوس ، فإنه لم يبق شيء يدل على آخر في الحياة أبداً فلا الرماد يدل على النار ، ولا النوى تدل على الثمر ، ولا الكلام يدل على الإنسان ، ولا الحركة تدل على الحياة ، وحينئذ فعلى العقل العفاء وعلى الدنيا السلام .

## الطريقة الثانية

### إلى معرفة الله سبحانه وتعالى

#### الهداية الدينية

قد سبق أن ذكرنا أن طريقة الهداية الدينية تجمع بين الاستدلاليين ، القياس العقلي ، والديني الشرعي ، فهي أعظم صريفتي هداية إلى معرفة الله تعالى والإيمان به عز وجل ، وهي التي تمت لمهتدي بها إلى العمل ، المزكي للنفس ، والمهيء له السعادة تدريس ، بخلاف الهداية العقلية وحده وهي الطريقة الأولى من صريفتي الهداية فيها وإن أُنقذت صاحبها من التمزق التحصي ، وافترق لفسى ، والحيرة الفكرية ، فيها لا تركي نفسه ، ولا تقوى أخلاقه ، ولا تهينه السعادة الدنيا والآخرة ، كما أنها لا تخرجه من دائرة الكفر لموجب لعدم الأحروري ، والحدود فيه

وهذا عرص سريع لطريق الهداية الدينية المفصلة بمن أخذ به إلى معرفة الله تعالى معرفة سليمة تبعث على الاستقامة ، وتعد للسعادة والكمال ، في الحال والنال ، وقبل الشروع في الكلام نذكر أن هناك حقيقتين ثالثتين يسعى أن تكون مطلق التعرف إلى الله تعالى ، وإسعريف به سبحانه وتعالى هما .

الأولى . أنه لا يعرف الله كفسه سبحانه وتعالى ، ولا يعرف الله مثل الله حل حاله . وعظم سلطانه

والثانية . أن مصدر معرفة الله تعالى ، هو كتابه . ورسوله . فقد تعرف الله تعالى إلى عباده في كتابه بما لا مزيد عليه . كما أن الرسول ﷺ لم يأت جهدا في التعريف بربه عز وجل ، بل بالحديث عنه وبدد سماته وصفاته حتى عرف المؤمنون ربهم معرفة أثمرت لهم محبة وصاحبه ، وبحسن أن سمه هو إلى أن للتعريف بالله عز وجل في الكتاب طرقا مختلفة ، وأساليب متنوعة منها : أن يحاطب عباده كافة

مؤمنهم وكافرهم . ويتعرف إليهم فيأمرهم وينهاهم .

ومنها أن يتعرف إلى أنبيائه ورسله عليهم السلام فيناديهم ،  
ويخاطبهم ، ويوحى إليهم .

ومنها : أن يتعرف إلى عباده المؤمنين به وبرسله ، فيخاطبهم  
بأمرهم وينهاهم ، يعدمهم ويبشرهم ، ينذرهم ويحذرهم . ومنها إرساله  
تعالى الرسل ، وإنزاله عليهم الكتب . وتأييدهم بالمعجزات والخوارق  
التي يعجز عنها البشر عادة ، ولا يقدرُونَ على مثلها ، لكونها لا تخضع  
للسنن الكونية . وهذا تفصيل ذلك :

أولاً : خطابه عز وجل لكافة عباده في قوله من سورة البقرة :

﴿ يَأَيُّهَا النَّاسُ اعْبُدُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ  
تَتَّقُونَ ﴾ (٢١) الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ فِرَاشًا وَالسَّمَاءَ بِنَاءً وَأَنْزَلَ مِنَ  
السَّمَاءِ مَاءً فَأَنْجَرَجَ بِهِ مِنْ الثَّمَرَاتِ رِزْقًا لَكُمْ فَلَا تَجْعَلُوا لِلَّهِ أَنْدَادًا  
وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٢٢﴾ (١)

فقد اشتملت هاتان الآيتان على نداء الله تعالى للعباد ، وأمرهم  
بعبادته ، ونهاهم عن الشرك به وعبادته . كما اشتملتا على التعريف به  
تعالى رباً ، خالقاً ، مدبراً ، رازقاً . خلق البشرية كلها ، وجعل لها  
الأرض فراشاً ، والسماء بناءً ، وأنزل من السماء ماء فأخرج لها به من  
الثمرات رزقها ، وما به قوامُ حياتها . كما اشتملت الآيتان على دليلين  
عقليين :

الأول : دليل الحدوث .

(١) الآيتان ( ٢١ ، ٢٢ )



الثاني : دليل العباية . وقد سبق بيان كل منهما في بحث الهداية العقلية فليرجع إليهما .

وفي قوله سبحانه من سورة النساء :

﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَكُمْ وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً﴾<sup>(١)</sup>

ففي هذا النداء الإنهائي يأمر الله تعالى الشريعة كلها بتقواه وهي عدم الخروج عن طاعته ترك أمره ، أو بفعل نهيه ، ويذكرهم بأنه ربهم أي حاضهم ، ويرفهم ، ومدبر أمرهم . كما ذكرهم بأصل شأنهم . وتتمثل هذا النداء الإنهائي على التعريف بالله تعالى بوصفه خالق ، كما تتمثل على دليل عقلي وهو دليل الحدوث

وفي قوله تعالى من سورة الأعراف

﴿إِنَّ رَبَّكُمُ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَىٰ عَلَى الْعَرْشِ يُغْشَىٰ اللَّيْلُ النَّهَارُ يَطْلُبُهُ حَثِيثًا وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ وَالنُّجُومُ مُسَخَّرَاتٌ بِأَمْرِهِ ۗ إِنَّ اللَّهَ لَخَلَقَ الْخَلْقَ وَالْأَمْرُ تَبَارَكَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ﴾<sup>(٢)</sup>

ففي هذا الإخبار الإنهائي تعريف بالله سبحانه وتعالى بوصفه الرب الذي خلق الكون كله ، علويه وسفليه ، وهو يدبر أمره من فوق عرشه . وكما انفراد الحق والتدبير انفراداً بالأمر والعبادة والتشريع

كما في هذا الخبر العقلي دليل عقلي على إثبات وجود الله تعالى وهو تدبيره بعدة حقائق وتدبير مشاهدات في الكون لكل ذي عاقل تدبير من حقائق تدبير نكون وثيقه مستحيل لما يوجب

(١) الآية (٥١)  
(٢) الآية (٥٤)

من التناقض العقلي .

وفي قوله عز وجل من سورة فاطر :

﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ هَلْ مِنْ خَلْقٍ غَيْرِ اللَّهِ يَرْزُقُكُمْ  
مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ فَأَنْتُمْ تُؤْفَكُونَ﴾<sup>(١)</sup>

ففي هذا النداء تعرّف الله تعالى إلى الناس بأنه وليّ نعمتهم . نعمة الخلق والرزق ، وطلب منهم أن يذكروا ذلك ليشكروه بعبادته وحده . لكونه لا يستحقّ العبادة سواه ، وعجبهم من انصرافهم عنه ، وهو ربهم الذي لا ربّ لهم غيره .

فاشتمل هذا النداء الكريم على دليلين عقليين هما دليل الحدوث ، ودليل العناية .

وفي قوله تعالى من سورة الحُجُرَات :

﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ  
لِتَعَارَفُوا إِنْ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتَقَنُّكُمْ إِنْ اللَّهُ عَلِيمٌ خَبِيرٌ﴾<sup>(٢)</sup>

فاشتمل هذا النداء الإلهي على التعريف به تعالى بوصفه الخالق ، والمدبّر ذا العلم ، والخبرة التامة ، فمن مظاهر تدبيره للناس أن جعل حياتهم اجتماعية ليتم التعاون بينهم على تحقيق سعادتهم ، ولو شاء لجعلهم يعيشون على نمط حياة البهائم والحيوانات ، فلا أسرة ولا قبيلة ، ولا شعب ، وحينئذ لا مناص من أن يعيشوا عيش الحيوانات ، فلا مدنية ، ولا حضارة ، بل لا إنسانية ولا كرامة آدمية . كما اشتملت الآية على دليل الحدوث ، والعناية أيضاً .

(١) الآية (٣) .

(٢) الآية (١٣) .

وفي قوله من سورة لقمان عليه السلام :

﴿ خَلَقَ السَّمَوَاتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا وَالتَّى فِي الْأَرْضِ رَوْسِي أَنْ نَمِيدَ بِكُمْ  
وَبَثَّ فِيهَا مِنْ كُلِّ دَابَّةٍ وَأَنْزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَنْبَتْنَا فِيهَا مِنْ كُلِّ زَوْجٍ  
كَرِيمٍ ﴾ هَذَا خَلَقَ اللَّهُ فَأَرُونِي مَاذَا خَلَقَ الَّذِينَ مِنْ دُونِهِ ۖ ﴿١﴾

ففي هذا الخبر الإلهي تعريف بالله تعالى بصمت تكامل التي  
نمرد بها دون غيره . وهي خلق السموات خلقاً محكماً بما أودع فيها  
من قانون الجاذبية فتماسكت أجرامها ، ولم تحتج إلى ما يدعمها من  
وسائل الدعم التي عرفها الناس كالأعمدة وبحوها وإنفاؤه تعالى لحمل  
في الأرض لحفظ ثوابها حتى لا تضطرب أهلها ولا تميل بهم  
فيهلكو ونشره تعالى آلاف الدواب المختلفة نوع ، وشكلاً ،  
وحصية ، وفوائد ، شره في الأرض التي هي كالمائدة الكبرى  
للإنسان ، وكالصدق العظيم للإقامة والسكن ، وإزاله عز وجل المطر  
من ضفت الحو السامية وإسائه السانات المختلفة التي هي أصل غذاء  
تنت لدواب التي تنها في الأرض . كما اشتمل آخر الخبر المذكور  
على تحد صريح لأولئك الذين يؤلهون غيره تعالى من مخلوقاته بأن  
يشيروا إلى شيء ما قد خلقته آلهتهم الباطلة المزعومة . كما اشتمل  
الخبر أيضاً على الأدلة العقلية التالية : دليل الحدوث ، ودليل العناية ،  
ودليل النظام ، ودليل الوجوب .

وفي قوله تعالى من سورة الرمز :

﴿ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ يُكَوِّرُ اللَّيْلَ عَلَى النَّهَارِ وَيُكَوِّرُ  
النَّهَارَ عَلَى اللَّيْلِ وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ كُلٌّ يَجْرِي لِأَجَلٍ مُسَمًّى الْأ

(١) - (١٠) - (١١)

هُوَ الْعَزِيزُ الْغَفُورُ ﴿١﴾ خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ ثُمَّ جَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا  
وَأَنزَلَ لَكُمْ مِنَ الْأَنْعَامِ ثَمَنِيَّةً أَزْوَاجًا يَخْلُقُكُمْ فِي بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ خَلْقًا  
مِنْ بَعْدِ خَلْقٍ فِي ظُلُمَاتٍ ثَلَاثٍ ذَٰلِكُمْ اللَّهُ رَبُّكُمْ لَهُ الْمُلْكُ لَا إِلَهَ  
إِلَّا هُوَ فَأَنَّى تُصْرَفُونَ ﴿١﴾

ففي هاتين الآيتين من كتابه تعالى يتعرف سبحانه وتعالى إلى  
عباده من خلال صفاته العليا ، وهي كونه الخالق ، القوي القادر ،  
المدير ، العزيز ، الغفار ، كما يتعرف إليهم بنعمه عليهم في خلقهم ،  
وجعل الأرض مناسبة لحياتهم فيها باختلاف الليل والنهار عليها ،  
وبوجود الشمس والقمر مسخرين فوقها ، القمر ينيرها . وبه تعرف  
شهورها وأعوامها . والشمس تضيئها ، وتدفعها ، وتجعل الحياة صالحة  
فيها .

وبإنزال الأنعام ، ذات اللحوم ، والألبان ، والأصواف ،  
والأشعار ، والأوبار ، حيث يشربون ألبانها ، ويركبون ظهورها ، ويأكلون  
لحومها ، ومن أصوافها ، وأوبارها ، وأشعارها يلبسون ويتأثنون .

بتلك الصفات العلى ، وهذه النعم العظمى يتعرف الله جل جلاله  
إلى الناس ويخبرهم بأنه هو ربهم ، وإلههم ، لا رب لهم غيره ، ولا  
إله لهم سواه ، ويعجبهم<sup>(٢)</sup> من انصرافهم عنه ، وإقبالهم على سواه .  
وقد اشتملت هاتان الآيتان على كل القوانين العقلية ، من دليل  
الوجوب ، والحدوث ، والنظام ، والعناية ، والعلة ، وبأي تأمل في  
الآيتين يظهر ذلك جلياً .

(١) الآيتان (٥ ، ٦) .

(٢) يحملهم على التعجب .

وفي قوله تعالى من سورة البقرة

﴿ كَيْفَ تَكْفُرُونَ بِاللَّهِ وَكُنْتُمْ أَمْوَانًا فَأَخْبِتْكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴾ ۝ هُوَ الَّذِي خَلَقَ لَكُمْ مَافِي الْأَرْضِ جَمِيعًا ثُمَّ أَسْتَوَىٰ إِلَى السَّمَاءِ فَسَوَّاهُنَّ سَبْعَ سَمَوَاتٍ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ۝ (٢٩) ﴿ ۱۱ ﴾

ففي هاتين الآيتين من كتبه تعالى يعجب تعالى عباده من كفرهم به وحيدهم له . مدركاً لهم بحال العدم السابقة لخلقهم ، وحيثهم . وموتهم ثم بعثهم بعد فناءهم . ورجوعهم إليه ليحكم بينهم . ويحزيهم برحمته وعدله . ويتعرف إليهم بدليل عنايته بهم . وقدرته عليهم . ويعلمهم بهم كما شملت الآيتين على أدلة : الحدوث ، ولعمرة ، ونعديه

تدبر : حفظه تعالى لخصوص عباده من أنبيائه ورسله . وتعرفه إليهم سبحانه . ووجهه إليهم : وإزال ملائكته عليهم . ومن ذلك نداؤه لأنه لم يستر عليه السلام . وحظبه إياه في قوله تعالى من سورة

﴿ يَتَادَمُ أَكُنْ أَنْتَ وَزَوْجَكَ الْجَنَّةَ وَكُلَا مِنْهَا رَغَدًا حَيْثُ شِئْتُمَا وَلَا تَقْرَبَا هَذِهِ الشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ الظَّالِمِينَ ﴾ ۝ (٢١)

وفيه من سورة طه :

﴿ وَلَقَدْ عَهِدْنَا إِلَىٰ آدَمَ مِنْ قَبْلِ فَنَسَىٰ وَلَمْ يُجِدْ لَهُ عِزْمًا ۝ وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ أَبَى ۝ فَقُلْنَا يَسْكُدْ هَذَا عَدُوُّكَ وَلَزَوْجَكَ فَلَا يُخْرِجَنَّكُمَا مِنَ الْجَنَّةِ فَتَشْقَى ۝ (٢١) ﴾

(٢) الآية (٣٥)

(٢٩ . ٢٨ . ٢٧)

إِنَّ لَكَ أَلَّا تَجُوعَ فِيهَا وَلَا تَعْرَىٰ وَأَنَّكَ لَا تَظْمَأُ فِيهَا وَلَا تَصْحَىٰ ﴿١﴾

فقد نادى آدم في الآية الأولى ، وأمره أن يسكن الجنة هو وزوجه ، وأباح لهما كل ما فيها من الأطعمة ، ونهاهما عن الأكل من شجرة واحدة ، وحذرهما من ذلك .

وفي الآية الثانية أمر الملائكة بالسجود لآدم فسجدوا إلا إبليس امتنع ، فخطب الرب تعالى آدم معلماً إياه بعداوة إبليس له ولزوجه ، ومحذراً لهما من الخروج من الجنة إن هما أطاعا إبليس ، وأكلا من الشجرة التي حرم عليهما .

ومن ذلك خطابه لنوح ، ووحيه إليه ، ونداؤه إياه في قوله تعالى : من سورة هود :

﴿ وَأَوْحِيَ إِلَىٰ نُوحٍ أَنَّهُ لَنْ يُؤْمِنَ مِنْ قَوْمِكَ إِلَّا مَنْ قَدْ ءَامَنَ فَلَا تَبْتَئِسْ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴾ (٢)

وفي قوله تعالى :

﴿ وَأَصْنَعِ الْفُلَ بِأَعْيُنِنَا وَوَحِّينَا وَلَا تَخْطِبْنِي فِي الَّذِينَ ظَلَمُوا إِنَّهُمْ مُّغْرَقُونَ ﴾ (٣)

وفي قوله تعالى :

﴿ يٰنُوحُ اهْبِطْ بِسَلَامٍ مِنَّا وَبَرَكَاتٍ عَلَيْكَ وَعَلَىٰ أُمَمٍ مِّمَّنْ مَعَكَ ﴾ (٤)

(١) الآيات (١١٥ ، ١١٩) .

(٢) الآية (٣٦) .

(٣) الآية (٢٧) .

(٤) الآية (٤٨) .

ومن ذلك «عنه إبراهيم عليه السلام» وعهده إليه وإلى ولده  
سماعيل بناء البيت العتيق، وتطهيره للطائفتين والعاكفتين، ونداؤه  
به، «ووجهه إليه» في قوله من سورة البقرة:

﴿إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا قَالَ وَمِنْ ذُرِّيَّتِي قَالَ لَا يَنَالُ عَهْدِي الظَّالِمِينَ﴾<sup>(١)</sup>

وفي قوله

﴿وَعَهْدَنَا إِلَٰكُ إِبْرَاهِيمَ وَاسْمَعِيلَ أَنْ طَهِّرَا بَيْتِيَ لِلطَّائِفِينَ وَالْعَاكِفِينَ  
وَالرُّكَّعِ السُّجُودِ﴾<sup>(٢)</sup>

وفي قوله

﴿وَلَدَيْنَا أَنْ يُبَرِّهٖمُ﴾<sup>(٣)</sup> قَدْ صَدَّقَ الرَّؤْيَا إِنَّا كَذَلِكَ نَجْزِي  
الْمُحْسِنِينَ﴾<sup>(٤)</sup>

وقوله غير وحل

﴿وَأَوْحَيْنَا إِلَٰكُ إِبْرَاهِيمَ وَاسْمَعِيلَ وَاسْمُحْ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطَ﴾<sup>(٥)</sup>

ومن ذلك نداؤه تعالى لموسى عليه السلام، وإعلامه بأنه ربه،  
نذري لا إله إلا هو، وأمره إياه بعبادته، وبإقام الصلاة لذكره، وسؤاله  
به عما في يمينه، وإحانة موسى له؛ وأمره تعالى له بإلقاء العصا في  
حديث ممنوع جميل ثم لموسى مع ربه جل وعلا بجانب الطور، وذلك  
في قوله تعالى من سورة طه:

(١) الآية ١٢٤ من سورة البقرة أيضاً

(٢) سورة البقرة (١٢٥-١٢٦)

(٣) سورة البقرة (١٢٥-١٢٦)

(٤) سورة البقرة (١٢٦)

﴿يَمُوسَىٰ﴾ ١١) إِنِّي أَنَا رَبُّكَ فَاخْلَعْ نَعْلَيْكَ إِنَّكَ بِالْوَادِ الْمُقَدَّسِ طُوًى  
وَأَنَا أَخَذْتُكَ فَاسْتَمِعْ لِمَا يُوحَىٰ ﴿١٢﴾ إِنِّي أَنَا اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا  
فَاعْبُدْنِي وَأَقِمِ الصَّلَاةَ لِذِكْرِي ﴿١٣﴾

وفي قوله تعالى :

﴿وَمَا تَلَكَ بِيَمِينِكَ يَمُوسَىٰ﴾ ١٧) قَالَ هِيَ عَصَايَ أَتَوَكَّؤُا عَلَيْهَا وَاهْتَسِبَهَا  
عَلَىٰ غَمَمِي وَلِي فِيهَا مَغَارِبُ أُخْرَىٰ ﴿١٨﴾ قَالَ أَلْقَهَا يَمُوسَىٰ ﴿١٩﴾ فَأَلْقَاهَا  
فَإِذَا هِيَ حَبَّةٌ تَسْعَىٰ قَالَ خُذْهَا وَلَا تَحْزَنْ سَنُعِيدُهَا سِيرَتَهَا الْأُولَىٰ  
وَاضْمُمْ يَدَكَ إِلَىٰ جَنَاحِكَ تَخْرُجَ بَيْضَاءَ مِنْ غَيْرِ سُوءٍ ؕ آيَةٌ أُخْرَىٰ ﴿٢٠﴾  
لِنُرِيكَ مِنْ ءَايَاتِنَا الْكُبْرَىٰ ﴿٢١﴾ أَذْهَبَ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَىٰ ﴿٢٢﴾  
قَالَ رَبِّ اشْرَحْ لِي صَدْرِي ﴿٢٣﴾ وَبَسِّرْ لِي أَمْرِي ﴿٢٤﴾ وَأَحْلِلْ عُقْدَةَ  
مِنَ لَسَانِي ﴿٢٥﴾ يَفْقَهُوا قَوْلِي ﴿٢٦﴾ وَاجْعَل لِّي وَزِيرًا مِّنْ أَهْلِي ﴿٢٧﴾  
هَلُّوْنَ أَهْبَىٰ ﴿٢٨﴾ أَشَدُّ بِهِ أَزْرَىٰ ﴿٢٩﴾ وَأَشْرِكُهُ فِي أَمْرِي ﴿٣٠﴾ كَىٰ  
نُسَبِّحَكَ كَثِيرًا ﴿٣١﴾ وَنَذْكُرَكَ كَثِيرًا ﴿٣٢﴾ إِنَّكَ كُنْتَ بِنَا بَصِيرًا ﴿٣٣﴾ قَالَ قَدْ  
أُوتِيتَ سُؤْلَكَ يَمُوسَىٰ ﴿٣٤﴾ وَلَقَدْ مَنَّا عَلَيْكَ مَرَّةً أُخْرَىٰ ﴿٣٥﴾ إِذْ  
أَوْحَيْنَا إِلَىٰ أُمِّكَ مَا يُوحَىٰ ﴿٣٦﴾ أَنْ أَقْذِفِيهِ فِي التَّابُوتِ فَآقْذِفِيهِ فِي  
الْبَيْتِ فَلْيُلْقِهِ الِّيمُ بِالسَّاحِلِ يَأْخُذْهُ عَدُوٌّ لِّي وَعَدُوٌّ لَهُ ۚ وَالْقَيْتُ عَلَيْكَ حَبَّةٌ  
مِّنِّي وَلِتُصْنَعَ عَلَىٰ عَيْنِي ﴿٣٧﴾ إِذْ تَمْشِي أُخُنُكَ فَتَقُولُ هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَىٰ

(١) الآيات (١١ - ١٤) .



﴿مَنْ يَكْفُلْهُ، فَرَجَعْنَاكَ إِلَىٰ أُمِّكَ كَيْ تَقَرَّ عَيْنُهَا وَلَا تَحْزَنَ ۚ وَفَنَلَّكَ  
نَفْسًا فَتَجُنَّكَ مِنَ الْغَمِّ وَفَتَنَّاكَ فُتُونًا فَلَبِثْتَ سِنِينَ فِي أَهْلِ مَدْيَنَ  
ثُمَّ جِئْتَ عَلَىٰ قَدَرٍ يَعْمُوسَىٰ ۖ وَأَصْطَفَيْنَاكَ لِنُنْفِئَكَ ۖ أَذْهَبَ أَنتَ  
وَأَخُوكَ بِتُنَيِّتِي وَلَا تَنبِأُ فِي ذِكْرِي ۖ﴾ أَذْهَبَا إِلَىٰ فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَىٰ ۖ  
فَقُولَا لَهُ، قَوْلًا لِّسَالَةِ، بِتَذَكُّرٍ أَوْ يَحْشَىٰ ۖ﴾ قَالَا رَبَّنَا إِنَّتَ لَنَاقِفٌ  
أَنْ يَفْطَرُ عَلَيْنَا أَوْ أَنْ يَطْغَىٰ ۖ﴾ قَالَ لَّا تَخَافَا إِنِّي مَعَكُمَا أَسْمِعُ ۖ وَارْأَىٰ  
فَأَيُّهُ فَقُولَا إِنَّا رَسُولَا رَبِّكَ فَأَرْسِلْ مَعَنَا بَنِي إِسْرَءِيلَ وَلَا تَعْذِْبُهُمْ  
فَدَحِشْنَاكَ بِكَ مِنْ رَبِّكَ ۖ وَالسَّلَامُ عَلَىٰ مَنْ آتَبَعَ أَهْدَىٰ ۖ﴾<sup>(۱)</sup>

وَمِنْ ذَلِكَ مَذْوُهُ دَاوُدَ عَلَيْهِ السَّلَامُ ، وَحَبْرَهُ إِيَّهِ بِاسْتِحْلَافِهِ لَهُ ؛  
وَأَمْرَهُ إِيَّهِ بِالْعَدْلِ وَالْحُكْمِ بِالْحَقِّ ، وَبَهْجَةِ إِيَّهِ عَنْ تَدَاعٍ لِهَوَىٰ فِي قَوْلِهِ  
سَاحِدَةٍ وَتَعْلَىٰ .

﴿يَذْكُرُ إِذْ جَعَلْنَاكَ خَلِيفَةً فِي الْأَرْضِ فَاحْكُمْ بَيْنَ النَّاسِ بِحَقِّ  
وَلَا تَتَّبِعِ أَهْوَىٰ فَيُضِلَّكَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ ۖ﴾<sup>(۲)</sup>

وَمِنْ ذَلِكَ اسْتِحْبَابُهُ لِأَيُّوبَ ثُمَّ دَعَاهُ لِكَشْفِ ضَرْبِهِ ، فَكَشَفَهُ عَنْهُ ،  
وَأَعْطَاهُ مَا فَقَدَهُ مِنْ أَهْلٍ وَمَالٍ ، وَأَرْشَدَهُ إِلَىٰ اسْتِعْمَالِ الْمَاءِ غَسْلًا وَشَرْبًا  
شَدِيدًا مِنْ مَرَضِهِ ، وَأَفْتَاهُ فِي يَمِينِهِ حَتَّىٰ لَا يَحِثُّ فِيهَا ، وَذَلِكَ فِي قَوْلِهِ  
تَعْلَىٰ مِنْ سُورَةِ ص

﴿وَاذْكُرْ عَبْدَنَا أَيُّوبَ إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُ ۖ أَلَيْسَ مِنِّي الشَّيْطَانُ يَنْصِبُ وَعَذَابٍ

أَرْكُضْ بِرَجْلِكَ هَذَا مُغْتَسِلٌ بَارِدٌ وَشَرَابٌ ﴿٤١﴾ وَوَهَبْنَا لَهُ أَهْلَهُ  
وَمِثْلَهُمْ مَعَهُمْ رَحْمَةً مِنَّا وَذِكْرًا لِّأُولِي الْأَلْبَابِ ﴿٤٢﴾ وَخُذْ بِيَدِكَ  
ضِغْثًا فَاضْرِبْ بِهِ وَلَا تَحْنَتْ إِنَّآ وَجَدْنَاهُ صَآئِرًا نِّعْمَ الْعَبْدُ إِنَّهُ أَوَّابٌ ﴿٤٣﴾

ومن ذلك نداؤه تعالى لذكرها عليه السلام ، وتبشيره إياه يحيى  
لما سأله الولد ، وإعطائه الآية على ذلك في قوله تعالى من سورة مريم  
﴿يَسْزَكِرِيَا إِنَّا نُبَشِّرُكَ بِغُلَامٍ اسْمُهُ يَحْيَى لَمْ نَجْعَلْ لَهُ مِنْ قَبْلُ سَمِيًّا﴾ (٢)

وقوله تعالى :

﴿قَالَ رَبِّ اجْعَلْ لِي آيَةً قَالَ آيَتُكَ أَلَّا تُكَلِّمَ النَّاسَ ثَلَاثَ لَيَالٍ سَوِيًّا﴾ (٣)

ومن ذلك نداؤه لعيسى بن مريم عليهما السلام ، وخطابه إياه ،  
وتذكيره بنعيمه عليه وعلى والدته ، وتأنيده بروح القدس ، وإخباره بأنه  
متوفيه ورافعه إليه ، في قوله عز وجل من سورة المائدة :

﴿يَعِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ أَذْكُرْ نِعْمَتِي عَلَيْكَ وَعَلَىٰ وَلَدَتِكَ إِذْ أُبْدَتْكَ بِرُوحِ  
الْقُدُسِ﴾ (٤)

وفي قوله من سورة آل عمران :

﴿يَعِيسَىٰ إِنِّي مُتَوَفِّيكَ وَرَافِعُكَ إِلَيَّ وَمُطَهِّرُكَ مِنَ الذَّنْبِ كَفَرُوا وَجَاعِلُ  
الَّذِينَ اتَّبَعُوكَ فَوْقَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِلَىٰ يَوْمِ الْقِيَامَةِ﴾ (٥)

(١) الآيات ( ٤١ - ٤٤ ) .

(٢) الآية (٧) .

(٣) سورة مريم الآية (١٠) .

(٤) الآية (١١٠) .

(٥) الآية (٥٥) .

ومن ذلك نداؤه لمحمد ﷺ ، وخطأه إياه ، وإرساله ، وأمره ،  
 ونهيه ، وإرشاده له ، وتعليمه في مواضع كثيرة من القرآن الكريم ،  
 كدنه لذي ثبره عليه ، وحمل هداية أمته فيه ، كقوله تعالى من سورة  
 المائدة :

﴿ يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا نَزَّلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ وَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ فَمَا بَعَثَ  
 فِيهِ رَسُولٌ مِثْلَهُ ۖ ﴾<sup>(١)</sup>

وقوله تعالى من سورة الأحزاب :

﴿ يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِنَّ أَرْسَلْنَاكَ شَهِيدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا ۖ وَدَعَا إِلَى اللَّهِ  
 بِذِيهِ ۖ وَسِرَاجًا مُنِيرًا ۖ ﴾<sup>(٢)</sup>

وقوله غير من قال :

﴿ يَا أَيُّهَا نَبِيُّ تَقِ اللَّهَ وَلَا تَطْغَ كُفْرِينَ ۚ مُصَفِّينَ إِيَّاهُ كَمَا  
 تَصِفُ حِكْمًا ۖ وَاتَّبِعْ مَا يُوحَىٰ إِيَّاكَ مِنْ رَبِّكَ ۚ إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ  
 خَبِيرًا ۖ وَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ وَكَفَىٰ بِهٖ وَكِيلًا ۖ ﴾<sup>(٣)</sup>

وقوله من سورة الحديد :

﴿ ثُمَّ جَعَلْنَاكَ عَلَىٰ شَرِيعَةٍ مِّنَ الْأَمْرِ فَاتَّبِعْهَا وَلَا تَتَّبِعْ هَوَا بَنِينَ  
 لَا يَعْلَمُونَ ۖ إِنَّهُمْ يَنُغْنُوكَ عَنِ اللَّهِ شَيْئًا ۖ ﴾<sup>(٤)</sup>

(١) - ١٠١ ، ١٠٢

(٢) - ١٠١ ، ١٠٢ ، ١٠٣

(٣) - ١٠١ ، ١٠٢ ، ١٠٣

(٤) - ١٠١ ، ١٠٢ ، ١٠٣

ثالثاً : نداؤه تعالى لعباده المؤمنين ، وأمره إياهم ، ونهيهم لهم ، وإخبارهم .

وذلك في قوله من سورة آل عمران :

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تَقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُمْ مُسْلِمُونَ ﴿١٥٦﴾  
وَأَعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا ﴿١٥٧﴾﴾

وفي قوله من سورة الحج :

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا ارْكَعُوا وَاسْجُدُوا وَاعْبُدُوا رَبَّكُمْ وَافْعَلُوا الْخَيْرَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿٧٧﴾ وَجَاهِدُوا فِي اللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِ ﴿٧٨﴾﴾

وفي قوله من سورة الزخرف :

﴿يَعْبَادِ لَا خَوْفَ عَلَيْكُمُ الْيَوْمَ وَلَا أَنتُمْ تَحْزَنُونَ ﴿١٠١﴾ الَّذِينَ ءَامَنُوا بِآيَاتِنَا  
وَكَانُوا مُسْلِمِينَ ﴿١٠٢﴾ ادْخُلُوا الْجَنَّةَ أَنتُمْ وَأَزْوَاجُكُمْ تُحْبَرُونَ ﴿١٠٣﴾﴾

رابعاً : اصطفاؤه للرسل وإرسالهم إلى الناس يبلغون عنه شرائعه وأحكامه ، ويبشرون أوليائه برحمته ، وينذرون أعداءه من بقمته .

ومن ذلك إرساله نوحاً عليه السلام في قوله تعالى من سورة

نوح :

﴿إِنَّا أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَى قَوْمِهِ أَنْ أَنْذِرْ قَوْمَكَ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَهُمْ عَذَابٌ  
أَلِيمٌ ﴿١﴾ قَالَ يَنْفَرُومَ إِنِّي لَكُمْ نَذِيرٌ مُبِينٌ ﴿٢﴾ أَنْ أَعْبُدُوا اللَّهَ وَأَتَّقُوهُ

(١) الأيات ( ١٠٢ ، ١٠٣ ) .

(٣) الأيات ( ٦٨ - ٧٠ ) .

(٢) الأيات ( ٧٧ ، ٧٨ ) .

وَأَطِيعُوا ۖ يَغْفِرَ لَكُمْ مِّنْ ذُنُوبِكُمْ وَيُخْرِجَكُمْ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى ۚ إِنَّ أَجَلَ اللَّهِ إِذَا جَاءَ لَا يُؤَخَّرُ لَوْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿١١﴾

ومن ذلك إرساله هوداً ، وصالحاً عليهما السلام ، إلى كل من عاد ، وثمود ، كما في قوله تعالى من سورة هود :

﴿وَأَنذَرْنَاهُمْ هُودًا قَالِ يٰقَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُ ۚ إِنَّمَا كُنْتُمْ بِلَٰهِكُم مَّنشُورَ ۚ يٰقَوْمِ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا ۖ إِنِّي أَخَافُ ۚ إِنِّي عَلَىٰ بَٰرِعِي فِطْرَتِي ۖ فَلَا تَعْقِلُونَ ۚ﴾<sup>(١١)</sup>

وقوله

﴿وَأَنذَرْنَاهُمْ هُودًا قَالِ يٰقَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُ ۚ هُوَ إِلَٰهُكُمْ مِّنَ الْأَرْضِ وَاسْتَغْفِرُكُمْ فِيهَا فَاسْتَغْفِرُوهُ ثُمَّ تَوْبُوا إِلَيْهِ ۚ إِنَّ رَبِّي قَرِيبٌ مُّحِيبٌ ۚ﴾<sup>(١٢)</sup>

ومن ذلك إرساله إبراهيم ، ولوط ، وإسحاق ، وموسى ، وعيسى عليهما السلام ، كما جاء ذلك في قوله تعالى من سورة الحديد :

﴿وَقَدْ رَاسَلْنَا نُوحًا وَإِبْرَاهِيمَ وَجَعَلْنَا فِي ذُرِّيَّتِهِمَا النَّبُوَّةَ وَالكِتَابَ ۚ فَمِنْهُمْ مُّهْتَدٍ وَكَثِيرٌ مِّنْهُمْ فَاسِقُونَ ۚ﴾<sup>(١٣)</sup>

(١١) سورة هود ، الآية ١١

(١٢) سورة هود ، الآية ١٢ ، وعليهما السلام ، كما جاء ذلك في قوله تعالى من سورة الحديد :

(١٣) سورة الحديد ، الآية ١٣

(١٤) سورة الحديد ، الآية ١٤

(١٥) سورة الحديد ، الآية ١٥

وفي قوله من سورة الصافات :

﴿وَأَن لُّوطًا لِّمَنَ الْمُرْسَلِينَ ﴿١٢٣﴾ إِذْ نَجَّيْنَاهُ وَأَهْلَهُ أَجْمَعِينَ ﴿١٢٤﴾ إِلَّا عَجُوزًا فِي الْغَابِرِينَ ﴿١٢٥﴾ ثُمَّ دَمَرْنَا الْآخَرِينَ ﴿١٢٦﴾ وَإِنَّا لَنُكْرَهُ لَتَمُوتُنَّ عَلَيْهِمْ مُّصْبِحِينَ ﴿١٢٧﴾﴾ <sup>(١)</sup> وَيَالَيْلٍ أَفَلَا تَعْقِلُونَ <sup>(٢)</sup> <sup>(٣)</sup>

وفي قوله من سورة الأعراف :

﴿وَأِلَىٰ مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا قَالَ يَنْقُومَ اللَّهُ مَا لَكُم مِّنْ إِلَهِ غَيْرِهِ قَدْ جَاءَ تَكْمٌ بَيِّنَةٌ مِّن رَّبِّكَ فَأَوْفُوا الْكَيْلَ وَالْمِيزَانَ وَلَا تَبْخُسُوا النَّاسَ أَمْشِيَاءَ هُمْ وَلَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَاحِهَا ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ مُّؤْمِنِينَ ﴿٤١﴾﴾

وفي قوله :

﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَىٰ بِآيَاتِنَا وَسُلْطَانٍ مُّبِينٍ <sup>١</sup> إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَمَلَئِهِ فَاتَّبَعُوا أَمْرَ فِرْعَوْنَ وَمَا أَمْرُ فِرْعَوْنَ بِرَشِيدٍ يَقْدُمُ قَوْمَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَأَوْرَدَهُمُ النَّارَ وَبِئْسَ الْوَرْدُ الْمَوْرُودُ ﴿٥٠﴾﴾

كما أرسله الى بني إسرائيل قومه إذ جاء ذلك في قوله تعالى من سورة الصف :

﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِ يَنْقُومَ لِرَبِّكُمْ تَوَدُّونَنِي وَقَدْ تَعْلَمُونَ أَنِّي رَسُولُ اللَّهِ

(١) أي وقت الصباح وهو النهار .

(٢) أي ما حل بهم من الهلاك فتعجبوا به .

(٣) الآيات (١٣٣ - ١٣٨) .

(٤) الآية (٨٥) .

(٥) الآيات (٩٦ - ٩٨) من سورة هود .

إِلَيْكُمْ فَلَبَّ زَاغُوا أَزَاغَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ  
وَإِذْ قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ يَنْبِيَّ إِسْرَءِيلَ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ مُصَدِّقٌ  
لِمَا بَيْنَ يَدَيَّ مِنَ التَّوْرَةِ وَمُبَشِّرًا بِرَسُولٍ يَأْتِي مِنْ بَعْدِي اسْمُهُ أَحْمَدُ  
فَلَبَّ جَاءَهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ قَالُوا هَذَا سِحْرٌ مُبِينٌ ﴿١٦﴾

ومن ذلك إرساله محمداً ﷺ وهو حاتم السبيل صوت لله وسلامه  
عليهم أجمعين ، في قوله تعالى من سورة الأعراف :  
﴿قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا﴾ ﴿١٧﴾  
وفيه من سورة الأحزاب :

﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَهِيدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا ﴿١﴾ وَدَاعِيًا إِلَى اللَّهِ  
بِإِذْنِهِ وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ ﴿٢﴾ إِنَّهُمْ مِنْ اللَّهِ فَضْلًا كَبِيرًا  
وَلَا تُطِيعِ الْكَافِرِينَ وَالْمُنَافِقِينَ وَدَعْ أَذُنَهُمْ وَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ وَكَفَى  
بِاللَّهِ وَكِيلًا﴾ ﴿٣﴾

إن هؤلاء المرسل جميعاً وغيرهم كثير ، قد أوحى الله تعالى إليهم  
وعرفهم بنفسه فعرفوه ، وأرسلهم إلى أممهم فبعوهم رسالته - اسمه ،  
ودعوه إليه بإذنه ، واستصروه ، فصره ، وسأله العظمة من المعجرات  
فأعطاهم ، فهل بعد هذا يطالب عاقل بالدليل على وجود الله تعالى ،  
ووجوب الإيمان به ، ومعرفته ، وعبادته ، والتقرب إليه ؟ ! اللهم لا  
الله لا

حامساً : ما أنزله تعالى من كتب بطريق الوحي المباشر حيث

(٣) ذات (٤٥ - ٤٨)

(٢) الآية (١٥٨)

(١) الآية (٥ - ٦)

أنزل صحف إبراهيم ، وتوراة موسى ، وزبور داود ، وإنجيل عيسى ، وفرقان محمد صلى الله عليهم وسلم أجمعين .

فهذه الكتب قد تلقاها المرسلون وحياً وأوحاها الله تعالى إليهم ، وتلقاها أتباع أولئك الرسل عن رسلهم ، ولم يشك أحد منهم في أنها وحى الله ، وكتبه أنزلها على رسله ، وفيها أمره ونهيه ، وإخباره ، ووعد ، ووعيده ، وشرائعه ، وأحكام دينه ، وإن كان قد طرأ على بعضها فساد بالتحريف ، والزيادة ، والنقص فإن القرآن الكريم كتاب محمد ﷺ<sup>(١)</sup> وهو أحدثها نزولاً ، لم يزل غصاً طرياً كما نزل ، لم ينقص منه حرف ، ولم يزد فيه آخر ، وهو آية صدق نبوة صاحبه الأُمِّي الذي لم يقرأ ، ولم يكتب ، ولم يجلس بين يدي أستاذ قط . وقد اشتمل كتابه - ﷺ - القرآن - على علوم ومعارف بهرت العقول ، وأخذت بالمشاعر والقلوب ، فما من علم من العلوم الإلهية ، والإنسانية إلا وذكر فيه طرف منه وأشير إلى دقيقة من دقائقه ، أو جليلة من جلالته . فسبق<sup>(٢)</sup> الزمان بإشاراته إلى شتى العلوم ، والمخترعات العصرية ، فذكر الذرة<sup>(٣)</sup> ، ونظام الزوجية<sup>(٤)</sup> في كل أجزاء الكون وذراته كما أشار إلى اتساع الكون<sup>(٥)</sup> وكروية الأرض<sup>(٦)</sup> ، وذكر مبادئ الصحة<sup>(٧)</sup> ، ووضع قواعد العدل في الحكم<sup>(٨)</sup> ، وأسس الآداب الرفيعة ، والأخلاق

(١) فإن قيل هل تصح إضافة الكتاب إلى محمد ﷺ ؟ قلنا : نعم ، لإضافة كتاب موسى إليه في قوله تعالى ( ومن قبله كتاب موسى إماماً ورحمة ) سورة الأحقاف الآية ١٢ .

(٢) الضمير المستتر يعود على القرآن .

(٣) في قوله تعالى « فمن يعمل مثقال ذرة خيراً يره » سورة الزلزلة الآية ٧

(٤) في قوله تعالى « ومن كل شيء خلقنا زوجين » سورة الداريات الآية ٤٩

(٥) في قوله تعالى « والسماء ببنيناها بأيدٍ ولنا لموسعون » الآية ٤٧

(٦) في قوله تعالى « يَكُونُ اللَّيْلُ عَلَى النَّهَارِ وَيَكُونُ النَّهَارُ عَلَى اللَّيْلِ » سورة الزمر الآية ٥ .

(٧) في قوله تعالى « وكلوا واشربوا ولا تسرفوا » سورة الأعراف الآية ٣١

(٨) في مثل قوله عز وجل « إن الله يأمركم أن تؤدوا الأمانات إلى أهلها ، وإذا حكمتم بين الناس أن تحكموا بالعدل . . . سورة النساء الآية ٥٨ .



نشرية الفاصلة ، الشيء الذي لم تعهده الشريعة في كتب غيره<sup>(١)</sup>

فهذا الكتاب العظيم حوى من الغنم الإلهية ، والكويبة ،  
والتدوينية التشريعية في كل مجالات الحياة ، ثم يدع أحد من الحق أنه  
قوله وكلامه ، أو تركيبه وتأليفه ، وكل ما في الأمر أنه برز على بشر هو  
'كامل النشر صهر' وصدء ، وصدق وأمانة ، وعدلاً ورحمة

فما مصدر هذا الكتاب ، ومن أنزه ؟ فهل يحسن تسكوت عن  
الجواب ؟ أو يحسن الكذب والمعلظة فقول : قص به وحدث محمد  
لأمر كما يقول المضللون ! ! أو مداد عسى للإنسان العقل أن يقول ؟  
به لا جواب صحيح غير الاعتراف بأنه تبريل الله ، وكتب لله ، ووحي  
الله ، ولأمر ذلك أن الله ميزه موحود ، وأنه عليم قدير ، وعزيز حكيم  
وأن من برز عليه هو نبي الله ورسوله وأن كل ما جاء في هذا الكتاب  
حق ، وصدق ، وعدل ، وأن نهدياً لشريعة متوقعة لا محالة عليه ،  
هنا تسعده الإنسانية موصلة للإيمان به ، والأخذ بما فيه .

سادساً : ما أتى الله عز وجل رسوله من معجزات خارقة ليس  
تكون ، وقوانين الحياة تدليلاً على صدق رسوله ، وثبوت رسالته ،  
ومن ذلك معجزة إبراهيم أبي الأنبياء ، وإمام الموحدين بلا مدزع حيث  
أنفى به حصوم الحق والتوحيد من المشركين والجاحدين ، أنقوه في  
أتون حامية تحلصاً منه ، وبضمة عليه ، فخرج منها بحمد الله تعالى ولم  
تحرق النار سوى كتافه الذي شُدت به بداه ، وقيدت به رحلاه ، فكانت  
معجزة خارقة لقانون الأجسام القابلة للاحتراق إذا أُلقيت في النار ، 'و  
شعنت فيها'<sup>(٢)</sup>

<sup>(١)</sup> ذلك مثلاً قوله عز وجل : إن الله يأمر بالعدل ، والإحسان ، ويهتدي القرى ،

ويهيئ عن عبثه والمكر ، والهي ، معظكم نعمكم تذكرون ، سورة النحل الآية ٩٠

<sup>(٢)</sup> ثبت هذا بأقوال كلام الله ، إذ يقول تعالى في حكاية دعوة إبراهيم عليه السلام قومه : قالوا =

ومن ذلك معجزات موسى عليه السلام التي لا ينكرها إلا مكابر «سوفسطائي»، لا قيمة له بين عقلاء البشر، فإن انفلاق البحر لمرور أمة بكاملها عليه، واجتيازه لم يكن إلا إحدى الخوارق التي يطأطئ لها الإنسان رأسه إعجاباً<sup>(١)</sup>، وإن تفجر اثنتي عشرة عيناً، تشرب من كل عين منها قبيلة بكامل أفرادها لخارقة لا يملك العقلاء عندها إلا التسليم بها<sup>(٢)</sup>.

ومثلهما العصا التي يلقيها موسى باسم الله فتقلب حية تسعى، وتهتز كأنها جان، وتلقف كل الباطل أمامها<sup>(٣)</sup>.

ومن ذلك معجزات عيسى عليه السلام، كإبرائه الأكمه، والأبرص، وإحياء الموتى بإذن الله تعالى، وكتكلمه في المهد في أيام ولادته الأولى<sup>(٤)</sup>.

ومن ذلك ما أوتي محمد رسول الله ﷺ من معجزات كالعروج به إلى الملكوت الأعلى<sup>(٥)</sup>، وردّ عين قتادة بعد أن سقطت متدلّية على

= حرقوه وانصروا آلهتكم إن كنتم فاعلين . قلنا يا نار كوني برداً وسلاماً على إبراهيم . . . سورة الأنبياء الأيتان ٦٨ ، ٦٩ .

(١) جاء هذا في قول رب العالمين «إذ أوحينا إلى موسى أن اضرب بعصاك الحجر فانفلق فكان كل فرق كالطود العظيم . وأزلفنا ثم الآخرين . وأنجينا موسى ومن معه أجمعين» سورة الشعراء الأيات ٦٣ - ٦٥ .

(٢) قال تعالى ( وإذ استسقى موسى لقومه فقلنا اضرب بعصاك الحجر فانفجرت منه اثنتا عشرة عيناً ) سورة البقرة الآية ٦٠ .

(٣) قال تعالى ( فالتقى عصاه فإذا هي ثعبان مبين ) سورة الأعراف ١٠٧ .

(٤) قال الله عز وجل « إذ قال الله يا عيسى بن مريم اذكر نعمتي عليك وعلى والدتك إذ أبدتك الروح القدس تكلم الناس في المهد وكهلاً ، وإذ علمتك الكتاب والحكمة والتوراة والإنجيل ، وإذ تخلق من الطين كهنية الطير بإذني فتنفخ فيها فتكون طيراً بإذني ونزىء الأكمه والأبرص بإذني ، وإذ تخرج الموتى بإذني . . . » سورة المائدة الآية ١١٠ .

(٥) ثبت الإسراء والمعراج في الصحيحين وغيرهما من كتب السنة بالتواتر مع ذكره في سورة الإسراء بالقرآن . راجع اللؤلؤ والمرجان (١/ ٣٥ - ٣٩) والبحاري (١/ ٩٢ - ٩٤) في مواضع أخرى =

وحته<sup>(١)</sup> ويطق جذع النخلة ، وحنينه إليه<sup>(٢)</sup> ، وسلام الحصى<sup>(٣)</sup> ،  
والسحر عليه<sup>(٤)</sup> ، ووفضان الماء من بين أصابعه في صحراء قاحلة لا  
ماء بها حيث سقى ، وشرب ، وتظهر جيش بأكمله عدد أفرادهِ ألف  
وأربعمائة فرد<sup>(٥)</sup> ، وكل هذه المعجزات له ، وغيرها قد شاهدها عشرات  
الأممات من الناس ، ممن هم أكمل الناس صدقاً ومعرفه ، وصلاحاً ،  
حيث تَوَاطَوْهُم على الكذب يعد مستحيلاً عقلاً

فهذه المعجزات وكل واحدة جارقة لنظام السنن الكونية . فهل  
تدل على غير وجود له رباً وإلهاً ذات صفات متناهية في الكمال؟؟؟ .

لهم إله لا تدل إلا عليك ، ولا تعرف إلا بك يا رب  
عالمين ، وإله الأولين والآخرين سبحانه أن تحفك السنة  
ساحدين

• لأن قبيل المصنوع من يحب أن يؤمن العقلاء ، بله  
حنن ، ويرق ، ويدبر ، يحيي ويميت ، ويصر ويضع ، يزل الكتب ،  
• يرسل الرسل ، ويضع الشرائع والقوانين ، ويهدي ويضل ، ويسعد  
• يشفي ، ويؤاني ويعددي ، ويحب ويغض ، ويعطي المعجزات ويهب  
• كرمات ، له تسعة وتسعون اسماً وصفة كلها أسماء حسنى وصفات  
• غيب ، يحكم ويعلم ، ويسمع ويحب ، يرفع ويضع ، يعز ويدن ، يأمر  
• ينهى والإحسان ، وينهى عن الظلم والعدوان؟؟؟

١ - تسعة ماضع ، عند مسلم في ( ١ - ٩٩ - ١٠٧ ) وفي موضع آخر

٢ - ١ - ١٠٧ ، في مسلم في حديث عن عروة أحد ٣٣

٣ - ١٠٧ ، في مسلم في كتاب الحجاب ١٠٧ ، في حديث رقم ٢٦٣٢

٤ - ١٠٧ ، في صحيح البخاري ١١ ٢

٥ - ١٠٧ ، في كتاب الحجاب ٨ ، في حديث ٣٦٣٠

٦ - ١٠٧ ، في ٥٩ ، ٥٩

٧ - ١٠٧ ، في ١٤٨ ٧

أم بطبيعة ميتة عمياء صماء بكماء لا إرادة لها ولا اختيار ، لا  
 نسمع دعاء ، ولا نجيب نداء ، لا تحب ولا تكره ، لا تضمر ولا تنفع ،  
 لا تعلم ولا تكلم ، لا تنزل كتباً ولا تبعث برسول ، ولا تشرع ولا تقنن ، لا تهدي  
 ولا تضل ، لا اسم لها ولا صفة سوى الحدوث والموت ، والصمم والبكم  
 والعمى !!! .

ألا فليقولوا لنا !! ، أما نحن فقد آمنا بالله الذي خلق السموات  
 والأرض في ستة أيام وكان عرشه على الماء . خلق آدم من تراب ونفخ  
 فيه من روحه ، وخلق ذريته من ماء مهين ، خلق كل شيء وملكه ،  
 خلق بقدرته ودبر بحكمته ، أنزل الكتب وأرسل الرسل ، يُدعى  
 فيجيب ، ويسأل فيعطي ويستنصر فينصر ، يهدي من يشاء برحمته ،  
 ويضل من يشاء بعدله . فبمعرفته ومحبه تتلج الصدور ، وتمتلىء  
 النفوس بالسعادة ، والجور . لا أنس بغير ذكره ، ولا سعادة بغير  
 طاعته ، الحياة بدون الإيمان به موت ، والوجود بغير عبادته عدم ،  
 رضاء أمل الأملين ، وغاية العاملين . لا نرضى بغيره بدلا ، ولا نبغي  
 عن طاعته جولا ، معرفته ومحبه جنة القلوب ، لانصب فيها ولا  
 لغوب .

اللهم كما وهبتنا الإيمان بك . وهديتنا إلى معرفتك ، فسخرنا  
 لطاعتك ، وامنن علينا بمحبتك ، وأكرمنا بولايتك ، والبسنا ثوب  
 عافيتك ، واخلع علينا حلل رضوانك . آمين . . .

## أسماء الله تعالى وصفاته

المؤمنون بالله تعالى ليسوا على درجة واحدة في معرفة أسماء الله تعالى وصفاته ، إذ منهم من لم يعرف الله تعالى إلا كونه حلقاً ، مدر ، حكيماً ، ذا إرادة واختيار ، إليه منتهى الكمال ، والحلال ، والحمام ، وذلك لأنهم آمنوا بالله تعالى ، وعرفوه بواسطة لطيف ولاستدلال ، والتفكير العقلي ، وهي الهدية العقلية محرومة عن هدية نبي شرعية

ومنها من عرف الله تعالى بصفات الحق ، والإرادة ، والتدبير ، والحكمة ، والثناء الكمال ، والحلال ، والحمام إليه تعالى ، وعرفوه بجميع أسمائه الحسنى ، وصفاته العليا ، وأهل هذه المعرفة هم أهل الهدى بين العقلي الطوري ، والدينية الشرعية ، لأن من أسمائه تعالى ما لا يعلم إلا عن طريق الوحي الإلهي فقط ، والله أعلم بأسمائه وصفاته من حلقه ، وأبيه الله ورسله أعلم بذلك من غيرهم من لم يهدوا به الهدى الوحي الإلهي من سائر الناس

وحتماً من كذب على الله تعالى ، وحوفاً من تكذيبه تعالى ، ولا سيما وقد بوعد الله تعالى مكذبيه والكاذبين عليه في قوله من سورة الزمر ﴿ قُلْ أَطِيعُوا اللَّهَ وَمَنِ كَذَبَ عَلَى اللَّهِ وَكَذَبَ بِالْصِّدْقِ إِذْ جَاءَهُ ۖ أَلَيْسَ فِي جَهَنَّمَ مَثْوًى لِّلْكَافِرِينَ ۖ ﴾ (١)

فإن المؤمنين بالوحي الإلهي ، العارفين بأسماء الله تعالى وصفاته يلتزمون حيال أسمائه عز وجل وصفاته بمبدأين لا يجيزون الخروج عنهما بحال من الأحوال ، لما يؤدي إليه الخروج عنهما من تكذيب الله تعالى أو الكذب عليه . والعياذ بالله تعالى من ذلك كله .

المبدأ الأول : أن لا يُسموا الله تعالى باسم لم يسم به تعالى نفسه في كتابه أو على لسان رسوله عليهم السلام ، فهم إذا دعوه باسمائه الحسنی حيث انتدبهم لذلك في كتابه بقوله من سورة الأعراف :

﴿وَلِلَّهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ فَادْعُوهُ بِهَا وَذَرُوا الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي أَسْمَائِهِ سَيُجْزَوْنَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾<sup>(١)</sup>

وإذا نعتوه وعرفوا به نعتوه بصفاته ، وعرفوه بأفعاله وآياته الدالة عليه جل جلاله ، وعظم سلطانه .

والثاني : أن لا يشبهوا الله تعالى في ذاته ، ولا صفاته ، ولا أفعاله بذوات المخلوقين ، ولا بصفات المحدثين ولا بأفعالهم ، لاستحالة وجود شبه الله تعالى عقلاً وشرعاً . أما الشرع فقد أخبر تعالى في غير موضع من كتابه بنفي الشبيه له والكفر فقال تعالى :

﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾<sup>(٢)</sup>

وقال عز وجل

قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ ﴿١﴾ اللَّهُ الصَّمَدُ ﴿٢﴾ لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ ﴿٣﴾ وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ ﴿٤﴾

(١) الآية ١٨٠ .

(٢) سورة الشورى الآية ١١ .

(٣) سورة الإخلاص بكاملها .

وأما العقل فإن خالق المادة لا يكون مادة ، ومالم يكن مادة فكيف تشبهه المادة ، وهل يشبه ما ليس بمادة بما هو مادة ؟ فإدعاء قصي لعقل باستحالة أن يشبه الخالق بمخلوقاته .

ومن هنا فالمؤمنون يصفون ربهم بكل ما وصف به نفسه في كتابه وعلى لسان رسوله ﷺ ولا يتحرجون من ذلك أبداً :

فَيَقُولُونَ : إِنْ اللَّهَ يَسْمَعُ وَيَبْصُرُ ، وَيَحِبُّ وَيُبْغِضُ ، وَحَقٌّ بِيَدِهِ ، وَسُتُوٌّ عَلَى عَرْشِهِ ، وَيُحْيِي ، لِفَصْلِ الْقَصَصِ ، وَيَسِرُّ كُلَّ لَيْلَةٍ إِلَى سَمَاءِ الْعَالَمِ ، وَكَلِمَةُ مُوسَى ، وَذَلِكَ لِأُمُورٍ أَحَدُهَا : أَنَّهُ مَدَدَهُ تَعَالَى قَدْ وَصَفَ نَفْسَهُ بِهَذِهِ النِّصْفَاتِ ، وَوَصَفَهُ بِهِ رَسُولُهُ ﷺ وَهُوَ أَعْلَمُ النَّاسِ بِهِ تَعَالَى لَمْ يَقُلْ إِذَا مِنْ مَعْنَى لِلتَّحَرُّجِ فِي وَصْفِهِ تَعَالَى بِذَلِكَ ، إِذْ لَوْ لَمْ يَكُنْ ذَلِكَ حَائِثًا وَمَشْرُوعًا لِنَهْيِهِ عَنْهُ تَعَالَى فِي كِتَابِهِ ، وَحَرَمَهُ عَلَى سَائِرِ رَسُولِهِ ﷺ ، كَمَا حَرَّمَ تَكْدِيْبَهُ وَالْكَذِبَ عَلَيْهِ ، وَوَصَفَهُ بِمَا هُوَ بِرَأْسِهِ مِنْ سَائِرِ الْأَوْصَافِ وَالنِّقَاطِ الْمَدْفُوعَةِ لِلْكَمَالَاتِ الْإِلَهِيَّةِ كُلِّهَا يَكُونُ لَهُ صَاحِبُهُ أَوْ وَلَدُهُ ، أَوْ شَرِيْكُهُ فِي لَمَدَتِهِ ، أَوْ وَثِيٌّ مِنْ أَلَدِهِ وَثَانِيَهُمَا :

لأنهم عندما يصفون ربهم بصفاته التي وصف بها نفسه أو وصفه به رسولهم ﷺ ، هم يعلمون بقبول هذه الصفات محال أن يكون شيء منها يشبه صفات المخلوقين لفرق الكبير ، والنون الموسع بين الخالق والمخلوق ، وقد وصف الله تعالى نفسه بأن له يداً ، ووصفه المؤمن به فليس معنى ذلك أن يد الله تشبه يد الإنسان ، وأن المؤمن يحضر على يد الله تشبه ما بين يد الخالق ويد المخلوق ، لا ، والله ، لأن لفرق بين يد الله تعالى الخالق ، ويد الإنسان المخلوق كما بين ذات الخالق ، وذات الإنسان المخلوق ، وإذا فلا مشابهة بين يد الخالق ويد المخلوق تشبه ، ولأن المؤمنين لا يؤمنون بصفات الله تعالى ، ولا بحروفها ، أو يعطلونها خوفاً من التشبيه ، لأنهم يعلمون أن التشبه بين

صفات الخالق وصفات المخلوق مُحال عقلاً وشرعاً ولا واقع له في الخارج أبداً ، ولذا هم يعدون من الكذب والباطل أن يشبه المرء الخالق عز وجل بالمخلوقين ، أو يشبه صفاته تعالى بصفاتهم ، وذلك كأن يقول : يد الله كيد الإنسان ، أو عين الله مثل عين الإنسان ، أو استواء الله على عرشه كاستواء الإنسان على عرشه مثلاً ! ، إذ هذا كله ومثله باطل لا واقع له في الخارج أبداً ، وهو كذب بحت ، وافتراء مَحض وذلك لقضاء العقول باستحالة وجود شبه ما بين الخالق والمخلوق في الذات ، والصفات والأفعال .

وثالثها :

أن العقول السليمة لا تحيل إطلاق لفظ صفة لذات من الذوات ، وبإطلاق ذلك اللفظ لتلك الصفة على ذات أخرى مع انعدام الشبه تماماً بين الصفتين ، وبين الذاتين الموصوفتين بهما ، وذلك كلفظ الرأس فإنه يطلق على المال والإنسان فيقال رأس المال ، ويقال رأس الإنسان ، ولا شبه بينهما البتة ، وذلك لانعدام الشبه بين الذاتين الموصوفتين بهما ، وهذا لفظ العين يطلق إطلاقاً فيقال عين الشمس ، وعين الماء ، وعين الحيوان ولا شبه بين تلك الذوات التي أطلق عليها لفظ العين المشترك بينها إلا في مجرد الاسم فقط .

وأخيراً فهداية المؤمنين في هذه العقيدة عقلية ودينية ، فالعقلية هي استحالة إدراك كنه ذات الله تعالى ، وكنه صفاته ، لأن ذات الرب تعالى ليست مادة فتدرك ، وصفاته من ذاته ، ومتى استحال إدراك كنه الذات استحال كذلك إدراك كنه الصفات . والدينية الشرعية هي إخباره تعالى بأنه ليس كمثله شيء ، وأنه لم يكن له كفواً أحد ، وأن الخلق لا يحيطون به علماً ، مع وصفه تعالى لنفسه بصفات شتى ذاتية : كالسمع والبصر ، واليد ، والعين ، والرضا ، والغضب ، والحب ، والسخط ، وفعلية : كالمجيء ، والنزول ، والخلق باليد ، والاستواء على



العرش ، وما إلى ذلك مما ورد من الصفات في الكتاب الكريم والسنة الشريفة معاً .

خلاصة :

وبخلاصة هذا البحث في باب الأسماء والصفات الإلهية هي أن المؤمنين المهتدين يؤمنون بأسماء الله تعالى وصفاته ، إذ بهم تمت معرفتهم له تبارك وتعالى ، ويدعون الله تعالى بأسمائه ، ويصومونه بصفاته غير مشبهين صفاته بصفات المخلوقين ، ولا مؤولين لها ولا معطلين ، مع اعتقادهم الراسخ بأن الله ليس كمثله شيء ، وبالعجز التام في إدراك كنه ذاته تعالى أو كنه صفاته الذاتية والفعلية عنى حد سواء .

وبذلك سلموا من تكذيب ربه ، ومن الكذب عليه ، وبحوا نعت ذلك من العذاب المتوعد به من كذب الله تعالى أو كذب عنه في قوله تعالى

﴿مَنْ ضَلَّ مِنْكُمْ لَكُذَّبَ عَلَى اللَّهِ وَكَذَّبَ بِالصِّدْقِ إِذْ جَاءَهُ ۗ أُولَٰئِكَ يَلِيسَ فِي جَهَنَّمَ مَثْوًى لِّلْكَافِرِينَ﴾<sup>(١)</sup>

براءة واعتذار !!

سبح إني أبرأ إليك من كفر كل من كفر بك ، ومن لحاد كل من لحاد في أسمائك أو صفاتك ، ومن شرك كل من أشرك بك في ربوبيك أو ألوهيتك .

وأعذر إليك من كل استدلال استدلت به عليك ، ومن كل قياس عقلي وضعته تدليلاً على وجودك ، وأنت موجد كل موجود ، ومن كل زعم أنيت به على إثباتك ، وإثبات حلالك وكمالك . ومن كل دليل

(١) سورة الزمر الآية ٣٢

مادي سفته لأثبت به وجودك ، لأنك يا ربي أنت الدليل على وجودك ،  
والبرهان على جلالك وكمالك ، فكيف يصح طلب الدليل للدليل ،  
والإتيان بالبرهان على البرهان ؟؟ .

قالوا اثنتا ببران فقلت لهم أنى يقوم على البرهان برهان  
اللهم إنا كل عبادك المؤمنين بك قد عرفناك بك ، ولم نعرفك  
بغيرك إنك أنت الذي تعرفت إلينا بنعمك وآلائك علينا ، ونور الإيمان  
الذي جعلت في قلوبنا فعرفناك ربنا ، ورب كل العالمين ، وإلهنا ،  
وإله الأولين والآخرين .

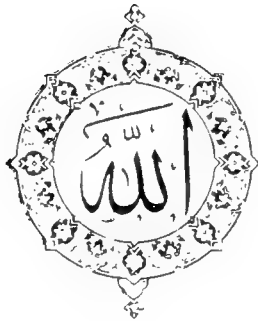
اللهم إنا لم نعرفك وأنت تعلم - بقياس ، ولا تطلب منا لك  
والتماس ، وإنما عرفناك بما فطرت نفوسنا عليه من الإيمان بك ،  
والافتقار إليك ، والتوكل والاعتماد عليك . فطرنا بوجودك ناطقة ،  
وأحوالنا المتبدلة المتغيرة بكمالك شاهدة ! هيهات هيهات يا ربنا أن  
تعرف بالقياس<sup>(١)</sup> ، وأنت رب الناس ، وملك الناس ، وإله الناس ، أو  
أن تثبت بالدليل وأنت خالق المستدل والدليل .

اللهم إن شفعني عندك ووسيلتي إليك في العفو عني ما قد علمته  
مني من شعور<sup>(٢)</sup> بالحياء والخجل وأنا أدلل عليك وأبرهن على  
وجودك ، وأنت الظاهر الذي لا تخفى ، والموجود الذي به قام كل الوجود !

(١) ذكر شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه تعالى في كتاب توحيد الربوبية من فتاواه : أن عبد الله س  
عباس رضي الله عنهما قبل له بماذا عرفت ربك ؟ فقال : من طلب دينه بالقياس لم يزل دهره  
في التباس ، خارجاً عن المنهاج . طاعناً في الاعوجاج ، عرفته بما عرف به نفسه ، ووصفته  
بما وصف به نفسه .

وذكر أيضاً أن شيخاً عارفاً قيل له في ذلك فقال : عرفت الأشياء برى . ولم أعرف ربي  
بالأشياء - مجموع فتاوى ابن تيمية ( ١٨ / ٢ ) .

(٢) حقاً لقد كنت أشعر بشعور غريب لم أستطع أن أعبر عنه إلا بأنه ضرب من الحياء والحجل ،  
وما في معانها ، وذلك أثناء كتابتي للبحوث المتعلقة بوجود الله تعالى والإيمان به في هذه  
الرسالة ، لا سيما عند الاستدلال والنظر ، والقياسات العقلية ، إذ كان بها حمي شعور باطني  
فطري بأن الله تعالى لا ينكر وجوده ، ولا يقوى على إنكار وجوده أحد ، وكيف برصى  
بالحياء ، أن نقبلها خالية من الله والإيمان به ؟ وكيف ؟؟ !!



التَّوْحِيدُ



## التَّوْحِيدُ

ما هو التوحيد ؟

التوحيد : مصدر وحد الشيء ، يوحدّه توحيداً إذا أفردّه ، ونفى عنه التعدد . والتوحيد في عرف الشرع نفي الكُفء والمثل عن ذات الله تعالى وصفاته ، وأفعاله ، ونفي الشريك في ربوبيته ، وعبادته عز وجل . قال تعالى في نفي الكُفء :

﴿ قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ ۝ اللَّهُ الصَّمَدُ ۝ لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ ۝ وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ ۝ ﴾<sup>(١)</sup>

وقال في نفي الشريك في الربوبية :

﴿ قُلْ مَنْ رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ قُلِ اللَّهُ ۝ ﴾<sup>(٢)</sup>

وقال :

﴿ قُلْ مَنْ يَرْزُقُكُمْ مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ أَمَّنْ يَمْلِكُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ وَمَنْ يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ وَمَنْ يُدِيرُ الْأَمْرَ فَسَيَقُولُونَ اللَّهُ ۝ ﴾<sup>(٣)</sup>

(١) سورة الإخلاص بكاملها .

(٢) سورة الرعد الآية ١٦ .

(٣) سورة يونس الآية ٣١ .

وقال في نفي الشريك في العبادة :

﴿فَاعْلَمْ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ﴾<sup>(١)</sup>

وَقَدْ

قُلْ إِنْ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ لَا شَرِيكَ لَهُ. وَبِذَلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ ﴿٢٠﴾

ومن هذا كان التوحيد ثلاثة أقسام : توحيد في الذات ،  
والأسماء ، والصفات ، وتوحيد في الربوبية ، وهي اختصاصه تعالى ،  
وتفرده بالخلق ، والبرق ، والتدبير لسائر الخلق والممكنات ، وتوحيد في  
الآلهية ، أي في العزدة وهو اختصاصه تعالى بسائر العبادات ، وتفرده  
بها دون سائر مخلوقه ، معاً من كمال مفهوم وشرف كماله .  
والثاني ، والخصائص أو كان دور ذلك من سائر أسس  
المحفوظات

وقد شهد قريب سحت توحيد أدت ، رؤساء ، ونصحت ،  
 وسفرد كل من توحيد ربوبية ، وتوحيد ألوهية سحت حرص ، تبين  
 فيه حقيقته ، وهـ سعي نسو من أن عممه فيه ، ويعتقد فيه

19 . . . . .

$$1 - \gamma = \frac{1}{2} \quad \text{and} \quad \gamma = \frac{1}{2}$$

## توحيد الربوبية

ما هو توحيد الربوبية ؟

لا بد للإجابة عن هذا السؤال إجابة كافية تحدد المعنى المسئول عنه ، وتظهره بوضوح ، لا بد من معرفة مدلول كلمة ( الرب ) التي منها اشتق لفظ الربوبية ، إن لفظ الرب يطلق على عدة معان ، منها السيد ، والمالك ، والمربي ، والمصلح ، والمعبود بحق سبحانه وتعالى ، إذ لفظ الرب يطلق عليه إطلاقاً حقيقياً. ويطلق على غيره إطلاقاً مجازياً ، إضافياً لا غير .

ومن هذه المعاني الكثيرة للفظ الرب اشتق اسم الربوبية التي تعني الخلق ، والرزق ، والملك ، والسيادة ، والتربية ، والإصلاح ، والتدبير . ولكون الله تعالى هو الرب الحق للعالمين ، اختص بالربوبية دون سواه ، ووجب توحيده فيها ، وامتنع عنه الشريك فيها ، بحيث لا تصلح الربوبية لغيره من سائر خلقه ولا تصح .

ومن هنا أصبح توحيد الربوبية معناه نفي الشريك عنه تعالى في صفات الربوبية الحقة ، والتي هي الخلق ، والرزق ، والملك ، والتدبير الذي من لوازمه الإمامة والإحياء ، والعطاء والمنع ، والضر والنفع ، والإعزاز والإذلال . ولا يخل بتوحيد الربوبية ، أو يضره أن يقال : فلان رب الدابة ، أو فلان سيد قومه ، أو فلان يملك كذا ، أو فلان يربي ، أو يصلح ، أو يحكم ، إذ هذا الإطلاق لا يعني أكثر من



أن الله تعالى رب كل شيء ، ومليكه ، وهبهم من فضله ما أصبحوا منه  
يتمنعون بهذا القدر من الملك أو السيادة ، أو التربية والإصلاح ، وهي  
سبب إصافه لا غير ، إذ الواقع المشاهد لا يشت للإنسان ملكاً حقيقياً ،  
ولا سيادة من كل وجه ، ولا تربية زائفة عن الإرشاد والتوجيه ، ولا  
إصلاح ولا حكم يعبر بإفاد شرائع الله تعالى في عبادته ، وإصلاحهم  
بها

### فطرية الاقرار بالربوبية

وعقلاء الناس في كل زمان ومكان يتحاشون دائماً أن ينسوا شيئاً  
من صفات الربوبية لعبر الله تعالى ، الرب الحق الذي لا رب غيره ،  
ولا أنه سواه ، وذلك لما يعلمه الإنسان العاقل ذو الفطرة السليمة من  
عدم صلاحية المخوقين للاتصاف بصفات الربوبية ، وعجزهم عنها ،  
لأن المخوق لا يحق ، والمملوك لا يملك .

وبكمي شهداء على هذه الحقيقة اعتراف مشركي العرب حين  
ربوب القرآن بهم يدعون إلى عبادة الله تعالى وحده ، اعترافهم بعدم  
صلاحية انهم شيء من صفات الربوبية وحقائقها ، مع شدة تعصبهم  
لنبت لالهة ، وتقديسهم لها ، وتعظيمهم ، فإنهم كانوا لا يترددون في  
لأعتراف بعدم صلاحية الإنسان فضلاً عن غيره من التماثيل والأصنام ،  
للاتصاف بصفات الربوبية ، فلم يكونوا ينتحلونها لأفرادهم ، ولا  
لأنهم ، ولا يدعونها لهم بحال ، وذلك لما وفر في نفوسهم بحكم  
الفطرة البشرية من عجز المخوقين عن الخلق ، والرزق ، والتدبير ،  
ولنمك

وقد سجل القرآن الكريم عجزهم واعترافهم في غير آية منه ،

«... ذَلِكَ قَوْلُهُ تَعَالَى فِي سُورَةِ يُوسُفَ

﴿قُلْ مَنْ يَرْزُقُكُمْ مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ أَمَّنْ يَمْلِكُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَرَ

وَمَنْ يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ وَمَنْ يُدِيرِ الْأُمْرَ  
فَسَيَقُولُونَ اللَّهُ ﴿١﴾

وقوله سبحانه من سورة الزخرف :

﴿وَلَيْنَ سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ خَلَقَهُنَّ الْعَزِيزُ  
الْعَلِيمُ﴾ (٢)

وقوله من سورة المؤمنون :

﴿قُلْ مَنْ رَبُّ السَّمَوَاتِ السَّعْيِ وَرَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ﴾ (٣) سَيَقُولُونَ لِلَّهِ ﴿٣﴾

وقوله :

﴿وَلَيْنَ سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَهُمْ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ فَأَنَّى يُؤْفَكُونَ﴾ (٤)

### الالحاد الشيوعي :

ويضاف إلى تلك الحقيقة حقيقة أخرى وهي أنه لم يعرف الإلحاد  
بإنكار الخالق عز وجل بين أجناس البشر قاطبة إلا في القرنين الثامن  
عشر ، والتاسع عشر الميلاديين ، وبخاصة عندما ظهر المذهب الشيوعي  
الماركسي اللينيني المدمر والذي نكبت به أوروبا وأنحاء كثيرة من  
العالم ، فإنه وإن كان هناك كفر بالله تعالى ، وشرك به بين الأمم  
والشعوب البشرية ، غير أن الشعور الفطري قائم في كل نفس  
بالاعتراف بوجود سلطان غيبي هو سلطان الله تعالى ، والناس يتوسلون

(١) الآية ٣١ .

(٢) الآية ٩ .

(٣) الأيتان ٨٧ ، ٨٧ .

(٤) سورة الزخرف الآية ٨٧ .



التحليلية من كل القيود الأخلاقية ، والالتزامات الدينية الشرعية .

٥ - غيبة الحكم الإسلامي ، وخفوت نور الإسلام ، وتقلص ظل سلطانه الروحي ، وانحسار مدّة الخير الذي كان يعطي البشرية في شتى أنحاء العالم طاقات كبيرة من القيم الروحية ، والأخلاق البشرية الفاضلة الكريمة ، إذ الفترة التي ظهر فيها المذهب المادي الشيوعي كان الإسلام قد ران على عقائده رين الخرافات والضلالات ، وحل بدياره الدمار ، وبأسواق علومه ومعارفه الكساد والبوار ، نتيجة لكيد أعدائه له ، وغفلة بنيه عنه ، فوجد لذلك المذهب الإلحادي الجو خالياً للتضليل ، والمغالطة ، والفساد ، فحكم على الأديان كلها بالبطلان ، ونسب كل ضعف في الناس إليها ، وكفر بها وحاربها ، ووجه نقده إليها بلا هوادة .

أما والله لو وجد الإسلام حاضراً ما غاب ، فوجد اختراعاته ، وتفوقه في كل مجالات الحياة العلمية من كونية ، وتقنية ، وتشريعية ، وروحية ، ووجد عدله في شعوبه ، ورحمتهم في الناس أجمعين ، ووجد سعادته تغمر أهله ، وتتعداهم إلى خصومهم وأعدائهم ، لما أمكن المذهب الإلحادي أن يقول ، فضلاً عن أن يجول أو يصول ، ولكن الأمر كما قال القائل :

بذا قضت الأيام ما بين أهلها مصائب قوم عند قوم فوائد  
هذه خمسة عوامل ، كل واحد منها ساعد على نشر المذهب الإلحادي المدمر الذي يجتاح العالم اليوم ، وقد يحول البشرية إلى حيوانية من أخط ما تكون الحيوانية إن لم يعارض بسرعة ، ويوقف عند حده .

وإنني لا أرى أن مذهباً في العالم ، أو قوة ستعارضه ، وتوقفه عند حده فضلاً عن أن تبدده ، وتقضي عليه . اللهم إلا أن يكون الإسلام ،

والإسلام وحده ، إذا ما رزق دولة عظيمة ، تؤمن به في صدق ، وتطبقه بحزم وعزم وتعطيه الحكم والقيادة ، فإن هذه الدولة سوف تحل عقدة الإلحاد المستعصية وترى الناس زيف النظريات الإلحادية ، وادعاءاتها لناطلة ضد دين الله الحق .

### أوروبا هي الضحية الأولى :

وبما أن أوروبا هي التي جرّت هذه المحنة على العالم الإنساني فإنها ستكون قطعاً هي الضحية الأولى للإلحاد الشيوعي ، وقد كانت فعلاً - وحتى لا نكون قد تجيب عليها في هذا فإننا نقول : إنه بعد أن صهر لإسلام . وعرفت أوروبا في الحمنة صلاحيته لهدية بشر . وعددهم لحنة الفاضل . وسعادة الذئب والأخرة . بل أن تعنفه دس . ونحتصه مدنى حير . وسعادة . ومعد . قومته ووقفت في حير . تقدمه واستره . ومن تعجب أنها حارته رسم لذين نمسحي . قصير به كنه لم تد أن لإسلام هو دين الله الحق لدي أرسل به . محمد صلى لله عليه وسلم إلى البشرية كافة . وأم المسيحية فيه كرسى دين اقليبي محي فقط . لأب عيسى عليه السلام لم يكن سوا . إلى عيسى إسرائيل تد فقد قل هو نفسه . ثم أرسل إلى . حاف في إسرائيل نصنة . وقال عنه انقرن الكريم .

﴿ وَذَقَلْ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ بَيْنِي إِسْرَءِيلَ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ مُصَدِّقٌ لِمَا بَيْنَ يَدَيَّ مِنَ التَّوْرَةِ وَمُبَشِّرٌ بِرَسُولٍ يَأْتِي مِنْ بَعْدِي سَمُهُ - هَمْدُ ﴾

و محمد صلى لله عليه وسلم فهو رسول لله إلى سس كنه . جميع سس فانه هو صلى لله عليه وسلم . وكان النبي يُبعث إلى

قَوْمِهِ خَاصَّةً ، وَبُعِثْتُ إِلَى النَّاسِ كَافَّةً ﴿١﴾ . وَقَوْلُ الرَّبِّ تَعَالَى لَهُ :  
﴿قُلْ يَتَّيِبُهَا النَّاسُ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا﴾ ﴿٢﴾  
وقوله :

وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا كَافَّةً لِّلنَّاسِ ﴿٣﴾

وقوله :

﴿تَبَارَكَ الَّذِي نَزَّلَ الْفُرْقَانَ عَلَى عَبْدِهِ لِيَكُونَ لِلْعَالَمِينَ نَذِيرًا﴾ ﴿٤﴾

والأغرب من هذا أن اليهود الذين حاربوا السيد المسيح وألجأوا  
حواريه إلى رؤوس الجبال ، والذهاب في كل منأى بعيدٍ فراراً بدينهم ،  
هم الذين وضعوا الديانة النصرانية الباطلة ، التي حاربت أوروبا الإسلام  
من أجلها . إن اليهود يبدو أنهم لما رأوا مبادئ السيد المسيح تنتشر  
في شرق أوروبا طاردوها ، فتمسح من تمسح منهم خديعة وغشاً حتى  
تمكن من العبث بالدين المسيحي وتحويله إلى دين وثني يبرأ منه  
المسيح الذي قال في مهده .

﴿إِنِّي عَبْدُ اللَّهِ﴾ ﴿٥﴾ وقال وهو نبي ورسول :

﴿يَبْنِي إِسْرَءِيلَ أَعْبُدُوا اللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمْ إِنَّهُ مِنْ يُشْرِكِ بِاللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ اللَّهُ  
عَلَيْهِ الْخَنَازِيرَ وَمَاؤُهُ النَّارُ وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنْصَارٍ﴾ ﴿٦﴾

(١) رواه البخاري ومسلم مطولاً ، اللؤلؤ والمرجان (١٠٤/١) .

(٢) سورة الأعراف الآية (١٥٨) .

(٣) سورة سبأ الآية (٢٨) .

(٤) سورة الفرقان الآية (١) .

(٥) سورة مريم الآية (٣٠) .

(٦) سورة المائدة الآية (٧٢) .



كتابه إلا الرسم . وبناء على الحكمة القائلة :

﴿وَلَا يَحِيقُ الْمَكْرُ السَّيِّئُ إِلَّا بِأَهْلِهِ﴾<sup>(١)</sup>

فإن أوروبا ستذوق في يوم من الأيام أقسى محنة ، وستجرع أعظم غصة ، نتيجة جريمتها على الإسلام دين الله الذي هو دينها ، ولا دين لها على الحق سواء ، وما ظلمها الله فيما سيصيبها به ، ولكن كانت هي الظالمة .

---

(١) هذه آية من سورة فاطر ورقمها (٤٣) .



## شرك الربوبية ومظاهره في الأمة الإسلامية

قد يبدو غريباً جداً - بعد أن قدمت أن مشركي العرب أيام البعثة  
محمدية لم يكونوا يشركون في ربوبية الله تعالى أحداً من خلقه -  
عترف بوجود مظاهر لشرك الربوبية في الأمة الإسلامية اليوم ، غير أن  
هذا الاستعراب سيؤول بمحرد وقوف المرء على مظاهر لشرك واضحة  
حية في شتى مجالات حياة كثير من المسلمين

وهذا بيان مقتضب لتلك المظاهر الشركية في بعض أفراد الأمة  
الإسلامية يذكره تحذيراً منها ، وتعليماً بأن عقيدة المؤمنين لحقة حيو  
من كل مظاهر لشرك ، وتارة ، لانتهاها على هدى الكتب ونسمة ،  
كتاب لله ونسمة رسول الله صلى الله عليه وسلم

١ - اعتقاد كثير من عوام المسلمين وأشبههم أن هناك في الكون  
أفلاك ، تدور من لأوتياء والصالحين أنهم قادر من التصرف معين في  
حيه ناس ، فهم يولون ويعزلون ، ويعطون ويمنعون ، ويصرون  
يمنعون ، كما تدور بين عوام المسلمين أن هؤلاء الأقطاب والأندل  
دور قصص عليه ديوان الصالحين ، منه تصدر القرارات ونمرسيم تريح  
فلاں ومجرحه ، وحجة فلاں وحسراه

وهذه هي معتقدات فئوت كثير من الناس بالصالحين ، وهتفت بهم  
العلماء ، وسعت بهم ، ودعوا عند تشدد ، وودوا لتخلص من  
سجن ، وهو مظهر واضح لشرك في الربوبية ، لما فيه من اعتقاد

التصرف والتدبير في الكون لغير الله تعالى ، أو له ولغيره معه سبحانه وتعالى .

٢ - اعتقاد كثير من المتسبين إلى العلم أن لأرواح الأولياء والصالحين تصرفاً بعد موتهم ، وشاع هذا الاعتقاد الكاذب الباطل ، ورسخ في نفوس كثير من المسلمين حتى أصبحت الأضرحة والمشاهد والقبور ملاذاً لكل خائف ، ومستشفى لكل مريض . فمن أصابه كرب ، أو نزل به ضيم ، أو حلت به نكبة ، فزع إلى تلك الأضرحة ، والمشاهد ، والقبور ، وأناخ بساحتها ، وتعلق بأهداب أصحابها ، راجياً منها تفريج كرب ، وقضاء حاجته !

فكم من مريض نقل إلى تلك الأضرحة ، وذهب به إليها ، وكم من ذي عاهة ، أو صاحب حاجة قد أمها ، وقصدها ، ونزل بساحتها ، وكله رجاء وطمع في أصحابها ، حتى شاع بين العوام قول : « إذا تعسرت الأمور ، عليكم بأصحاب القبور » فيأتونهم للاستعانة بهم ، والدعاء عندهم . ومثل هذا لا يشك عاقل من المؤمنين في أنه شرك ظاهر ، لما فيه من اعتقاد أن لأرواح الأولياء والصالحين تصرفاً بالعطاء والمنع ، والضر والنفع .

وهذا من خصائص الربوبية ، إذ هو من التدبير للخلق الذي اختص به الرب تبارك وتعالى .

٣ - الرهبة من الجن والخوف منهم ، والاستغاثة بهم ، وتقديم القرابين لهم ، كالتي تذبح على حافات الآبار عند حفرها ، وعلى أعتاب المنازل عند إتمام بنائها ، وإرادة السكن بها ، والكي تذبح عند انتشار الأوبئة ، والأمراض المعدية . كل هذا موجود بين جهال المسلمين وهو شرك ظاهر في ربوبية الله تعالى ، إذ الحامل عليه اعتقاد أن الجن لهم تصرفات خارجة عن إرادة الله تعالى وتدبيره .

وهذا مما ألقاه الشيطان في قلوب أوليائه من الإنس فعملوا به ،  
 وأشاعوه ، ونشروه حتى أصبح عقيدة في نفوس الجاهل من المسلمين  
 وهو إشراك لشياطين الجن في ربوبية الله تعالى ، وإيمان بهم  
 والعباد بالله تعالى .

٤ - تقديس المشايخ من رجال التصوف ونصرفيين ،  
 والمشعوذين ، وطاعتهم في غير طاعة الله تعالى ، وضعة رسوله بل فيما  
 هو مكروه لله ورسوله صلى الله عليه وسلم ، وقول ما يشرعون بهم من  
 لدع ، وما يسبون لهم من سن الدغل ، واتباعهم في ترك سن  
 لهدى ، ومعاداتها ، ومعادة أهلها ، والدعس إليهم ، والاستحابة  
 لمضقة لهم بحيث يكموهم من نفوسهم فيتسلطو عبيد ، ومن  
 زوهم فيهموا عليها ، وعتقدوا فيهم أنهم يعملون سرهم وحورهم  
 وأنهم يكشموهم في كل أحوالهم ، ويظننهم منهم على كل محلات  
 نفوسهم ، فدلوا لهم ، وهنوا وصنعوا أمهم ، وستكرو لهم حتى  
 مكوهم من أنفسهم ، وأموالهم ، وأعراضهم

فهل هد الحصوص ، ونذل ، وانطاعة لمضقة ، وتسبب لثم  
 لهم ، لا يعد شركا في ربوبية الله تعالى ، وهل أولئك رجال دين  
 ستعبدوهم لا يعبدون ربنا وآلهة لهم ؟“

٥ - الحصوص لحكم غير مسلمين ، والحصوص لثم لهم ،  
 وضعنهم بدون إكراه منهم لهم ، حيث حكموهم بالظن ، وسسوهم  
 قوبل ككفر والكافرين ، فأحبوا لهم لحرام ، وحرمو عبيهم لحلال  
 فأصعدهم في كل ذلك ، ولم يكروا عبيهم ، ولم يرفضو لهم

٦ - الانصاف بعد الذي ذكر ، والقيام عنه ، والرصد به ،  
 ولافتاح بصحته شرك ضاهر في ربوبية الله تعالى ، لأن نطاعة في

معصية الله تعالى بدون إكراه عليها كفر بصاحبها ، ويشهد لهذا ويصححه حديث عدي بن حاتم الطائي الذي كان قد تنصر في الجاهلية ، ثم أسلم ، وسمع الرسول صلى الله عليه وسلم يقرأ قول الله تعالى في شأن أهل الكتاب :

﴿ اتَّخَذُوا أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَانَهُمْ أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللَّهِ وَالْمَسِيحَ ابْنَ مَرْيَمَ وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا إِلَهًا وَاحِدًا لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ سُبْحَانَهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴾

فَانْكَرَ عَدِيُّ أَنْ يَكُونُوا عَبْدُوهُمْ ، فَقَالَ لَهُ الرَّسُولُ ﷺ : -  
« أَلَيْسُوا يُحْلُونَ لَكُمْ الْحَرَامَ فَتُحْلُونَهُ ؟ وَيَحْرِمُونَ عَلَيْكُمْ الْحَلَالَ فَتُحْرِمُونَهُ ؟ فَقَالَ : بَلَى . قَالَ النَّبِيُّ ﷺ : « فَتِلْكَ عِبَادَتُهُمْ » (١)

وأخيراً فتلك بعض مظاهر شرك الربوبية في الأمة الإسلامية اليوم وإن تساءلنا عن أسبابها فإننا لا نجدُ بُدّاً من القول بأنها كانت نتيجة جهل الأمة بكتاب ربها وسنة نبيها ، وذلك لبعدها عن دراستهما ، والعمل بهما زمناً غير قصير ، مع ما دسه عليها خصومُ إسلامها الحانقين عليها والنّاقمين منها ، مما أفسد عقيدتها ، وبُعَدَ بها كل البعد عن مركز القوة وهو العلم والإيمان .

(١) رواه أحمد والترمذي وحسنه - والآية المذكورة في الحديث من سورة التوبة برقم (٣١) .

## توحيد الألوهية

إن توحيد الألوهية - العبادة - جزء هام من عقيدة المؤمن ، إذ هو ثمرة توحيد الربوبية ، والأسماء ، والصفات ، وجنأه الطُّبُ ، وبدونه يفقد توحيد الربوبية ، والأسماء ، والصفات معاً ، وتنعقد فائدته .

إن توحيد الربوبية يدور على المعرفة بالله وربوبيته ، ونفي شريك له في ذلك ، كما أن توحيد الأسماء والصفات يدور على إثبات أسماء لله تعالى وصفاته ، ونفي الشريك في الأسماء ، وعدم التمثيل ، والتأويل ، وانتعاض في الصفات

وأم توحيد الألوهية فهو إفراد الله تعالى بالعبادة المستنزهة لعمادة كعبته تعالى بكل ما شرع أن يُعبد به من أعمال القلوب والحوارج ، وأن لا يشترك معه غيره في شيء منها ، مع عدم الاعتراف بعبادة غيره تعالى . وهو أيضاً - توحيد الألوهية - تعلق القلب بالرب تعالى خوفاً ورجاءاً ، ورحمة وضعف ، كما هو إسلام الوجه لله تعالى ، ووقف الحياة كنهه عبده ، فلا شيء يُعبد هو لغير الله تعالى ، بتذليل قول لله تعالى من سورة الأنعام

﴿ قُلْ إِن صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ لَا شَرِيكَ لَهُ ۚ وَبِذَلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ ﴾ (١)

(١) الأنعام (١٦٢ ، ١٦٣)

بهذا أمر رسول الله ﷺ أن يقول ويجاهر به ، وبمثله أمر إبراهيم عليه السلام ، إذ قال :

﴿يَقُولُ إِنِّي بَرِيءٌ مِّمَّا تُشْرِكُونَ﴾ (٧٨) إِنِّي وَجَّهْتُ وَجْهِيَ لِلَّذِي فَطَرَ  
الْأَسْمَوتِ وَالْأَرْضَ حَنِيفًا وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴿٧٩﴾

إن لهذا التوحيد ، توحيد الألوهية شأنًا وخطراً ، وينبىء عن ذلك  
أن كافة الرسل الذين بعث الله تعالى بهم إلى الأمم والشعوب كان كل  
واحد منهم يبدأ دعوته حينما يبلوؤها بقوله :

﴿يَقُولُ أَعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ﴾ (٨٠)

وهو مضمون كلمة لا إله إلا الله التي جاء بها خاتم النبيين والرسل  
محمد ﷺ ، ودعا إلى قولها واعتقادها ، ولم يطالب بغيرها طيلة عشر  
من السنين ، ومن أجلها عُدِّي ، وأوذِي ، وحُورِب ، كما عُدِّي ،  
وأوذِي ، وحُورِب ، كلٌّ من دعا إليها من جميع الرسل وأتباعهم ، وذلك  
لأن قولها واعتقادها يستلزم الكفر الكامل بكل ما عبد الناس من آلهة  
دون الله سبحانه وتعالى ، وعرفوها بعد فقدهم لهداية الله تعالى بموت  
الأنبياء ، وانقراض أهل العلم العارفين بالله تعالى وشرائعهم فيهم ،  
يُضَافُ إلى ذلك أن كلمة التوحيد : لا إله إلا الله تقتضي بل وتوجب  
المساواة بين الناس في الحقوق والواجبات ، فلم يبق بين الناس من  
يتميز عنهم ميزة يستعلي بها عليهم فيترفع ويتكبر ، أو يستعبد الناس أو  
يتحكم فيهم ، أو يحكمهم بغير شرع ربهم ، كما جاء مضمون ذلك في  
كتاب رسول الله ، إلى هرقل ملك الروم .

(١) سورة الأنعام الآية (٧٨ ، ٧٩) .

(٢) سورة الأعراف الآية (٥٩ ، ٦٥ ، ٧٣ ، ٨٥) وسورة هود الآية (٥٠ ، ٦١ ، ٨٤) .

ونصه بعد البسملة والدياجة « يا أهل الكتاب تعالوا إلى كلمة سواء بيننا وبينكم : أن لا نعبد إلا الله ، ولا نشرك به شيئاً ، ولا يتخذ بعضنا بعضاً أرباباً من دون الله »<sup>(١)</sup>.

ومن هنا كانت الخصومات تبلغ أشدها بين الرسل وأمهم ، لما تدل عليه عبادة الله تعالى وحده من الكفر بكل معبود سوى الله تعالى ، وترك عبادته ، والبراءة منه . كما قال تعالى في كتابه من سورة المحادلة :

﴿ لَا تَخِذْ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَوْ كَانُوا آبَاءَهُمْ أَوْ أَبْنَاءَهُمْ أَوْ إِخْوَانَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ ﴾<sup>(٢)</sup>

وكما أحبر تعالى عن خليله إبراهيم والمؤمنين معه وهو يدعو إلى الاقتداء بهم في الوقوف ضد الشرك والمشركين حيث يقول تعالى :

﴿ قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِي إِبْرَاهِيمَ وَالَّذِينَ مَعَهُ إِذْ قَالُوا لِقَوْمِهِمْ إِنَّا بُرَءُكُمْ وَأُوَّامِكُمْ وَمِمَّا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ كَفَرْنَا بِكُمْ وَبَدَا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ الْعَدَاوَةُ وَالْبَغْضَاءُ أَبَدًا حَتَّى تُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَحَدُّهُ ﴾<sup>(٣)</sup>

إن مدلول كلمة لا إله إلا الله : الإيمان بالله وحده بأن يُعبد ولا يُشرك به شيء من خلقه . والكفر بكل طاغوت صارف عن عبادة الله تعالى ، ووضاعه وطانة رسوله ﷺ كما قال تعالى :

﴿ وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولًا أَنْ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ ﴾<sup>(٤)</sup>

(١) أخرجه البخاري (٩٧/١ - ٥٤/٤ - ٥٧)

(٢) الآية ٢٢

(٤) سورة البحل الآية ٣٦

(٣) سورة الممتحنة الآية ٤

والطاغوت هو كل ما عُبد من دون الله ، أو صرف عن عبادة الله تعالى من معبود رضي لنفسه بأن يُعبدَ مع الله تعالى ، أو متبوع ، أو مطاع في غير طاعة الله ورسوله ﷺ .

هذا ولكي نوفى توحيد الألوهية ما يستحق من البيان والتوضيح لخطورة شأنه فإنه لا بد من شيء من التفصيل والتطويل . فنقول إن توحيد الألوهية أو العبادة له طرفان وواسطة :

فالطرف الأول : مخلوق ضعيف محتاج لا يبرح دهره باحثاً عما يقوي ضعفه ، ويجلب له ما ينفعه ، ويدفع عنه ما يضره ، وهذا المخلوق الضعيف المحتاج هو الإنسان .

والطرف الثاني : هو رب قوي غني ، سميع عليم ، عزيز حكيم ، وهو الله المعبود بحق سبحانه وتعالى .

والواسطة : هي أقوال وأعمال واعتقادات يحبها الله تعالى ويرضاها ، وهي العبادة التي يقوم بها العبد طاعة لله تعالى وتقرباً إليه . وبناءً على أن توحيد العبادة هو أفراد الله تعالى بالعبادة التي هي جميع ما أحب الله تعالى أن يُعبد به من أعمال القلوب والجوارح ، كما سبق بيانه وعلى ضوء هذا التعريف يتقرر ما يلي : -

(١) الإنسان بحكم الضعف المتأصل فيه ، وافتقاره اللازم له ، لا يخرج عن وصف العبودية بحال من الأحوال ، ولذا فإنه لم يُر في جميع أطواره التاريخية ، وعصوره البشرية إلا عابداً لا ينفك عن العبادة ، إما لله تعالى متى عرفه ، وآمن به رباً وإلهاً ، أو لغيره من شتى الكائنات التي يتصور فيها القدرة الكافية على جلب الخير له ، ودفع الشر عنه ، عندما يجهل ربه ، ولا يؤمن به إلهاً ومعبوداً ، لعامل اقتضى ذلك منه .

(٢) لا يصح عقلاً ولا شرعاً أن يُعبد غير الله تعالى ، ولا تنبغي العبادة إلا له سبحانه وتعالى ، وذلك لأنه لا يوجد في الكون قوي



عبي ، سميع عليه ، عزيز حكيم ، قوته وعناه ، وسمعه وعلمه ، وعزته وحكمته ذاتية له ليست مستمدة له من ذات أخرى إلا الله سبحانه وتعالى ، وبوصح هذا المعنى فنقول : إن الإنسان وهو سيد هذه المخلوقات ، وأشرفها وأفضلها على الإطلاق جميع كمالاته الخلقية والمخلقية ، أو الجسمانية والروحية ليست ذاتية له ، بل هي موهوبة له من خالقها ذي الحلال والكمال المطلق لا إله إلا هو ، ولا رب سواه ، وذليل كون الإنسان كل كمالاته موهوبة له ، وليست ذاتية له ، أنه يخلق يوم يخلق فاقدا لها ، ثم توهب له ، وليعوض أفرادها دون بعض ، ومن وهب منهم ذلك قد يُسلبه أحيانا ، فقد يرى الإنسان عاقلا ، ثم يصير أحمق ، وقد يكون قادرا ثم يعجز ، ويكون غنيا ، ثم يفقر ، فدل ذلك على أن كمال الإنسان ليس ذاتيا له ، وإنما هو موهوب له ، فهو لذلك لا يبرح عبدا ضعيفا مفتقرا إلى واهبه كماله ، وهو الله سبحانه وتعالى . أما الرب تبارك وتعالى فإن كماله ذاتي له . وبهذا يتقرر أن العادة لا تصح إلا لله ، ولا تبغي لأحد سواه .

(٣) إن العادة لا تكون قربة لله تعالى . ووسيلة إليه ينتفع بها العبد فاعلها إلا إذا توفر لها : العلم بها ، ومعرفة كيفية أدائها ، وإفراد الله تعالى بها فلذا لا تتصور في الذهن عبادة نافعة إلا من ذي علم وإيمان . فالعلم يحصل للمرء بالإيمان بكتاب الله تعالى ، وبقرائه ومعرفة ما جاء فيه ، ومعرفة كيفية أداء العبادة يتم بالإيمان بالرسول صلى الله عليه وسلم ، وبمعرفة سنته ، واتباعه فيها ، وإفراد الله تعالى بالعبادة يثبت للعبد بمعرفة الشرك وتجنبه ، ولهذا يتحتم أن نختم هذا البحث المتعلق بتوحيد الألوهية بفصل ضاف بين فيه الشرك في العادة ، ومظاهره اليوم في الأمة الإسلامية ، ليكون القارئ المؤمن على بصيرة في عقيدته ، وتلك هي الغاية التي توخيناها في وضع هذه الرسالة « عقيدة المؤمن » والله ولي الأمر والتوفيق .

## الشرك في الألوهية ومظاهره في الأمة الإسلامية

تعريف :

الشرك لغة : الاسم من شركه في كذا يشركه شركا وشركة ، كأشركه فكذا يشركه فيه إذا جعل له نصيباً قليلاً أو كثيراً في ذات ، أو معنى ، ومثله شاركة في كذا يشاركه فيه : كان شريكاً له فيه بقدر كبير أو صغير في ذات ، أو وصف ، وهو - الشرك - شرعاً : ضد التوحيد كالكفر ضد الإيمان .

والشرك في ربوبية الله تعالى أو أسمائه وصفاته كفر ، وفي عبادته تعالى إن كان الفاعل له عالماً به مصراً عليه كفر كذلك ، إذ الشرك في ربوبية الله تعالى وأسمائه وصفاته تكذيب لله تعالى ، وكذب عليه عز وجل ، وفي عباداته تعالى تأليه لغيره سبحانه وتعالى ، وتأليه غير الله تعالى كفر ، وتكذيب لله تعالى في قوله :

﴿ شَهِدَ اللَّهُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ ﴾<sup>(١)</sup>

وفي قوله :

﴿ فَاعْلَمْ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ ﴾<sup>(٢)</sup>

وتكذيب الله تعالى كفر بلا شك .

(١) سورة آل عمران الآية (١٨) .

(٢) سورة محمد الآية (١) .

ويحتنف الشريك مع الكفر في أن من الشرك ما لا يكون كفراً ،  
 وذئك كالشرك لأصغر ، والشرك الحقي ، لخبر الرسول صلى الله عليه  
 وسلم في ذلك وسماعه من بعض أصحابه ، ولم يعتبر فاعله كافراً ،  
 وحي يحكم برده : من ذلك قوله صلى الله عليه وسلم : « إِنَّ أَخَوْفَ مَا  
 أَحَافَ عَلَيْكُمْ الشَّرْكَ الْأَصْغَرُ . قَالُوا : وَمَا الشَّرْكَ الْأَصْغَرُ يَا رَسُولَ  
 اللَّهِ ؟ قَالَ : الرِّبَاءُ » (١) وقوله لمن قال له : ما شاء الله ، وشئت :  
 أ جعلتني لله ندا ؟ قُلْ ما شاء الله وحده » (٢) ، والند : الشريك ،  
 وقوله لأصحابه لما قالوا : قُومُوا بنا نُسْتَفِيثُ بِرَسُولِ اللَّهِ صلى الله عليه  
 وسلم مِنْ هَذَا الْمَنَاقِقِ : « إِنَّهُ لَا يُسْتَفَاثُ بِي ، وَإِنَّمَا يُسْتَفَاثُ  
 بِاللَّهِ » (٣) . وقوله صلى الله عليه وسلم : « مَنْ حَلَفَ بِغَيْرِ اللَّهِ فَقَدْ  
 شَرِكَ » (٤) . وقوله صلى الله عليه وسلم : « يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا هَذَا  
 لَشْرَكَ فَإِنَّهُ أَخْفَى مِنْ دَيْبِ النَّمْلِ ، فَقِيلَ لَهُ : وَكَيْفَ نَتَّقِيهِ وَهُوَ أَخْفَى  
 مِنْ دَيْبِ النَّمْلِ ؟ يَا رَسُولَ اللَّهِ ؟ قَالَ قُولُوا : اللَّهُمَّ إِنَّا نَعُوذُ بِكَ أَنْ  
 شَرِكَ بِكَ شَيْئاً نَعْلَمُهُ ، وَنَسْتَغْفِرُكَ لِمَا لَا نَعْلَمُهُ » (٥)

وحي يحكم صلى الله عليه وسلم في كل هذا برده فاعله ، ولا

(١) . صحيح البخاري ، كتاب الحديث ، يقول الله تعالى إذا جرى الناس بأعمالهم اذهبوا إلى

الذي كنتم عليه . قد في ذلك فبطر هل تحدون عندهم من حراء ؟ . المسند (٥/٢٨٨)

٢٤٣٩

(٢) . صحيح البخاري ، كتاب الحديث ، يقول الله تعالى إذا جرى الناس بأعمالهم اذهبوا إلى

الذي كنتم عليه . قد في ذلك فبطر هل تحدون عندهم من حراء ؟ . المسند (٥/٢٨٨)

(٣) . صحيح البخاري ، كتاب الحديث ، يقول الله تعالى إذا جرى الناس بأعمالهم اذهبوا إلى

الذي كنتم عليه . قد في ذلك فبطر هل تحدون عندهم من حراء ؟ . المسند (٥/٢٨٨)

(٤) . صحيح البخاري ، كتاب الحديث ، يقول الله تعالى إذا جرى الناس بأعمالهم اذهبوا إلى

الذي كنتم عليه . قد في ذلك فبطر هل تحدون عندهم من حراء ؟ . المسند (٥/٢٨٨)

(٥) . صحيح البخاري ، كتاب الحديث ، يقول الله تعالى إذا جرى الناس بأعمالهم اذهبوا إلى

بتكفيره . ومن أجل هذا قيدنا الكفر في شرك العبادة بكون فاعله عالماً به أنه شرك ، وأصر عليه عناداً ومكابرة ، وإثارة للمنافع الدنيوية من مال ، أو جاه ، أو سلطان . ولكي يتضح الموضوع أكثر يحسن أن نذكر هنا جملاً من الكلام على ذات الله وصفاته ، وأفعاله ، وعبادته مبينين كيف يكون التوحيد ، وكيف يكون الشرك والكفر فيها .

### (أ) الذات المقدسة :

إن الكلام على ذات الرب تبارك وتعالى معناه تقرير حرمة التفكير فيها ، ومحاولة إدراك كنهها ، ومعرفة حقيقتها لما ثبت شرعاً من النهي عن ذلك ، ولاستحالة إدراك ذات الله تعالى عقلاً ، لأن الله تبارك وتعالى ليس كمثله شيء ، ولم يكن له كفواً أحد ، ولا تدركه الأبصار . ولا تكنه كنهه العقول . إن مدى ما تصل إليه العقول ، وتدركه من الأشياء هو ما كان من جنس المادة المحيطة بها . والرب تبارك وتعالى ليس منها ، لأن المادة شيء معلوم التكوين والله ليس كمثله شيء ، والمادة المعروفة لدى الإنسان ، هو الخالق لها سبحانه وتعالى ، والخالق لا يكون جزءاً من مخلوقه ، كما لا يكون شبيهاً له بحال من الأحوال . ولهذا كانت عقيدة المؤمن في ذات الله تعالى أنها ذات مقدسة لا تشبه الذوات ، وأنها موصوفة بصفات عليا لا تشبه الصفات ، وأن الله تعالى سمى نفسه بأسماء حسنى ، ووصف نفسه بصفات عليا ، وأمرنا أن نناديه بأسمائه ، وندعوه ، ونتوسل إليه بها وبصفاته العليا فقال تعالى :

﴿وَلِلَّهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ فَادْعُوهُ بِهَا﴾<sup>(١)</sup>

فنحن نناديه ، وندعوه بها ، ونتوسل إليه بصفاته العليا ، فيسمعنا ، ويستجيب لنا .

(١) سورة الاعراف الآية (١٨٠) .

هذه عقيدة المؤمن في ذات الله تعالى فمن شبه ذات الله تعالى بدات المخلوقين ، أو ادعى إدراك كنهها ، ومعرفة حقيقتها ، أو تكلم فيها بما لا علم له من كتاب الله ، وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم فقد كفر وأشرك .

### ( ب ) صفات الله تعالى وأسمائه :

إن الله تبارك وتعالى وصف نفسه في كتابه ، وعلى لسان رسوله صفات عليا ، وتعد المؤمنين بالإيمان بها ، وبوصفه بها . توسلاً إليه وتقرباً . وسمى نفسه تعالى بأسماء حسنى فوجب الإيمان بذلك وقوله . وبإطلاقه عليه تعالى على ما هو مراده منه ، فمن نفى عنه ما وصف به نفسه ، وسمها به من أسماء فقد كفر ، ومن شبه تلك الأسماء والصفات بأسماء وصفات المحدثين فقد كفر وأشرك ، إذ هو يتردد في ذلك بين تكذيب الله تعالى ، والكذب عليه وكليهما كفر شنيع وظلم عظيم . !

ومن أول تلك الصفات الإلهية العليا رائماً<sup>(١)</sup> تنزيهه تعالى ، فقد أخطأ ، وجهل ، وتكلف ما لم يكلف به ، وفعل ما لم يؤمر به . ذلك كتأويل يد الله بقدرته فراراً من وصف الله تعالى بلفظ اليد ، وتأويل مجيئه تعالى لفصل القضاء بمجيء أمره ، أو ملك من ملائكته فراراً من وصف الله تعالى بالتحول والانتقال الذي تبادر إلى أذهان المؤولين . وتأويل استوائه تعالى على العرش بالاستيلاء فراراً من وصف الله تعالى بالاستواء على عرشه . وتأويل صفة العلو بالقهر فراراً من وصف الجهة والتخيز ، إلى غير ذلك من التأويل الذي عُرف به أكثر علماء الخلف ، ولم يعرف به أحد من علماء السلف .

(١) إنما أي طائفة

وبيان ذلك :

أولاً : أن المؤول لم يرض الله تعالى ما رضى له أعرف الناس به وهو رسوله صلى الله عليه وسلم .

ثانياً : أن هذا التأويل لو أَرَادَهُ الله تعالى لنفسه لأمر به في كتابه ، أو على لسان رسوله صلى الله عليه وسلم ولكان حينئذ التأويل لصفات الله تعالى واجباً دينياً يحرم إهماله ، ويأثم تاركه . غير أنه لما لم يأذن الله تعالى به كان فعله خطأ وتكلفاً مذموماً محرماً ، لما فيه من معنى الاستدراك على الله تعالى وعلى رسوله صلى الله عليه وسلم .

ثالثاً . أن المؤول لصفات الله تعالى فراراً من التشبيه ، وخوفاً منه قد جهل حقيقة عظيمة هي استحالة وجود أي شبه بين صفات الله تعالى وصفات عباده ، إذ لا شبه بين صفات الخالق ، وصفات المخلوق أبداً ، لما أخبر تعالى من أنه ليس كمثله شيء وهو السميع البصير ، وأنه أحد ، ولا كفؤ له ، ولهذا لو قال أحد : يد الله كيد زيد أو عمرو ، ومجيء الرب تعالى كمجيء خالد أو بكر ، واستواء الله على العرش كاستواء الملك فلان أو فلان لكان مشبهاً للخالق بالمخلوق ، وهو في ذلك كاذب ، إذ الواقع يختلف عما قال تماماً ، ومكذب لأنه كذب الله تعالى في قوله :

﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ﴾<sup>(١)</sup>

ومشرك كافر ، لتشريك بعض عباد الله في بعض صفات الله تعالى .

رابعاً : أن هذا المؤول لصفات الله تعالى فراراً من التشبيه ، وخوفاً منه قد خفي عليه الفرق العظيم بين صفات الخالق جل وعلا ، وبين صفات المخلوقين العاجزين الضعفاء ، إنه لو علم أن الفرق بين

---

(١) سورة الشورى الآية (١١) .

صفات الخالق ، وبين صفات المخلوق كالفرق بين ذات الخالق وذات المخلوق ، لما توهم تشبيهاً أندأ ، ولما لجأ إلى التأويل فلهذا لنا أن نقول إن المؤول لصفات الله تعالى خوفاً من الوقوع في التشبيه ، قد فهم أنه يوجد شبه ما بين صفات الخالق عز وجل وصفات المخلوق فلهذا هرب منه فأول صفات الخالق ، حتى لا تشبه صفات المخلوق - أما غير المؤول فإنه لم يسمح لخاطره أن يقدر أي شبه بين صفات الخالق وصفات المخلوق ، لاستحالة وجود أي شبه بها واقعاً فُطلق صفات الخالق عليه . كما أطلقها على نفسه ، وأطلق صفات المخلوق عليه ، كما أطلقت عليه شرعاً . وعادة ، وعرفاً ، وبذلك سلم من الخطأ ، والتكلف ، والجهل ، وبالتالي من الشرك والكفر .

#### ( ج ) عباداته تعالى :

قبل بيان عبادات الله تعالى ، وكيف يُوحّد الله تعالى فيها نذكر أن الله تعالى لم يخلق الثقّلين الإنس والجر في هذا العالم الأرضي إلا لعبادته تذكّره . وشكره ، وحسن عبادته ، دل على هذا قوله عز وجل في كتبه .

﴿ وَمَا خَلَقْتُ الْإِنْسَ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴾ ﴿ مَا أُرِيدُ مِنْهُمْ مِنْ رِزْقٍ وَمَا أُرِيدُ أَنْ يُطْعَمُوا ﴾ ﴿ إِنَّ اللَّهَ هُوَ الرَّزَّاقُ ذُو الْقُوَّةِ الْمَتِينُ ﴾ <sup>(١)</sup>

ولبيان أنواع العبادات ، وكيف يُعبد بها أنزل الكتب ، وبعث الرسل فكانت بذلك عبادات الله توقيفية لا تعلم إلا من طريق الوحي . الكتاب والسنة ، وكان من عبد الله تعالى بغير ما شرع لعباده أن يعبدوه به غير عابد لله وإنما هو عابد لهواه ، أو للشيطان الذي أغواه ، ومن عبد الله بما شرع لعباده أن يعبدوه به لكنه أشرك فيه غيره من مخلوقاته

(١) سورة الداربات الآيات (٥٦ - ٥٨)

فقد أشرك وكفر ، والسؤال الآن هو : ما هي العبادات التي شرعها الله تعالى لعباده ليعبدوه بها ، ولا يشركوا معه غيره فيها ؟

والجواب أنها موجودة في الكتاب والسنة ، مودعة فيهما ، فمنهما تطلب وبهما تعرف ، وها نحن نذكر جملة كافية من أنواع العبادات مبينين وجه كل من التوحيد والشرك فيها توضيحاً لعقيدة المؤمن ، واستكمالاً للبحث فيها مبتدئين بالعبادات التي هي من أعمال القلوب ، منتهين بالعبادات التي هي من أعمال الجوارح .

### ( أ ) - أعمال القلوب :

إن المراد من أعمال القلوب هو العبادات التي يقوم بها قلب العبد ، وذلك كالإيمان ، والمحبة ، والخوف والخشية ، والرجاء ، والرغبة ، والإنابة ، والتوكل ، وهذا بيانها مفصلاً :

(١) الإيمان وهو تصديق القلب بوجود الله تعالى ، وربوبيته لكل شيء ، وألوهيته للأولين والآخرين مع التصديق بكل ما أمر الله تعالى بالإيمان به ، واعتقاده من الملائكة ، والكتب ، والرسل ، والمعاد ، والجزاء ، والنعيم ، والشقاء ، والقدر والقضاء ، لأمر الله تعالى بذلك في قوله :

﴿ ءَامِنُوا بِاللّٰهِ وَرَسُولِهِ ۚ وَالْكِتَابِ الَّذِي نَزَّلَ عَلَىٰ رَسُولِهِ ۚ وَالْكِتَابِ الَّذِي أَنزَلَ مِن قَبْلُ ۚ وَمَن يَكْفُرْ بِاللّٰهِ وَمَلَائِكَتِهِ ۚ وَكُتُبِهِ ۚ وَرُسُلِهِ ۚ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا بَعِيدًا ۝ <sup>(١)</sup> ۝

وبناء على هذا فإن عبداً يعترف بربوبية لغير الله تعالى ، أو بألوهية لسواه عز وجل فقد كفر وأشرك .

(١) سورة النساء الآية (١٣٦) .



(۲) المحبة وهي حبُّ الله تعالى وحب كل من يحب من عباده ، وما يحب من عقائد عباده ، وأقوالهم وأعمالهم ، وذلك لقول الله تعالى :

﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا أَشَدُّ حُبًّا لِلَّهِ﴾<sup>(۱)</sup>

وقوله .

﴿قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾<sup>(۲)</sup>

وقول الرسول صلى الله عليه وسلم . « اللهم أرزقني حُبَّك ، وحُبَّ مَنْ يَنْفَعُنِي حُبُّهُ عِنْدَكَ ، اللهم ما رزقتني ممَّا أَحَبُّ فَأَجْعَلْهُ قُوَّةً فِيمَا تُحِبُّ ، وما رزوت عني ممَّا أَحَبُّ فَأَجْعَلْهُ فَرَاغًا لِي فِيمَا تُحِبُّ ،<sup>(۳)</sup> وعبيه فمن أحب لله تعالى ، وأحب من يحب من عباده ، ومن يحب من أعفدتهم ، وقولتهم وأفعالهم . ولم يشرك في هذا الحب أحداً فقد وجد الله تعالى في هذه العادة ، ومن أحب غير الله تعالى حباً لم يأت فيه الله تعالى ، ولم يشرعه لعباده بل يهيئ عنه ، أو حرمة كحب ما يُعبد من دواب الله تعالى ، وحُب الرؤساء ، وحب الدواب حباً يجعل المحب على ضاعة المحبوب في معصية الله تعالى ، ومعصية رسوله صلى الله عليه وسلم ، وعلى تعظيمه ، وإجلاله ، وإكباره ، والسدنة له والخصوع ، والخصوع . فمن أحب بهذا الحب غير الله تعالى فقد أشرك في عبادة الله تعالى التي هي حب الله والحب لأهل الله تعالى .

(۱) سورة البقرة الآية (۱۶۵)

(۲) سورة البقرة الآية (۳۱)

(۳) زاد من مدنى سيد حسن ، في كتاب الدعوت (۷۳)

### (۳) الخشية والخوف<sup>(۱)</sup>

إن خشية الله تعالى ، والخوف منه عز وجل مما تعبد الله به عباده المؤمنين ، فقد أمر بخشيته ، ونهى عن خشية غيره في قوله تعالى :

﴿ فَلَا تَخْشَوْا النَّاسَ وَآخِشُونَ ﴾<sup>(۲)</sup>

كما أمر بالخوف منه ونهى عن خوف غيره في قوله :

﴿ فَلَا تَخَافُوهُمْ وَخَافُونَ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ ﴾<sup>(۳)</sup>

وأخبر عن جزاء من يخشونه بالغيب في قوله تعالى :

﴿ إِنَّ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُم بِالْغَيْبِ لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ كَبِيرٌ ﴾<sup>(۴)</sup>

فالخشية والخوف كلاهما عبادة قلبية يجب أن يُفرد بهما الله عز وجل ، وتختص به ، فمن خاف غير الله تعالى ، أو خشيه معظماً له ، مستكيناً ، يذل له ويطيعه في معصية الله تعالى ، وهو غير مكره له على تلك الطاعة فقد أشرك بالله في هذه العبادة .

### (۴) الرجاء والرغبة :

الرجاء هو الأمل في الخير ، وترقّب حصوله ، وانتظاره ممن يملكه ويقدر على تحقيقه لمن أمله فيه ورجاه منه ، والرغبة : حب الخير وإرادته ، والطمع في تحصيله ممن يملكه ، ويقدر على إعطائه وهبته ، فهي مثل الرجاء ، وكلاهما مما تعبد الله تعالى به المؤمنين حيث قال تعالى في كتابه العزيز من سورة الكهف :

(۱) الفرق بين الخشية والخوف ان الخشية تكون مع تعظيم المحشى مه ، والحواف يكون بدون تعظيم المخوف منه .

(۲) سورة المائدة الآية ( ۴۴ ) .

(۳) سورة آل عمران الآية ( ۱۷۵ ) .

(۴) سورة الملك الآية ( ۱۲ ) .

﴿مَنْ كَانَ يَرْجُوا لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا﴾<sup>(١)</sup>

وقال تعالى :

﴿كَانَ يَرْجُوا اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ﴾<sup>(٢)</sup>

وقال

﴿وَيَدْعُونَا رَعْبًا وَرَهْبًا وَكَانُوا لَنَا خَاشِعِينَ﴾<sup>(٣)</sup>

وأمر رسوله صلى الله عليه وسلم بالترغبة إليه تعالى في قوله :

﴿فَإِذَا فَرَغْتَ فَانصَبْ ۖ وَإِلَىٰ رَبِّكَ فَارْغَبْ﴾<sup>(٤)</sup>

ولما كان الخير كله بيد الله ، وليس بيد أحد سواه ، وكان الله وحده  
يقدّر على إعصائه من يشاء من عباده ، وذلك لقوله تعالى :

﴿قُلِ اللَّهُمَّ مَلِكُ الْمَلِكِ تُؤْتِي الْمُلْكَ مَنْ تَشَاءُ وَتَنْزِعُ الْمُلْكَ مِمَّنْ تَشَاءُ  
وَتُعِزُّ مَنْ تَشَاءُ وَتُذِلُّ مَنْ تَشَاءُ بِيَدِكَ الْخَيْرُ إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾<sup>(٥)</sup>

كان رجاء الخير ورعته من غير الله تعالى ضلالاً وباطلاً ، وكان فاعله  
مشرك في هذه العبادة القلبية غير ربه عز وجل .

## ٥ - الإنابة :

الإنابة وهي الإقبال على الله تعالى ، والتوبة إليه . والإنابة عبادة  
أمر الله تعالى بها في قوله :

﴿وَأَنِيبُوا إِلَىٰ رَبِّكُمْ وَأَسْلَبُوا لَهُمْ﴾<sup>(٦)</sup>

(١) سورة البقرة (١٠٢)

(٢) سورة البقرة (١٧٧)

(٣) سورة البقرة (٢٥٠)

(٤) سورة البقرة (٢٣٨)

(٥) سورة البقرة (٢٥٥)

(٦) سورة البقرة (٢٣٨)

وأخبر أنه يهدي إليه من ينيب ، وأمر باتباع سبيل من أناب إليه ، جاء ذلك كله في كتابه القرآن الكريم .

ولما لم يكن في الخلق كله من يعطي ، أو يمنع ، أو يضر ، أو ينفع إلا بإذن الله ، ولا من يُسعد أو يشقي إلا الله سبحانه وتعالى كان من غير المعقول ولا المقبول أن ينيب المرء إلى غير الله تعالى رغبة أو رهبة ، خوفاً أو طمعاً ، وكانت الإنابة إلى غير الله عز وجل باطلاً وشركاً ، وكان من أناب إلى غير الله تعالى ثائباً إليه - أي إلى ذلك الغير - راجياً الخير منه ، خائفاً من سخطه أو عقابه فقد أشرك .

## ٦ - التوكل :

التوكل وهو الاستسلام لله تعالى ، وتفويض الأمر إليه ، اعتماداً ووثوقاً به ، أمر الله تعالى به في غير آية من كتابه ، وجعله آية الإيمان وعلامته فقال تعالى :

﴿ وَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ وَكَفَى بِاللَّهِ وَكِيلًا ﴾ <sup>(١)</sup>

وقال :

﴿ وَعَلَى اللَّهِ فَتَوَكَّلُوا إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ ﴾ <sup>(٢)</sup>

وواعد بالكفاية للمتوكلين عليه في قوله :

﴿ وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ ﴾ <sup>(٣)</sup>

وخص التوكل به فقال :

﴿ وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُتَوَكِّلُونَ ﴾ <sup>(٤)</sup>

(١) سورة الأحزاب الآية (٤٨) .

(٢) سورة المائدة الآية (٢٣) .

(٣) سورة الطلاق الآية (٣) .

(٤) سورة إبراهيم الآية (١٢) .

فالتوكل إذا عبادة قلبية وهو سكون القلب إلى كفاية الله تعالى ،  
وتفويض الأمور إلى الله تعالى لكفائته ، والاعتماد عليه تعالى لعلمه  
وقدرته .

ولما كان لا كافي إلا الله ، ولا قادر على كل شيء سواه ، ولا  
عالم بكل شيء غيره كان التوكل على غير الله تعالى باطلاً وشركاً ،  
وكان المتوكل على غير الله تعالى سكوناً ، ووثوقاً ، واعتماداً مشركاً .

### ( ب ) أعمال الجوارح :

إن ما تقوم به الجوارح من العبادات والطاعات كثير جداً ، فلذا  
يكتفي بذكر طرف منه فقط ، تذكيراً وتعليماً ، وبخاصة ما وقع فيه  
شرك بين المسلمين ومن ذلك

#### ١ - الدعاء :

الدعاء هو سؤال الرغائب ، وطلب الحاجات في جلب نفع ، أو  
دفع ضرر ممن يملك ويقدر . والدعاء من أعظم مظاهر العبادة ، وأوضح  
صورة من صورها حتى قيل فيه . الدعاء مُخ العبادة . والدعاء هو  
العبادة<sup>(١)</sup> . ومن هذا كانت العبادة تدونه ليست شيئاً ، أو لا تستقيم ولا  
تم إلا به ، وهو كذلك ، إذ في الدعاء الدل للمدعو ، ولافتقر إليه ،  
ولا استكدة له ، وتعظيمه ، واستشعار عباده . وإحاطة علمه بالداعي ،  
وقدرته على إعطائه ما سأل فيه مع تمحيده ، والتوسل إليه بأسمائه  
وصفاته ، إلى غير ذلك من مظاهر العبودية التي لا توجد واضحة بهذه  
صورة إلا في الدعاء ، وحال السجود ، ولذا كان الدعاء في السجود  
مستحراً . لأحضر مظهرين عظيمين من مظاهر العبادة فيه

(١) الدعاء هو سؤال الرغائب ، وطلب الحاجات في جلب نفع ، أو دفع ضرر ممن يملك ويقدر . والدعاء من أعظم مظاهر العبادة ، وأوضح صورة من صورها حتى قيل فيه . الدعاء مُخ العبادة . والدعاء هو العبادة<sup>(١)</sup> . ومن هذا كانت العبادة تدونه ليست شيئاً ، أو لا تستقيم ولا تم إلا به ، وهو كذلك ، إذ في الدعاء الدل للمدعو ، ولافتقر إليه ، ولا استكدة له ، وتعظيمه ، واستشعار عباده . وإحاطة علمه بالداعي ، وقدرته على إعطائه ما سأل فيه مع تمحيده ، والتوسل إليه بأسمائه وصفاته ، إلى غير ذلك من مظاهر العبودية التي لا توجد واضحة بهذه صورة إلا في الدعاء ، وحال السجود ، ولذا كان الدعاء في السجود مستحراً . لأحضر مظهرين عظيمين من مظاهر العبادة فيه

ولما كان تحقيق الرغائب ، وقضاء الحاجات أمراً يتوقف حصوله على أن يكون المدعو لذلك ، المسؤول فيه مالئاً لجميع الرغائب وكل الحاجات قادراً على تحقيق الرغبة ، وقضاء الحاجة ، عالمياً بحال السائل الداعي الراغب ، يسمع كلامه ، ويرى مكانه ، ولما لم تكن هذه الصفات لتتوفر لأحد سوى الله عز وجل بطل أن يدعى غير الله تعالى عقلاً وشرعاً ، قال تعالى من سورة الجن

﴿وَأَنَّ الْمَسْجِدَ لِلَّهِ فَلَا تَدْعُوا مَعَ اللَّهِ أَحَدًا﴾<sup>(١)</sup>

وبهذا كان دعاء غير الله ، وسواء كان المدعو نبياً أو ولياً - شركاً محرماً ، وكان من يدعو غير الله تعالى من عباده مشركاً كافراً ظالماً جاهلاً ، أو معانداً مكابراً .

## ٢ - الاستغاثة :

الاستغاثة هي طلب الغوث والغياث ، وهو ما يغاث به المضطر ، ويعان به من طعام ، أو شراب ، أو نصر وتأييد ، أو خلاص من شدة ، وإنقاذ من محنة .

وهي أي الاستغاثة من جنس الدعاء ، فمن لا يدعى لفقره وعدم قدرته وجهله بحال الداعي ، وعدم سماع دعائه ، وعدم معرفة مكانه وحاله ، لا يستغاث به كذلك .

ومن هنا كان من استغاث بمن لا يقدر على إغاثته ممن لا يسمع كلامه ، ولا يرى مكانه ، ولا يعرف حاله من حي غائب بعيد ، لا يرى المستغيث ، ولا يسمع استغاثته ، أو ميت انقطع عمله من الدنيا ، سواء كان نبياً من الأنبياء أو صالحاً من الصالحين ، فقد أشرك بعبادة الاستغاثة غير ربه تعالى ، وكان بذلك مشركاً كافراً ، وليعلم المؤمن هنا

(١) الآية (١٨) سورة الجن .

أن سؤال الحي من الناس واستغاثته - أي طلب الغوث منه - إذا كان قدرا على العطاء والغوث ، وكان قريبا من الداعي المستغيث بسمع كلامه ويرى مكانه ، قد أدن الله فيه ، وأناحه لعباده ، ولم يحصه عدة تحصى ، يحرم إشراك غيره فيها . وهذا معلوم من الدين بالضرورة

### ٣ - الاستعانة :

الاستعانة هي طلب العون ، والمعونة على قضاء حاجة ، أو خروج من محنة ، وهي من نوع الدعاء والاستغاثة ، فلا تطلب من عاجز لا يقدر على الإغاثة ، ولا من ميت لا يسمع المستعين به ، ولا يرى مكنه ، ولا يعرف عن حاجته وحانه ، ولا من عذب بعيد حل لعدد دون سماع الدعاء ، ورؤية الداعي ، وعانته على ما هو في حاجة إلى المعونة فيه ، وقد أرشد الله تعالى عبده المؤمنين إلى الاستعانة به دون من سواه في قوله

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اسْتَعِينُوا بِاللهِ وَرَأْسِي﴾ (١)

وأوصى رسول الله صلى الله عليه وسلم عبد الله بن عباس رضي الله عنهما أن يستعين بالله دون سواه في قوله .

«إذا سألت فاسأل الله ، وإذا استعنت فاستعن بالله» (٢)

ومن هذا كان طلب المعونة ممن لا يقدر عليها من لأحياء يعجزهم ، أو غيبتهم كظنهم من الأموات لموتهم ، ونقصهم عن حيته ، كان صلا لا وباطلا ، وكان فعله مشركا بالله تعالى في هذه العدة من عبادات الله التي لا تنبغي لأحد سواه .

١ - سورة مائدة الآية (٥)

(١) ٥٩. الترمذي وصححه في كتاب الدعاء (٥٩)

#### ٤ - النذر :

النذر وهو التزام العبد ما لم يلزمه من الطاعات ، وبعبارة أوضح هو التعهد بالقيام بشيء من العبادات تقرباً إلى الله تعالى ، أو بشرط أن يقضي الله تعالى له حاجة تعسرت عليه يريد قضاءها ، كأن يقول في تعهده اللهم إن شفيت مريضتي ، أو رددت على غائبي ؛ أو قضيت حاجتي في كذا . . . ، لك عليّ أن أتصدق بكذا . . . أو أصوم أو أصلي كذا وكذا ، . . والنذر مما تعبد الله تعالى به عبادة المؤمنين ، قال تعالى مثنيّاً عليهم بالوفاء به ،

﴿يُوفُونَ بِالنَّذْرِ﴾<sup>(١)</sup>

وقال مرغباً فيه

﴿وَمَا أَنْفَقْتُمْ مِنْ نَفَقَةٍ أَوْ نَذَرْتُمْ مِنْ نَذْرٍ فَإِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُهَا﴾<sup>(٢)</sup>

وخير النذر ما كان بغير شرط ، لكراهة النبي صلى الله عليه وسلم النذر المشروط في قوله : « النَّذْرُ لَا يَأْتِي بِخَيْرٍ ، وَإِنَّمَا يُسْتَخْرَجُ بِهِ مِنْ مَالِ الْبَخِيلِ »<sup>(٣)</sup> وبناء على هذا فإن من نذر لغير الله تعالى وسواء نذر لحى أو ميت فقد أشرك<sup>(٤)</sup> لأن النذر عبادة ظاهرة إذ هو توجه القلب إلى المنذور له رغبة فيما عنده من الخير وهو استشعار قدرته وغناه ؛ وإظهار الناذر عجزه وضعفه وافتقاره إلى من نذر إليه .

وهذا ويم الله لا يليق إلا بالله تعالى ، ويا ويل أولئك الذين يندرون إلى الأولياء والصالحين من أموات المسلمين وأحيائهم فقد وقعوا

(١) سورة الإنسان الآية (٧) .

(٢) سورة البقرة الآية (٢٧٠) .

(٣) متفق عليه بمعناه اللؤلؤ والمرجان (٢ / ١٦٨)

(٤) لا يدخل في هذا النذر المحرم وعد المؤمن لأبيه إن رقه الله كذا فإنه يعطيه كذا أو يقرضه كذا .



في هلكة وهم لا يشعرون ، وأشركوا بعبادة ربهم غيره وهم لا يعلمون .

### ذبح القربان :

ذبح القربان وهو ما يُتقرب به إلى الله تعالى من الذبائح كالهذى في الحج وضحايا يوم عيد الأضحى ، وشاة العقبة يوم سابع المولود . وذبائح وليمة العرس ، وما يذبح صدقة على الفقراء والمساكين ، كل هذا قد شرعه الله تعالى في كتابه ، وعلى لسان رسوله محمد صلى الله عليه وسلم ، فكان لهذا الذبح قرباً وعبادة لا تنبغي إلا لله تعالى ، ومن ذبح لغير الله تعالى مُعظماً له ، خائفاً منه راجياً ما عنده فقد عبده بهذه العبادة وأشركه في عبادة ربه عز وجل .

وهنا يحسن التنبيه والتنديد معاً بما يفعله أهل الجهالات من المسلمين اليوم من ذبائح على الأضرحة والقبور في أيام الموالد والمواسم تعظيماً لمن يذبحون لهم ، وتقديساً ، ورغبة في شفاعتهم ، وطمعاً فيهم ، وتوسلاً بجاههم .

ومثل هذه الذبائح على القبور والمشاهد ذبائح الزار ، والنشرة ، وعن حفات الأبار . وعتبات المنازل خوفاً من الجن . إن هذه الذبائح كلها شرك وكفر والعباد بالله تعالى من ذلك .

### ٦ - الركوع والسجود :

إن عبادة الركوع والسجود ظاهرة يزاولها المسلمون كل يوم في حياتهم إذ هما ركنتا الصلاة اللذان لا تصح الصلاة بدونهما ، وقد تعذ الله تعالى بهما سائر عباده المؤمنين فقال تعالى :

﴿ شَاهِدُوا لَكُمْ أَنْفُسُكُمْ وَأَنْتُمْ لَهَا كَاذِبُونَ ۖ وَاعْبُدُوا رَبَّكُمْ وَافْعَلُوا الْخَيْرَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ۝ ﴾ (١)

١ - سورة الحج ١١٠

وأمر مريم بنت عمران به في إخباره عنها بقوله :

﴿يَمْرُؤُا أَتَيْنِي لِرَبِّكَ وَأَتَجِدِي وَارَكِعِي مَعَ الرَّاكِعِينَ﴾<sup>(١)</sup>

وأمر رسوله بالسجود طلباً للقرب منه فقال :

﴿وَأَتَجِدْ وَأَقْتَرَبْ﴾<sup>(٢)</sup>

ومن هنا كان الركوع وهو الانحناء ، والسجود وهو وضع الوجه على الأرض عبادة لا تنبغي لأحد مهما كان شأنه إلا الله تعالى ، ومن ركع لأحد أو سجد له معظماً إياه ، أو طامعاً فيه ، أو خائفاً منه ، وليس بمكره على ذلك فقد أشرك بربه ، وعبد مع الله غيره ، وكان فعله شركاً أكبر ، لا يغفره الله إلا أن يتوب منه قبل موته ، لقول الله تعالى :

﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ وَمَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا بَعِيدًا﴾<sup>(٣)</sup>

٧ - الطواف بالبيت العتيق وتقبيل الحجر الأسود :

إن الطواف عبادة شرعها الله تعالى لعباده ، وأمرهم بها في قوله :

﴿وَلْيَطُوفُوا بِالْبَيْتِ الْعَتِيقِ﴾<sup>(٤)</sup>

وعليه فمن طاف ببيت غير بيت الله من قبر ؛ أو ضريح أو مشهد أو غير ذلك معظماً لما يطوف متقرباً إليه أو به إلى غيره حتى ولو كان إلى الله تعالى ، فقد ابتدع وأشرك ، وطوافه ذلك شرك أكبر ، وبدعة ضلالة من أشنع البدع وأقبحها ، لما فيها من التشريع ، وهو حق الله تعالى وحده

(١) سورة آل عمران الآية (٤٣) .

(٢) سورة العلق الآية (١٩) .

(٣) سورة النساء الآية (١١٦) .

(٤) سورة الحج الآية (٢٩) .

دون سواه ، وإن تقبيل الركن اليماني من البيت العتيق عبادة شرعها الله تعالى على لسان نبيه صلى الله عليه وسلم ، ولم يشرع لهذه الأمة تقبيل حجر آخر ، ولا ركن ولا جدار ، ولا قبر ولا ضريح ولا تابوت ، وعليه فمن قبل عتبة ، أو جداراً ، أو باباً ، أو حلقة في باب ، أو قبراً أو مشهداً قائماً من المشاهد فقد ابتدع ، وإن فعل ذلك تعظيماً لما قبله وتقديساً راجياً منه النفع ، دافعاً به الضرر فقد أشرك .

## ٨ - سائر انواع العبادات :

إن كل ما شرع الله لعباده من الطاعات والقربات ليعبدوه بها تقرباً إليه تعالى ، وتزلفاً من صلاة ، وصيام ، وحج ، واعتمار ، وصدقات ، وركوت ، واعتكف ، وجهاد ، ورباط ، وفعل خير من بر وصلة ، وذكر ، ودعاء ، وأمر بمعروف ، ونهي عن منكر ، وتعليم علم ، ونعمه كل هذه العبادات وغيرها مما شرعه الله تعالى في كتابه ، وعلى لسان رسوله صلى الله عليه وسلم فعله لغير الله تعالى ، وابتغاء مرساة به غير مرساة الله شرك في عبادة الله تعالى يتنافى مع عقيدة المؤمنين القائمة على أساس التوحيد الدالة عليه كلمة الإخلاص : لا إله إلا الله .

## ٩ - ترك طاعة الله للرغبة أو الرهبة :

لقد أمر الله تعالى بطاعته وطاعة رسوله بقوله من سورة القتال :

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَلَا تُبْطِلُوا ءَعْمَلَكُمْ ﴾<sup>(١)</sup>

فطاعة الله ، وطاعة رسوله في الأمر والنهي عبادة تعبد الله تعالى بها المؤمنين من عباده ، فمن ترك طاعتهما غير مكره من أجل أحد من خلق الله كشأن من كان رغبة فيما عنده ، أو رهبة مما لديه فقد أشرك .

(١) الآية (٣٣) سورة القتال .

وتركه لطاعة الله تعالى ، وطاعة رسوله صلى الله عليه وسلم وهو غير مكره رغبة أو رهبة فيمن أطاعه شرك ، إذ الطاعة في المعروف فقط ، ولا طاعة لمخلوق في معصية الخالق .

### ١٠ - تعظيم الله تعالى بالحلف به عز وجل

إن تعظيم الله عز وجل بتكبيره ، والحلف به وإجلاله تبارك وتعالى عبادة تعبد الله بها المؤمنين من عباده ، فلذا لا يجوز الحلف بغيره تعالى ، ومن حلف بغير الله تعالى ، فقد أشرك ، لما صح عَنْ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِنَ النَّهْيِ عَنْ الْحَلْفِ بِغَيْرِ اللَّهِ تَعَالَى ، وَجَعَلَ ذَلِكَ مِنَ الشِّرْكِ ، فَقَدْ قَالَ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ : « أَلَا إِنَّ اللَّهَ يَنْهَاكُمْ أَنْ تُحْلِفُوا بِآبَائِكُمْ ، وَمَنْ كَانَ حَالِفًا فَلْيَحْلِفْ بِاللَّهِ أَوْ لِيَصْمِتْ »<sup>(١)</sup> ، وقال : « مَنْ حَلَفَ بِغَيْرِ اللَّهِ فَقَدْ أَشْرَكَ » وفي لفظ « فَقَدْ كَفَرَ »<sup>(٢)</sup> ، وقال « مَنْ حَلَفَ فَقَالَ فِي حَلْفِهِ وَاللَّاتِ وَالْعُزَّى ، فَلْيُقْلِلْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ »<sup>(٣)</sup>

هذا ولما كان الكثير من الشرك الذي وقع فيه بعض المسلمين اليوم إنما وقع باسم التوسل والاستشفاع والتبرك ، وتحت شعارها فإننا نختم هذا الجزء من هذا البحث في عقيدة المؤمن ببيان كل من الوسيلة والتوسل ، والشفاععة والتشفع ، والبركة والتبرك تبياناً للحق ، وهداية إليه .

(١) متفق عليه (١٧٠/٢) اللؤلؤ والمرجان فيما اتفق عليه الشيخان .

(٢) رواه الترمذي وقال : هذا حديث حسن رواه أحمد والحاكم .

(٣) متفق عليه (١٧٠/٢) اللؤلؤ والمرجان ومسلم (٨١/٥) .

## الوسيلة

تعريف :

ما هي الوسيلة ؟

الوسيلة : نعة اسم فعله وصل إليه بكذا يصل وسية فهو واسل  
تقرب ورغب . ومثله توسل إليه بكذا توسلاً ، وتوسيلاً ؛ عمل عملاً  
تقرب به إليه فالتوسل والتواسل معنى واحد ، قال أبو طالب في  
لاميته :

أرى الناس لا يدرون ما قدر أمرهم      بلى كل ذي دين إني الله واسل  
وتجمع الوسيلة على وسائل ، كما هي قول لبيد .

ولما ريت نفوس لا ود فيهمو      وقد قطعوا كل نغرى والتوسل  
ويصو لفظ الوسيلة على السيرة عند المذنب ، وعلى الدرجة  
والغربة ، واضنقت كذلك على أعلى درجة في الجنة ، وهي التي قال  
رسول الله صلى الله عليه وسلم : **ثُمَّ سَلُوا اللَّهَ لِي الْوَسِيلَةَ فَإِنَّهَا**  
**مَرْزَلَةٌ فِي الْجَنَّةِ لَا تَبْغِي إِلَّا لِعِبَادِ اللَّهِ ، وَأَرْجُو أَنْ أَكُونَ أَنَا هُوَ**  
**فَمَنْ سَأَلَ لِي الْوَسِيلَةَ حَلَّتْ لَهُ الشَّفَاعَةُ** (١) .

وأما الوسيلة في الشرع فهي العمل يقدمه المؤمن بين يدي رغبته

(١) ١٠٠٠ سنة (١) ٤٠٠٠ مكتبة جامعة الأزهر

ليتوسل به إليها» (١)، فيفوز بمرغوبه ، ويحصل على مطلوبه .

والوسيلة التي هي التقرب إلى الله تعالى بعمل صالح طلباً للقرب منه تعالى والحظوة لديه والدرجة عنده سبحانه وتعالى . أو لقضاء حاجة بحصول نفع ، أو دفع ضرر ، هذه الوسيلة الشرعية مبناها ثلاثة أمور .

الأول : المتوسِّل إليه وهو الله ذو الفضل والإنعام .

والثاني : الواسل أو المتوسِّل وهو العبد الضعيف ، المحتاج ، الطالب القرب من الرب تعالى ، أو الراغب في قضاء حاجة له من جلب خير ، أو دفع شر .

والثالث : المتوسِّل به وهو العمل الصالح المتقَرَّب به إلى الله تعالى وهو الوسيلة ، ولكي تكون الوسيلة مجدية نافعة يحصل بها القرب ، أو تُقضى بها الحاجة لا بد من مراعاة ما يلي كشروط أساسية لا بد من توفرها للواسل الذي يريد أن ينتفع بوسيلته :-

(١) أن يكون العبد الواسل إلى الله تعالى المتوسل إليه مؤمناً صالحاً .

(٢) أن يكون العمل المتوسِّل به مما شرع الله تعالى لعباده أن يتقربوا به إليه سبحانه .

(٣) أن يكون العمل المشروع قربة موافقاً في أدائه لما كان الرسول صلى الله عليه وسلم يؤديه ، فلا يُزاد فيه ، ولا ينقص منه ، ولا يفعل في غير زمانه الذي شُرِع له ، ولا في غير مكانه الذي عين له وحُدِّد .

فلهذا لا يكون عمل غير المؤمن قربة ولا وسيلة أبداً ، كما لا

---

(١) الضمير في إليها عائد إلى الرغبة .

يَكُونُ مَدْعُوهُ قَرِيبًا إِلَى اللَّهِ تَعَالَى ، وَلَا وَسِيلَةَ بَيْنَهُ مِنَ الْأَحْوَثِ  
وَالْوَسَائِلِ يَهْدِي اللَّهُ مَشْرُوعَهُ مَدْعُوهُ إِلَيْهَا فِي كُلِّ زَمَانٍ وَمَكَانٍ وَلَهُ  
عِلْمٌ فِي مَوَاقِفِ الْمَدْعُوَّةِ

يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَابْتَغُوا إِلَيْهِ الْوَسِيلَةَ وَجَاهِدُوا فِي سَبِيلِهِ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿١٠﴾

ت. م. رحمانی میسورہ، پاکستان

وَالَّذِينَ يَدْعُونَ يَتَقُونَ إِلَىٰ رَبِّهِمُ الْوَسِيلَةَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ وَيَرْجُونَ رَحْمَتَهُ وَيَخِفُونَ عِذَّهُ

فمنه وله لأففى من وتركب لغوميس في ضل شرب من له تعالى  
شعر قد عك الشراء عن الشراش ووجست ، لأ تقوى به تعالى  
شعر شعل منمور ، وترت سسهي . وفيه شحقق سحة من عد  
شعر به تعالى ، وعلل لوسيه وهي شرب من له تعالى ولحظة  
شعر سحة تعالى يكون شعل مؤلف عدوت من صلا ، وصم .  
شعر . شح ، وعمة ، وحمد ، وعبره من سائر مؤلف .  
شعر ، وصدع ، وفي وله شيه حار عن شرب من شرب كمو  
شعر به من شل فاسم شرب من شل وعدو شرب وشرب به  
شعر مؤلف ، وشرب من شرب به شعرو سلا شل شرب من  
شعر وعدو عدو شرب ، فحبر تعالى عن حله في هذه الآية كريمة  
شعر من شلهم . وصلاتهم محمدية

## الوسيلة جائزة وممنوعة

والوسيلة منها ما هو جائز ، ومنها ما هو ممنوع ، فالجائز منها هو كل وسيلة أذن فيها الشارع ندباً أو إباحة ، والممنوع منها ما لم يأذن فيه الشارع كراهة أو تحريماً ، ولا فرق في ذلك بين التوصل إلى الأمور الدنيوية ، أو الأمور الآخروية فلا بد من إذن من الشارع في جواز الوسيلة ، وإلا حرمت ، ومن أمثلة ذلك في الأمور الدنيوية :

(١) شخص يريد أن يحصل على ثروة مالية فبحث عن وسيلة تحقق له مراده فرأى قتل أخيه الغني الذي لا وارث له إلا هو ، فهل هذه الوسيلة يجوز استعمالها ، للحصول على المال المطلوب ؟ والجواب قطعاً : لا ، لأنها وسيلة محرمة .

(٢) رجل خطب امرأة في نفسها فأبى الزواج منه فرأى أن الوسيلة أن يذهب إلى ساحر ، أو دجال يكتب له حرزاً ليحببه إليها حتى تتزوجه . فهل هذه الوسيلة جائزة ؟ والجواب ، لا . بل هي محرمة شرعاً .

(٣) امرؤ سرق له مال ولم يعرف سارقه ، فقيل له : إن فلاناً عَرافاً اذهب إليه فسيكشف لك عن السارق بواسطة رثيه من الجن ، فهل يجوز أن يذهب إليه ليكشف له عن السرقة بواسطة الجن ؟ والجواب ، لا ، لأن هذه الوسيلة محرمة .

(٤) رجل مرض له أخوه فعالجه فلم يبرأ ، فقيل له : اذهب إلى



الضريح الفلاني واستشفع بمصاحبه . وباده واستغث به فإن أخاك يرا من  
مرصه . فهل يجوز أن يذهب مريضه إلى هذا الضريح . ويستشفع به  
ويسعيت ؟ والجواب لا . لأن هذا العمل ترك بالله

(٥) مريض وُصف له تبرع كأس من الحمر سبع ليل أو أكثر أو  
قل ليلاً من مرصه . فهل يجوز استعمال هذه الوسيلة لشائه ؟  
والجواب لا

(٦) حكومة مسلمة قبل لها . ب هناك كلال بوليسية تكتنف عن  
لحرثه بصورة عجيبة . فهل يجوز أن تستعمل هذه الكلال في كشف  
لحرثه ؟ والجواب لا . لأن هذه الوسيلة محرمة . إذ ليلية لا تمت  
ولا سبده عذيب من تسليمين . أو الاعتراف من لحدي . فكيف  
تعمل سبده كتب ؟

(٧) بلاد أدت ب تروج . فقبل بها ذهبي إلى ولاية لشوفة  
والتحريج في سائر بلاد حيث شلال في أدت ب فتروجيه ولا ولا .  
لأنها تعرف بوسيلة إلى لها من حل . فهل يجوز لها أن تذهب إلى  
ولاية لدمية بحسب عن عيب ؟ والجواب لا . إذ الوسيلة هذه  
محرمة شرعاً . وبهذا من ذلك فيه شرع فقط . فتحرير وسيلة لشخرة .  
وخرابحه . وقصاعه . وخدمته للحصول على المال . ولكن لا يجوز  
تربا . عيش . وسرفه . والتقصص لحيث حال

لحدر لدهي من لفرص لادوية . ولا يجوز مندوي  
للمسلم . وللمسلمات . والمحرمت . يجوز لحيث عن محرمين .  
و لدهي . وسعدان لوسائل لخرابة لاكتشاف لسرفات . ولكن لا  
لحدر . لبلاد لونسية . ولا استخدام الكهنة . ولا معرفة .  
لحدر بوسيلة الكهنة و لفرصين . و محرمين

## وفي الأمور الإلهية :

إن المراد من التوسل في الأمور الإلهية هو التوسل إلى الله تعالى في أحد أمرين :

أولهما : وهو أشرفهما وهو القرب من الله تعالى ، والحظوة لديه ، والمنزلة العالية عنده .

وثانيهما : قضاء الحاجات بجلب نفع ، أو دفع ضرر ، وبعبارة أوضح : هو التوسل إلى الله تعالى للحصول على مرغوب في الدنيا أو الآخرة ، والنجاة من مرهوب في الدنيا أو الآخرة .

والتوسل إليه تعالى لا يكون إلا بما شرعه عبادة وقرية يعبد به عبادته المؤمنون ، ويتقربون به إليه ، فكل توسل إليه تعالى بغير ما شرعه من العبادات والقربات هو توسل باطل ضار غير نافع ، ومن هنا تعين أن نذكر جملة صالحة من أنواع الوسائل الشرعية ، المباحة ، النافعة للواصلين ، كما نفى عليها<sup>(١)</sup> بذكر جملة أخرى من الوسائل المحرمة الباطلة تعليمياً وتحذيراً . وبذلك نكون قد وفينا هذا الجزء من العقيدة بحثاً وتحقيقاً . وقبل الشروع ننبه إلى أن الطاعات التي شرعها الله تعالى لعباده قريباً يتقربون بها إليه ، ووسائل يتوسلون بها كثيرة ، وهي : كل الإيمان والعمل الصالح ، وأعظمها وسيلة الإيمان بالله ورسوله ، ثم أداء الفرائض التي افترضها الله تعالى على عباده ، ودون ذلك نوافل العبادات ، وترك المحرمات والمكروهات ، وذلك لقوله تعالى في الحديث القسي الذي أخرجه البخاري :

« وَمَا تَقَرَّبَ إِلَيَّ عَبْدِي بِشَيْءٍ أَحَبَّ إِلَيَّ مِمَّا افْتَرَضْتُهُ عَلَيْهِ . وَلَا يَزَالُ عَبْدِي يَتَقَرَّبُ إِلَيَّ بِالنَّوَافِلِ حَتَّى أُحِبَّهُ . . . الحديث »<sup>(٢)</sup> .

(١) نفى عليها أي تنعها .

(٢) متن البخاري - (٨ / ١٣١) - كتاب الرقاق باب التواضع مطبعة محمد علي صبيح وأولاده

## الوسائل المشروعة

(١) الإيمان :

من الوسائل المشروعة الإيمان بالله تعالى ، وبكل ما أمر الله بالإيمان به من الملائكة ، والكتب ، والرسل ، واليوم الآخر ، والقضاء والقدر .

والإيمان من أفصل الأعمال ، وأشراف الوسائل التي يتوسل بها  
 إلى الله تعالى للحصول على مغرب ، أو أنجدة من مرقوب ، فقد  
 رصده الله تعالى وسيلة إليه ، وأتى على المتوسلين به في قوله من سورة

﴿ رَبَّنَا إِنَّا أَمْنَا فَاغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ ﴾ (١)

وہی قوتہ میں آل عمران ایشا :

رَبِّ إِنَّا سَمِعْنَا مُنَادِيًا يُنَادِي لِلْإِيمَانِ أَنْ ءَامِنُوا بِرَبِّكُمْ فَآمَنَّا رَبَّنَا فَاغْفِرْ  
لَنَا ذُنُوبَنَا وَكَفِّرْ عَنَّا سَيِّئَاتِنَا وَتَوَفَّنَا مَعَ الْأَبْرَارِ ﴿٧﴾

وفي حديث أن رجلاً توسل في دعائه بالإيمان فقرأ منهم بي  
مئة مرة حتى شهد أن لا إله إلا الله وأحد أقصم نبي  
الله محمد وجمعه بعد وقرأ له كل واحد واحد وارسوا صلى الله عليه  
وسلم بمئة مرة

والذي نفسي بيده لقد سأل الله بأسمه الأعظم<sup>١</sup> الذي إذا دُعِيَ به<sup>٢</sup> أحسب وإذا سُئِلَ به أعطى<sup>٣</sup>.

ومن هنا كان لأي مؤمن أو مؤمنة أن يتوسل إلى الله تعالى بإيمانه في أي حاجة من حوائج الدنيا والآخرة أرادها فيقول : اللهم إني أسألك بإيماني بك ، وبرسولك ، أو بأني أشهد أنك أنت الله الذي لا إله إلا أنت ، وأن محمداً عبدك ورسولك ، أن تغفر لي ، وترحمني ، أو تقضي حاجتي في كذا . . . ويسمي حاجته .

## ٢ - الصلاة :

إن الصلاة فرضها ونفلها من أفضل الأعمال وأحبها إلى الله تعالى : لقوله صلى الله عليه وسلم في رواية الصحيح وقد سئل عن أحب الأعمال إلى الله تعالى فقال : « الصلاة على وقتها » فأي مؤمن أو مؤمنة يرغب في المنزل عند الله تعالى والحظوة لديه عز وجل فليحافظ على الصلوات الخمس وليؤدها في أوقاتها بظفر بمرغوبه بإذن الله تعالى ، وأي مؤمن أو مؤمنة تعرض له حاجة ، ويرغب في قضائها ، والحصول عليها فليتوضأ وليصل ركعتين ويسأل الله تعالى حاجته فإنها تقضى بإذن الله كما أمر الرسول صلى الله عليه وسلم الرجل الضرير بأن يتوضأ ويصلي ركعتين ، ويسأل الله تعالى ، ففعل ودعا له الرسول صلى الله عليه وسلم فرد الله عليه بصره<sup>(١)</sup>.

## ٣ - الصيام :

إن طالب القرب من الله تعالى ، والراغب في الحظوة لدى مولاه ، والمتوسل إليه بالإيمان ، وصالح الأعمال يُرشد إلى الصيام فإنه خير وسيلة إلى ذلك ، فقد روى النسائي في سننه : « أن أبا أمامة أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : « يا رسول الله دلني على عمل أدخل به الجنة ؟ قال : قال : عليك بالصوم فإنه لا مثل له » . وروى البخاري ومسلم واللفظ له أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال :

(١) رواه الترمذي (٩ / ١١٧ ، ١١٨) وأحمد (٤ / ١٣٨) وابن ماجه (إمامة / ١٨٩)

« مَا مِنْ عَبْدٍ يَصُومُ يَوْمًا فِي سَبِيلِ اللَّهِ تَعَالَى إِلَّا بَاعَدَ اللَّهُ بِذَلِكَ الْيَوْمَ وَجْهَهُ عَنِ النَّارِ سَبْعِينَ خَرِيفًا » <sup>(١)</sup> وصح أيضاً : « أَنَّ خُلُوفَ قِمِ الضَّائِمِ أَطْيَبُ عِنْدَ اللَّهِ مِنْ رِيحِ الْمِسْكِ » <sup>(٢)</sup>

هذا ورد في التوسل بالصيام للحصول على القرب من الله تعالى وأما التوسل به لقضاء الحاجات ، واستجابة الدعوات فقد روى ترمذي بسند حسن وأحمد كذلك عن أبي هريرة : « أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، قَالَ : ثَلَاثَةٌ لَا تُرَدُّ دَعْوَتُهُمْ : الصَّائِمُ حَتَّى يُفْطِرَ ، وَالْإِمَامُ الْعَادِلُ ، وَالْمَظْلُومُ » وورد بسند ضعيف « للصائم دعوة لا ترد » ويشهد به الحديث السابق عليه

٤ - نصدقة

ب. « صدقة تطب الماء . وطب النفس تنعم الوسيلة تطب  
تغرب من لله تعالى ، وأتولى إليه ، ولنعم الوسيلة للحصول على  
مريم ، لديوي وأحروي . وللمجة من المروء في الدين  
« أحبة . » هـ هي دى أحديث الرسول صلى الله عليه وسلم تشهد  
ذلك يؤكد . فـ صلى الله عليه وسلم في الصحيح « إتقوا النار  
ونو شق نمره . » وقر . الصدقة تُطْفِئُ الحظيئة كما يُطْفِئُ الماء  
النار . » وقال : « صنائع المعروف تقي مصارع السوء . وصدقة البر تُطْفِئُ  
غضب الرب . وصلة الرحم تزيد في العمر »

١. ... (٢٠٠٢) ... (٣٢) ... (١٥٩) ...  
٢. ... (١٩) ... (٣٠) ... (١٥٨) ...  
٣. ... (٣٠) ... (١٥٧) ... (١٥٨) ...

## ٥ - الحج :

إن الحج إلى بيت الله تعالى لمن أعظم القرب ، وأشرف الوسائل ، ويكفي في التدليل على ذلك أن نعلم أن الحج المبرور ليس له جزاء إلا الجنة وأن من حج فلم يرفث ولم يفسق خرج من ذنوبه كيوم ولدته أمه ، كما صح ذلك عن النبي صلى الله عليه وسلم في رواية الشيخين .

## ٦ - الاعتمار :

والاعتمار : هو زيارة بيت الله تعالى للطواف به ، والسعي بين الصفا والمروة وسيلة للقرب من الله تعالى واستجابة الدعاء ، وتكفير الذنوب لقول الرسول صلى الله عليه وسلم في الصحيح : « تَابِعُوا بَيْنَ الْحَجِّ وَالْعُمْرَةِ فَإِنَّهُمَا يَنْفِيَانِ الْفَقْرَ وَالذُّنُوبَ كَمَا يَنْفِي الْكَبِيرُ خُبَثَ الْحَدِيدِ ، وَالذَّمَبَ وَالْفِضَّةَ » .

## ٧ - الجهاد والرباط :

إن الجهاد في سبيل الله ، والرباط لمن أعظم الوسائل وأشرفها ، وأجل الأعمال وأفضلها ، ولنعم الوسيلة هما للفوز بالقرب من الله تعالى وللحظوة لديه سبحانه وتعالى . يَقُولُ الرَّسُولُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي رِوَايَةِ الصَّحِيحِينَ : « إِنَّ فِي الْجَنَّةِ مِائَةَ دَرَجَةٍ أَعَدَّهَا اللَّهُ لِلْمُجَاهِدِينَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ، مَا بَيْنَ الدَّرَجَتَيْنِ كَمَا بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ »<sup>(١)</sup> ويقول : « مَقَامُ الرَّجُلِ فِي الصَّفِّ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَفْضَلُ مِنْ عِبَادَةِ الرَّجُلِ سِتِينَ سَنَةً »<sup>(٢)</sup> ويقول « الْغَازِي فِي سَبِيلِ اللَّهِ ، وَالْحَاجُّ إِلَى بَيْتِ اللَّهِ ،

(١) البخاري (١٥٣ / ٩) ومسلم (٣٧ / ٦٦) .

(٢) رواه الدارمي (الجهاد / ٧) وأحمد (٤٤٦ / ٢) ، والحاكم وقال صحيح على شرط البخاري (٦٨ / ٢) .

وَالْمُتَمَرِّزُ وَقَدْ لَلَّهُ دَعَاهُمْ فَأَجَابُوهُ «إِنْ دَعَاكَ أَجَابَهُمْ، وَإِنْ  
اسْتَغْفَرُوا غُفِرَ لَهُمْ»<sup>(١)</sup> ويقول: «رَبَّاطُ يَوْمٍ فِي سَبِيلِ اللَّهِ خَيْرٌ مِنْ  
الدُّنْيَا وَمَا فِيهَا، وَمَوْضِعُ سُوْطٍ أَحَدُكُمْ مِنَ الْجَنَّةِ خَيْرٌ مِنَ الدُّنْيَا وَمَا  
عَلَيْهَا، وَالرُّوحَةُ بِرُوحِهَا الْعَبْدُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ، أَوْ الْغَدَاةُ خَيْرٌ مِنَ  
الدُّنْيَا وَمَا عَلَيْهَا»<sup>(٢)</sup>

وَيَقُولُ ۖ «لُعِنَتِ النَّارُ عَلَى عَيْنِ دَمْعٍ أَوْ بَكَتْ مِنْ خَشْيَةِ اللَّهِ .  
وَلُعِنَتِ النَّارُ عَلَى عَيْنِ سَهَرٍ فِي سَبِيلِ اللَّهِ» (٣)

## ٨ - تلاوة القرآن الكريم

بِأَنَّهُ لَا يُدْرِكُ حَقِيرَ ذِكْرِهِ لِمَنْ أَشْرَفَ الْوَسَائِلَ ، وَحَيْرَ مَا يُضْطَبُّ بِهِ الْفُتُورُ  
مَنْ يَدَّ تَعْنِي ، بِذَلِكَ الْفَرْقَةُ أَحْرَافُ مِمَّا عَشَرَ حَسَنَاتٍ ، أَحَدِثُ التَّوَمُّدِي عَنِ  
مُسْتَعِدِّ ، كَمَا أَنَّ أَحَدَ مِنْ قُرَّائِهِ ، وَمَدَارِسُهُ تَرِنُ عَنْهَا السَّكِينَةُ ، وَتَحْفُفُ  
بِالْهَيْئَةِ ، وَتَعْبُدُ بِأَرْحَمِهِ أَحَدِثُ الصَّحِيحِ ، وَتَعْنِمُهُ وَتَعْبِمُهُ نَاسٌ بِكَسِهِ  
حَبِيرَةٍ بِمَوْفِ بِهِ سَمِعَ أَنَّ مَدَارِسَ الْمُؤَمِّينَ يَقُولُ بِمَوْفِ صُنَى اللَّهِ عَلَيْهِ وَسَمِعَ فِي

الْقِسْمِ ٢٤

«خيرُكم من تعلم القرآن وعلمه»<sup>(١)</sup> كما يحجبه في معية المكرم سورة  
 من تعداد بقوله الحديث مسند . «الماهرُ بالقرآن مع السفرة الكرام  
 البررة»<sup>(٢)</sup> كما يقول له «إدْخِلِ الْحَنَّةَ إِفْرَأْ وَارْقَ» وَرَبَّلْ كَمَا كُنْتَ تُرَبِّلُ

(۱) ۲۴ شهریور ۱۳۵۷ - به یمن بیهوده و زحمتی که در آنجا می‌باشد

(2) 4. 3 (Y)

٢١. ۱۰۰۰ م. ع ۱۳۵ هـ، قصه فی نصیحین (۲: ۲۵۷) من نون و نحر و ح و خرج نسبی

(٨) بحري (٦٧٣٧) (٥) مسقط (٧١٩٥)

في الدنيا ، فَإِنَّ مِزْلَتَكَ عِنْدَ آخِرِ آيَةٍ تَقْرُوهَا » كما روى ذلك الترمذي بسند صحيح<sup>(١)</sup> .

### الذكر والتسبيح :

إن ذكر الله تعالى وتسبيحه بالكلمات الواردة عن النبي صلى الله عليه وسلم مثل كلمات : لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، له الملك وله الحمد ، وهو على كل شيء قدير ، ومثل قول : سبحان الله وبحمده سبحان الله العظيم ، ومثل قول : سبحان الله ، والحمد لله ، ولا إله إلا الله ، والله أكبر ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم لمن أعظم القرب ، وأفضل الوسائل لقول الرسول صلى الله عليه وسلم كما في الصحيحين . يَقُولُ اللَّهُ تَعَالَى « أَنَا عِنْدَ ظَنِّ عَبْدِي بِي ، وَأَنَا مَعَهُ إِذَا ذَكَرَنِي فِي نَفْسِهِ ذَكَرْتُهُ فِي نَفْسِي ، وَإِنْ ذَكَرَنِي فِي مَلَأْ ذَكَرْتُهُ فِي مَلَأْ خَيْرٍ مِنْهُمْ »<sup>(٢)</sup> . وَلَقَوْلُهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، لِلرَّجُلِ الَّذِي قَالَ لَهُ . « إِنَّ شَرَّ رِجَالِ الْإِسْلَامِ قَدْ كَثُرَتْ ، فَأَخْبِرْنِي بِشَيْءٍ أَتَشَبُّهُ بِهِ قَالَ « لَا يَزَالُ لِسَانُكَ رَطْبًا مِنْ ذِكْرِ اللَّهِ تَعَالَى »<sup>(٣)</sup> . وقوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ « مَا عَمِلَ ابْنُ آدَمَ عَمَلًا أَتَجِبُ مِنَ الْعَذَابِ مِنْ ذِكْرِ اللَّهِ تَعَالَى »<sup>(٤)</sup> وقوله « مَثَلُ الَّذِي يَذْكُرُ رَبَّهُ ، وَالَّذِي لَا يَذْكُرُ اللَّهَ مَثَلُ الْحَيِّ وَالْمَيِّتِ »<sup>(٥)</sup> .

### ١٠ - الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم

إن الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم من أعظم الوسائل وأشرفها لرفع الدرجات ، وقضاء الحاجات لقول الرسول صلى الله عليه وسلم في

(١) الترمذي (٤٢/١١ ، ١٣) وأحمد (٤٠/٣) .

(٢) اللؤلؤ والمرجان (٢١٩/٣) .

(٣) رواه الحاكم وصححه ورواه الترمذي (الدعوات ٤١) وأحمد (٤/١٨٨ / ١٩٠) .

(٤) رواه الطبراني بإسناد صحيح ، وكذا ابن ماجة (أدب / ٥٣) وأحمد (٥/ ٢٣٩) ومبره

(٥) رواه البخاري (١٠٧/٨) .



الصحيح : « مَنْ صَلَّى عَلَيَّ صَلَاةً وَاحِدَةً صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ بِهَا عَشْرًا »  
 وقوله لئدي قال له : « أَجْعَلْ لَكَ صَلَاتِي كُلَّهَا » : إِذَا تُكُنِّي هُنَّكَ ،  
 وَيَغْفُرُ لَكَ ذُنُوبَكَ (١)

وقوله في حديث أحمد والحاكم الصحيح عن عبد الرحمن بن عوف  
 وئدي جاء فيه « أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حَرَّحَ فَتَعْتَهُ حَتَّى دَخَلَ حِلًّا  
 فَسَجَدَ فَأُظِّلَ السُّجُودَ حَتَّى خَفَّتْ عَلَيْهِ ، أَوْ خَفَتْ لَنْ يَكُونَ لَهُ قَدْ تَوَدَّ وَ  
 قَبَضَهُ ، قَالَ فَحَثَّ أَطْرَفَيْ رُفُوعِ رَأْسِهِ ، فَقَالَ : مَا لَكَ يَا عَبْدَ الرَّحْمَنِ ؟ قَالَ  
 فَذَكَرْتُ ذَلِكَ لَهُ ، فَقَالَ : « إِنَّ حَبْرَيْلَ عَلَيْهِ السَّلَامُ قَالَ لِي : أَلَا أُبَشِّرُكَ ؟ إِنَّ  
 لِلَّهِ عِزًّا وَجَلًّا يَقُولُ : مَنْ صَلَّى عَلَيْكَ صَلَّيْتُ عَلَيْهِ ، وَمَنْ سَلَّمَ عَلَيْكَ سَلَّمْتُ  
 عَلَيْهِ ، فَسَجَدْتُ لِلَّهِ شُكْرًا .

#### ١١ - الاستغفار :

الاستغفار وهو طلب المغفرة من الله عز وجل بقصد الاستغناء عنه ،  
 أو بطلب غفراني ، من الوسائل المشروعة ذات الفصل العظيم ، تشاء الله  
 تعالى على أهله بقوله

﴿ وَالْمُسْتَغْفِرِينَ بِالْأَسْحَارِ ﴾ (٢)

وقوله

﴿ وَيَا أَسْحَدٍ هُمْ يَسْتَغْفِرُونَ ﴾ (٣)

وقوله

﴿ وَالَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا فَحِشَةً أَوْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ ذَكَرُوا اللَّهَ فَاسْتَغْفَرُوا  
 لَهُمْ يَوْمَئِذٍ ﴾ (٤)

(٢) سورة النحل الآية (١٦)

(٣) سورة النحل الآية (٢٣) صحيحه

(٤) سورة النحل الآية (١٣٥)

(٥) سورة النحل الآية (١١)

ولقول الرسول صلى الله عليه وسلم « مَنْ قَالَ أَسْتَغْفِرُ اللَّهَ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ وَأَتُوبُ إِلَيْهِ غُفِرَ لَهُ وَإِنْ كَانَ قَدْ فَرَّ مِنَ الرَّحْبِ »<sup>(١)</sup>. ولقوله صلى الله عليه وسلم : « مَنْ لَزِمَ الْإِسْتِغْفَارَ جَمَلَ اللَّهُ لَهُ مِنْ كُلِّ فَرْجَاءٍ ، وَمِنْ كُلِّ ضِيقٍ مَخْرَجًا ، وَرَزَقَهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ »<sup>(٢)</sup>.

الدعاء :

إن الدعاء وسؤال الله عز وجل لمن خير ما يتوسل به المتوسلون لقضاء حوائجهم ، وتفريج كربهم ، وكيف لا يكون كذلك ، والله تعالى يقول :

﴿ أَدْعُونِي أَجْتَبْ لَكُمْ ﴾<sup>(٣)</sup>

ويقول :

﴿ وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ ﴾<sup>(٤)</sup> والرسول صلى الله عليه وسلم يقول . الدعاء هو العبادة ويُقرأ قول الله تعالى : ﴿ وَقَالَ رَبِّكُمْ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ ﴾<sup>(٥)</sup>.

ويقول : « مَا عَلَى الْأَرْضِ مُسْلِمٌ يَدْعُو اللَّهَ بِدَعْوَةٍ إِلَّا أَتَاهُ اللَّهُ تَعَالَى إِيَّاهَا ، أَوْ صَرَفَ عَنْهُ مِنَ السُّوءِ مِثْلَهَا ، مَا لَمْ يَدْعُ بِإِثْمٍ أَوْ قِطِيعَةٍ رَجِمَ »<sup>(٦)</sup>. وقال : « مَا مِنْ مُسْلِمٍ يَنْصَبُ وَجْهَهُ لِلَّهِ عَزَّ وَجَلَّ فِي مَسْأَلَةٍ إِلَّا أَعْطَاهَا إِيَّاهُ : إِمَّا أَنْ يُعْجِلَهَا لَهُ ، وَإِمَّا أَنْ يُدْخِرَهَا لَهُ فِي الْآخِرَةِ » . وفي لفظ « إِلَّا أَعْطَاهُ اللَّهُ

(١) رواه أبو داود وإسناده جيد .

(٢) رواه أبو داود وهو صحيح الإسناد (٣٤٨/١) وأحمد (١٤٨/١) (٣٤٨ / ١) والترمذي (دعوات / ١١٧) .

(٣) سورة غافر الآية (٦٠) .

(٤) سورة البقرة الآية (١٨٦) .

(٥) تقدم تخريجه .

(٦) رواه الترمذي وصححه (دعوات / ١١٥) .

إحدى ثلاث . إما أَنْ يُعْجَلَ لَهُ دَعْوَتُهُ ، وإما أَنْ يُدْخِرَهَا لَهُ فِي الْآخِرَةِ ، وإما أَنْ يُصْرَفَ عَنْهُ مِنَ السُّوءِ بِمِثْلِهَا . قالوا . إِذَا تَكَثَّرَ ! قَالَ اللَّهُ أَكْثَرُ<sup>(١)</sup> ، وَقَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ « إِنَّ اللَّهَ حَيٌّ كَرِيمٌ يَسْتَحْيِي إِذَا رَفَعَ الرَّجُلُ إِلَيْهِ يَدَيْهِ أَنْ يَرُدَّهُمَا صَفْرًا خَائِبَتَيْنِ »<sup>(٢)</sup> .

١٢ - دعاء المؤمنين .

١٠ من بين الوسائل المشروعة : التي تُرفع بها الدرجات ، وتقضى بها الحاجات دعاء المؤمن لأخيه المؤمن ، فقد كان أصحاب الرسول صلى الله عليه وسلم يأتونه يطلبون منه أن يدعو الله تعالى لهم ، فيستجيب الله تعالى له فيهم ، فتقضى حاجاتهم ، فكم من مرة توسلوا رضى الله عنهم بدعاء بينهم في طلب العيش ، فيستجيب الله تعالى ويسقون ، وهذا ثابت في صحيح لا شك فيه وقد تقدم خبر الضريز ، وأنه توسل بدعاء النبي صلى الله عليه وسلم . قال « ادْعُ اللَّهَ لِي يَا رَسُولَ اللَّهِ أَنْ يُرَدَّ عَلَيَّ بَصْرِي فِدْعَا لُهِ لِرَسُولِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَرَدَّ اللَّهُ عَلَيْهِ بَصْرَهُ ، وَغَادَ كَأَنْ لَمْ يَكُنْ قَدْ مَسَّهُ بُصْرٌ »<sup>١٣٠</sup> . كما صح أنه صلى الله عليه وسلم قال لعمر بن الخطاب وهو يريد العمرة « لَا تَسْأَلُنِي يَا أَخِي مِنْ دُعَائِكَ » وفي لفظ « أَشْرَكْنَا يَا أَخِي فِي دُعَائِكَ »<sup>١٣١</sup> . وتوسل أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم بعد وفاته بدعاء نبيهم صلى الله عليه وسلم في صلاة استسقاء فاستجاب الله تعالى له .

(18-3) 4 2 1

٣٤٦. ماضي الدعوت ١٠٤، وحسنه، والتحكم وصححه على شرط

(13)  $\frac{d}{dt} \left( \frac{1}{r^2} \right) = -\frac{2}{r^3} \frac{dr}{dt}$

د. ۱۱۸، ج ۱، ص ۱۳۹ و ۱۴۰، مزاجه (۱۸۹۰ء)

(109-2) 2000 01 13 1 10 00 00

(४२, ४४) ...

وما زال المسلمون إلى اليوم يتوسلون بدعاء بعضهم بعضاً ، فيقول المؤمن لأخيه ادع الله لي يا فلان ، لما علموا من مشروعية ذلك وجوازه ، وكيف وقد ثبت أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : « مَنْ دَعَا لِأَخِيهِ بِظَهْرِ الْغَيْبِ قَالَ الْمُؤَكَّلُ بِهِ آمِينَ وَلَكَ بِمِثْلِهِ » رواه مسلم (١).

### ١٣ - أسماء الله تعالى الحسنى :

إن التوسل إلى الله تعالى بأسمائه الحسنى ، وصفاته العليا لمن خير الوسائل وأجدها ، وأنفعها للعبد ، فإن امرأً مسلماً يدعو الله تعالى بأسمائه وصفاته لا يخيب في دعائه ، ولا يُحرم الاستجابة من ربه إلا أن يدعو بإثم أو قطيعة ، ومما ورد به التوسل من أسماء الله تعالى وصفاته ما يلي ذكره :

١ - لفظ يا ذا الجلال والإكرام ، لحديث الترمذي الحسن الإسناد عن معاذ وهو قوله صلى الله عليه وسلم وَقَدْ سَمِعَ رَجُلًا يَقُولُ : يَا ذَا الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ : « قَدْ اسْتَجِيبَ لَكَ فَسَلْ » .

٢ - يا أرحم الراحمين ، لما روى الحاكم عن أبي أمامة أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : « إِنَّ لِلَّهِ مَلَكًا مُوَكَّلًا بِمَنْ يَقُولُ يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ ، فَمَنْ قَالَهَا ثَلَاثًا قَالَ الْمَلَكُ إِنَّ أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ قَدْ أَقْبَلَ عَلَيْكَ فَسَلْ » .

٣ - اللهم إني أسألك بأن لك الحمد ، لا إله إلا أنت ، يا حنان يا منان ، بديع السموات والأرض يا ذا الجلال والإكرام ، لحديث أنس عند أحمد وغيره بسند صحيح : « أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، مَرَّ بِأَبِي عِيَّاشٍ وَهُوَ يُصَلِّي وَيَقُولُ : اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ بِأَنَّ لَكَ الْحَمْدُ . . . الخ فَقَالَ : لَقَدْ سَأَلْتَ اللَّهَ بِاسْمِهِ الْأَعْظَمِ الَّذِي إِذَا دُعِيَ بِهِ أَجَابَ ، وَإِذَا سُئِلَ بِهِ أُعْطِيَ » (٢) .

٤ - يا رب ، يا رب ، يا رب ، لحديث عائشة : « إِذَا قَالَ الْعَبْدُ يَا

(٢) أحمد (٣/١٥٨) .

(١) مسلم (٨/٨٦) .

رب ، يا رب يا رب قال الله تعالى : ﴿ لِيَكْ غَبْدِي سَلْ تُعْطِ ۝ ﴾ (۱) .

۵ - لا إله إلا أنت سبحانك إني كنت من الظالمين . لحديث سعد بن أبي وقاص عند النسائي والترمذي وسنده لا بأس به : أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : « دَعْوَةُ ذِي النُّونِ إِذْ دَعَا وَهُوَ فِي بَطْنِ الْحَوْتِ : لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنْتُ مِنَ الظَّالِمِينَ ، فَإِنَّهُ لَمْ يَدْعُ بِهَا رَجُلٌ مُسْلِمٌ فِي شَيْءٍ فَطُ إِلَّا اسْتَجَابَ اللَّهُ تَعَالَى لَهُ ۝ ﴾ (۲)

هذا وأسماء الله تعالى وهي تسعة وتسعون اسماً كلها يدعى بها الرب تترك وتعالى ، وتوسل بها إليه ، فيستجيب للداعين ، ويعطي السائلين ، وهو البير الرحيم ، الحواد الكريم . وما ذكرناه مجرد مثال حضرنا من قرب فتأولناه ، وإلا فإن أسماء الله تعالى ، وصفاته كلها يدعى بها ، قال تعالى : ﴿ وَلِلَّهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ فَادْعُوهُ بِهَا ۝ ﴾ (۳)

### ۱۳ - فعل الخيرات مطلقاً .

إنه ما من خير أو بر يفعل المؤمن إيماناً واحتساباً إلا كان له وسيلة إلى ربه فليسأل به مولاه عز وجل فإنه يعطيه ولا يخيبه أبداً . وشاهد هذا ما جاء في البحاري ومسلم من حديث النفر الثلاثة الذين آواهم المبيت إلى غار في جبل فسقطت صخرة على فم الغار فسدته عليهم ، فقد توسل اثنان منهم بر فعلوه لوجه الله ، وتوسل الثالث بتركه إثم تركه خوفاً من الله ، فاستجاب الله لهم ، وكشف ما بهم ، وخرجوا سالمين من الغار (۴) .

كما أن رجلاً من بني إسرائيل أمار غصن شوك من طريق المؤمنين خشية أن يصيب أحداً منهم ، فشكر الله تعالى له ذلك العمل القليل ، فغفر

(۱) - في الحديث ، وسكت عنه المحدثون ولم يدرك له علة ، الترغيب والترهيب (۲- ۴۸۸) .  
(۲) - الترمذي (دعوت ۸۱) وأحمد (۱۷۰/۱) (۳) سورة الاعراف الآية (۱۸۰)  
(۴) - مجمع تقيون والمبرحان (۱۳۶/۳) والبحاري (۹۹/۳ ، ۱۰۰) ومسلم (۸/ ۸۹ ، ۹۰)

له ، وأدخله الجنة<sup>(١)</sup> . كما أن امرأة بغياً من بني إسرائيل سقت كلباً عطشان يأكل الثرى من شدة العطش سقته لوجه الله تعالى فشكر الله تعالى لها ذلك ، وأدخلها الجنة ، وهذا ثابت في الصحيحين لا مجال لإنكاره<sup>(٢)</sup> .

#### ١٤ - ترك المحرمات .

إن من بين الوسائل النافعة المشروعة للحصول على القرب ، والفوز برضاء الرب ، ولاستجابة الدعوات ، وقضاء الحاجات ، ترك المحرمات ، إنه ما من مؤمن يترك كبيرة من كبائر الإثم خوفاً من الله تعالى وحياء منه إلا كان له ذلك وسيلة ، له أن يتوسل به إلى ربه . كما فعل أحد الثلاثة الذين سدت الصخرة عليهم باب الغار حتى كادوا يهلكون ، فقد توسل إلى الله تعالى بقوله : « اللَّهُمَّ كَانَتْ لِي بِنْتُ عَمٍّ ، كَانَتْ أَحَبُّ النَّاسِ إِلَيَّ فَأَرَدْتُهَا عَنْ نَفْسِهَا فَأَمْتَنَعَتْ مِنِّي حَتَّى أَلَمْتُ بِهَا سَنَةً مِنَ السِّنِينَ فَجَاءَتْنِي فَأَعْطَيْتُهَا مِائَةَ وَعَشْرِينَ دِينَاراً عَلَى أَنْ تُخَلِّيَ بَيْنِي وَبَيْنَ نَفْسِهَا فَفَعَلَتْ ، حَتَّى إِذَا قَدِرْتُ عَلَيْهَا ، قَالَتْ : لَا أَجِلُ لَكَ أَنْ تَقْضِيَ الْخَاتَمَ إِلَّا بِحَقِّهِ ، فَتَحَرَّجْتُ مِنَ الْوُقُوعِ عَلَيْهَا ، فَأَنْصَرَفْتُ عَنْهَا وَهِيَ أَحَبُّ النَّاسِ إِلَيَّ ، وَتَرَكْتُ الذَّهَبَ الَّذِي أُعْطِيتُهَا ، اللَّهُمَّ إِنْ كُنْتُ فَعَلْتُ ابْتِغَاءً وَجْهَكَ فَأَفْرِجْ عَنَّا مَا نَحْنُ فِيهِ فَاَنْفَرَجَتْ الصَّخْرَةُ . . . الخ<sup>(٣)</sup> .

وهكذا فإنه لكل مؤمن أن يتوسل إلى الله تعالى عند الشدائد ، وتعسر لأمر بما ترك من معاصي الله تعالى خوفاً من الله وحياء منه ، وطاعة له ، بعد أن يكون قد هم بها وأرادها ، فانه يستجاب له ، ويفرج كربته ، أو تقضى حاجته باذن الله تعالى .

(١) الحديث ثابت في الصحيحين راجع للؤلؤ والمرجان (٣١ / ٢٠١) والبخاري (١٥٧/١) ؛

(١٥٨) ومسلم (٣٤ / ٨) .

(٢) راجع للؤلؤ والمرجان (٧٥/٣) والبخاري (٢١١/٤) ومسلم (٤٤/٧ ، ٤٥) .

(٣) متفق عليه؛ اللؤلؤ والمرجان (٢٣٦/٣) والبخاري (٩٩/٣) ومسلم (٨٩/٨ ، ٩٠) .

## الوسائل المحرمة

وبعد ذكرنا تلك الطائفة الدفعة من الوسائل المشروعة ، نذكر هنا  
جمعة من الوسائل الباطنة الممنوعة ، والتي شملت الكثير من المسلمين  
عن الوسائل الدفعة ، وصرفتهم عنها فحرموا من التوسل مشروع ،  
سبب شعولهم بالميموع ، فحدثوا في سعيهم وحسرو

نذكر هذا لأصحاب المسلمين ، وسبب رسالة لإسلام ، وتعريف بها  
من مسلمين وغير المسلمين

ومن تلك التوسلات الباطنة الممنوعة

### ١ - دعاء الأولياء والصالحين :

إن دعاء الصالحين والاستغاثة بهم ، والتوسل بجاههم لم يكن في  
دين الله تعالى قرينة ولا عملاً صالحاً فيتوسل به أنداء ، وإنما كان شركاً  
في عبادة الله محرم ، يخرج دونه من الدين ، ويوجب له الخلود في  
جهنم

كل ما يفعله جهة المسلمين اليوم من دعاء الصالحين كقوله  
أحرمه يا سيدي فلان ، ومولاي فلاناً حله بيدي ، وكل لي كذا ،  
وإذ الله لي بكذا ، أو أن في حماك ، وأنا بك وبالله ، وأنا دخيلك إلى  
غير ذلك من كلمات الشرك والباطل هو من الضلال ، والجهل ،  
(إنه من دى ، إذ لم يشرعه ولم يأذن فيه بل حرمه ، ومعه ،  
وتوعد عليه بمثل قول الله تعالى

﴿إِنَّهُ مِنْ يُشْرِكِ بِاللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ اللَّهُ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ وَمَأْوَاهُ النَّارُ﴾ (١)

## ٢ - النذور للأولياء والصالحين :

إن ما ينذر جهلة المسلمين من نذور للأولياء والصالحين من أموات المسلمين ليس وسيلة مشروعة لله للتقرب بها إلى الله تعالى ، ولا لقضاء الحاجات واستجابة الدعوات ، وإنما هو شرك مُحرم ، وقع فيه من وقع من أمة الإسلام لبعدهم عن دراسة كتاب الله ، وسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم .

إن قول أحدهم : يا سيدي فلاناً إن رزقني الله كذا ، أجعل لك كذا . أو يا سيدي فلاناً إن تحقق لي كذا ، أو تحصلت على كذا أجعل لك كذا ، أو أقدم لك كذا . . كل هذا نذر لغير الله تعالى ، وعبادة صُرفت لغيره تعالى فصاحبها آت أخطر باب من أبواب الشرك ، والإسلام بريء من عمله ، إذ ليس من عقائد المسلمين الإقبال على غير الله تعالى ، ودعاؤه ، وعِدته بالذبح له ، أو بناء قبة عليه ، أو بإيقاد الشموع على ضريحه ، أو وضع ستائر على تابوته ، إن حصل للنادر ما نذر لأجله . بل هذا يتنافى مع كلمة التوحيد والغرض الذي يقولها المسلم من أجله ، وهو نفي العبادة عن كل أحد وإثباتها لله تعالى وحده لا شريك له .

## ٣ - الذبائح على أرواح الأولياء :

إن ما عرفه جهلة المسلمين اليوم ، وتعارفوا عليه من الذبائح على أضرحة الأولياء ، وعلى المشاهد ، والقباب في المواسم التي تقام باسم أولئك الصالحين من الوقت إلى الوقت ، ومن سوق البقر ، والغنم لتذبح هناك حول أضرحة الصالحين ، كل هذا ضلال وباطل ، وليس

(١) سورة المائدة الآية (٧٢) .



مما شرع الله تعالى لعباده التوسل به إليه أبداً ، وإنما هو عمل من أعمال الجاهلية الأولى ، وشرك في عبادة الله تعالى ، وتنديد ، حرمهما الله تعالى بقوله :

﴿وَاعْبُدُوا اللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا﴾<sup>(١)</sup>

ويقوله :

﴿فَلَا تَجْعَلُوا لِلَّهِ أَندَادًا وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾<sup>(٢)</sup>

#### ٤ - العكوف حول قبور الصالحين :

ليس من التوسل المشروع نقل المرضى إلى أضرحة الأولياء ، ولا لذكوف حول تلك الأضرحة والقبور ، ولا المبيت هناك ، ولا إقامة الحفلات والحضرات . كما ليس من التوسل المشروع في شيء الاستشفاع بأصحاب تلك الأضرحة والقبور ، ولا نداءاتهم ، وطلب الدعاء منهم ، ولا الاستغاثة بهم . وإنما هذا وما شابهه مما يُقام عند الأضرحة والقبور شرك محرم ، وعمل فاسد لا يأتيه إلا من سفه نفسه ، وجهل أكبر أصل من أصول الدين الإسلامي وهو توحيد الله تعالى بعبادته وحده دون سواه . وإن المصير على هذا الباطل والمقر عليه كنيهما أشرك بالله تعالى ، وكفر بعد إيمانه ، والعياذ بالله تعالى .

#### ٥ - سؤال الله بجاه فلان :

ليس من التوسل إلى الله تعالى طلباً للقرب ، ولا لقضاء الحاجات سؤال الله تعالى بجاه أحد من خلقه . كقول أحدهم : اللهم إني أسألك بجاه نبيك فلان ، أو عبدك فلان ، إذ هذا التوسل لم يعرفه دين الإسلام ، فلم يرد في كتابه ولا في سنة نبيه صلى الله عليه

(١) سورة النساء الآية (٣٦) .

(٢) سورة الفرقة الآية (٢٢) .

وسلم ، والذي عرفه الإسلام ، وأمر به ، ودعا إليه هو سؤال الله تعالى بأسمائه الحسنى ، وصفاته العليا ، وذلك كقول المسلم : يا الله ، يا أرحم الراحمين ، يا ذا الجلال والإكرام ، يا حي يا قيوم . امثالاً لقول الله تعالى ، وطاعة له في قوله :

﴿وَلِلَّهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ فَادْعُوهُ بِهَا﴾<sup>(١)</sup>

أما سؤاله تعالى بجاء فلان فإنه سؤال مبتدع لم يعرفه سلف هذه الأمة ، ولا صدرها الصالح . وما كان من جنس البدع والأمور المحدثه فإنه لا يكون وسيلة تعطى بها الرغائب ، وتقضى بها الحاجات .

٦ - سؤال الله تعالى بحق فلان :

كما ليس من التوسل المشروع بل هو من الممنوع : سؤال الله تعالى بحق فلان ، أو فلان ، إذ هذا التوسل لم يرد في الكتاب الذي قال تعالى فيه

﴿مَا فَرَطْنَا فِي الْكِتَابِ مِنْ شَيْءٍ﴾<sup>(٢)</sup>

ولم يرد في سنة النبي صلى الله عليه وسلم الصحيحة التي قال أبو هريرة فيها «عَلَّمَنَا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كُلَّ شَيْءٍ حَتَّى الْخُرَاءِ»<sup>(٣)</sup> فهو إذاً من التوسلات المحدثه الباطلة التي نهى عنها سلف هذه الأمة ، وكرهوها للمسلمين فقد نقل عن أبي حنيفة أو أحد تلامذته رحمهم الله تعالى الإنكار الشديد على من سأل الله تعالى بحق فلان ، إذ لا حق لأحد على الله تعالى فيسأل به ، وإنما الله ذو فضل فيسأل من فضله كما قال تعالى :

(١) سورة الأعراف الآية (١٨٠) .

(٢) سورة الأنعام الآية (٣٨) .

(٣) روى مسلم رحمه الله عن سلمان قال : « قيل له : علمكم نبيكم صلى الله عليه وسلم كل شيء .

حتى الخراءة قال فقال : أجل .. » (١٥٤/١) .

﴿ وَسْأَلُوا اللَّهَ مِنْ فَضْلِهِ ۚ إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا ﴾<sup>(۱)</sup>

إنه بدل أن يسأل المسلم ربه بسؤال يدعي منهى عنه لا يعطى به فليسأله بسؤال شرعي مأذون فيه ؛ يستجاب له به ، ويعطى مسأله ، وهو أن يقول : « اللهم إني أسألك بإيماني بك أو بنبيك ، أو بكتابك أو محبتي لك أو لفلان نبيك أو عبدك أن تقضي حاجتي ، أو تخرج كربتي ، أو تخلصني من محني . . . » أو يقول « اللهم أسألك وأتوجه إليك بمحبتتي ، واتباعي لنبيك نبي الرحمة محمد صلى الله عليه وسلم ، أن تكشف صرري . أو تقضي حاجتي أو تعطيني كذا أو كذا » لأن هذا من التوسل المشروع الذي يعطى به الداعي ويستجاب له إذا تمسك به ، وكان أهلاً للإحاطة بإيمانه وإسلامه . وهو مغن للمؤمن عن التوسل بما لم يشرع في كتاب ولا سنة .

(۱) سورة النساء الآية (۳۶)

## ( تنبيه هام )

يحسن بنا هنا أن ننبه إلى ثلاث شبه قد تعرض للمسلم عند الكلام على التوسل والوسيلة وهي :

١ - حديث الضرير ، ونصه كما رواه الترمذي وأحمد وغيرهما بسند لا بأس به :

« أَنْ رَجُلًا ضَرِيرٌ الْبَصَرِ أَتَى النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ : اذْعُ اللَّهُ أَنْ يُعَافِيَنِي . قَالَ : إِنْ شِئْتَ دَعَوْتُ لَكَ ، وَإِنْ شِئْتَ صَبَرْتَ فَهُوَ خَيْرٌ لَكَ ، فَقَالَ أَدْعُهُ . فَأَمَرَهُ أَنْ يَتَوَضَّأَ فَيُحْسِنَ الْوُضُوءَ فَيُصَلِّيَ رَكْعَتَيْنِ وَيَدْعُو بِهَذَا الدُّعَاءِ : اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ وَأَتَوَجَّهُ إِلَيْكَ بِنَبِيِّكَ نَبِيِّ الرَّحْمَةِ ، يَا مُحَمَّدُ إِنِّي تَوَجَّهْتُ بِكَ إِلَى رَبِّي فِي حَاجَتِي هَذِهِ فَتَقْضِ لِي . اللَّهُمَّ شَفِّعْهُ فِيَّ . قَالَ فَقَعَلَ الرَّجُلُ فَبَرَأَ<sup>(١)</sup> ووجه الشبهة في الحديث : أن يقول المرء : مادام الضرير قد علمه الرسول صلى الله عليه وسلم أن يقول اللهم إني أسألك ، وأتوجه إليك بنبيك نبي الرحمة ... الخ فلم لا أفعل أنا مثله لقضاء حوائجي ؟

والجواب . أن نقول إن هذا التوسل مركب من عدة أمور ولا يتم إلا بها ، وبعض هذه الأمور قد تعذر الحصول عليه بوفاء الرسول صلى الله عليه وسلم ، ألا وهو دعاء الرسول صلى الله عليه وسلم لأحدنا

(١) أحمد (١٣٨/٤) وغيره .

اليوم ، وشفاعته لنا عند الله تعالى في قضاء حاجتنا ، وذلك لوفاته صلى الله عليه وسلم ، والتحاقه بالرفيق الأعلى . فلو قام أحدنا اليوم يقول : يا رسول الله ادع الله لي أن يقضي حاجتي . لكان قوله باطلاً وضلالاً . ولا معنى له ، إذ الرسول صلى الله عليه وسلم لا يسمعه ولا يراه . ولا يدعو الله تعالى له أبداً ، ولو قال أحدنا اليوم : اللهم إني أسألك وأتوجه إليك سيك . إلح لكان كاداً في قوله ، لأنه لم يقدم بين يدي دعائه الرسول صلى الله عليه وسلم يدعو له ، حتى يقول لله تعالى اللهم إني أتوجه إليك سيك اللهم تشفعه في ، إنما يقول هذا من قدم رسول صلى الله عليه وسلم يدعو الله تعالى له كما دعا لمضرير .

ومن ههنا لم يبق هذا التوسل بتلك الكيفية حائراً ولا نافعاً لفقد أعظم أبكاه وأهم عذره وهو دعاء الرسول صلى الله عليه وسلم بمسير . وعلى فرض أن مؤمناً قدم فتوسل به ، وبراً من مرضه ، أو قُضيت له حاجته ، فإن ذلك لا يدل على حواره ومشروعيته ، إذ حاجته قد قضيت بقضاء وقدر . كما قد يحصل لبعض الناس أن يدعو ميتاً ، ويتشفع به فتقضى حاجته ، ويقول سيدي فلان قضى حاجتي ، ولحقيقته أن وسيلته شرك محرم . وما قضى له من حاجة إنما وافق فيه قدر فقط ، لا أن السيد دعا له وأن الله تعالى قد استجاب له .

هذا . ولا بأس أن يفعل المسلم ما يمكنه فعله من هذه الوسيلة ويوسل به إلى الله تعالى وهو أن يتوصلاً فيحس الوضوء ، ويصلي ركعتين ، ويقول اللهم إني أسألك وأتوجه إليك بإيماني وحبي لسيك سي الرحمة محمد صلى الله عليه وسلم أن تقضي حاجتي ، ويسمي حاجته فإنه يرجى أن يستجيب الله تعالى له ، ويقضي حاجته .

من باب سحدث نعمة الله تعالى أقول : إنه صادف يوم تبيض هذه الرسالة ووضوئي فيها إلى هذا الموضوع من مواضعها : أن كنت

بالدار البيضاء من المغرب وفي آخر رمضان ورغبت في عمرة فيه ، وحاولت أن أحجز مقعداً بالطائرة فقليل لي إنه غير ممكن . وإذا تأخرت عن هذه الرحلة ينتهي رمضان ولم أعتزم فيه كما كنت أعتزم وأمل ، فتوضأت وصليت ركعتين وقلت اللهم إني أسألك وأتوجه إليك بإيماني بنبيك نبي الرحمة محمد صلى الله عليه وسلم ، وحبي له ، أن تيسر لي أمر سفري على الطائرة الفلانية يوم كذا لأعتزم عمرة مبرورة في رمضان هذا .

وعدت إلى مكتب الشركة فوالله ما رمت مكاني حتى قُضيت حاجتي ، وتم حجزي والحمد لله رب العالمين ، ونفعني الله تعالى بهذه الوسيلة المشروعة .

٢ - حديث استسقاء عمر بن العباس رضي الله عنهما ، ونصه كما في البخاري أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه كان إذا قحطوا استسقى بالعباس بن عبد المطلب فقال : اللَّهُمَّ إِنَّا كُنَّا نَتَوَسَّلُ إِلَيْكَ بِنَبِيِّنَا فَتَسْقِينَا ، وَإِنَّا نَتَوَسَّلُ إِلَيْكَ بِعَمْرِ نَبِيِّنَا فَاسْقِنَا ، قَالَ : فَيَسْقُونَ<sup>(١)</sup> .

ووجه الشبهة في هذا الحديث . أن يقال : مادام عمر رضي الله عنه قد قال « اللهم إنا كنا نتوسل إليك بنينا فتسقيننا » وهو إقرار من عمر بأنهم كانوا يتوسلون بالنبي صلى الله عليه وسلم .

فلم لا نتوسل نحن اليوم بالنبي صلى الله عليه وسلم .

والجواب عن هذه الشبهة : أن نقول إن توسلهم رضوان الله عليهم بالنبي صلى الله عليه وسلم كان بطلبهم منه أن يدعو الله تعالى لهم بالغيث فيدعو فيستجيب الله دعوته ويسقيهم كما قد حصل مراراً . لا أنهم كانوا يتوسلون إلى الله تعالى بذات النبي ، أو بجاهه صلى الله

(١) البخاري (٢/ ٣٢ ، ٣٣) .

عليه وسلم فيقولون : اللهم إنا نتوسل إليك ببيك ، أو بحاجه بيك ،  
والبي غائب عنهم ولم يدع الله تعالى لهم ، إذ لو كان الأمر هكذا لم  
توسل عمر بالعباس رضي الله عنهما وإنما كان يقول : اللهم إنا  
نتوسل إليك ببيك ، أو بحاجه بيك فاستقنا ، ثم يقل عمر هـد لأنه يعلم  
أن التوسل بالنبي صلى الله عليه وسلم كان بدعائه عليه الصلاة والسلام  
لهم ، وإنما توفي صلى الله عليه وسلم لم يبق ليدعوا لهم ، توسلوا  
بالعباس ليدعوا الله تعالى لهم فكان يدعو ، ويستجيب لله له فيسقون .

ومن هنا كان من الخائز المشروع أن يقدم المسلمون مؤمناً  
صالحاً يدعو لهم عند الحوادث ، ولكن من غير الخائز أن يقدموا ميتاً  
أو عدواً لهم ويقولوا : اللهم إنا نتوسل إليك بفلان أو بحاجه فلان لأن  
هذا كذب وباطل ، مادام الذي قدموه وسببه تربهم غشاً أو ميئ ، لأن  
لغالب أو الميت لا يعرف عن حاجتهم ، ولا يسمع عنهم من لدعاء ،  
ولا هو يدعو لهم ، وإذا لم يدع لهم فم تكون الاستحقة ؟؟

٣٠ - ما ورد من لفظ « اللهم إني أسألك بحق السائلين  
عليك »

ورجحه الشبهة أن يقول : النبي صلى الله عليه وسلم قال : إني  
أسألك بحق السائلين عليك فم لا يتوسل بحق مثل ذلك ، ويقول  
لهم إنا - أثبت بحق فلان أو فلان ؟؟

والجواب - يقول : إن الحديث الذي ورد فيه هـد فقط  
حديث ضعيف ، والصعب لا تؤخذ منه لأحكامه فضلاً عن مسألة تتعلق  
بالعقيد . شهده مع أن هـد اللفظ لم يصرح عن النبي صلى الله عليه  
وسلم ، ما ورد عن سؤ - الله تعالى بحق فلان أو فلان ، لأن معنى

بحق السائلين عليك : اللهم استجب لي كما تستجيب للداعين ، لأنك قلت ادعوني استجب لكم ، وذلك لأنه مادام تعالى قد أمر عباده بدعائه ، وواعدهم بالاستجابة فقال عز وجل من سورة المؤمن ﴿وَقَالَ رَبِّكُمُ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ﴾<sup>(١)</sup>

أصبح لكل داع حق أن يطلب ربه بما وعده به لينجزه له ، فمن هنا لما دعا الرسول صلى الله عليه وسلم عند خروجه من بيته للصلاة قال مستنجزاً ربه وعده .

« اللهم إني أسألك بحق السائلين عليك وبحق ممشاي هذا » . فهو قد سأل ربه بصفة من صفاته تعالى الفعلية وهي الإجابة للداعين والمثوبة للعاملين بطاعته ، الماشين إلى بيوته لأداء عبادته .

قلنا هذا من باب التزول والفرص ، وإلا فما دام الحديث ضعيفاً فإنه لا يلتفت إليه ، ولا إلى من يحتج به ، شأنه شأن حديث قول آدم في الجنة لما اقترف الخطيئة : يا رب أسألك بحق محمد لما غفرت لي . . . الخ .

وحديث فاطمة بنت أسد أم علي رضي الله عنهما ، وأن الرسول صلى الله عليه وسلم قال بعد أن اضطجع في قبرها . « الله الذي يحيي ويميت وهو حي لا يموت اغفر لأمي فاطمة بنت أسد ، ولقنها حبتها ، ووسع مدخلها بحق نبيك ، والأنبياء الذين قبلي فإنك أرحم الراحمين » . فإن هذه الأحاديث قد حكم أهل الحديث بضعفها وبطلانها فلا يلتفت إليها ، ولا يعول عليها أو يحتج بها . وفيما صح عن نبينا صلى الله عليه وسلم من التوسلات المشروعة كفاية . فلنأخذ ما صفا ، ولنترك ما كدر .

(١) الآية (٦٠) .



## الاستشفاع

وإن مما اشتهر أمره على كثير من المسلمين حتى وقع من وقع منهم في أمور عظيمة من الباطل : معنى الاستشفاع والتشفع والشفاعة . فترى أحدهم يدعو غير الله تعالى ، ويستغيث بغيره عز وجل ، ولا يحسب هذا دعاء لغير الله ، ولا يعده شركا في عبادته سبحانه وتعالى . وإذا قيل له في ذلك ، وأنكر عليه قال : هذا ليس بدعاء لغير الله ولا شرك في عبادته ، وإنما هو استشفاع وتشفع فقط .

ومن هذا رأينا بحث هذه المسألة ، وبيان الحق فيها تعريفاً وتحديد .

### معنى الاستشفاع :

الاستشفاع والتشفع والتشفع هذه الكلمات الثلاث مدلولها واحد . ومعناها لا يختلف وهو : أن يرضى إنسان من آخر التوسط له عند ذي قُبل أو سلطان ليفضي له حاجته في إعطائه ما هو في حاجة إليه . أو في تجاوز عنه في ذنب قربه ، أو حريمة ارتكبه ، والكلمات الثلاث مستقاة من لفظ التشفع الذي هو خلاف التور - الفرد - وبين ذلك صاحب الحاجة كمن وحدها قسم إليه الوسطة وهو من التشفع . ورضى شفيعه فكان معه شفيع أي تيسر بعد أن كان فرد . من هذا المعنى جاءت كلمات الاستشفاع والتشفع والتشفعة

## حكم الاستشفاع

لا بأس باستشفاع أحد بآخر عند ذي منصب أو مال ، أو سلطان  
ليشفع له عنده برفع حاجته إليه حيث عجز هو عن رفعها إليه ، لخموله  
أو قصوره وذلك لقول الله تعالى من سورة النساء

﴿مَنْ يَشْفَعْ شَفْعَةً حَسَنَةً يَكُنْ لَهُ نَصِيبٌ مِنْهَا وَمَنْ يَشْفَعْ شَفْعَةً  
سَيِّئَةً يَكُنْ لَهُ كِفْلٌ مِنْهَا<sup>(١)</sup> وَكَانَ اللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ مُقْبِتًا<sup>(٢)</sup>﴾ (٣)

ويؤجر الشافع على شفاعته ، ولو لم تقض حاجة من شفّع له ،  
وذلك لقول النبي صلى الله عليه وسلم في حديث أبي موسى :  
« اِشْفَعُوا تُؤْجَرُوا ، وَيَقْضِي اللَّهُ عَلَى لِسَانِ نَبِيِّهِ<sup>(٤)</sup> مَا شَاءَ »<sup>(٥)</sup>

وجواز الاستشفاع مشروط بأن يكون في حق ضاع ، أو حق  
يخشى ضياعه ، أو في شيء مباح ينتفع به . أما أن يكون في إثم  
بإسقاط حق من الحقوق ، أو تعطيل حد من الحدود فلا ، وذلك لقوله  
تعالى :

﴿وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَىٰ وَلَا تَعَاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ  
وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ<sup>(٦)</sup>﴾

ولقول الرسول ﷺ : « إِذَا بَلَغَ الْخُدُّ السُّلْطَانُ فَلَعَنَ اللَّهُ الشَّافِعَ  
وَالْمَشْفَعَ »<sup>(٦)</sup> .

(١) الكفل هنا الوزر المترتب على الشفاعة السيئة .

(٢) حفيظاً شاهداً أو حسيباً قديراً .

(٣) الآية (٨٥) .

(٤) رواه الشيخان للزُّور والمرجان (٣/ ٢٠٢ ، ٢٠٣) والخاري (٢/ ١٣٤) ، ومسلم (٨/

٣٧) .

(٥) سورة المائدة الآية ٢

(٦) التغليظ في الشفاعة في الحدود ثابت في الخاري (٨/ ١٩٩) والحديث المذكور ذكره مالك =

قیاس خاطیء :

وَجَهِلَ كَثِيرٌ مِنَ الْمُسْلِمِينَ رَجِيمَ عِزِّ وَجَلٍ فَلَمْ يَعْرِفُوهُ ، فَنَاقَسُوهُ  
سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَلَى بَعْضِ عِبَادِهِ فَاسْتَشْفَعُوا عِنْدَهُ بِالْأَوْلِيَاءِ وَالصَّالِحِينَ مِنْ  
مُؤْمِنِي الْمُسْلِمِينَ ، وَظَلَبُوا مِنْهُمْ الشَّفَاعَةَ لِنُذِيرِهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى ، فَكَانُوا  
يَقُولُونَ يَا سَيِّدِي فَلَا تَنْتَفِعْ لِي عِنْدَ رَبِّي فِي قَضَاءِ كَذَا وَكَذَا . . . . .  
وَبِإِذْنِ اللَّهِ فَلَا تَوْسَلْتَ بَيْنِي وَبَيْنَ رَبِّي ، فَادْعِ اللَّهَ لِي يَفْعَلَ بِي كَذَا  
وَكَذَا . وَلَمْ يَكْرِهْ عَلَيْهِمْ ذَلِكَ يَقُولُونَ إِنَّ الَّذِي لَا يَسْتَطِيعُ أَنْ يَدْخُلَ عَلَى  
السُّلْطَانِ يُضْطَرُّ لَهُ سَطْرَةٌ ٥٧

فجميع ذلك بين عظمتين : الأولى دعاء غير الله تعالى وهو  
مرت كنس ، وثانية فيس الحق على المحنوق ، وتثبيته به حيث  
صاح به منقطه كما أنطب للمحنوق من ذوي السلطان ، وجهوا أن  
المحنوق قد يخفى عليه أمر الإنسان فيحتج إلى من يعلمه به ، وبسببه  
يكون اختلاف ما نزل في معنى قوله عليه راحول عدده ، لا يخفى  
على من يعلم معنى ، وقد هو في حجة إلى من يعلم راحول عدده ،  
والمعلم له ، قد كان المحنوق قد يغفر عن رفع حخته إلى من  
يعلمه به ، من مصدر معدود وبصطر إلى تحت عن وسطة يتبع له  
رفع راحول إلى من يخصه به ، وقد لا بد من نسبة إلى الله تعالى  
بذلك ، واختلاف ما نزل مع الله تعالى يمكنه أن يرفع إليه  
المراتب ، مشيرة به من وسطة ، لعدم معنى راحول عدده وقوله منهم  
اختلاف المحنوقين فيهم أنفسهم راحول ناس ، وغفرهم عن كفرتهم  
اختلاف ما نزل حخته منهم ، إلى وسطة ترفع حخته إليهم ، فيعمود ،  
وهم ، منهم بمصدر ، وهذا المعنى مشتق مع الله تعالى نظام ومن

[illegible]

هنا قبح بالعبد أن يستشفع على ربه بأحد من خلقه . وحسن به أن يسأل ربه مباشرة وبغير واسطة ، وكيف وره تعالى يقول :

﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ فَلْيَسْتَجِيبُوا لِي وَلْيُؤْمِنُوا بِي لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ﴾<sup>(١)</sup>

ويقول :

﴿وَقَالَ رَبُّكُمُ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَبِّحُ خُلُون جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ﴾<sup>(٢)</sup>

وإن قيل كيف جاز لنا إذاً أن يقول بعضنا لبعض : يا فلان أدع الله تعالى لي بكذا ؟ أليس هذا هو عين ما نفيتموه من مسألة الاستشفاع بالأولياء ؟ .

قلنا : إن هذا ليس من ذاك أبداً ، وذلك لأمرين : أولهما : أن هذا قد أذن لنا الشارع فيه ، إذ ثبت بما لا مجال للشك فيه أن أصحاب الرسول صلى الله عليه وسلم كانوا يطلبون منه صلى الله عليه وسلم أن يدعو الله تعالى لهم . كما ثبت أن الرسول نفسه قد طلب مرة من عمر وهو ذاهب إلى العمرة أن يدعو الله تعالى له فقال : « لَا تُنْسِنَا يَا أَخِي مِنْ دُعَائِكَ »<sup>(٣)</sup> ، وبه أصبح المسلمون لا يترددون في أن يطلب أحدهم من أخيه أن يدعو الله تعالى له بخير . وكيف وقد أرشدنا إلى ذلك القرآن في قوله :

﴿رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالْإِيمَانِ﴾<sup>(٤)</sup>

(١) سورة البقرة الآية (١٨٦) .

(٢) سورة غافر الآية (٦٠)

(٣) رواه أبو داود (١/ ٣٤٤) والترمذي (دعوات / ١٠٩)

(٤) سورة الحشر الآية (١٠) .

إذ في القرآن دعاء المؤمنين بعضهم لبعض . وثانيهما : طلبنا الدعاء من عبد صالح حيّ يسمعنا ويرانا ، ويقدر على أن يدعو الله تعالى لنا هو كطلبنا منه أن يناولنا شيئاً ، أو يعطينا آخر ، بأن يقدم لنا طعاماً أو شرباً ، أو يعطينا مالاً أو متاعاً ، أو يعيننا على ما يشق فعله علينا ، أفليس هذا جائزاً ؟ بلى وقطعاً ، وبدون شك . وإذا فأي مانع من أن نقول لمؤمن صالح حيّ يصوم ، ويصني ويسمعنا ويرانا ، ويقدر على أن يدعو الله لنا ، أي مانع أن نقول له : ادع الله تعالى لنا يا فلان كذا أو اسأل الله تعالى لنا كذا أو كذا . . . أرجاء أن يستجيب الله تعالى له وبفتقضى حوائجنا ، أو نحصل على خير من حيري الدبيب أو لاجرة

وهذا بخلاف الاستشفاع بأموال المسلمين من أوبى وصالحين ، د هـ أموات ، وأنتم غير مكلف بعده ولا دعاء ولا يسمع من يديه ، ولا يعرف من يستشفع به ، فدفعه وصب نداء به . ولا استشفاع به صلات عقيقي وحضاً فكري . وفساد ديني ، يرا من الإسلام وأهله ، وهذه أقل أحواله وإلا فهو شرك في عبادة الله . ووعده من مشركين بالله والعبد به تعالى من شرك والمشركون

## الشفاعة في الآخرة

ما تقدم من أحكام الشفاعة ، والاستشفاع إنما كان في الشفاعة ، والاستشفاع اللذين يتمان في هذه الحياة الدنيا . أما الشفاعة في الدار الآخرة فانها تختلف - عنها في الدنيا اختلافاً كبيراً وذلك لأن الأمر يومئذ كله لله ، وليس لأحد غير الله تعالى منه شيء كما قال تعالى :

﴿ وَمَا أَدْرَاكَ مَا يَوْمُ الدِّينِ ۚ ثُمَّ مَا أَدْرَاكَ مَا يَوْمُ الدِّينِ ۚ ﴾ (١٨) يَوْمَ لَا تَمْلِكُ نَفْسٌ لِنَفْسٍ شَيْئًا وَالْأَمْرُ يَوْمَئِذٍ لِلَّهِ ۚ (١٩)

وقد تكون يوم القيامة شفاعات كثيرة غير أنها تجري على خلاف ما تكون عليه اليوم في الدنيا وهذا بيانه :

إن الشفاعة تنقسم يوم القيامة الى قسمين : شفاعة منفية تماماً لا حقيقة لها ، ولا واقع ، ولا وجود ، وشفاعة ثابتة واقعة لها حقيقة ووجود .

وللشفاعة المنفية صور منها : -

١ - شفاعة الآلهة التي عُبِدَت من دون الله أو معه فهذه شفاعة لا وجود لها البتة ، وسواء كان المعبود المرجو الشفاعة ملكاً ، أو نبياً ، أو صالحاً ، أو دون ذلك من الجن أو الشياطين ، أو الحيوانات والجمادات ، وذلك لقول الله تعالى :

(١) سورة الانفطار الآية (١٧ - ١٩)

﴿أَمْ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ شُفَعَاءَ قُلْ أُولَٰئِكَ لَا يَمْلِكُونَ شَيْئًا وَلَا يَعْقِلُونَ ﴿٣٢﴾ قُلْ لِلَّهِ الشُّفْعَةُ جَمِيعًا﴾<sup>(١)</sup>

ولأن من عبد غير الله تعالى مشرك كافر ، ولا شفاعه لكافر لقول

الله تعالى

﴿فَمَا تَنْفَعُهُمْ شُفْعَةُ الشَّفِيعِينَ﴾<sup>(٢)</sup>

وقوله :

﴿وَاتَّقُوا يَوْمًا لَا تَجْزِي نَفْسٌ عَنْ نَفْسٍ شَيْئًا وَلَا يَقْبَلَ مِنْهَا شُفْعَةٌ وَلَا يُؤْخَذُ مِنْهَا عَدْلٌ وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ﴾<sup>(٣)</sup>

وهذه قطعاً نفس الكافرين والمشركين .

٢ - الشفاعه بنون إذن الله تعالى للشافع ، أو عدم رصده عن

لمشموع له وذلك لقوله تعالى :

﴿مَنْ ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِنْدَهُ إِلَّا بِإِذْنِهِ﴾<sup>(٤)</sup>

وقوله .

﴿وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ارْتَضَى﴾<sup>(٥)</sup>

وقوله :

﴿وَكَمْ مِنْ مَلَكٍ فِي السَّمَوَاتِ لَا تُغْنِي شَفَعَتُهُمْ شَيْئًا إِلَّا مِنْ بَعْدِ أَنْ يَأْذَنَ اللَّهُ لِمَنْ يَشَاءُ وَيَرْضَى﴾<sup>(٦)</sup>

(٢) سورة المدثر الآية (٤٨)

(٤) سورة النقرة الآية (٢٥٥)

(٦) سورة النحم الآية (٢٦)

(١) سورة الزمر الأيات (٤٣ ، ٤٤)

(٣) سورة النقرة الآية (٤٨)

(٥) سورة الأنعام الآية (٢٨)

## والشفاعة المثبتة قسماً .

القسم الأول : شفاعات النبي محمد صلى الله عليه وسلم .

والقسم الثاني : شفاعات غيره من الأنبياء ، والأولياء ،  
والصالحين من عباد الله تعالى ، فأما شفاعاته صلى الله عليه وسلم فهي  
كثيرة منها : الشفاعة العظمى ، وهي الشفاعة في فصل القضاء ، وهي  
المقام المحمود الذي ذكر له في القرآن الكريم في قوله تعالى :  
﴿وَمِنَ اللَّيْلِ فَتَهَجَّدْ بِهِ نَافِلَةً لَّكَ عَسَىٰ أَن يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامًا  
مَّحْمُودًا﴾<sup>(١)</sup>

ورود بيان كيفية هذه الشفاعة في الصحيحين فروى البخاري  
ومسلم واللفظ لمسلم عن أبي هريرة قوله : أتى رسول الله ﷺ يوماً  
بلحم فرفع إليه الذراع ، وكانت تعجبه فنهس منها نَهْسة<sup>(٢)</sup> فقال : أنا  
سيد الناس يوم القيامة ، وهل تدرون بما ذلك ؟ يجمع الله يوم القيامة الأولين  
والآخرين في صعيد واحد ، فيسمعهم الداعي ، وينفذ فيهم البصر ، وتدنو  
الشمس فيبلغ الناس من الغم والكرب ما لا يطيقون ، ولا يحتملون ، فيقول  
بعض الناس لبعض : ألا ترون ما أنتم فيه ؟ ألا ترون ما قد بلغكم ؟ ألا تنظرون من  
يشفع لكم إلى ربكم ؟ فيقول بعض الناس لبعض : اتوا آدم ، فيأتون آدم ،  
فيقولون : يا آدم أنت أبو البشر خلقك الله بيده ، ونفخ فيك من روحه ، وأمر  
الملائكة فسجدوا لك ، اشفع لنا إلى ربك ، ألا ترى إلى مانحن فيه ؟ ألا ترى ما  
قد بلغنا ؟ فيقول آدم : إن ربي غضب اليوم غضباً لم يغضب قبله مثله ، ولن  
يغضب بعده مثله ، وإنه نهاني عن الشجرة فعصيته ، نفسي ، نفسي اذهبوا إلى  
غيري اذهبوا إلى نوح .

(١) سورة الإسراء الآية (٧٩) .

(٢) نهس أي أكل منها بمقدم أسنانه .



فيأتون نوحاً عليه السلام ، فيقولون : يا نوح أنت أول الرسل إلى الأرض . وسماك الله عبداً شكوراً ، اشفع لنا إلى ربك ألا ترى إلى مانحن فيه ؟ ألا ترى ما قد بلغنا ؟ فيقول لهم : إن ربي قد غضب اليوم غضباً لم يغضب قبله مثله ، ولن يغضب بعده مثله ، وإنه قد كانت لي دعوة فدعوت بها على قومي ، نفسي ، نفسي ، اذهبوا إلى إبراهيم عليه السلام

فيأتون إبراهيم ، فيقولون : أنت نبي الله تعالى ، وخليله من أهل الأرض اشفع لنا إلى ربك ، ألا ترى إلى مانحن فيه ؟ ألا ترى إلى ما قد بلغنا ؟ فيقول لهم إبراهيم : إن ربي قد غضب اليوم غضباً لم يغضب قبله مثله ، ولن يغضب بعده مثله ، وذكر كذباته ، نفسي ، نفسي ، اذهبوا إلى غيري ، اذهبوا إلى موسى

فيأتون موسى عليه السلام فيقولون يا موسى أنت رسول الله ، فضلك الله تعالى برسالاته ، وبتكليمه على الناس اشفع لنا إلى ربك ، ألا ترى إلى مانحن فيه ؟ ألا ترى ما قد بلغنا ؟ فيقول لهم موسى : إن ربي قد غضب اليوم غضباً لم يغضب قبله مثله ، ولن يغضب بعده مثله ، وإنني قتلت نفساً لم أؤمر بقتلها ، نفسي ، نفسي ، اذهبوا إلى عيسى ، فيأتون عيسى عليه السلام فيقولون : يا عيسى أنت رسول الله ، وكلمته الناس في المهد ، وكلمة منه ألقاها إلى مريم ، وروح منه ، فاشفع لنا إلى ربك ، ألا ترى إلى مانحن فيه ؟ ألا ترى ما قد بلغنا ؟ فيقول لهم عيسى : إن ربي قد غضب اليوم غضباً لم يغضب قبله مثله ، ولن يغضب بعده مثله ، ولم يذكر له ذنباً ، نفسي ، نفسي ، اذهبوا إلى غيري ، اذهبوا إلى محمد ﷺ

فيأتونني ، فيقولون : يا محمد أنت رسول الله ، وخاتم الأنبياء ، وغفر الله لك ما تقدم من ذنبك ، وما تأخر ، اشفع لنا إلى ربك ، ألا ترى إلى مانحن فيه ؟ ألا ترى ما قد بلغنا ؟ فأنطلق فاتي تحت العرش فأقع ساجداً لربي ثم يفتح الله تعالى

عليّ ، ويلهمني من محامده . وحسن الثناء عليه شيئاً لم يفتحه لأحد قبلي ، ثم قال : يا محمد ارفع رأسك ، سلّ تعط ، اشفع تشفع ، فأرفع رأسي فأقول : يا رب أمتي أمتي ، فيقال : يا محمد أدخل الجنة من أمتك من لا حساب عليه من الباب الأيمن من أبواب الجنة وهم شركاء الناس فيما سوى ذلك من الأبواب ، والذي نفسي بيده إن ما بين المصراعين من مصاريع الجنة لكما « بين مكة وهجر أو كما بين مكة وبُصرى »<sup>(١)</sup>.

ومن شفاعاته ﷺ : شفاعته في أناس من أمته فيدخلون الجنة بغير حساب ، وقد تقدم دليلها آنفاً في حديث الشفاعة العظمى حيث قال له الرب تعالى : « أدخل الجنة من أمتك من لا حساب عليه من الباب الأيمن » ومنها : شفاعته ﷺ في أناس من أمته استوجبوا النار بذنوبهم فيشفع لهم فلا يدخلوا النار ، ومنها : شفاعته ﷺ فيمن دخل النار من أمته فيخرج منها بشفاعته ﷺ لحديث الصحيحين واللفظ لمسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال : « لكل نبي دعوة مستجابة فتعجل كل نبي دعوته وإني اختبأت دعوتي شفاعة لأمتي يوم القيامة . فهي نائلة إن شاء الله من مات من أمتي لا يشرك بالله شيئاً »<sup>(٢)</sup>.

والقسم الثاني من الشفاعة المثبتة : شفاعة الملائكة ، والأنبياء ، والعلماء ، والشهداء : فشفاعة الملائكة ثابتة بقوله تعالى :

﴿ وَكَمْ مِنْ مَلَكٍ فِي السَّمَوَاتِ لَا تُغْنِي شَفَاعَتُهُمْ شَيْئاً إِلَّا مِنْ بَعْدِ أَنْ يَأْذَنَ اللَّهُ لِمَنْ يَشَاءُ وَيَرْضَى ﴾<sup>(٣)</sup>

(١) اللؤلؤ والمرجان (٤٩/١ - ٥١) ، والحارثي (١٠٥ - ١٠٧) ، ومسلم (١٢٧ - ١٢٩)

(٢) اللؤلؤ والمرجان (٥١/١) ، والحارثي (١٧٠/٩) ، ومسلم (١٣١/١)

(٣) سورة النجم الآية (٢٦)

ويقوله تعالى :

﴿وَلَا يَسْقُوْنَ إِلَّا لِمَنْ أَرْتَضَىٰ وَهُمْ مِنْ خَشْيَتِهِ مُشْفِقُونَ﴾<sup>(١)</sup>

وأما شفاعة الأنبياء ، والعلماء ، والشهداء فهي ثابتة بعموم القرآن ، وخصوص السنة ، ففي القرآن الكريم يقول تعالى :

﴿فَمَا تَنْفَعُهُمْ شَفَاعَةُ الشَّافِعِينَ﴾<sup>(٢)</sup>

ويقول وقوله الحق :

﴿لَا يَمْلِكُونَ الشَّفَاعَةَ إِلَّا مَنْ أَخَذَ عِنْدَ الرَّحْمَنِ عَهْدًا﴾<sup>(٣)</sup>

ويقول : ﴿مَنْ ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِنْدَهُ إِلَّا بِإِذْنِهِ﴾<sup>(٤)</sup>

فهذه الآيات دالة على وجود شفعاء بمنطوقها ومفهومها .

وفي السنة يقول الرسول صلى الله عليه وسلم ، فيما رواه ابن ماجة والبيهقي والبخاري : « يشفع يوم القيامة ثلاثة الأنبياء ثم العلماء ثم الشهداء » . واسناده حسن<sup>(٥)</sup>

وقوله صلى الله عليه وسلم « يشفع الشهيد في سبعين من أهل بيته » رواه أبو داود (١٧/٢) وصح أن القرآن الكريم يشفع لأهله كذلك<sup>(٦)</sup>

(١) سورة الأنبياء الآية (٢٨)

(٢) سورة المائدة الآية (٤٨)

(٣) سورة مريم الآية (٨٧)

(٤) سورة الحديد الآية (٢٥٥)

(٥) صحيح مسلم (٣٧)

(٦) جاء في صحيح مسلم من حديث أبي أمامة رضي الله عنه قال سمعت رسول الله صلى

الله عليه وسلم يقول : « قرأ القرآن فبِهِ بُدِيَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ شَفِيعٌ لِأَصْحَانِهِ » الحديث . من

مسند (١٩٧ / ٢)

وآخر القول في هذا أن كل ما تقدم من الشفاعات الثابتة للأنبياء والعلماء ، والشهداء هو مقيد بثلاثة قيود فلا تتم الشفاعة لعبد من عباد الله تعالى إلا بعد توفرها له ، وتلك القيود هي : -

١ - أن لا يشفع أحد إلا بعد إذن الرب تبارك وتعالى له . وذلك لقوله تعالى ﴿ مَنْ ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِنْدَهُ إِلَّا بِإِذْنِهِ ﴾ ؟ والاستفهام هنا للنفي أي لا أحد يشفع إلا بإذنه تعالى .

٢ - أن لا يشفع أحد في آخر إلا إذا كان الله تعالى قد رضي عن المشفوع فيه بارتضائه قوله وعمله . وذلك لقوله عز وجل

﴿وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ارْتَضَى﴾<sup>(١)</sup>

فانه صريح في نفي الشفاعة عن أحد لم يرتضه تعالى لذلك .

٣ - أن لا يشفع أحد فيمن مات على الشرك والكفر ، وذلك لحكم الله تعالى بخلود الكافرين والمشركين في النار بقوله :

﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ وَالْمُشْرِكِينَ فِي نَارِ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا أُولَئِكَ هُمْ شَرُّ الْبَرِيَّةِ﴾<sup>(٢)</sup>

ولهذا وجب أن ينقطع طمع العبد في غير الله تعالى : فلا يطلب الشفاعة من أحد ، ولا يسألها من غير الله عز وجل ، إذ الشفاعات كلها لله تعالى وليس لأحد سواه منها شيء ، قال تعالى

﴿قُلْ لِلَّهِ الشَّفَعَةُ جَمِيعًا﴾<sup>(٣)</sup>

وقال :

﴿مَنْ ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِنْدَهُ إِلَّا بِإِذْنِهِ﴾<sup>(٤)</sup>

(٢) سورة البينة الآية (٦) .

(٤) سورة البقرة الآية (٢٥٥) .

(١) سورة الأنبياء الآية (٢٨) .

(٣) سورة الزمر الآية (٤٤) .

ومن أراد شفاعة النبي ﷺ فليسألها من الله تعالى ، وليقل : اللهم شفّع في نبيك ، أو اللهم ارزقني شفاعة نبيك ، أو يا رب اجعلني ممن تُشفّع فيهم نبيك ، وليتبع سؤاله الشفاعة من الله تعالى بالعمل الموجب لها ، والمقتضي تحقيقها ، وهو يتلخص في ثلاثة أمور :

١ - الإخلاص لله تعالى في العبادة ، ونفي الشرك عنه تعالى في ربوبيته وأسمائه ، وصفاته ، وفي عبادته ، لحديث الصحيح : « مَنْ أَسْعَدَ النَّاسَ بِشَفَاعَتِكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ ؟ فَقَالَ مَنْ قَالَ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ خَالِصاً مِنْ قَلْبِهِ أَوْ مِنْ نَفْسِهِ » (١)

٢ - كثرة الصلاة ، لما صح عنه صلى الله عليه وسلم « أَنَّهُ سَأَلَهُ أَحَدُ أَصْحَابِهِ مُرَافَقَتَهُ فِي الْجَنَّةِ فَقَالَ لَهُ : فَأَعْنِي عَلَى نَفْسِكَ بِكَثْرَةِ السُّجُودِ » (٢) .

٣ - الصلاة على النبي ﷺ وسؤال الوسيلة له ، وذلك لحديث مسلم عن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما أنه سمع رسول الله ﷺ يقول : « إِذَا سَمِعْتُمُ الْمُؤَذِّنَ فَقُولُوا مِثْلَ مَا يَقُولُ ، ثُمَّ صَلُّوا عَلَيَّ ، فَإِنَّهُ مَنْ صَلَّى عَلَيَّ صَلَاةً صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ بِهَا عَشْرًا ثُمَّ سَلُوا اللَّهَ لِي الْوَسِيلَةَ ، فَإِنَّهَا مَنْزِلَةٌ فِي الْجَنَّةِ ، لَا تَنْبَغِي إِلَّا لِعَبْدٍ مِنْ عِبَادِ اللَّهِ ، وَأَرْجُو أَنْ أَكُونَ أَنَا هُوَ . فَمَنْ سَأَلَ اللَّهَ لِي الْوَسِيلَةَ حَلَّتْ لَهُ الشَّفَاعَةُ » (٣)

(١) - ر (١) ص (٣٥)

(٢) - ر (٢) ص (٥٢)

(٣) - ر (٣) ص (٤)

## التبرك

إن التبرك مثل التوسل والتشفع كلها شيء فهمها ، وجَهِل الناس بحقيقتها أوقع الكثير من المسلمين في أخطاء كبيرة أضرت بالمعتقد الإسلامي ، وأساء إلى الحياة الإسلامية أيما إساءة .

فباسم التبرك ، وتحت شعاره عُبدت الأشجار والأحجار ، وانتهكت الحرمات ، وضيعت الفرائض ، وأسقطت الواجبات . كما أنه باسم التوسل والاستشفاع ذبح لغير الله تعالى ، واستغِيث بغيره عز وجل .

وبالجملة فإن ما وقع من الشرك في هذه الأمة أيام جهلها بكتاب ربها ، وسنة نبيها ، وبعدها عنهما إنما كان في الغالب عن طريق التوسل ، والتشفع ، والتبرك . ولهذا رأينا أنه مما ينبغي أن يبحث في هذا المعتقد ، ليكون المسلم فيه على علم كامل ، وبينه تامة ، هذه الثلاثة : التوسل والاستشفاع والتبرك ، وقد بحثنا الأول والثاني ، وها نحن نبحث الأخير إن شاء الله تعالى فنقول :

### التبرك

التبرك مصدر تبرك بالشيء يتبرك به تبركاً إذا تيمن به ، والتيمن بالشيء هو طلب التيمن ، وهو البركة . والبركة هي النماء في الخير والزيادة فيه . ويطلق لفظ البركة على كل كثرة في الخير . واشتقاقها من بروك البعير ، وهو استنآخه في موضع ، ولزومه فيه . فالخير الدائم الثابت في الشيء ، والنامي فيه هو البركة .

والبركة في عرف الدين : ما يجعله الله تعالى من الخير في الشيء الذي يباركه . فقد أخبر تعالى أنه بارك في أرض الشام أي جعلها مباركة<sup>(١)</sup> وأخبر أنه جعل كتابه مباركاً<sup>(٢)</sup> ، والمعنى كثير خيرهما دائم لهما ، ثابت فيهما ، وأخبر عيسى عليه السلام عند تكلمه في المهد أن الله تعالى جعله مباركاً أينما كان . فقال :

﴿ وَجَعَلَنِي مُبَارَكًا أَيْنَ مَا كُنْتُ وَأَوْصَيْتَنِي بِالصَّلَاةِ وَالزَّكَاةِ مَا دُمْتُ حَيًّا وَبَرًّا بِوَلَدَتِي وَلَرَجَعَنِي إِلَىٰ أَبْنِيَائِي ﴾<sup>(٣)</sup>

ومن الأدعية المأثورة : « وبارك لي فيما أعطيتني » وعلى هذا فطلب لبركة والتماسها أمر مستحسن شرعاً ، لأنه من طلب الخير والتماسه ومن ذا يرغب عن طلب الخير أو يكون له غنى عن بركة الله ؟ ولكن بما يكون التبرك ، وكيف يكون ؟

أما بما يكون التبرك ؟

فإن التبرك يكون بما علم شرعاً أن فيه بركة ، وأذن الشارع في طلبها منه . والتماسها فيه ، وذلك كبيت الله الحرام ، وزمزم الذي قال فيه الرسول ﷺ « مَا زَمَزُمُ طَعَامُ طُعْمٍ ، وَشِفَاءُ سُقْمٍ »<sup>(٤)</sup>

وكالمساجد الثلاثة التي لا يُشَدُّ الرحال إلا لها ، وككل المساجد التي

(١) في قوله تعالى ﴿ وَحِينَهُ وَلَوْطًا إِلَى الْأَرْضِ الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا لِلْعَالَمِينَ ﴾ سورة الأنبياء الآية (٧١)

(٢) في قوله تعالى « كَتَابَ الْبُرْكَاتِ إِلَيْكَ مَارِكُ » سورة ص الآية (٢٩)

(٣) سورة مريم الآيات (٣١ ، ٣٢)

(٤) روى مسلم « إِيَّاهَا مُبَارَكَةٌ بِهَا طَعَامُ طُعْمٍ » في حديث فضائل أبي ذر (٧ / ١٥٢ - ١٥٤) والريادة (شفاء سقم) لغيره

بنيت باسم الله ، وتقام فيها عبادة الله من صلاة وغيرها ، وكالأراضي المقدسة من الحجاز والشام ، وكمجالس العلم والذكر ، وقراءة القرآن ، ومجالسة الصالحين ، ومرافقتهم في أسفارهم ، وطلب دعائهم .

## وأما كيف يكون التبرك !

فإنه يكون إن كان بيت الله تعالى فيزيارته للحج والعمرة ، وبالطواف به واستلام ركنيه ، والدعاء عنده ، والجلوس حوله ، وإن كان بزمزم فبالشرب منه ، والدعاء عند ذلك ، وإن كان بالمساجد الثلاثة فبالسفر إليها للصلاة فيها ، والاعتكاف بها ، وإن كان بسائر المساجد فبالصلاة فيها ، والعبادة بها من ذكر وتسبيح ، وقراءة قرآن ، وطلب علم ، وإن كان بالأراضي المقدسة فبالإقامة بها على حسن سيرة ، وكمال أدب ، والحياة فيها ، والموت بها والدفن فيها ، وإن كان بمجالسة الصالحين من أهل العلم ، والإيمان ، والتقوى فباخذ العلم عنهم ، وسماع نصائحهم ، والعمل بإرشادهم وتوجيهاتهم ، والرغبة في الحصول على دعائهم .

هذا - وبعد أن بينا ما يشرع التبرك به ، وكيف يتم التبرك به وجب أن نبين إتماماً للبحث حقائق هامة لا بد من بيانها في هذا البحث وهي :

١ - أن التبرك لم يعد كونه مشروعاً ، وأقصى درجات حكمه أن يكون مستحباً لا غير .

٢ - إن كان التبرك وهو طلب بركة ما قد يؤدي إلى فعل مكروه ، أو ارتكاب محرم فإنه يجب تركه ، ويتعين عدم فعله ، لأن درء المفسد مقدم على جلب المنافع ، ويشهد لهذا فعل عمر رضي الله عنه ، وهو أحد الخلفاء الراشدين الموصى شرعاً باتباع سنتهم ، فإنه رضي الله عنه لما رأى رغبة الناس عند المرور بالحديبية في طريقهم إلى مكة في التزود تحت شجرة ببيعة الرضوان للتبرك بها ، أمر بقطعها ، حسماً لمادة الفساد ، إذ لو تركت لعمدت كما عبد غيرها من أشجار كثيرة باسم التبرك ، وفي كل زمان ، ومكان من عهد



روح انی ساعتاً هذه .

۳- إن ما يفعله جهال المسلمین اليوم من شد الرجال إلى زیارة قبر فلان وفلان ، أو ضريح فلان من سید أو صالح ، وإقامة الحفلات حولها ، والتزول ساحتها ، والعکوف والإقامة اللیلة واللیلتین عندها باسمه التبرک ، کل هذا - ظل منهی عنه ، ولم یشرع فعله للمسلمین ، وإنما هو من محدثات الأمور وصلاح لا نداع ، وقد أدى إلى الشریک والعباد لله ، فکم تسمع من مستغیت - صاحب تبت الأصرحة ، وکم ترى حولها من مستحیر بها ، ودع صرع لها ، ربك حشع لها ، وکم تحد من قطع النقر ولعم تساق بیها ، وتذبح قبرها ، کل ذلك تحت شعار التبرک ، وعود التوسل والتشفع ، ألا فلا تبرک ، ولا توسل . ولا تشفع إذا کان ذلك يؤدي إلى الشریک والكفر .

۴- إن العبد الصالح الذي تقدم أنه يحور تبرک زیارته لا تتداع به ، ولا نداه ، وتوجيهه ، وصالحه ، واثباتی بدعته ، هذا العبد الصالح یسعی أن یكون من أهل العلم ، والإیمان ، والتقوی ، وإلا فلا تبرک زیارته ، ولا تبرک به لعدم وجود البركة في غیر أهل العلم ، والإیمان ، والتقوی .

۵- إذا کان الرجل يدعی التوالة ، ويدعو الناس إلى الاعتراف له بها ، ويستغل ذلك لفائدته الشخصية من حب مدفع حصة ، من حبه ، أو من ، أو من إلى ذلك من لحظوظ النفسية والدينية ، فإن مثل هذا الرجل دخل لا بركة عنده ، ولا حیر فيه ، فلا تحل زیارته ، ولا محالسته ، ولا احترامه فضلاً عن تبرک به ، وذلك لعقد موجبات البركة عنده وهي العلم ، والإیمان والتقوی .

## الولاية والكرامة

إن مما له صلة وثيقة ببحث عقيدة المؤمن موضوع الولاية والكرامة . إذ الولاية ولايتان ، ولاية للرحمن ، وولاية للشيطان ، والكرامة منها ما هو كرامة بحق ؟ يكرم الله تعالى بها أوليائه من صالحى عباده ، ومنها ما هو فتنة واستدرج للعذاب والامتحان . وعدم التمييز بين كرامة المؤمن ، ومهانة الشيطان ، يوقع في أخطاء قد تؤدي بكثير من المؤمنين إلى اعتقاد الباطل ، والعمل به .

ومن هنا كان لا بد من بحث هذه المسألة وبيان وجه الحق والصواب فيها ، ليكون المؤمن على بصيرة كاملة في مُعتقدَه الذي هو قوام حياته الدينية بل هو رأس ماله الذي تتوقف عليه سعادته في الدنيا والآخرة معاً .

ولنبداً بحث هذه المسألة بالسؤال التالي :

ما هي الولاية ؟ :

الولاية في عرف اللغة مصدر ولي الشيء يليه ولياً وولاية<sup>(١)</sup> إذا دنا منه وقرب أو أقام به ، وملك أمره ، أو نصره وأحبه - ويصاغ من فعل ولي المفاعلة فيقال : والاه بواليه موالاة إذا صادقه وناصره فهو موال له ضد مُعاد له . كما يصاغ التولية فيقال : تولاه تولية إذا صار له ولياً . ومنه اشتق لفظ الولي الذي هو ضد العدو .

---

(١) قال في مختار الصحاح وليه يليه بالكسر فيهما وهو شاذ .

هذا معنى الولاية في عرف اللغة ، وهو لا يختلف عنه كثيراً في الدين ، إذ كلا المعنيين يدور على القرب والحب ، والنصرة ، والقيام بالأمر لصالح الولي ، وضد الولاية العداوة ، وهي تدور على البعد ، والبغض ، وإرادة الشر والهلاك للشخص المعادي ، على عكس الولاية . وبناء على هذا فولاية الله تعالى للعبد : أن يهديه إلى الإيمان به ، وإلى معرفته ، وطاعته ومحبته ، ونصرة دينه فيعمل العبد بذلك ، ويقرب به من ربه عز وجل حتى يحبه ، فإذا أحبه قربه ، وتولى أموره ، ونصره ، وحفظه ، فكان بذلك وليه . كما قال تعالى من سورة البقرة :

﴿ اللَّهُ وَلِيُّ الَّذِينَ آمَنُوا يُخْرِجُهُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ وَالَّذِينَ كَفَرُوا أُولِيَاءُهُمُ الطَّاغُوتُ يُخْرِجُونَهُم مِّنَ النُّورِ إِلَى الظُّلُمَاتِ ﴾ (١)

وولاية العبد للرب تبارك وتعالى أن يؤمن به ، ويتقبه ، ويتقرب إليه بطاعته ، ويدافقه في محابه . ومكارهه ، ويوالي من يوالي ، ويعادي من يعادي وينصر دينه وأوليائه ، وبذلك يكون ولياً لله تعالى ، قال تعالى من سورة يونس :

﴿ أَلَا إِنَّ أَوْلِيَآءَ اللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿١٧﴾ الَّذِينَ ءَمَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ ﴿١٨﴾ هُمُ الْبُشْرَىٰ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ لَا تَبْدِيلَ لِكَلِمَاتِ اللَّهِ ذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴾ (٢)

الحال الجامعة :

تكون الحال الجامعة بين الله تعالى الولي الحميد ، وبين العبد

(١) الآية (٢٥٧)

(٢) الآيات (٦٢ - ٦٤)

المؤمن التقى هي الموافقة في الحب والبغض، والقرب<sup>(١)</sup>، والمناصرة والموالاتة، والمعاداة.

ومن هذا يُستخلص أصل الولاية وشرطها، فأصلها الإيمان والتقوى، وشرطها الموافقة التامة في الحب والبغض، والموالاتة والمعاداة ومتابعة الرسول ﷺ في كل ما جاء به، ودعا إليه من أصول العقائد، والعبادات، والآداب، والأخلاق، متابعة يتجرد فيها العبد لله، ويخلص له فيها، إذ لا تتم محبة الله للعبد إلا بشرط المتابعة للرسول ﷺ، وذلك لقوله تعالى من سورة آل عمران

﴿قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾<sup>(٢)</sup>

وهذا لأن المتابعة هي سبيل طهارة الروح، وزكاة النفس، ومن طهرت روحه وزكت نفسه بالإيمان والعمل الصالح، مع البعد عن الشرك، والمعاصي كان أهلاً لحب الله تعالى، وموالاته عز وجل.

(١) يشهد لهذا حديث الصحيحين القدسي «وإن تقرب إلي بشير تقربت إليه ذراعاً» الحديث اللؤلؤ والمرجان (٣/ ٢٢٣) والبخاري (٩/ ١٤٧، ١٤٨) ومسلم (٨/ ٦٧، ٦٨).  
(٢) الآية (٣١).

## الفرق بين الولايتين

إن هناك فرق بين ولاية الله تعالى للعبد ، وبين ولاية العبد لله عز وجل تجب ملاحظته ، وهو أن الله تعالى لا يولّي عن اقتدار العبد ، واحتياج إليه ، وإيما يولّي بكرام العبد ، ويعاد عليه ، عده تعالى عن كل ما سواه ، واقتدار كل ما عده إليه تعالى ، وهذا من معاني سمه ( المصمد ) وقد نفى الله تعالى في كتابه العزيز من سورة الإسراء ، نفى أن يكون له ولي من الدن ، فقال تعالى

﴿ وَقُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي لَمْ يَتَّخِذْ وَلَدًا وَلَمْ يَكُنْ لَهُ شَرِيكٌ فِي الْمُلْكِ وَلَمْ يَكُنْ لَهُ وَلِيٌّ مِنَ الدِّنِّ وَكَبِيرُهُ تَكْبِيرًا ﴾ (١)

وأمّا العبد فإنه يولّي - ب - وفقه الله تعالى - يولّي نفسه وحاشته بى ربه ، إذ هو دائماً في حاجة إلى نصرة ربه ومعونه ، ومحنته ، وصده ، وإدائه منه ، وتقريبه إليه ، إذ لا يسعد العبد إلا في حور مولاه ، ولا يجمع إلا إذ نعمده ربه برحمته وجمع عليه فضلاً منه ، وصوبه فأنسب إذا لله تعالى على مولاه العبد وقبوله له وبه ، وأمّا بعد فلا منه له محل ، وليس له أن يولّي على الله تعالى ولو أدب نفسه في طاعة الله ، ووقف كل حينه عليه ، وحتى لم ينق له هم ولا هوئى سدى لله عز وجل

هذا هو الفرق بين ولاية الرب تعالى للعبد ، وبين ولاية العبد لله عز وجل فليعلم فيه منهم وحديثهم بالعلم والمعرفة

١١١١ - ١

## الولي

إننا بعد معرفتنا للولاية سيسهل علينا - إن شاء الله - معرفة الولي .  
 إن لفظ الولي وجمعه أولياء يكون اسم فاعل بمعنى المتولي غيره ،  
 المولي له ، ويكون اسم مفعول بمعنى الذي يواليه غيره ويتولاه . فالله  
 تبارك وتعالى وهو الولي الحميد ، ولي عبده المؤمن بمعنى أنه هداه  
 للإيمان ، ووفقه للطاعة ، وأدناه منه ، وقربه إليه ، وأحبه ، ونصره فهو  
 مولاه ووليّه .

قال تعالى :

﴿إِنَّ وَلِيََّ اللَّهِ الَّذِي نَزَلَ إِلَيْكَ وَهُوَ يَتَوَلَّى الصَّالِحِينَ﴾<sup>(١)</sup>

والمؤمن ولي الله تعالى بمعنى أن الله تعالى هداه وتولاه وبمعنى أن  
 المؤمن والى الله تعالى فآمن به . واتقاه وأحبه . وأطاعه . ووافقه في  
 محابه ومسخاطه ، فوالى من يوالي . وعادى من يعادى . وأحب ما  
 أحب ومن أحب ، وكره ما كره ومن كره ، فكان بذلك عبده ووليّه قال  
 تعالى في إثبات هذه الولاية وذكر كرامتها :

﴿أَلَا إِنَّ أَوْلِيَاءَ اللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٦٢﴾ الَّذِينَ  
 ءَامَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ ﴿٦٣﴾ هُمُ الْبَشَرُ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ  
 لَا تَبْدِيلَ لِكَلِمَاتِ اللَّهِ ذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾<sup>(٢)</sup>

(١) سورة الاعراف الآية ١٩٦ -

(٢) سورة يونس الايات ٦٢ - ٦٤ .

وقد تقدم هذا المعنى واضحاً في بحث الولاية فازداد وضوحاً  
وتقريباً ، وبالجمله فإن ولي الله تعالى من عباده هو مؤمن أكرمه الله  
تعالى بهدايته فأمن به واتقاه . وتقرب إليه بالصالحات ووافقته فيما يحب  
وما يكره من الذوات والصفات ، ووالى من يوالى ، وعادى من يعادى ،  
فوالاه الله تعالى لذلك . وتولاه ، وأكرمه بكرامات . فكان إذا دعاه  
استجاب له . وإن استعاذه أعاده . وإن سألہ أعطاه .



## ( الكرامة )

ما هي الكرامة :

الكرامة : الاسم من كَرَّمَ ، والجمع كرامات ، وهي ما يكرم  
 الرب تبارك وتعالى به عباده من أنواع الإفضالات ، وهي عامة وخاصة .  
 فالعامة هي ما كَرَّمَ الله به بني آدم ، وفضلهم به على غيرهم من هذه  
 المخلوقات الأرضية ، ومن ذلك اعتدال القامة ، الخلق في أحسن  
 تقويم ، والعقل ، والمنطق ، وتدبير المعاش وإصلاحه ، وتسخير الكون  
 لهم ، والانتفاع به إلى غير ذلك من الإفضال والإنعام ، قال تعالى :  
 ﴿وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَرَزَقْنَاهُمْ مِنَ  
 الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَى كَثِيرٍ مِمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا﴾<sup>(١)</sup>

والخاصة وهي أفضلهما : ما يكرم الله تعالى به بعض عباده من  
 هدايتهم إلى الإيمان ، وتوفيقهم إلى طاعته تعالى بفعل المأمورات ،  
 وترك المنهيات ، فهذه الاستقامة على الإيمان والطاعة من أعظم  
 الكرامات ، وأهلها هم أصحاب اليمين المذكورون في قول الله تعالى :  
 ﴿وَأَحَبُّ إِلَيْنَ مَا أَحَبُّ الْيَمِينِ﴾<sup>(٢)</sup>

(١) سورة الإسراء الآية (٧٠) .

(٢) سورة الواقعة الآية (٢٧) .



وفي قوله :

﴿وَأَمَّا إِنْ كَانَ مِنْ أَصْحَابِ الْيَمِينِ فَلَسَلَمَ لَكَ مِنْ أَصْحَابِ الْيَمِينِ﴾ <sup>(١)</sup>

وهم المقتصدون المذكورون في قوله تعالى :

﴿ثُمَّ أَوْرَثْنَا الْكِتَابَ الَّذِينَ اصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِنَفْسِهِ ۖ وَمِنْهُمْ مُقْتَصِدٌ وَمِنْهُمْ سَابِقٌ بِالْخَيْرَاتِ﴾ <sup>(٢)</sup>

وهم المشرون بالجنة في قوله تعالى :

﴿إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبَّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَمُوا فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ۚ أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ خَالِدِينَ فِيهَا جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ <sup>(٣)</sup>

وأخص من هذه الكرامة كرامة الإيمان والاستقامة ، ما يُكرم الله تعالى به بعض عباده زيادة على الإيمان والتقوى ، من الورع والتقليل من المباحات والإكثار من نوافل العبادات من صلاة ، وصدقات ، وربط وجهاد ، وصيام ، وحج . وهؤلاء هم الموصوفون بالمقربين والسقيين في قول الله تعالى :

﴿وَالسَّابِقُونَ السَّابِقُونَ ﴿١﴾ أُولَٰئِكَ الْمُقَرَّبُونَ ﴿٢﴾ فِي جَنَّاتِ النَّعِيمِ ثُلَّةٌ مِنَ الْأَوَّلِينَ ﴿٣﴾ وَقَلِيلٌ مِنَ الْآخِرِينَ﴾ <sup>(٤)</sup>

وفي قوله تعالى .

﴿فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِنَفْسِهِ ۖ وَمِنْهُمْ مُقْتَصِدٌ وَمِنْهُمْ سَابِقٌ بِالْخَيْرَاتِ

(١) سورة الواقعة: الآيات (٩٠ ، ٩١)

(٢) سورة فاتح: الآية (٣٢)

(٣) سورة الأحقاف: الآيات (١٣ ، ١٤)

(٤) سورة الواقعة: الآيات (١٠ - ١٤)

بِإِذْنِ اللَّهِ ذَلِكَ هُوَ الْفَضْلُ الْكَبِيرُ جَنَّتٌ عَدْنٌ يَدْخُلُونَهَا يُحَلَّوْنَ فِيهَا مِنْ أَسَاوِرَ مِنْ ذَهَبٍ وَلُؤْلُؤًا وَلِبَاسُهُمْ فِيهَا حَرِيرٌ<sup>(١)</sup>

وهم المعنيون بقول الله تعالى في حديث البخاري : ﴿ مَنْ آذَى لِي وَلِيًّا فَقَدْ آذَنَنِي بِالْحَرْبِ ، وَمَا تَقَرَّبَ إِلَيَّ عَبْدِي بِمِثْلِ أَذَاءٍ مَا افْتَرَضْتُ عَلَيْهِ ، وَلَا يَزَالُ عَبْدِي يَتَقَرَّبُ إِلَيَّ بِالتَّوَافُلِ حَتَّى أَجِبَهُ فَإِذَا أَخْبَيْتُهُ كُنْتُ سَمْعُهُ الَّذِي يَسْمَعُ بِهِ وَبَصَرُهُ الَّذِي يَبْصُرُ بِهِ ، وَيَدُهُ الَّتِي يَبْطِشُ بِهَا ، وَرِجْلُهُ الَّتِي يَمْشِي بِهَا ، وَإِنْ سَأَلَنِي لِأَعْطَيْتُهُ ، وَلَئِنْ اسْتَعَاذَنِي لِأَعِذَّنَهُ ، وَمَا تَرَدَّدْتُ عَنْ شَيْءٍ أَنَا فَاعِلُهُ تَرَدَّدِي عَنْ نَفْسِ عَبْدِي الْمُؤْمِنِ يَكْرَهُ الْمَوْتَ وَأَنَا أَكْرَهُ مَسَاءَتَهُ ، وَلَا بَدَلَ لَهُ مِنْهُ ﴾<sup>(٢)</sup> .

فهؤلاء في أعلى مرتبة من مراتب الولاية ، إذ يعرفون باستقامتهم ، واستجابة ربهم لهم فيما يسألونه ويطلبون ، فلو سألوهم زوال جبل لزال ، ولو أقسموا عليه تعالى لأبرهم ، وهم الذين يظهر الله تعالى على أيديهم ببركة دعائهم خوارق العادات كتكثير القليل ، وشفاء العليل ، وكإكساب المعدم ، والإنقاذ من الهلاك المحتوم .

(١) سورة فاطر الآيتان (٣٢ - ٣٣) .

(٢) رواه البخاري في كتاب الرقاق باب التواضع (٨ / ١٣١) . إلا أنه ليس فيه (ولا بد له منه) .

## مراتب الأولياء

وساء على ما سبق فإن للأولياء أربع مراتب : عبي وعانية ، وديب  
ووسطى .

والعناية هي مرتبة الأتباع والمرسدين ، وكرامتهم بصرفها لله  
تعلى لئلا من بها عليهم فتكون معجزات تقوم بها الحجة لله تعالى  
على الناس

والعناية وهي مرتبة السائقين المقربين من تسع رسل عليهم  
السلام وهم متفاوتون فيها تفوت الرسل فيما بينهم في تسمي  
لدرجات ، وعنو الممارس .

ونوسى وأهلها هم أهل الإيمان والتقوى من أصحاب نبيين  
لمقتضيين

وديب وهي مرتبة أهل لصعب في الإيمان والتقوى ، وهم  
لصاحبون لأنفسهم ، المذكورون في قول الله تعالى من سورة طه  
﴿ ثُمَّ أَوْرَثْنَا الْكِتَابَ الَّذِينَ اصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِّنَفْسِهِ  
وَمِنْهُمْ مُّقْتَصِدٌ وَمِنْهُمْ سَابِقٌ بِالْخَيْرَاتِ إِذْ قَالَ اللَّهُ ذَلِكَ هُوَ الْفَضْلُ  
تَكْبِيرُ جَنَّتْ عَدْنٌ يَدْخُلُونَهَا يُحَلَّوْنَ فِيهَا مِنْ أَسَاوِرَ مِنْ ذَهَبٍ وَلُؤْلُؤًا  
وَلِبَاسُهُمْ فِيهَا حَرِيرٌ وَقَالُوا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَذْهَبَ عَنَّا الْحَزْنَ إِنَّ رَبَّنَا

لَغُفُورٌ شَكُورٌ الَّذِي أَحَلَّنَا دَارَ الْمَقَامَةِ مِنْ فَضْلِهِ لَا يَمَسُّنَا فِيهَا  
نُصَبٌ وَلَا يَمَسُّنَا فِيهَا لُغُوبٌ ﴿١﴾

والشاهد من هذه الآية الكريمة أن الله تعالى ذكر ثلاثة أصناف من  
الناس وهم الظالمون لأنفسهم ، والمقتصدون ، والسابقون بالخيرات ،  
وحكم على جميعهم بأنهم يدخلون الجنة يُحلون فيها من أساور من  
ذهب ولؤلؤاً ولباسهم فيها حرير ، فدل ذلك على أن أهل الضعف في  
الإيمان والتقوى هم كذلك أولياء الله تعالى ، وإن ظلموا أنفسهم بترك  
بعض الواجبات أو بفعل بعض المحرمات ، غير أن درجاتهم دون درجة  
السابقين ، ولم تصل إلى درجة المقتصدين ، فهم في منزلة دون ،  
وذلك لضعف إيمانهم وتقواهم (٢)

ويلاحظ هنا أن أهل هذه المراتب على اختلافها ، متفاوتون في  
العدد قلة وكثرة ، فأهل المرتبة العليا أقل عدداً من أهل المرتبة العالية ،  
وأهل المرتبة العالية أقل عدداً من أهل المرتبة الوسطى ، وأهل الوسطى  
أقل عدداً من أهل المرتبة الدنيا وهذا أمر ظاهر لا يحتاج إلى أكثر من  
تنبيه إليه .

(١) سورة فاطر الآيات (٣٢-٣٥) .

(٢) لعل قائل يقول ألا يستحق أهل الظلم لأنفسهم العذاب عقوبة ظلمهم ؟ فنقول : إن الظالم قد  
يعذب إن لم يغفر الله عز وجل له ؛ ولكنه بعد تطهيره من ذنوبه بالعذاب مصيره الجنة .

## تقريرات

الأول : أنه لا تتم ولاية عبد الله تعالى ، ولا يتظم في سلك أولياء الله تعالى إلا بالإيمان الصحيح ، والتقوى القائمة على مبدأ فعل لمأمورات ، وترك المنهيات .

الثاني : أن الأولياء يتفاوتون في قربهم من الله تعالى ، وعنو منزلتهم عنده وفي كراماتهم بحسب قوة إيمانهم وتقواهم ، وكمال موافقتهم لرهبهم ، وببهم فيما يحبون ويكرهان .

الثالث : أن كرامات وهي الأمور الخارقة<sup>(١)</sup> لعادة بني يظهره لله تعالى على يد بعض أوليائه . ليست شرطاً في ثبوت ولاية ، ولا في بقاءه . ولما كانت تنقص من درجة من يظهره الله تعالى على يديه ، لأنها مشاة تحلل الحراء على الإيمان والتقوى في الدين ، كان بعض الأولياء يتوبون منها إلى الله تعالى ، ويستعفرونه لأجلها .

رابع : لأولياء من غير الأنبياء والمرسلين لا عصمة لهم ، فقد يحضون ويعضون ، غير أن تعال في أحوالهم الحفظ مما يدس شرف ولاية ، ويحل بمقدمهم . وإن وقع أن أحدثوا دناً لعدم عصمتهم أحدثوا له نوبة على الفور ، يقسب الله تعالى منهم بعد أن وفقهم له ، فيسبم بذلك مقدمهم من التداعي والسقوط ، ومزلتهم من لرون والهبوص .

الخامس : لنا بحسب ما يظهر لنا من أحوال الناس أن نصف كل مؤمن تقى بالولاية ، فيقول : فلان ولي من أولياء الله تعالى أو نقول فلان ربي ، وكرمه لذلك ، وتتحاشى أذنبه لحديث أبي هريرة في

(١) هذا هو الذي صنفه على كبره ، ويقولون به من حرق لعدة غير مفرق بالتحدي ودعى الله

البخاري عن النبي ﷺ عن الله تعالى ﴿من آذى لي ولياً فقد آذنته بالحرب... الحديث﴾<sup>(١)</sup> ولا التفات إلى قول من يقول بعدم جواز ذلك لعدم الدليل على صحة الدعوى .

السادس : جهل المسلمين بحقيقة الولاية ، وبمعرفة الولي جعلهم لا يعترفون بولاية المؤمنين الذين يعيشون معهم من أهل الإيمان والتقوى إلا إذا ظهرت على يد المرء خوارق العادات ، أو مات وشيد له ضريح ، أو بنيت على قبره قبة ، حتى إن أحدهم لو طلب منه أن يدل أحداً على ولي من أولياء بلده لا يدلّه على مؤمن تقي يعيش بين الناس وإنما يدلّه على ميت له ضريح أو على قبره قبة وإن كان لا يعرف اسمه فضلاً عن حاله أيام حياته فتقبل شهادته فيه ، ويصح حكمه عليه .

السابع : لقد أنكر الله تعالى على الناس اتخاذ أولياء من دونه في قوله من سورة الرعد :

﴿قُلْ أَفَأَتَّخِذُكُمْ مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءَ لَا يَمْلِكُونَ أَنْفُسِهِمْ نَفْعًا وَلَا ضَرًّا﴾<sup>(٢)</sup>

فلا يحل لمؤمن ولا مؤمنة أن يتخذ له ولياً دون ربه عز وجل ، فليجأ إليه في الشدائد ، ويستغيث به عند المخاوف ، ويستعيذ به من المكاره ، أو يعبد ويتوكل عليه ، ويوالي فيه ويعادي فيه ، إذ هذا معناه اتخاذ آلهة من دون الله ، وهو شرك وكفر والعياذ بالله .

(١) ذكر بتمامه في باب الكرامة فليرجع له .

(٢) الآية (١٦) .

## أولياء الشيطان وموالاتهم

إن بين شياطين الإنس والجن موالاته أثبتتها القرآن الكريم ، كتاب  
 لله رب العالمين ، وحسبنا بالقرآن شاهداً ودليلاً ، قل تعالى في  
 سورة الأنعام

﴿يَمَعُشَرِ الْجِنِّ قَدِ اسْتَكْثَرْتُمْ مِنَ الْإِنْسِ وَقَالَ أَوْلِيَاؤُهُمْ مِنَ الْإِنْسِ  
 رَبَّنَا اسْمَعْ بَعْضُنَا بِبَعْضٍ ۖ﴾<sup>(١)</sup>  
 وقد تعالى من السورة نفسها .

﴿شَيْطَانِ الْإِنْسِ وَالْجِنِّ يُوحِي بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ زُخْرُفَ قُوقُوتٍ  
 عُرُورٍ ۖ﴾<sup>(٢)</sup>  
 وقد تعالى من سورة الأعراف .

﴿إِنَّهُمْ اتَّخَذُوا الشَّيَاطِينَ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ  
 مُهْتَدُونَ ۖ﴾<sup>(٣)</sup>

والسؤال الآن هو . كيف تتم الموالاته بين الفريقين ؟

والجواب أنها تتم حسب سنة الله تعالى في اتحاد

(١) الآية (١٢٨)

(٢) الآية (١١٢)

(٣) الآية (٣٠)

المتجانسات ، وتلافي التشابهات وانجذاب كل شيه إلى شيهه ، ومن هنا كان إذا خبث الإنسان نتيجة توغله في الشر والفساد بارتكاب الذنوب والأثام المتمثلة في معاصي الله تعالى ومعاصي رسوله ﷺ أمكنه الاتحاد بشياطين الجن ، والتفاعل معهم ، وتوليهم وتبادل المنافع معهم ، والتعاون على إغواء الإنسان وإفساده ، وإيقاعه في الشرور والمفاسد ، وبحكم الولاء الثابت بين كل من شياطين الإنس والجن ، فإن شياطين الجن يخدمون إخوانهم وأولياءهم من الإنس ، فيطلعونهم على بعض المغيبات التي أمكنهم الاطلاع عليها ، ومعرفتها ، كما قد يقربون إليهم أشياء بعيدة ، أو يحملونهم إلى أماكن أبعد ، كما قد يجمعون لهم بين شخصين متباعدين ، أو متقاطعين ، وقد يظهرون لهم أشخاصاً ، أو يسمعونهم أصواتاً وبالجملة فقد يظهرون لهم من بعض الخوارق ما يظن معه من لا علم له بهذا الشأن أنه كرامات كالتي يظهرها الله تعالى على أيدي أوليائه كرامة لهم .





## الركن الثاني من أركان عقيدة المؤمن الإيمان بالملائكة

مقدمة .

قبل البحث في هذا الركن من أركان العقيدة يقدم بين الحقائق  
ثلاث التلوية

لأولى . أن تكون كله ينقسم إلى عيب ، وشهادة

والعيب : ما عاب من الموحودات عن عيب لاضريس . وإن كانت  
حقيقته محصلة في صدورهم ، لا تعيب عن حواضرهم . وذلك ككل  
الموحودات الأرضية والسماوية

والشهادة : خلاف عيب وهي كل ما كان من الموحودات أمه  
نصر . إنسان يشاهده ويرى . أو كان بحيث يدركه بحدى حوسه نتي  
هي سبع . وانصر . والنس . والنسم . والتدوق

ثانية : أن الإنسان بحكم طبيعة الحياة مقدر له الإيمان بالعيب  
مفروض عليه ، لا يستطيع التخلص منه حال . لنهم إلا بد منه  
نفسه . وإراد التخلص عن كرمته الازمية . وعن شرفه الإنساني . ليصبح  
بعد ذلك حيوان هبط لا خير فيه . أو آلة صماء لا وعى لها . ولا  
بد له .

الثالث : أن الإنسان كائن متحير متى وُجد في مكان استحال عليه  
أن يوجد في مكان آخر مع ثناء في مكانه الذي هو فيه ومن هذا

ستصبح سائر الأمكنة التي تخلو منه بعده عنها غيباً له . وليست بشهادة عنده ، ولا بد له من أن يؤمن بها ، وبما فيها من أشياء جواهر وأعراض ، متى وجدت آثار تدل على ذلك ، أو أخبار صادقة تنبئ به .

ثم إن حواس الإنسان التي يحصل له العلم بها محدودة القوة محصورة الإدراك في مجال معين لا تتعداه . فسمعه مقيد في السماع بالأصوات العالية فإذا انخفضت إلى درجة معينة تعذر عليه أن يسمع ، وبصره مقيد برؤية الأجسام الكبيرة فإذا صغرت ودقت ، وبلغت حداً معيناً من الصغر والدقة عجز عن رؤيتها ، ولمسه كذلك ، فإنه يحس بالأجسام الكثيفة ، فإذا خفت انقطع إحساسه بها . وحتى عقله فإنه يكل عن إدراك أشياء معقولة ، ويعيا عن تصورهما تماماً .

ومن هنا كان لا بد للإنسان من الإيمان والتصديق بأشياء لم يشاهدها ولم يحس بها ، بأية حاسة من حواسه ، ولم يدرك حتى تصورها بعقله ، ولا خيار له في ذلك إذا أراد أن يقيم لكرامته وزناً ، ولقيمته البشرية قدراً من الاحترام والتقدير . !!!

وكيف تُنكر هذه الحقيقة ، ونحن نرى أن الإنسان يعيش في بلد ما ولم يخرج منه أبداً وهو يؤمن بعشرات البلاد ، ويصدق بوجودها وهو لم يرها ، ولم ير من رآها قط .

كما نرى إنساناً آخر لم ير القليل طول حياته ، وهو يؤمن بوجود هذا الحيوان الذي لم يره ، ولم ير من رآه أبداً . ونرى ثالثاً يؤمن بالجازبية إيماناً جازماً ، ومن المعلوم أن الجاذبية مما لا يرى ولا يُشاهد أبداً .

ونجد رابعاً وُلد ولم يعرف والده لموته قبل ولادته ، وهو يؤمن بأن له والداً ، ولا ينكر ذلك بحال ، ولذا كان من المضحكات أن يدعي

إنسان أنه لا يؤمن بالغيب ، أو أنه يستطيع أن يعيش في هذه الحياة بدون الإيمان بالغيب .

الثالثة : أن الإنسان يكتسب علمه بالموجودات عن طريق عقله وحواسه معاً ، فبعقله يدرك سائر التصورات العقلية ، وبالحواس يدرك سائر الماديات من مرئي ، ومسموع ، ومحسوس ، ومشوم ، ومطعم . فبالعقل أدرك فضيلة الصدق ، ورذيلة الكذب . وبالعقل أدرك المستحيلات : ككون الشيء إذا وجد في مكان لا يوجد في غيره ، والواجبات ككون الجسم لا بد له من حيز يشغله ، وككون المصنوع لا بد له من صانع . والجائزات ككون المريض قد يُشفى وقد لا يشفى ، والغائب قد يعود وقد لا يعود .

وبحاسة البصر أدرك المراثيات : أطوالها ، وأعراضها ، وصفاتها .

وبالسمع أدرك الأصوات ، وفرّق بينها ، وأدرك الأخبار ومدلولاتها . وبالذوق أدرك سائر الطعوم ، وعرف حلوها ومرها ، وحامصها وسامحها ، وبالشّم أدرك سائر الروائح طيبها وكرهها . وباللمس أدرك الأجسام وفرق بين خشنها وناعمها ، وحارها وباردها .

هذه هي طرق اكتساب الإنسان لعلومه ومعارفه (العقل والحواس) وهو مستعد دائماً للحصول على المعارف بواسطتها . إن الإنسان يتعقل الشيء ثم يصدر حكمه عليه بالإثبات ، أو بالنفي ، بالوجوب ، أو الاستحالة أو الجواز ، وينظر إلى الشيء فيحكم عليه بالطول ، أو القصر ، بالبياض أو السواد ، ويسمع الصوت فيحكم بأن المسدود صوت كذا أو كذا . . . الخ .

وهكذا يتحصل الإنسان على معرفته بالموجودات بقسميها : الغيب والشهادة بواسطة العقل والحواس ، بيد أن ما كان من

الموجودات غيباً محضاً فإن طريق الحصول على معرفته ، والإيمان به هو السماع به ، أو مشاهد آثاره الدالة عليه .

فالمرء إذا أخبره أحد أن فلاناً مات ، أو سافر ، أو قدم من سفر ، وكان بعيداً عنه لا تمكنه رؤيته حصل له العلم بحاله من موت أو سفر ، أو قدوم منه ، حصل له بواسطة الخبر الذي تلقاه عن غيره من عقلاء الناس . والمرء قد يمر بأرض فيجد بها سيولاً تجري ، وشعاباً طافحة بالماء فيعلم فوراً أن مطراً قد نزل بتلك الأرض ، وإن لم يشاهد نزوله ، ولم يخبره بنزوله أحد ، وإنما حصل له علم به بواسطة الأثر ، وهو سيلان الأودية وامتلاء الشعاب . وقد يمر الإنسان بمكان ما فيشم روائح طيبة فيعلم أن هناك عطراً ، أو أشجاراً من ذوات الروائح الطيبة ، وإن لم ير ذلك بعينه ، ولم يخبره به أحد من الناس . وهكذا يؤمن الإنسان بالغيب ، ويحصل فيه على اليقين الكامل بواسطة خبر الثقات ، أو آثار الأشياء التي آمن بها ، وصدق بوجودها لدلالة آثارها عليها .

ومن هنا كان الإيمان بوجود الملائكة أمراً معقولاً ، ومطلباً سهلاً ميسوراً ، فالملائكة وإن كانوا غيباً ، فقد دل على وجودهم الدليل الذي تثبت به كل الموجودات الغيبية عند الإنسان ، والذي هو خبر الثقات ، وآثار الموجودات . ونزيد هذه الحقيقة توضيحاً فنقول :

أليس الإنسان العاقل يخبره ذو صدق بحدوث كذا أو كذا من الممكنات فيصدق في خبره ، ويعتقد صحة ما أخبره به ؟

أليس الإنسان العاقل يسمع صوتاً بعيداً عنه لم ير مصدره فيؤمن بصوت ، ويصدق بوجوده كأنه رآه وشاهده ؟ .

أليس الإنسان العاقل يجد كرسيّاً قد وضع في غرفة فيعلم أن

هناك أحداً قد وضع هذا الكرسي وأعدده للجلوس عليه وإن لم ير من فعل ذلك ؟ .

أليس الإنسان العاقل إذا رأى كتاباً يعلم فوراً أن هناك أحداً أُملى هذا الكتاب وأن آلة قد طعته ولا يشك في هذا ولا يتردد أبداً ؟

وحصول هذه اليقينيّات له كانت كلها من طريق الخير أو الأثر . وهما الدليل العقلي للإيمان بكل الغيوب . ولهذا سوف نتكلم عن الملائكة حلء السم ونقرر أن وجودهم يقيني ، وحقيقة ثابتة لا يقوى عقل على إبطالها أو نفيها . أما الذين كفروا برّبهم ، وتكفروا لعقولهم وهبطوا من سماء كرامة آدميتهم فأصبحوا لا يؤمنون بشيء حتى بوجودهم فإن لا قيمة لهم وزناً آمنوا أو كفروا صدقوا أو كذبوا .

وهذا هو دليل وجود الملائكة عليهم السلام وهو الدليل الذي قدمناه به بواسطة من العقلاء بكل عيب تعدر أن يكون من قسم الشهادة . والدليل كما سبق أن عرفناه ، يتكون من عنصرين : الأول لأحبار واتّباع الأثر

### الأخبار :

أولاً : أحبار الله تعالى ، رب العالمين ، وحائق الملائكة ، ونحن ، وأندس أجمعين ، وكفى بما يحبر به الله تعالى دليلاً ، إذ نحقق أنهم بما حقق ومن أحبارهم تعالى قوله

﴿ وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلٰٓئِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً قَالُوا أَتَجْعَلُ فِيهَا مَنْ يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَآءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ ۖ ﴾ (١)

(١) سورة البقرة الآية (٣٠)

فقد تضمن هذا الخبر وجود الملائكة ومخاطبة الله تعالى لهم ، ومخاطبتهم له سبحانه وتعالى ، وهو دليل قاطع على وجود الملائكة .  
وقوله تعالى

﴿وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ ابْنِي وَاسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ الْكَافِرِينَ﴾<sup>(١)</sup>

ففي هذا الخبر أن الله تعالى أمر الملائكة بالسجود لآدم ، وأنهم سجدوا إلا إبليس أبى ، وهل يؤمر ويمتثل غير موجود ؟!

وقوله تعالى

﴿لَنْ يَسْتَنْكِفَ الْمَسِيحُ أَنْ يَكُونَ عَبْدًا لِلَّهِ وَلَا الْمَلَائِكَةُ الْمُقَرَّبُونَ﴾<sup>(٢)</sup>  
ففي هذا الخبر أن الملائكة المقربين لا يستكفون من عبادة الله ولا يستكبرون ، وهل يستكف ويتكبر غير موجود ؟ وقوله تعالى

﴿وَجَعَلُوا الْمَلَائِكَةَ الَّذِينَ هُمْ عِبْدُ الرَّحْمَنِ إِنثًا أَشْهَدُوا خَلْقَهُمْ﴾<sup>(٣)</sup>  
وفي هذا الخبر ينكر تعالى ، ويعيب على المشركين دعواهم أن الملائكة إناث حيث قالوا ما ليس لهم به علم ، فهل يعقل أن يُعاب أو ينكر على غير موجود ؟ .

وقوله تعالى

﴿وَكَمْ مِنْ مَلَكٍ فِي السَّمَوَاتِ لَا تُغْنِي شَفَاعَتُهُمْ شَيْئًا إِلَّا مِنْ بَعْدِ أَنْ يَأْذَنَ اللَّهُ لِمَنْ يَشَاءُ وَيَرْضَى﴾<sup>(٤)</sup>

(١) سورة البقرة الآية (٣٤) .

(٢) سورة النساء الآية (١٧٢) .

(٣) سورة الزخرف الآية (١٩) .

(٤) سورة النجم الآية (٢٦) .

ففي هذا البحر أن كثيراً من الملائكة لا تغني شفاعتهم عن أحد شيئاً، وهل يشفع أو لا يشفع غير موجود؟ وأخيراً فهل هذه الأخبار الإلهية عن الملائكة وهي كثيرة جداً، وكلها تتحدث عن صفاتهم، وأحوالهم، وعباداتهم، وأعمالهم لا تدل على وجود الملائكة، دلالة تُكسب ليقبل، اللهم بلَى

ثانياً أخبار الرسل عليهم الصلاة والسلام، وتحدثهم عنهم، ووصفهم لهم، وتلقيهم الوحي بواسطةهم وهي كثيرة ولكننا منها بما تميز عن حاتم أولئك الرسل وإمامهم محمد عليه الصلاة والسلام فقد صح عنه صلى الله عليه وسلم قوله: «لا تدخل الملائكة بيتاً فيه كلب ولا صورة»<sup>(١)</sup>. وقوله: «إن الملائكة تتأذى مما يتأذى منه بنو آدم»<sup>(٢)</sup>. وقوله: «إن لله في الأرض ملائكة سياحين يبلغونني عن أمتي السلام»<sup>(٣)</sup>. وقال: «إذا آمن الإمام فأمّنوا فإن الملائكة تؤمن، فمن وافق تأمينه تأمين الملائكة غفر له ما تقدم من ذنبه»<sup>(٤)</sup>. وكان يقول في دعائه: «اللهم رب جبرائيل، وميكائيل، وإسرافيل، فاطر السموات والأرض عالم الغيب والشهادة، أنت تحكم بين عبادك فيما كانوا فيه يختلفون، إلهدي لما اختلف فيه من الحق بإذنك إنك تهدي من تشاء إلى صراط مستقيم»<sup>(٥)</sup>. كما أحرموا، وتحدث عن ملك الموت

(١) معجم عنه ونقط مسلم - الموطأ والمروان (٣٩ / ٣) مسلم (٦ / ١٥٧) والبخاري (٤ /

١٣٨)

(٢) مسلم (٢ / ٨٠)

(٣) مسنده صحيح، رجل صحيح وقد أخرجه حمدون وسفيان وابن حبان - فصل الصلاة على

صلى الله عليه وسلم من تعليق لأبي الطغعة الشيبه ص (٣٦)

(٤) معجم عنه - الموطأ والمروان (٨٣ / ١) مسلم (٢ / ١٧) والبخاري (١ /

١٦٦)

(٥) مسلم من حديث عائشة رضي الله عنها (٢ / ١٨٥)

وأعوانه ، وعن الروح ، وعن ملكي القبر ، وعن الحفظة ، والكرام  
 الكتابين ، وعن رضوان خازن الجنان ، وعن مالك خازن النيران ،  
 وغيرهم من الملائكة في أحاديث متواترة صحيحة ، فكيف يسوغ  
 عقلاً ، أو يصح منطقاً وذوقاً أن تبلغ الإنسان هذه الأخبار الإلهية  
 والنبوية ، وهي أصح خبر في الوجود ، ولا يؤمن بالملائكة ولا يصدق  
 بوجودهم .. اللهم لا ! ؟

### الأثار :

آثار الملائكة الدالة عليهم دلالة قطعية كثيرة جداً نكتفي بطرف  
 منها فنقول : هذا القرآن الكريم كتاب الله بين أيدينا سوره العديدة ،  
 وآياته الكثيرة ، وعلموه ، ومعارفه ، وإعجازه أثر من آثار الملائكة إذ  
 تلقاه المنزل عليه ﷺ بواسطة ، ولم يكن من الله مباشرة فما هي  
 الوساطة ؟ إنها جبريل كما أخبر بذلك مرسله ، ومنزله في قوله :  
 ﴿وَأَنزَلْنَاهُ لَنَزِيلٍ لِّرَبِّ الْعَالَمِينَ نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِينُ عَلَى قَلْبِكَ  
 لِتَكُونَ مِنَ الْمُنذِرِينَ بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُبِينٍ﴾ (١)

وهذا ملك الموت الذي يتخطفنا يوماً فيأخذ أرواحنا ، ويُنهي بأخذها  
 حياتنا ، ويفصلها عن أجسامنا ، فتُعدم الحياة ، فهل يشترط للتصديق به  
 رؤيتنا له ؟ وآثار فعله ظاهرة فينا لا تنكر ؟ اللهم لا . ولو سألنا خالقنا  
 وقلنا من يتوفانا ؟ لكان الجواب

﴿قُلْ يَتَوَفَّكُم مَّلَكُ الْمَوْتِ الَّذِي وُكِّلَ بِكُمْ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكُمْ تُرْجَعُونَ﴾ (٢)

ثم إن كلاً من جبريل وملك الموت عليهما السلام قد رؤيا عياناً  
 غير مرة وهما من أعظم الملائكة فجبريل قد دخل مرة المسجد

(١) سورة الشعراء الآيات (١٩٢) - (١٩٥) .

(٢) سورة السجدة الآية (١١) .



وعشرات المصلين حاضرون ، فانتهى إلى النبي ﷺ وهو جالس فجلس إليه ، وأسند ركبته إلى ركبته ، ووضع يديه على فخذه ، وأخذ يسأل رسول الله ﷺ وهو يجيبه ، فسأله عن الإيمان ، والإسلام ، والإحسان ، وأشرط الساعة ، وكان ساعثذ في صورة رجل<sup>(١)</sup> . كما أن ملك الموت قد تواترت الأخبار برؤيته عند دنوه من المريض لقبض روحه ، فكمن من مريض تحدث بذلك ، وأخبر به قبل وفاته بفترة زمنية ثم يموت .

### الإيمان بالملائكة أحد أركان العقيدة الإسلامية :

وبعد : فانه لم يبق بنا حاجة إلى سرد المزيد من الأدلة على وجود الملائكة فلذا نشرع الآن في تقرير كون الإيمان بالملائكة ركناً من أركان عقيدة المؤمن فنقول : لقد ذكر الله تعالى أركان العقيدة الإسلامية في عدة آيات من كتابه ، وذكر من بينها عقيدة الإيمان بالملائكة وذلك في قوله تعالى :

﴿لَيْسَ الْبِرَّ أَنْ تُولُوا وَجُوهَكُمْ قِبَلَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنْ ءَامَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالْكِتَابِ وَالرَّسُولِ﴾<sup>(٢)</sup>

وفي قوله

﴿ءَامِنَ الرُّسُولَ مِمَّا أُنزِلَ إِلَيْهِ مِنْ رَبِّهِ ءَ وَالْمُؤْمِنُونَ كُلُّ ءَامَنَ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ ءَ وَكُتُبِهِ ءَ وَرُسُلِهِ ءَ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْ رُسُلِهِ ءَ﴾<sup>(٣)</sup>

وفي قوله : ﴿وَمَنْ يَكْفُرْ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ ءَ وَكُتُبِهِ ءَ وَرُسُلِهِ ءَ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا بَعِيدًا﴾<sup>(٤)</sup>

(١) هذا الحديث الذي ذكر إجماعاً رواه مسلم (١/ ٢٨٠ ، ٢٩) ورواه البخاري بمعهده (٦/ ١٤٤)

(٢) سورة البقرة الآية (١٧٧)

(٣) سورة النساء الآية (١٣٦)

(٤) سورة البقرة الآية (٢٨٥)

كما ذكر الرسول ﷺ في حديث عمر المعروف بحديث جبريل أركان الإيمان الستة وذكر من بينها الإيمان بالملائكة وأقره جبريل على ذلك ، وصدّقه إذ كان هو السائل له في محضر مئات الصحابة وهو في صورة رجل وبعد انصرافه أعلن الرسول ﷺ لأصحابه أن السائل كان جبريل عليه السلام<sup>(١)</sup>.

وبهذا كان الإيمان بالملائكة ركناً من أركان عقيدة المؤمن التي لا تتم إلا به ، وكان من شك فيه ، أو حاول التشكيك كاذباً كافراً لاحظ له في الإسلام ، ولا مقام له بين المسلمين ، لتكذيبه لله ، ورسوله والمؤمنين ولانكاره لقضايا العقول ، ومسلماتها البديهية .

---

(١) تقدم تخريجه في الصفحة السابقة (١٩٤) .

## خلق الملائكة

### تعريف :

الملائكة : جمع ملائكة ، نقلت حركة الهمزة فيه إلى الساكن قبله ، ثم حُذفت الألف تخفيفاً فصارت ملكاً ؛ وهو مشتق من كلمة لألوة التي هي الرسالة ، والجمع ملائكة وملائكة

### مادة خلق الملائكة :

الملائكة خلق عظيم ، وعددهم كثير لا يأتي عليه بعد ، ولا يحصى من دون الله أحد ، خلقهم الله من النور ، وضعهم على الخير ، فهم لا يعرفون الشر ، ولا يأمرون به ، ولا يأتونه ، ولا يفعلونه .

فإذا هم نرىهم مطيعون ، لا يعصون الله ما أمرهم ، ويفعلون ما يُؤمرون . يسبحون الليل والنهار لا يفترون ، ولا يسأمون من عبادة الله ولا هم عنها يستكبرون ، أخبر الرسول ﷺ عن مادة خلقهم ، فقال : « خُلِقَتِ الملائكةُ مِنْ نُورٍ ، وَخُلِقَ الْجَانُّ مِنْ مَارِجٍ مِنْ نَارٍ ، وَخُلِقَ آدَمُ مِنْ مِمَّا وَصَفَ لَكُمْ » (١) .

(١) سورة النور الآية ٢٨ : « وَإِنْ مِنْكُمْ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ إِذْ قَالَ لَهُ رَبِّي أَعِزِّهِمْ خَلَقَهُ مِنْ نَفْسِهِ ثُمَّ جَعَلَهُ صِلًا مِّنْ مَّاءٍ مَّحِينٍ » (٢٥٩) ، وفيه خلق آدم من طين من صلب من حمى من ماء ، ونحوه (٢٦) ، حدث رواه مسلم (٢٢٧) .

## تفاضل الملائكة

والملائكة يتفاضلون في القرب من الله تعالى : وعلو المنزلة كالبشر أو هم أكبر تفاضلاً ، إن منهم الملائكة المقربين لقوله تعالى : ﴿لَنْ يَسْتَنْكِفَ الْمَسِيحُ أَنْ يَكُونَ عَبْدًا لِلَّهِ وَلَا الْمَلَائِكَةُ الْمُقَرَّبُونَ﴾<sup>(١)</sup> ومنهم حملة العرش لقوله تعالى :

﴿وَيَحْمِلُ عَرْشَ رَبِّكَ فَوْقَهُمْ يَوْمَئِذٍ مَكْنِيَةٌ﴾<sup>(٢)</sup>

ومنهم الكرّيون ، ومنهم غير ذلك ، وأفضلهم جبريل ، وميكائيل ، وإسرافيل ، وعزرائيل ملك الموت ، وأعظمهم الروح عليهم السلام أجمعين .

### أعمال الملائكة .

إن ما يقوم به الملائكة من أعمال لكثير جداً ، ومختلف متنوع إلى حد كبير ، وهذا بيان مجمل عما جاء في القرآن الكريم ، والسنة النبوية الشريفة من وظائف الملائكة وأعمالهم التي أناطها الله تعالى بهم عبادة له وطاعة : -

١ - جبريل عليه السلام ، ويسمى روح القدس أيضاً ، وصفه الله عز وجل بالقوة والأمانة في قوله تعالى من سورة التكوين

(١) سورة النساء الآية (١٧٢) .

(٢) سورة الحاقة الآية (١٧) .

﴿إِنَّهُ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ ﴿١٩﴾ ذِي قُوَّةٍ عِنْدَ ذِي الْعَرْشِ مَكِينٍ ﴿٢٠﴾ مُطَاعٍ ثَمَّ أَمِينٍ﴾<sup>(١)</sup>

وخصه بأشرف وظيفة ، وهي السفارة بينه تعالى ، وبين رسله عليهم السلام فكان ينزل بالوحي كما قال تعالى :

﴿وَإِنَّهُ لَنَنْزِيلُ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿٢١﴾ نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِينُ ﴿٢٢﴾ عَلَى قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ الْمُنْذِرِينَ﴾<sup>(٢)</sup>

وصح عن النبي ﷺ أنه رافقه في أعظم رحلة تمت في الوجود وهي إسراء النبي ﷺ ومعرجه ، فرافقه عليه السلام من مكة إلى المسجد الأقصى ، ومنه إلى سدره المنتهى بالملكوت الأعلى<sup>(٣)</sup> .

٢ - ميكائيل . ووظيفته التي وكله الله بها المطر والنبات .

٣ - إسرائيلي : ووظيفته التي وكل بها النفع في الصور يوم القيمة

٤ - ملك الموت عزرائيل : وهو موكل بقبض الأرواح . وله أعوان من الملائكة لقوله تعالى :

﴿حَتَّىٰ إِذَا جَاءَ أَحَدَهُمُ الْمَوْتُ تَوَفَّتْهُ رُسُلُنَا وَهُمْ لَا يُفْرِطُونَ﴾<sup>(٤)</sup>

٥ - أعوان ملك الموت وهم صنفان : ملائكة رحمة ، وملائكة

(١) آيات (١٩ - ٢١)

(٢) سورة الشعراء آيات (١٩٢ - ١٩٤)

(٣) قصة الإسراء والمعراج ثلثة في صحيحين ، راجع التلويح والمعراج (١ / ٣٥ - ٣٩)

١ - بحري (١ / ٩٢ - ٩٤) ومسلم (١ / ٩٩ - ١٠١) ، وقد ثبت قبل ذلك بالقرآن وفيه سورة

- سم الإسراء . وسباني تعصبل في (الوحي الإلهي وطرقه) في سباني من موضوعات

كتاب - إن شاء الله تعالى

(٤) سورة الأعداء الآية (٦١)

عذاب وهم مع ملك الموت ، المقصودون بقوله تعالى :

﴿تَوَفَّتْهُ رُسُلُنَا وَهُمْ لَا يُفَرِّطُونَ﴾

٦ - حملة العرش : عرش الرحمن عز وجل وهم أربعة ، وإذا

جاء يوم القيامة أضيف إليهم أربعة آخرون ، لقوله تعالى :

﴿الَّذِينَ يَحْمِلُونَ الْعَرْشَ وَمَنْ حَوْلَهُ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَيُؤْمِنُونَ بِهِ ۖ وَيَسْتَغْفِرُونَ لِلَّذِينَ آمَنُوا﴾<sup>(١)</sup>

ولقوله تعالى :

﴿وَيَحْمِلُ عَرْشَ رَبِّكَ فَوْقَهُمْ يَوْمَئِذٍ ثَمَنِيَّةٌ﴾<sup>(٢)</sup>

٧ - رضوان وعمله الذي وكل به خزانة الجنان ، فهو خازن الجنة

ورئيس الخدم بها .

٨ - خدم الجنة : وهم ملائكة لا يحصي عددهم إلا الله تعالى ، قال

تعالى :

﴿وَالْمَلَائِكَةُ يَدْخُلُونَ عَلَيْهِمْ مِنْ كُلِّ بَابٍ ۖ سَلَامٌ عَلَيْكُمْ بِمَا صَبَرْتُمْ  
فَنِعْمَ عُقْبَى الدَّارِ﴾<sup>(٣)</sup>

ورود أن للواحد من أهل الجنة خدماً لا يقلون عن ثمانين ألف خادم ،  
وظيفتهم : خدمة أهل الجنة<sup>(٤)</sup> .

٩ - الزبانية وهم تسعة عشر ملكاً ، وكلهم الله تعالى بالنار ، فهم

(١) سورة غافر الآية (٧)

(٢) سورة الحاقة الآية (١٧) .

(٣) سورة الرعد (٢٣ ، ٢٤) .

(٤) روى الترمذي حديثاً في هذا المعنى ولكن في استناده كلام .

خزائنها يعذبون فيها أهلها قال تعالى :

﴿ مَا صَلَّيْهِ سَقَرٌ ۚ وَمَا أَدْرَاكَ مَا سَقَرٌ ۚ لَا تُبْقِي وَلَا تَذَرُ ۚ لَوَاحَةٌ لِّلْبَشَرِ عَلَيْهَا تِسْعَةُ عَشْرَ ۖ وَمَا جَعَلْنَا أَصْحَابَ النَّارِ إِلَّا مَلَائِكَةً وَمَا جَعَلْنَا عِدَّتَهُمْ إِلَّا فِتْنَةً لِّلَّذِينَ كَفَرُوا ۖ ﴾<sup>(١)</sup>

ورئيس هؤلاء الخزنة يدعى مالكا . قال تعالى في الحديث عن أهل النار ﴿ وَنَادَاوَا يَمْلِكُ لِيَقْضِ عَلَيْنَا رَبُّكَ قَالَ إِنَّكُمْ مَكِثُونَ ۚ ﴾ لَقَدْ جِئْتُمْ بِحَقِّ وَلَكِنَّ أَكْثَرَكُمْ لَاحِقٌ فِيهِمْ ۖ ﴾<sup>(٢)</sup>

١٠ - الكرام الكاتبون وعملهم كتابة أعمال البشر ، وإحصاؤها عليهم ، فعلى يمين كل مكلف ملك يكتب صالح أعماله ، وعن يساره ملك يكتب سيئات عمله . قال تعالى :

﴿ وَإِنَّ عَلَيْكُمْ لَحَافِظِينَ ۖ كِرَامًا كَاتِبِينَ يَعْلَمُونَ مَا تَفْعَلُونَ ۖ ﴾<sup>(٣)</sup> وفي الصحيح : « إذا قام أحدكم إلى الصلاة فلا يبرزق أمامه فانه يناجي الله تعالى ما دام في مصلاه ، ولا عن يمينه فإن عن يمينه ملكاً ليصدق عن يساره ، أو تحت قدمه »<sup>(٤)</sup>

١١ - الحفظة وعملهم حفظ الإنسان من الجان ، والشيطان ، والمعاهات والأفات . قال تعالى :

(١) سورة المدثر الآيات (٢٦ - ٣١)

(٢) سورة - حرف الأبناء (٧٧ ، ٧٨)

(٣) سورة لافطار الآيات (٩ - ١٢)

(٤) قيل كيف يصدق عن يساره وكاتب السيئات عن يساره ؟ قيل إن المؤمن في الصلاة لا يفعل سوءاً قط فلهذا يصحبه كاتب السيئات يلى كتبه الحسنات إذ الصلاة هي أم الحسنات ولا سيئة فيها . والحديث رواه الشيخان بلفظ قريب من هذا - الفؤاد والتمرحاح - (١/١١١)

﴿لَهُ مُعَقِّبَتٌ مِّنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ يَحْفَظُونَهُ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ﴾<sup>(١)</sup>  
 قال ابن عباس رضي الله عنهما في تفسير الآية : « ملائكة يحفظونه من بين  
 يديه ومن خلفه فإذا جاء قدر الله خلوا عنه »<sup>(٢)</sup>. وقال مجاهد : يحفظونه في  
 نومه ويقظته من الجن والإنس ، والهوام<sup>(٣)</sup>.

١٢ - الملك الموكل بالرحم الحديث البخاري ومسلم واللفظ له « إن  
 الله عز وجل قد وكل بالرحم ملكاً فيقول أي رب نُظْفَعُ ، أي ربَّ علقه ، أي  
 ربَّ مضغه ، فإذا أَرَادَ اللهُ أَنْ يَقْضِيَ خَلْقاً قَالَ : قَالَ الْمَلِكُ أَيُّ رَبِّ ذَكَرَ أَوْ  
 انثى ، شقي أو سعيد ؟ فما الرزق ؟ فما الأجل ؟ فَيَكْتُبُ كَذَلِكَ فِي بَطْنِ  
 أُمِّهِ »<sup>(٤)</sup>.

١٣ - ملك الجبال وهو ملك وكله الله بالجبال الحديث البخاري  
 ومسلم : « فَأَنَادَانِي مَلَكُ الْجِبَالِ فَسَلَّمَ عَلَيَّ فَقَالَ يَا مُحَمَّدُ ذَلِكَ فِيمَا شِئْتَ إِنَّ  
 شِئْتَ أَنْ أَطْبِقَ عَلَيْهِمُ الْأَخَشَبِينَ . . . الحديث »<sup>(٥)</sup>.

١٤ - الملائكة السياحون وهم ملائكة في الأرض يبلغون سلام أمة محمد  
 وصلاتها على نبيها ﷺ لحديث أحمد وهو صحيح الإسناد « إِنَّ لِلَّهِ فِي الْأَرْضِ  
 مَلَائِكَةً سَيَّاحِينَ يَبْلُغُونِي عَنْ أُمَّتِي السَّلَامَ »<sup>(٦)</sup>.

١٥ - ملائكة الدعاء ، وعملهم الذي وكلوا به أن العبد إذا دعا بدعوة  
 لأخيه المؤمن وهو غائب قال الملك : « آمين ولك بمثل ذلك » ، ولحديث

(١) سورة الرعد الآية (١١) . (٢) تفسير ابن كثير طبعة الحلبي (٢ / ٥٠٣) .

(٣) اللؤلؤ والمرجان (٣ / ٢٠٨) والبخاري (١ / ٨٣) ومسلم (٨ / ٤٦) .

(٤) اللؤلؤ والمرجان (٢ / ٢٢٧ / ٢٢٨) .

(٥) وأخرجه النسائي وابن حبان ، فضل الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم بتعليق ناصر الدين  
 الألباني الطبعة الثانية (ص ٣٦) .

(٦) وأخرجه النسائي وابن حبان ، فضل الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم بتعليق ناصر الدين  
 الألباني الطبعة الثانية (ص ٣٦) .



مسلم « دعوة المرء المسلم لأخيه بظهر الغيب مُستجابةٌ عِنْدَ رَأْسِهِ مَلَكٌ مُوَكَّلٌ كُلَّمَا دَعَا لِأَخِيهِ بِخَيْرٍ قَالَ الْمَلَكُ الْمُوَكَّلُ بِهِ آمِينَ وَلَكَ بِمَثَلٍ » (١).

١٦ - ملائكة العروج بأرواح العباد بعد الموت لحديث مسلم « إذا خَرَجَتْ رُوحُ الْمُؤْمِنِ تَلْقَاهَا مَلَكَانِ فَيُصَبِّدَانِهَا قَالَ حَمَادٌ (رَاوِي الْحَدِيثِ) فَذَكَرَ مِنْ طَبِيبٍ رِيحَهَا وَذَكَرَ الْمَسْكُ قَالَ وَيَقُولُ أَهْلُ السَّمَاءِ رُوحُ طَيِّبَةٍ جَاءَتْ مِنْ قَبْلِ الْأَرْضِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْكَ وَعَلَى مَا كُنْتَ تَعْمُرِيهِ ، فَيَنْطَلِقُ بِهِ إِلَى رَبِّهِ ، غَزًى وَجَلَّ ثُمَّ يَقُولُ انْطَلِقُوا بِهِ إِلَى آخِرِ الْأَجَلِ . . . وَذَكَرَ لِلْكَافِرِ عَكْسَ ذَلِكَ » (٢).

١٧ - مكر ونكير : وعملهما سؤال العباد في قبورهم عن الرب تعالى ، والدس ، والنبي ﷺ أَي يَقُولَانِ لَهُ : مَنْ رَبُّكَ ، مَا دِينُكَ ، وَمَنْ نَبِيُّكَ ؟ لحديث الترمذي وهو حسن الإسناد وأصله في الصحيح وفيه « إِذَا قُبِرَ الْمَيِّتُ أَتَاهُ مَلَكَانِ أَسْوَدَانِ أَرْقَانِ يُقَالُ لِأَحَدِهِمَا الْمُنْكَرُ وَلِلْآخَرِ نَكِيرٌ فَيَقُولَانِ : مَا كُنْتَ تَقُولُ فِي هَذَا الرَّجُلِ ؟ فَيَقُولُ مَا كَانَ يَقُولُ : هُوَ عَبْدُ اللَّهِ وَرَسُولُهُ فَيَقُولَانِ قَدْ كُنَّا نَعْلَمُ أَنَّكَ تَقُولُ هَذَا ، ثُمَّ يُفْسَحُ لَهُ فِي قَبْرِهِ سَبْعُونَ ذِرَاعاً فِي سَبْعِينَ ثُمَّ يُنَوِّرُ لَهُ فِيهِ ، ثُمَّ يُقَالُ لَهُ : نَمْ فَيَقُولُ : أَرْجِعْ إِلَى أَهْلِي فَأَخْبِرْهُمْ فَيَقُولَانِ : نَمْ كَنُومَةَ الْعُرُوسِ الَّذِي لَا يُوقِظُهُ إِلَّا أَحَبُّ أَهْلِهِ إِلَيْهِ ، حَتَّى يَبْعَثَهُ اللَّهُ مِنْ مَضْجَعِهِ ذَلِكَ وَإِنْ كَانَ مُنَافِقاً قَالَ : سَمِعْتُ النَّاسَ يَقُولُونَ قَوْلًا فَقُلْتُ مِثْلَهُ ، لَا أَدْرِي ، فَيَقُولُونَ : قَدْ عَلِمْنَا أَنَّكَ تَقُولُ ذَلِكَ ، فَيُقَالُ لِلْأَرْضِ التَّشْمِي عَلَيْهِ فَتَلْتَمِسُ عَلَيْهِ ، فَتَخْتَلِفُ أَضْلَاعُهُ فَلَا يَزَالُ فِيهَا مُعَذَّباً حَتَّى يَبْعَثَهُ اللَّهُ مِنْ مَضْجَعِهِ ذَلِكَ » (٣).

(٢) مسلم (٨ / ١٦٢)

(١) مصنف لمسلم (٨ / ٨٦)

(٣) واه الترمذي (حاشي / ٧٠) وأبو داود بمعناه (٢ / ٥٤٠ ، ٥٤١) وابن ماجه (حاشي / ٦٥)

وأحمد (٣ / ١٢٦ ، ٤ / ٢٨٨)

هذا وإذا تتبعنا الآثار الواردة في أعمال الملائكة ملاحظين الآيات  
القرآنية الدالة على الملائكة وأعمالهم مثل قوله تعالى ﴿والصافات ،  
والزاجرات فالتاليات ، والنازعات ، والناشطات ، فالمدبرات ،  
فالمقسمات﴾ لقلنا في صدق إن الكون كله علويه وسفليه قد أنيط أمرتديره  
بالملائكة ، وذلك بإذن ربهم تعالى ، ويضاف إلى ذلك أن النبي ﷺ قال  
« أَطَلَّتِ السَّمَاءُ وَحَقُّ لَهَا أَنْ تَنْطَ ، مَا مِنْ مَوْضِعٍ أَرْبَعِ أَصَابِعٍ إِلَّا عَلَيْهِ مَلَكٌ  
وَاضِعٌ جَبْهَتَهُ سَاجِدًا لِلَّهِ تَعَالَى » (١) .

---

(١) رواه أحمد (٥ / ١٧٣) والترمذي ( زهد / ٩ ) وابن ماجه ( زهد ١٩ ) والحاكم وصححه ووافقه  
الذهبي .

## بعض صفات الملائكة

إن الملائكة بذواتهم وصفاتهم من الغيب المحض ، قد دل الدليل العقلي ، والشرعي على وجودهم ، وعلى وجوب الإيمان بهم ، والتصديق بأعمالهم ، وأحوالهم . والمراد من الدليل العقلي والشرعي ما سبق أن ذكرناه من أنه الأخبار الصادقة ، والآثار الناطقة .

ومن خلال الأخبار الصادقة التي هي الدليل الشرعي تحصلنا على عدد كبير من صفات الملائكة ، وأحوالهم نشبه هنا في آخر بحث هذا الجزء من عقيدة المؤمن تقريراً وتأكيداً فنقول :

### ١ - حياؤهم :

إن الملائكة تستحي استحياء يليق بحالها ، إذ قد صح أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : « أَلَا أَسْتَحِي مِنْ رَجُلٍ تَسْتَحِي مِنْهُ الْمَلَائِكَةُ » ؟<sup>(١)</sup> يعني بذلك الرجل عثمان بن عفان رضي الله عنه . ففي هذا الخبر الصادق . الصحيح دليل على صفة الحياء للملائكة .

### ٢ - تأديهم :

لملائكة تنأذى من المكروه كما يتأذى منه الإنسان لحديث مسلم : « من أكل من الثوم ، والبصل ، والكراث فلا يَقْرَبَنَّ مَسْجِدَنَا ؟ فَإِنَّ

(١) . ٥٠٠ مسلم ( ٧ / ١١٧ )

الملائكة تَنَافَى مِمَّا يَتَأَذَى مِنْهُ بَنُو آدَمَ»<sup>(١)</sup> ولحديث الصحيحين أيضاً «إن الملائكة لا تَدْخُلُ بَيْتاً فِيهِ كَلْبٌ وَلَا صُورَةٌ»<sup>(٢)</sup> . فعدم دخولهم البيت الذي فيه كلب أو صورة كراهية منهم لهما دليل على تأذيهما من هذا المكروه .

### ٣ - تنزههم عن الأعراض البشرية :

إن الملائكة منزّهون عن الأعراض البشرية كالجوع ، والمرض ، والأكل والنوم ، والتعب وما إلى ذلك ، فقد جاء في القرآن ما يدل على ذلك بدلالة الالتزام ، إذ أخبر تعالى عنهم ﴿يُسَبِّحُونَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ لَا يَفْتُرُونَ﴾<sup>(٣)</sup> ولازم ذلك أنهم لا ينامون ، ولا يأكلون ، ولا يشربون ، ولا يتعبون .

### ٤ - خوفهم من الرب تبارك وتعالى :

إن الملائكة يخافون من الله تعالى ، أثبت ذلك الخبر القرآني في مثل قول الله تعالى :

﴿وَلِلَّهِ سَجْدٌ مَّا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ مِنْ دَابَّةٍ وَالْمَلَائِكَةُ وَهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ يَخَافُونَ رَبَّهُمْ مِنْ فَوْقِهِمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ﴾<sup>(٤)</sup> وقوله :

﴿وَلَا يَسْفَعُونَ إِلَّا لِمَنْ ارْتَضَىٰ وَهُمْ مِنْ خَشْيَتِهِ مُشْفِقُونَ﴾<sup>(٥)</sup>

(١) مسلم (٢ / ٩٠) .

(٢) متفق عليه واللفظ لمسلم ، اللؤلؤ والمرجان (٣ / ٣٩) مسلم (٦ / ١٥٧) والبخاري (٤ / ١٣٨) .

(٣) سورة الأنبياء الآية (٢٠) .

(٤) سورة النحل الآية (٤٩ ، ٥٠) .

(٥) سورة الأنبياء الآية (٢٨) .

۵ - طاعتهم لله تعالى :

إن الملائكة مطيعون لله تعالى ، لا يعصونه بحال من الأحوال ، وذلك

لِقَوْلِهِ :

﴿ لَا يَعْصُونَ اللَّهَ مَا أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ ﴾<sup>(۱)</sup>

وَقَوْلِهِ

﴿ عَبْدٌ مُكْرَمٌ لَا يَسْقُونَهُ ، يَأْتِيهِمْ مِنْ رَبِّهِمْ وَهُمْ بِأَمْرِهِ يَفْعَلُونَ ﴾<sup>(۲)</sup>

۶ - جبههم لمن يحب ربهم :

إن الملائكة تحب حباً يتيق بحالهم ، وحسب ذواتهم فقد دل الدليل

التشريعي على أنهم يحبون ، ففي حديث الصحيحين : « إن الله تعالى إذا

أحب عبداً نادى جبريل : إن الله قد أحب فلاناً فأحبه ، فيحبه جبريل ، ثم

ينادي جبريل في السماء : إن الله قد أحب فلاناً فأحبه فيحبه أهل السماء ،

ويؤضع له القبول في الأرض »<sup>(۳)</sup> .

۷ - دعاؤهم ولعنهم :

إن الملائكة ليدعون ربهم ويسألونه كما قال تعالى عنهم :

﴿ الَّذِينَ يَحْمِلُونَ الْعَرْشَ وَمَنْ حَوْلَهُ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَيُؤْمِنُونَ بِهِ ۖ

وَيَسْتَغْفِرُونَ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا رَبَّنَا وَسِعْتَ كُلَّ شَيْءٍ رَحْمَةً وَعِلْماً فَاغْفِرْ

لِلَّذِينَ تَابُوا وَاتَّبَعُوا سَبِيلَكَ وَقِهِمْ عَذَابَ الْجَحِيمِ ﴾<sup>(۴)</sup>

وإنهم ليندعون من لعنه ربهم سبحانه وتعالى كما قال تعالى :

(۱) سورة الأنبياء الآية (۲۶) ، (۲۷)

(۲) سورة الحجر الآية (۶)

(۳) التلويق والفرج ( ۳ : ۲۰۵ ، ۲۰۶ ) ، والحدادي ( ۹ : ۱۷۳ ، ۱۷۴ ) ، ومسلم ( ۷ / ۴۰ ، ۴۱ )

(۴) سورة الفرقان الآية (۷)

﴿ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَمَاتُوا وَهُمْ كُفَّارٌ أُولَٰئِكَ عَلَيْهِمْ لَعْنَةُ اللَّهِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ خَالِدِينَ فِيهَا لَا يُخَفَّفُ عَنْهُمُ الْعَذَابُ وَلَا هُمْ يُنظَرُونَ ﴾<sup>(١)</sup>

#### ٨ - عظم خلقهم وتفاوتهم فيه :

إن خلق الملائكة لعظيم ، وهم يتفاوتون فيه تفاوتاً كبيراً ، فقد صح أن لجبريل عليه السلام ستمائة جناح<sup>(٢)</sup> في حين أن من الملائكة من له جناحان فقط ، كما قال تعالى

﴿ الْحَمْدُ لِلَّهِ فَاطِرِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ جَاعِلِ الْمَلَائِكَةِ رُسُلًا أُولَىٰ أَجْنَحَةٍ مِّثْنَىٰ وَتِلْكَ وَرُبْعَ يَزِيدُ فِي الْخَلْقِ مَا يَشَاءُ إِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴾<sup>(٣)</sup>

روى أبو داود بسند صحيح أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : « أذن لي أن أتحدث عن ملك من حملة العرش رجلاه في الأرض السفلى ، وعلى قرنه العرش ، ومن شحمة أذنه وعاتقه خفقان الطير سبعمئة عام ، فيقول ذلك الملك : سبحانك حيث كنت » .

وروى الحاكم وصححه ووافقه الذهبي في ذلك عنه صلى الله عليه وسلم قوله : « إِنَّ اللَّهَ أَذِنَ لِي أَنْ أُحَدِّثَ عَنْ دِيكَ قَدْ مَرَقَتْ رِجْلَاهُ الْأَرْضَ ، وَعَتَقَهُ مِثْنَةُ تَحْتَ الْعَرْشِ ، وَهُوَ يَقُولُ : سُبْحَانَكَ مَا أَعْظَمَكَ !! ، فَيُرَدُّ عَلَيْهِ : لَا يَعْلَمُ ذَلِكَ مَنْ حَلَفَ بِي كَاذِبًا »<sup>(٤)</sup>

(١) سورة البقرة الأيتان (١٦١ ، ١٦٢) .

(٢) ثبت هذا في الصحيحين للؤلؤ والمرجان (٤/١) والبخاري (٤٦/١٤٠) ومسلم (١/١٠٩) .

(٣) سورة فاطر الآية (١) .

(٤) ذكره صاحب الحبانك وعزاه الى أبي داود ، والذي وقفت عليه في أبي داود نصه « أذن لي أن أحدث عن ملك من ملائكة الله من حملة العرش ان ما بين شحمة أذنه الى عاتقه مسيرة سبعمئة عام » والمراد من الديك أنه ملك شبه الديك ، ومعنى مرقت : خرقت . أبو داود (٢/٥٣٤) .

## الجن والشياطين

وبمناسبة بحث الركن الثاني من عقيدة المؤمن « الإيمان بالملائكة عليهم السلام » نعرض لقضية الجن والشياطين ، إذ الإيمان بوجودهما جزء من عقيدة المؤمن أيضاً ، وذلك لأهمهما من الغيب الذي أمر المؤمن بالإيمان به وتصديق الله والرسول فيما قالوا في شأنه ، وأخبروا به .

ولولا الرغبة في زيادة إنارة عقيدة المؤمن لما كان بنا حاجة إلى بحث هذه المسألة من العقيدة بحثاً مستقلاً ، وذلك لأمرين . أولهما : أن من آمن بالله تعالى ، وعلمه ، وقدرته ، وحكمته لا يتردد في تصديق الله تعالى في أي شيء يخبر به من غيب ، أو شهادة ، لاسيما مسألة كهذه حيث قررها الله تعالى ، وأثبتها في عشرات الآيات من كتابه الكريم وثانيهما : أن الأدلة العقلية ، والبراهين التي سقناها للإيمان بالملائكة عليهم السلام ، هي بعينها يؤتى بها هنا ، ويُستدل بها على وجود الجن والشياطين ، وخلاصتها : أن الكائنات كلها ما بين غيب وشهادة ، وأن الإنسان إذا كان في مكان خلت منه سائر الأمكنة وأصبح كل ما لا يراه ، ولا يسمعه ، ولا يحس به لبعده عنه غيباً له ، فإذا ما صدق به كان ذلك إيماناً منه بالغيب ، وطريقه إليه هو الآثار الدالة ، والأخبار الصادقة . فإذا وُجد أثر لشيء ما كان الإنسان مضطراً إلى لتصديق به ، وإن لم يره ، ولم يسمعه ، ولم يحس به بأية حاسة من حواسه التي هي مصدر حصوله على أغلب علومه ، ومعارفه . كما أنه

إذا أخبره ثقة بشيء من الممكنات فضلاً عن أن تخبره جماعة كثيرة  
تستحيل عادة تواطؤها على الكذب آمن بما أخبر به ، وصدق تصديقاً  
جازماً ، بحيث لا يتردد في صحة ثبوته أبداً ، بل قد يُعد المكذب به  
ناقصاً في عقله ، هابطاً من شرف إنسانيته وكرامة آدميته .

ولما كان المؤمن قد آمن على مثل هذين الدليلين بالملائكة وهم  
من الغيب المحض فكيف لا يؤمن بعالم الجان والشياطين ، وهما أقرب  
المغيبات إلى الملائكة عليهم السلام .





## أدلة وجود الجان والشیطان

والآن نورد الأدلة والبراهین المثبتة لوجود الجن والشیاطین بالآثار والأخبار كما نرهه بذلك علی وجود الملائكة الأظهر ، وكتفیه به

### ١ - الآثار :

إن الآثار الدالة علی وجود الجن والشیاطین كثيرة جداً وحسب منها ما یلي :

١ - الصرع الذي لا یکاد یخلو منه زمان ولا مکان ، وممّد فحر لتاریخ ، ونعني بالصرع ما كان سببه الأرواح الخبيثة ، وهي أرواح الشیاطین ، وأما ما كان سببه الأخلاط الرديئة فذاك شيء آخر ، فیه قد یعالج بالأدوية المادية ، وقد یشفی عا حبه ، وقد لا یشفی ، وإنما معي بالصرع الدال علی وجود الجن والشیاطین ، الصرع الذي سبه لأرواح الخبيثة ، ذاك الصرع الذي وقف الطّب حتی فی أيام تقدمه ، وقف حیلته لا یبدي ، ولا یعیده فإنه أثر من آثار الجان والشیاطین ، ودلیل قاطع علی وجودهم .

٢ - تكلم الجان علی لسان الشخص الذي یحل فیهِ ، ویتلبس به ، ویحارّه بأمور لم یکن الإنسان المصاب به یعرفها ، حتی إن بعضهم لیتكلّم بلغات لم یکن المصاب یعرف منها حرفاً واحداً .

٣ - خروج الجن من الإنسان الذي حل فیهِ ، وركبه بواسطة

الراقي من ذوي الأرواح الطيبة ، والنفوس الزكية ، أو بواسطة الأرواح الخبيثة من البشر ممن يوالون الشياطين ، ويتعاونون معهم ، وتصريح الجن بالخروج وعدم العودة بالمصروع ، وذلك بعد تخويله وتهديده من الراقي ، وهذه المسألة قد يستغريها البعض ، أو ينكرونها ، غير أن الواقع أثبتها بما لا مجال للشك فيه بحال من الأحوال .

٤ : ظهور بعض الجن لبعض الناس ، ومخاطبتهم إياهم وهذا أيضاً متواتر الأخبار بحيث يعد إنكاره غباء وجهالة . أو مكابرة وجحوداً ، لا يرضاهما العاقل لنفسه .

٥ - الجرائم التي يرتكبها الإنسان بين الناس من لواط ، وزنا ، وقتل نفس ، وسرقة ، وشرب خمر ، وكفر ، وعقوق ، وكذب ، وخلف للوعد ، ونكث بالعهد . كل هذه الجرائم التي تتنافى مع الفطر البشرية ؛ والشرائع الإلهية ، والقوانين الدولية هي بدون شك آثار للشياطين . إذ هي التي تحسنها للإنسان . وترينها له . وتغريه بارتكابها . لإغوائه وإفساد روحه التي عليها مدار سعادته وشقاؤه في الدار الآخرة ، إذ الشياطين في إفساد أرواح الناس هي بمثابة الجرائم التي تفسد أجسامهم وسواء بسواء .

وهنا نقول سبحانه الله إننا لو قلنا لإنسان مريض إن سبب مرضك أيها الأخ الجرائم الفلانية ، أو الفلانية فاستعمل لها الدواء الفلاني فإنك تشفى بإذن الله تعالى ، لما تردد في تصديقنا ، ولبادر إلى استعمال الدواء . وجريه مع أنه لم ير الجرائم . ولم يحس بها بأية حاسة من حواسه . وإنما صدقنا للأثر الذي شاهده وهو المرض القائم بجسمه . والذي يشعر بالآلامه وأتعبه كل ساعة من ساعات أيام مرضه ، وإذا قلنا له إن نفسك مريضة ، ولذا أنت تحب الكذب ، والخيانة . وترغب في الجريمة . وتميل إلى الخبث . وأن سبب مرض نفسك الشيطان فاستعمل له كذا وكذا فإنك تشفى بإذن الله لأنكر غالباً ولم

يصدق ، في حين أن الدليل واحد في المسألتين ، وهي الآثار الدالة على المرض الحثامي والروحاني ، وعدم تصديقه بالمسألة الأخيرة أكبر دليل على وجود الشيطان ، إذ لولا صرفه عن التصديق بما ألقى في نفسه من الريب ، والشكوك لما كذب ، وأنكر أبداً ، إذ ما ثبت به وجود الجرائم في الجسم وهو الأثر ، هو عين ما يثبت به وجود الشياطين وهو الأثر أيضاً

## ٢ - الأخبار :

إن الأحبار الإلهية ، والسوية الصادقة ، والناطقة بوجود الجن والشياطين لكثيرة جداً ، فسكتف بذكر طائفة منها ، ولنبدأ بأخبار الله تعالى :

### ١ - أخبار الله تعالى :

أخبره تعالى المصراحة بوجود الجن والشياطين كثيرة منها ، قوله تعالى في خلق الإنسان والجان :

﴿ خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ صَلْصَلٍ كَالْفَخَّارِ وَخَلَقَ الْجَانَّ مِنْ مَّارِجٍ مِنْ نَارٍ ﴾<sup>(١)</sup>  
وقوله في بيان لعنة في خلقه للإنس والجن :

﴿ وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ۚ مَا أُرِيدُ مِنْهُمْ مِنْ رِزْقٍ وَمَا أُرِيدُ أَنْ يُطْعَمُوا ۚ إِنَّ اللَّهَ هُوَ الرَّزَّاقُ ذُو الْقُوَّةِ الْمَتِينُ ﴾<sup>(٢)</sup>  
وقوله تعالى في الإخبار عن طاعة ملائكته له ، وفسق إبليس عن أمره ، وفي سهي عن تخد إبليس وذريته أولياء :

﴿ وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ كَانَ مِنَ الْجِنِّ

(١) سورة النجم الآيات (١٤ - ١٥)

(٢) سورة النجم الآيات (٥٦ - ٥٨)

فَفَسَقَ عَنْ أَمْرِ رَبِّهِ أَفَتَتَّخِذُونَهُ وَذُرِّيَّتَهُ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِي  
وَهُمْ لَكُمْ عَدُوٌّ ﴿١﴾

وقوله تعالى في إخباره بخلق الإنسان ، وتصويره ، وأمر ملائكته  
بالسجود له ، وامتناع إبليس عن ذلك ، وتوبيخه على عدم السجود ،  
واعذار إبليس عن عدم السجود لآدم ، وهو عذر أقيح من ذنب ، وعن  
طرد الله تعالى له من الجنة وإبلاسه ، وإيعاده هو ومن تبعه من الناس  
بعذاب جهنم :

﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَاكَ ثُمَّ صَوَّرْنَاكَ ثُمَّ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا  
إِلَّا إِبْلِيسَ لَمْ يَكُنْ مِنَ السَّاجِدِينَ قَالَ مَا مَنَعَكَ أَلَّا تَسْجُدَ إِذْ أَمَرْتُكَ  
قَالَ أَنَا خَيْرٌ مِنْهُ خَلَقْتَنِي مِنْ نَارٍ وَخَلَقْتَهُ مِنْ طِينٍ قَالَ فَاهْبِطْ  
مِنْهَا فَمَا يَكُونُ لَكَ أَنْ تَتَكَبَّرَ فِيهَا فَاخْرُجْ إِنَّكَ مِنَ الصَّاغِرِينَ  
قَالَ أَنْظِرْنِي إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ قَالَ إِنَّكَ مِنَ الْمُنْظَرِينَ قَالَ فِيمَا أُغْوِيَنِي  
لَأَفْعِدَنَّ لَهُمْ صِرَاطَكَ الْمُسْتَقِيمَ ثُمَّ لَا يَنبَغُ مِنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ  
وَعَنْ أَيْمَانِهِمْ وَعَنْ شَمَائِلِهِمْ وَلَا تَجِدُ أَكْثَرَهُمْ شَاكِرِينَ قَالَ أَخْرَجْ  
مِنْهَا مَذْمُومًا مَدْحُورًا لَمَنْ تَبِعَكَ مِنْهُمْ لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنْكُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٣﴾

وقوله في الإخبار بأن شياطين الجن وشياطين الإنس يوحى بعضهم إلى  
بعض الباطل والكذب ، لتضليل الناس ، واغوائهم بالفتن والشور :

(١) سورة الكهف الآية (٥٠) .

(٢) المذموم : المعيب بأسوء العيوب ، والمدحور : المطرود البعيد .

(٣) سورة الأعراف الآيات (١١ - ١٨) .

﴿شَيْطَانٍ لَّائِسٍ وَالْحَنُ يُوحَىٰ بَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ زُخْرُفَ الْقَوْلِ غُرُورًا﴾ (١)

وقوله تعالى في الإحسان لما امتن به على عبده ورسوله سليمان عليه السلام ، وتسحير الجن والشياطين له ، حيث كان يستخدمهم عليه سلام في شتى الأعمال والأعراس :

﴿وَمِنَ الْجِنِّ مَن يَعْمَلُ بَيْنَ يَدَيْهِ بِإِذْنِ رَبِّهِ ۚ وَمَن يَزِغْ مِنْهُمْ عَنْ أَمْرِنَا نُذِقْهُ مِنْ عَذَابِ السَّعِيرِ ۚ يَعْمَلُونَ لَهُ مَائِسَاءَ مِن مَّحْرِبٍ وَمَثَبِلٍ ۚ وَجَنَّاتٍ كَالْجَوَابِ وَقُدُورٍ رَاسِيَتٍ﴾ (٢)

وهي به حري يقول

﴿وَالشَّيَاطِينُ كُلٌّ بِنَاءٍ وَغَوَاصٍ ۚ وَتَحْرِيحٍ مُّقْرَنِينَ فِي الْأَصْفَادِ﴾ (٣)

وقوله تعالى في الإحسان عن جن صبيبي الذين حصروا صلاة لصبح مع نرسون عليه صلاة والسلام في بض نخلة (٤) وكيف رجعوا إلى قومهم بدعوتهم إلى الإيمان بالرسول ﷺ ويدبرونهم مما يترتب على عدم إيمانهم من العذاب الأليم

﴿وإِذْ صَرَفْنَا إِلَيْكَ نَفَرًا مِّنَ الْجِنِّ يَسْتَمْعُونَ الْقُرْآنَ وَإِن فَلَئَ حَضَرُوهُ قَالُوا يَسْمَعُونَ فَلَئَ قُضِيَ وَلَوْ إِلَىٰ قَوْمِهِمْ مُّنْذِرِينَ﴾ (٥) قَالُوا يَسْمَعُونَ فَلَئَ سَمِعَ كَتَبْنَا أَنْزَلَ مِنْ بَعْدِ مُوسَىٰ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ يَهْدِي إِلَىٰ

(١) سورة النحل الآية (١١٢)

(٢) سورة النحل الآية (١١٣)

(٣) سورة النحل الآية (١١٤)

(٤) سورة النحل الآية (١١٥)

الْحَقِّ وَإِلَىٰ طَرِيقٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٣٠﴾ يَتَقَوَّمْنَا أَجِيبُوا دَاعِيَ اللَّهِ وَءَامِنُوا بِهِ، يَغْفِرَ لَكُمْ مِّنْ ذُنُوبِكُمْ وَيُجِرْكُمْ مِّنْ عَذَابِ الْعَذَابِ ﴿٣١﴾

وقوله تعالى في أمر رسول الله ﷺ بأن يخبر بما أوحى إليه من استماع الجن لقراءته ، وبالذي دار بين الجن من أحاديث عجيبة ، تحوي حقائق مدهشة عظيمة عن الجن ، وعقائدهم ، وأعمالهم ، وأحوالهم :

﴿ قُلْ أَوْحِيَ إِلَىٰ أَنَّهُ اسْتَمَعَ نَفَرٌ مِّنَ الْجِنِّ فَقَالُوا إِنَّا سَمِعْنَا قُرْءَانًا عَجَبًا يَهْدِي إِلَى الرُّشْدِ فَآمَنَّا بِهِ وَلَنْ نُشْرِكَ بِرَبِّنَا أَحَدًا ﴾ (٣١)  
في كذا آية من سورة الجن .

وقوله تعالى في الأمر بالاستعاذة من الشيطان في ثلاث آيات منها :

﴿ وَإِذَا يَتَزَوَّجُكَ مِنَ الشَّيْطَانِ نَزَّغٌ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ إِنَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴾ (٣٢)  
ومنها :

﴿ فَإِذَا قَرَأْتَ الْقُرْءَانَ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ ﴾ (٣٣) إِنَّهُ لَيْسَ لَهُ سُلْطَانٌ عَلَى الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴿٣٤﴾ إِنَّمَا سُلْطَانُهُ عَلَى الَّذِينَ يَتَوَلَّوْنَهُ وَالَّذِينَ هُمْ بِهِ مُشْرِكُونَ ﴿٣٥﴾

ومنها : ﴿ قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ ﴿١﴾ مَلِكِ النَّاسِ ﴿٢﴾ إِلَهِ

(١) سورة الأحقاف الآيات ( ٢٩ - ٣١ ) .

(٢) سورة الجن الآيات ( ٢٠ ، ٢١ ) .

(٣) سورة الأعراف الآية ( ٢٠٠ ) .

(٤) سورة النحل الآيات ( ٩٨ - ١٠٠ ) .

النَّاسِ ﴿٣٩﴾ مِنْ شَرِّ الْوَسْوَاسِ الْخَنَّاسِ ﴿٤٠﴾ الَّذِي يُوَسْوِسُ فِي صُدُورِ النَّاسِ ﴿٤١﴾ مِنَ الْخَفَةِ وَالنَّاسِ ﴿٤٢﴾

أخبار الرسول - صلى الله عليه وسلم -

وهي كثيرة منها قوله صلى الله عليه وسلم في الأحبار عن الخبرين من الجن ، والذي وكل بكل إنسان .

« ما من أحد إلا وقد وكل به قرينه من الجن قالوا : وإياك يا رسول الله . قال : وإياي إلا أن الله أعانني عليه فأسلمه فلا يضرني إلا بخير . » أخرجه مسلم (٢) وقوله صلى الله عليه وسلم في الأحبار عن دخول الشيطان مع الإنسان بيته ، وتدونه من طعامه وشربه وذلك من رواية مسلم : « إذا دخل الرجل بيته فذكر الله عند دخوله وعند طعامه قال الشيطان ( لأولاده ومن معه من الشياطين ) لا مبيت لكم ولا عشاء . وإذا دخل فلم يذكر الله عند دخوله قال الشيطان أدركتم المبيت . وإذا لم يذكر الله عند طعامه قال أدركتم المبيت والعشاء . » (٣) وقوله صلى الله عليه وسلم في النهي عن الأكل والشرب بالشمال والتعليل بأن الشيطان يأكل وشربه شماله « لا يأكل أحدكم بشماله ولا يشرب بها فإن الشيطان يأكل بشماله ويشرب بها » (٤) . وقوله صلى الله عليه وسلم وهو يحذر المؤمنين من أن يبيت أحدهم وفي يده تر طعام ، أو إدم من أن يأتي الشيطان لحس ذلك من يده فيؤديه . ١ . ن

(١) - سنن أبي داود

(٢) - مسلم ( ١٣٩ )

(٣) - مسلم ( ١٠٨ )

(٤) - رواه مسلم ( ٦ ) ومثله في ترمذ

الشَّيْطَانُ حَسَّاسٌ لِحَاسٍ فَاحْذَرُوهُ عَلَى أَنْفُسِكُمْ ، مَنْ بَاتَ فِي يَدِهِ غَمْرٌ فَأَصَابَهُ شَيْءٌ فَلَا يَلُومَنَّ إِلَّا نَفْسَهُ» (١) ، وقوله صلى الله عليه وسلم لما سأله الجن الزاد في حديث الصحيح : « كُلْ عَظْمٍ ذُكِرَ اسْمُ اللَّهِ عَلَيْهِ وَقَعَ فِي يَدِ أَحَدِهِمْ أَوْفَرُ مَا يَكُونُ لِحِمَاً وَكُلْ بَعْرٍ عَلَفَ لَدَايِهِمْ » (٢) ومن هنا نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، عن الاستجمار بالعظم والروث وقال معللاً النهي : « فَإِنَّهُ زَادُ إِخْوَانِكُمْ مِنَ الْجِنِّ » (٣) وقوله صلى الله عليه وسلم في صلاته بالليل : « إِنْ عَفَرْتَا مِنَ الْجِنِّ تَفَلَّتْ عَلَيَّ الْبَارِحَةُ لِيَقْطَعَ عَلَيَّ الصَّلَاةَ فَأَمَكَّنِي اللَّهُ مِنْهُ فَأَرَدْتُ أَنْ أَرْبِطَهُ إِلَى سَارِيَةٍ مِنْ سَوَارِي الْمَسْجِدِ حَتَّى تَصْبَحُوا وَتَنْظُرُوا إِلَيْهِ كُلُّكُمْ . . . الحديث » (٤) . وقوله صلى الله عليه وسلم في إرشاده لأمته أَنْ تَسْأَلَ اللَّهَ تَعَالَى عِنْدَ سَمَاعِ صِيَاحِ الدِّيكِ وَتَسْتَعِيذُ بِاللَّهِ مِنَ الشَّيْطَانِ عِنْدَ سَمَاعِ نَهْيِ الْحِمَارِ « وَإِذَا سَمِعْتُمْ صِيَاحَ الدِّيكَةِ فَاسْأَلُوا اللَّهَ مِنْ فَضْلِهِ فَإِنَّهَا رَأَتْ مَلَكًا ، وَإِذَا سَمِعْتُمْ نَهْيَ الْحِمَارِ فَتَعَوَّذُوا بِاللَّهِ مِنَ الشَّيْطَانِ فَإِنَّهُ رَأَى شَيْطَانًا » (٥) وقوله صلى الله عليه وسلم في الارشاد الى الآداب في حديث البخاري « التَّنَاوُبُ مِنَ الشَّيْطَانِ » (٦) وقوله صلى الله عليه وسلم أيضاً وهو يرشد أمته إلى كيفية رد كيد الشيطان ومجاهدته بدفع ما يلقيه

(١) أخرجه الترمذي (أطعمة / ٤٨) ، وأبو داود (٣٠ / ١) وابن حبان وغيرهم . ومعنى حساس :

شديد الاحساس ، ولحاس : كثير اللبس ، غمر يفتح العين والميم : رائحة الطعام (٢) رواه البخاري . حديث أبي هريرة وجاء فيه فقلت : فما بال العظم والروث ؟ قال هما من طعام الجن وأنه أتاني وفد جن نصيبين ونعم الجن فسألوني الزاد فدعوت الله لهم أن لا يعمروا بعظم ولا بروث إلا وجدوا عليها طعاما (٧ / ٥٩) .

(٣) رواه أبو داود والترمذي والنسائي .

(٤) متفق عليه واللفظ للبخاري اللؤلؤ والمرجان (١ / ١٠٩)

(٥) متفق عليه واللفظ للبخاري اللؤلؤ والمرجان (٣ / ٢٣٣) ومتن البخاري (٤ / ١٥٥)

(٦) متفق عليه واللفظ للبخاري اللؤلؤ والمرجان (٣ / ٣٢٧) متن البخاري (٤ / ١٥٢)



من الشبه في نفس العبد «يأتي الشيطان أحدكم فيقول: من خلق كذا من خلق كذا حتى يقول من خلق ربك فإذا بلغه فليستعذ بالله وليته»<sup>(١)</sup> وقوله صلى الله عليه في الصحيح كذلك «إذا كان جنح الليل أو أمسيتم فكفوا صبيانكم فإن الشياطين تنشر حينئذ... الحديث»<sup>(٢)</sup>

وجوب الإيمان بوجود الجن والشياطين

لنك الأدلة العقلية والفعلية ، التي سفدها كان الإيمان بوجود  
لحق والشيئان واجباً حتماً . بل كان جزءاً من عقيدة المؤمن لا يتجزأ  
وكل محاولة لإخلاء العقيدة الإسلامية من التصديق بوجود عالمي لخاص  
والشيئان تعد كفر صراح ، مخرجاً من الأمة المحمدية لأهل ما في  
ذلك من أشكر العقل ، ورفض بذهياته ، وتكذيب الله تعالى في  
أخبره ، وتكذيب الرسول صلى الله عليه وسلم وكفى بتكذيب الله  
تعالى ، وتكذيب رسول الله صلى الله عليه وسلم كفراً وباطلاً .

بعض معلومات عامة عن العجن والشياطين

وهو هي ذتي بعض المعلومات عن علمي الجي و الشياطين .  
 و قد تعرفت بعد الإجازة بوجدده ، و توضيحا لكثير من معلمة ذلك  
 العلم العبي المحجول عبد لدين يعيشون عبيدي عن كتاب الله و سنة  
 رسوله صلى الله عليه وسلم

١ - مادة خلق الجن :

محرر هو له سائر خسر ، وهو مخلوق من مادة ناسر معروفه .

[illegible]

(١٢)  $\frac{1}{2} \frac{d}{dt} \left( \frac{1}{2} \frac{d^2}{dt^2} \right) = \frac{1}{2} \frac{d^3}{dt^3}$

وكان خلقه قبل خلق الإنسان ، وذلك لقوله تعالى  
﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنْ صَلْصَلٍ مِنْ حَمِإٍ مَسْنُونٍ ﴿١﴾ وَالْجَنَّ  
خَلَقْنَاهُ مِنْ قَبْلُ مِنْ نَارِ السَّمُومِ ﴿٢﴾﴾

وهل السنة في خلق الجن وذريته كالسنة في خلق آدم وذريته ؟ بمعنى  
أن الجن الأول خلق من نار وأولاده خلقوا بطريقة أخرى كالتناسل  
محتمل والله أعلم .

## ٢ - لم سمي الجن جنّاً ؟

سمي الجن جنّاً لاجتنانهم وهو استارهم ، وعدم ظهورهم  
للناس ، لأن الاجتنان هو الاستتار . وهو مأخوذ من جن الليل إذا  
أظلم ، فستر الأشياء بظلامه ، ومنه سميت جنة المقاتل وهي الخوذة  
التي يجعلها على رأسه في الحرب وسميت الجنة دار النعيم جنة ، لأنها  
تستر بأشجارها الكثيرة الملففة من يدخلها كما سمي الجنين في بطن أمه  
جنيناً لاستتاره ببطن أمه ، وعدم ظهوره . قال تعالى في الشيطان من  
الجن :

﴿إِنَّهُ يَرْتَكِبُ هُوَ وَقَبِيلُهُ مِنْ حَيْثُ لَا تَرَوْنَهُمْ ﴿٢﴾﴾

## ٣ - إفتقار الجن الى الغذاء :

إن الجن مفتقرون إلى الغذاء المناسب لذواتهم كافتقار سائر  
الحيوانات والنباتات لأغذيتها المناسبة لها ، والدليل على هذه الحقيقة :  
ما صح من أن الجن سألوا رسول الله ﷺ الزاد فقال لهم : « كُلْ عَظْمٌ .

(١) سورة الحجر الأيتان (٢٦ + ٢٧) .

(٢) سورة الأعراف الآية ٢٧ .

يُذَكِّرُ بِسْمِ اللَّهِ عَلَيْهِ يَقَعُ فِي أَيْدِيكُمْ أَوْفَرُ مَا يَكُونُ لَحْمًا»<sup>(١)</sup> ونهى ﷺ عن الاستجمار بالعظم ، وَقَالَ « إِنَّهُ طَعَامٌ إِخْوَانُنَا مِنَ الْجِنِّ »<sup>(٢)</sup> . كما نهى عن الأكل بالشمال والشرب بها وعلل ذلك بأن الشيطان يأكل ويشرب شماله<sup>(٣)</sup> .

فتت بهذه الأحاديث الصحيحة المخرجة في البخاري ومسلم أن الحن وشياطين يأكلون ويشربون ، وذلك لأجل التغذية اللازمة لهم حسب دواتهم ولطبيعة التي خلقهم الله تعالى عليها .

#### ٤ - الجن يتوالدون :

لا شك أن الحن والشياطين تتم بينهم عملية التوالد بحسب طبيعة حنهم ونكويهم ، وأن لهم سة في ذلك يتم بحسبها وجود ذرية لهم ، كما تتوالد سائر الأحياء ، كل على نظام السنة التي جعلها الله تعالى له . ويشهد لهذه الحقيقة ويقررها القرآن الكريم : حيث جاء فيه قول الله تعالى :

﴿ افْتَحِذُوهُ وَذُرِّيَّتَهُ ۖ أُولِيَاءَ مِنْ دُونِي وَهُمْ لَكُمْ عَدُوٌّ  
بِئْسَ لِلظَّالِمِينَ بَدَلًا ۖ ﴾<sup>(١)</sup>

وقد انفصل عن تحده وذريته أولياء هو إبليس وذريته بدليل السياق إذ

﴿ وَذُوقْنَا لِلْمَلَكَةِ أَتَجِدُوا لَأَدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ كَانَ مِنَ الْجِنِّ  
فَمَسَقَ عَنْ مِرْرِيَّةً افْتَحِذُوهُ وَذُرِّيَّتَهُ ۖ أُولِيَاءَ مِنْ دُونِي  
وَهُمْ كَكُمْ عَدُوٌّ بِئْسَ لِلظَّالِمِينَ بَدَلًا ۖ ﴾<sup>(٢)</sup>

سورة النمل الآية ١٦-١٧ في فصل الجن

(٣) سورة النمل الآية (٥٠)

(٢) سورة النمل الآية (٥٠)

كما ورد في صحيح مسلم أن الشيطان يشارك الإنسان في طعامه وشرايه وفراشه إن لم يذكر اسم الله تعالى عند أكله وشربه ومخالطة أهله<sup>(١)</sup>. ولهذا قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «لَوْ أَنَّ أَحَدَهُمْ يَقُولُ جِئَنِّي بِأَهْلَةٍ بِاسْمِ اللَّهِ اللَّهُمَّ جَنِّبِي الشَّيْطَانَ وَجَنِّبِ الشَّيْطَانَ مَا رَزَقْتَنَا، ثُمَّ قُدِرَ بَيْنَهُمَا فِي ذَلِكَ، أَوْ قُضِيَ وَلَدٌ لَمْ يَضُرَّهُ شَيْطَانٌ أَبَدًا»<sup>(٢)</sup>.

## ٥ - هل بين الجن والشيطان فرق؟

نعم إن بين الجن والشيطان فرقاً كبيراً، ولكي تتجلى هذه الحقيقة واضحة نذكر أن الخلق الراقي أربعة أنواع وهي : الملائكة ، والإنس ، والجن ، والشياطين .

فالملائكة : عالم روحاني مستقل له خصائصه ، وصفاته ، وأحواله ، وقد تقدم البحث مستفيضاً في بيان حقيقة هذا العالم العلوي الكريم .

والجن : نوعان ، شياطين لا خير فيهم البتة ، وجن منهم الصالح . ومنهم الفاسد ، فحالهم كحال الناس ، منهم البار ومنهم الفاجر ، ومنهم المؤمن ومنهم الكافر ، بيد أن الشياطين أصلهم من الجن ، وذلك لأن إبليس كان من الجن لإخبار القرآن الكريم بذلك في قوله تعالى :

﴿إِلَّا إِبْلِيسَ كَانَ مِنَ الْجِنِّ فَفَسَقَ عَنْ أَمْرِ رَبِّهِ﴾<sup>(٣)</sup>

(١) تقدم هذا الحديث بلفظه قريباً في فصل أخبار الرسول صلى الله عليه وسلم .  
(٢) متفق عليه واللفظ للبخاري ، اللؤلؤ والمرجان (٢ / ١٠٠) ، والبخاري (٧ / ٢٩ ، ٣٠) .  
ومسلم (٢ / ١٥٥) .  
(٣) سورة الكهف (٥٠) .

ولما أبلس الشيطان ، وطُرد من الرحمة الإلهية ، وانقطع من الخير كلية ، كانت ذريته مثله بحكم الوراثة ، لا خير فيهم أصلاً ، فلا يعرفون إلا الشر ، ولا يدعون إلا إليه . والمثل القريب لذلك أن الحية لا تلد إلا حية ، فلم يطرأ ولن يطرأ على نسلها منذ أن كانت تغيير بحيث تلد أولاداً ، لاسم فيهم ، ولا خبث معهم .

ثم إن كل من يخبث ، ويتمرد ، ويقطع عن الخير من أفراد الجان والإنسان يصبح شيطاناً ، فإن عتاً قيل فيه مارد . وإن زاد عتوه وظغيانه قيل فيه عفريت .

وقد أثبت القرآن العظيم هذه الحقائق كلها ، إذ جاء فيه أن من نحن شياطين ، ومن الإنس شياطين قال تعالى من سورة الأنعام .  
﴿ شَيْطَانِ الْإِنْسِ وَالْجِنِّ يُوحِي بَعْضُهُمْ إِنْ بَعْضٍ زُخْرَفَ نَقُولٍ غُرُورٍ ﴾ (١)

كما جاء فيه أن من النجس صالحين وذلك في قوله تعالى فيما حكاه عن النجس من سورة النجس :  
﴿ وَأَنَا مِنَ الصَّالِحِينَ وَمِنَ الدُّنْيَا ذَلِكَ ﴾ (٢)

كما أخبر تعالى أنه خلق النجس كالإنس لعبادته ووضعه في قوله  
حين جلّاله

﴿ وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِي ۚ مَا أَرِيدُ مِنْهُمْ مِنْ رِزْقٍ وَمَا أُرِيدُ أَنْ يُطْعَمُوا ۚ إِنَّ اللَّهَ هُوَ الرَّزَّاقُ ذُو الْقُوَّةِ الْمَتِينُ ﴾ (٣)

(١) آية (١١٢)

(٢) آية (١١)

(٣) سورة الدريجات الآيات (٥٦ - ٥٨)

كما أخبر تعالى أن الشيطان يأمر بالفحشاء في قوله من سورة البقرة :  
﴿الشَّيْطَانُ يَعِدُكُمُ الْفَقْرَ وَيَأْمُرُكُم بِالْفَحْشَاءِ وَاللَّهُ يَعِدُكُمْ مَغْفِرَةً مِنْهُ وَفَضْلًا﴾<sup>(١)</sup>

كما أخبر تعالى أن الشيطان يضل من يتبعه ، ويهديه إلى عذاب السعير في قوله من سورة الحج :

﴿وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يُجَادِلُ فِي اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَيَتَّبِعُ كُلَّ شَيْطَانٍ مَرِيدٍ ۝ كُتِبَ عَلَيْهِ أَنَّهُ مِنْ تَوَلَّاهُ فَأَنَّهُ يُضِلُّهُ وَيَهْدِيهِ إِلَى عَذَابِ السَّعِيرِ﴾<sup>(٢)</sup>

وهذا هو النوع الذي لا خير فيه من شياطين الجن ، وهو إبليس عليه لعائن الله تعالى .

## ٦ - هل الجن والشياطين يتشكلون ؟

لا شك في أن الجن كالشياطين يتشكلون بأشكال مختلفة ، ويتلونون تلوناً كبيراً ، وهذا مما دل عليه دليل السمع ، والملاحظة . وهو من الممكنات الجائزة عقلاً ، اذ تصوّر وجودها لا يوجب تناقضاً عقلياً أبداً .

ومن الأخبار الدالة على تشكل الجن بأشكال متعددة ما يلي :

١ - مجيء الشيطان إبليس إلى دار الندوة في مكة ورجال قریش مجتمعون فيها للتشاور في أمر النبي محمد صلى الله عليه وسلم ، ودعوته الإسلامية التي أظهرها فيهم ، فتحيروا لها ، وعظم عندهم أمرها ، فاجتمعوا يبحثون عن تخريج لهم منها ، ولو كان قتل النبي صلى الله عليه وسلم ، أو حبسه ، أو نفيه ، فهم كذلك حتى دخل عليهم

(١) الآية (٢٦٨) .

(٢) الأيتان (٤، ٣) .

الشیطان في صورة رجل كبير محترم من رجالات سجد ومشائخها الموقرين ، وشارك في اجتماعهم ، ومداولاتهم ، ورحح لهم اقتراح حار أغلبية الأصوات وهو أسوأ اقتراح تقدم به إنسان وقبحه ، وأكثره شراً وفساداً ، ألا وهو الحكم بقتل الرسول صلى الله عليه وسلم<sup>(١)</sup>

فهذه الحادثة متواترة لا محال للشك فيها فصلا عن تكرارها وحوادثها .

٢- تشكل جان من جنان المدينة النبوية في صورة حية ، لما روى مسلم أن أبا سعيد الخدري قال : كان فتى منا حديث عهد بعرس ، فحرحاً مع رسول الله ﷺ إلى الخندق ، فكان ذلك الفتى يستأذن رسول الله ﷺ بنصف النهار ، فيرجع إلى أهله ، فاستأذنه يوماً ، فقال له رسول الله ﷺ « خذ عليك سلاحك فإني أخشى عليك قريظة » ، فأخذ الرجل سلاحه ، ثم رجع ، فإذا امرأته بين البابين قائمة ، فأهوى إليها بالرمح ليطعننها به ، وأصابته غيرة ، فقالت له : أكفك عليك رمحك ، وادخل البيت حتى تنظر ما الذي أخرجني ؟ فدخل فإذا حية عظيمة منطوية على الفراش فأهوى إليها بالرمح فانظمنها به ، ثم ، خرج فركزه في الدار فاضطربت عليه ، فما يدرى أيهما كان أسرع موتاً : الحية أم الفتى<sup>(٢)</sup>؟

٣- تشكل شيطان في صورة إنسان ، وسرقته من تمر الصدقة كما جاء في حديث أبي هريرة عند البخاري ، إذ فيه ما معناه أن أبا هريرة جعده رسول الله ﷺ على حراسة تمر الصدقة « الزكاة » فكان الجان يأتيه

(١) ذكر قصة ابن كثير في نسائه والنهاية (٣/ ١٧٥ - ١٧٦) وابن هشام (٢/ ١٠٣ - ١٠٥) .

(٢) مسلم (٧/ ٤٠)

في صورة إنسان ويأخذ من تمر الزكاة ، فقبضه ، وأراد أن يوقع به فاعتذر اللعين فتركه ، ثم أثنى للمرة الثالثة ، وعندها عزم أبو هريرة على أن يذهب به إلى رسول الله ﷺ غير أن الشيطان اعتذر كذلك بأن له عيالاً ، وأنه مضطر ، وطلب من أبي هريرة أن يعفو عنه ، على أن يعلمه آية من كتاب الله تعالى من قرأها فإن الشيطان لا يقربه . وهذه الآية هي آية الكرسي ، فعفا عنه وتركه . ولما لاقى أبو هريرة رسول الله ﷺ بادره النبي ﷺ قائلاً : ما فعل أسيرك البارحة ؟ فقال له أبو هريرة كان من أمره كذا وكذا . . فقال له النبي ﷺ صدقت وهو كذوب !!!<sup>(١)</sup>

تنبيه :

على إثر تقريرنا أن الجن والشياطين يتشكلون ، كما تتشكل الملائكة ننبه إلى أنه لم يثبت لدينا خبر صحيح عن كيفية تشكل الملائكة ، والجان ، والشياطين ، غير أنه لا يبعد أن يكون الله تعالى قد علمهم أسماء يدعونه بها ، أو كلمات يقولونها فيتم لهم ذلك التشكل على الصورة التي يريدون ، في حدود ما أذن لهم فيه ، بدليل أن الشيطان لا يقدر على التمثل بصورة الرسول ﷺ لقوله عليه الصلاة والسلام : « مَنْ رَأَى فَقَدْ رَأَى حَقًّا فَإِنَّ الشَّيْطَانَ لَا يَتَمَثَّلُ بِي »<sup>(٢)</sup>

## ٧ - أين يسكن الجان ؟

الغالب في الجن والشياطين أنهم يسكنون الخرائب ، والحشوش ، والمزابل ، والقمامات لحديث أبي داود « إن هذه الحشوش

(١) رواه البخاري تعليقاً (٣ / ١٢٥) .

(٢) متفق عليه واللفظ لمسلم ، اللؤلؤ والمرجان (٣ / ٨٠) والبخاري (٩ / ٤٢) ومسلم (٧ / ٥٤) .



محتضرة فإذا أتى أحدكم الخلاء فليقل أعوذ بالله من الخبث والخبائث .

ومن هنا كانت الشياطين تنزل على أخبث الرجال والنساء من أهل الأثام والأفاكين ، الملوئين بالذنوب ، والجرائم العظام . قال تعالى من سورة الشعراء :

﴿ هَلْ أُنَبِّئُكَ عَلَىٰ مَنْ نَزَّلَ الشَّيْطَانُ ﴿٢٢١﴾ نَزَّلَ عَلَىٰ كُلِّ أَفَّاكٍ أَثِيمٍ ﴿٢٢٢﴾ يُلْقُونَ السَّمْعَ وَأَكْثُهُمْ كَذِبُونَ ﴿٢٢٣﴾ ﴾

٨ - هل الجن تسترق السمع من الملأ الأعلى ؟

نعم إن الله تعالى أعطى الجن والشياطين قدرة على العروج إلى الملكوت الأعلى ، فلذا هم يعرجون كما تعرج الملائكة من الأرض إلى السماء ، ويسترقون السمع من الملائكة ، ويهبطون به إلى الأرض ، ومن كان له ولي من الإنس يقضي به إليه ، ليحدث به الناس ، فيفتنهم ، ويغويهم ، ويشهد لهذه الحقيقة ويشتها ما قصه الله تعالى في كتابه ، وحكاه عن الجن أنفسهم في قوله من سورة الجن :

﴿ وَأَنَا لَمَنَّا السَّمَاءَ فَوَجَدْنَاهَا مُلْتَأَ حَرَسًا شَدِيدًا وَشُهَبًا ﴿٢٢٤﴾ وَأَنَا كُنَّا نَقْعُدُ مِنْهَا مَقْعَدِ الشَّمْسِ ﴿٢٢٥﴾ فَنَبْصُرُ السُّجُودَ ﴿٢٢٦﴾ وَأَنَّا لَمَبْصُونٌ ﴿٢٢٧﴾ وَمَا لَنَا لِمَنَّا السَّمَاءُ فَوَجَدْنَاهَا حَرَسًا شَدِيدًا وَشُهَبًا ﴿٢٢٨﴾ وَأَنَا كُنَّا نَقْعُدُ مِنْهَا مَقْعَدِ الشَّمْسِ ﴿٢٢٩﴾ فَنَبْصُرُ السُّجُودَ ﴿٢٣٠﴾ وَأَنَّا لَمَبْصُونٌ ﴿٢٣١﴾ ﴾

كما يؤكد هذه الحقيقة حديث البخاري ، والذي فيه أن النبي ﷺ قال : « إِنَّ الْمَلَائِكَةَ تَنْزِلُ فِي الْعَنَانِ وَهُوَ السَّحَابُ ، فَتَذْكُرُ الْأُمُورَ قُضِيَ فِي السَّمَاءِ ، فَتَسْتَرْقِي الشَّيَاطِينُ السَّمْعَ ، فَتَسْمَعُهُ فَتُؤَحِيهِ إِلَى الْكُهَّانِ

(١) الآيات (٢٢١ - ٢٢٣)

(٢) الآيات (٨ - ١٠)

فَيَكْذِبُونَ مَعَهَا مَائَةً كَذِبَةٍ مِنْ عِنْدِ أَنْفُسِهِمْ» (١)

٩ - الجن أقل قدراً وأدنى كرامة من الإنسان :

إن الجن حتى الصالحون منهم لأقل قدراً ، وأدنى كرامة ، وأنقص شرفاً من الإنسان ، إذ قرر الخالق عز وجل كرامة الإنسان ، وأثبتها في قوله من سورة الإسراء :

﴿ وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَرَزَقْنَاهُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَى كَثِيرٍ مِمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا ﴾ (٢)

ولم يثبت مثل هذا التكريم للجان لا في كتاب من كتب الله ، ولا على لسان رسول من رسله عليهم السلام ، فتبين بذلك أن الإنسان أشرف من الجان ، ويدل على ذلك أيضاً شعور الجن أنفسهم بنقصانهم ، وضعفهم أمام الإنس ، يدل على ذلك أنهم كانوا إذا استعاذ الإنس بهم تعاضلوا وترفعوا لما في استعاذة الإنسان بهم من تعظيمهم ، وإكبارهم وهم ليسوا كذلك فيزدادون رهقاً أي طغياناً وكفراً . قال تعالى في الحديث عنهم من سورة الجن :

﴿ وَأَنَّهُ كَانَ رِجَالٌ مِنَ الْإِنْسِ يَعُوذُونَ بِرِجَالٍ مِنَ الْجِنِّ فَزَادُوهُمْ رَهَقًا ﴾ (٣)

ويشهد لذلك أيضاً أن الإنسان إذا توسل بهم ، أو بأسماء عظمائهم ، أو أقسم بأشرافهم أجابوه ، وقضوا حاجته ، كل ذلك شعور منهم بالضعف ، والحقارة أمام ابن آدم الكريم على الله تعالى إذا آمن بالله تعالى ، وعبده موحداً له في ربوبيته ، وعبادته ، وأسمائه ، وصفاته

(١) البخاري (٤ / ١٣٥) .

(٢) الآية (٧٠) .

(٣) الآية (٦) .

أما بدون ذلك فإن الإنسان كالجان ، وصالحو الجان أفضل وأكرم من كفار بني آدم ومشركيهم .

## ١٠ - هل صالحو الجن يدخلون الجنة ؟

قد سبق أن قررنا فيما تقدم ، وبيننا بوضوح أن الجن غير أولاد إبليس ، خُلقوا لعبادة الله تعالى وطاعته ، شأنهم في ذلك شأن بني الإنسان ، وأن منهم الصالحين ، ومنهم دون ذلك ، وعليه فالصالحون منهم ، وهم أهل الإيمان والتقوى يدخلون الجنة ، وينعمون فيها إن هم ماتوا على الإيمان والتوحيد ، والتقوى والعمل الصالح .

والدليل على هذه الحقيقة العلمية عمومات قوله تعالى :

﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَهُمْ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ ذَلِكَ الْفَوْزُ الْكَبِيرُ﴾ (١)

وقوله تعالى :

﴿مَنْ يَعْمَلْ مِنَ الصَّالِحَاتِ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَا كُفْرَانَ لِسَعْيِهِ وَإِنَّا لَهُ كَاتِبُونَ﴾ (٢)

وقوله تعالى :

﴿وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ عَظِيمٌ﴾ (٣)

فكنمة (من) من ألفاظ العموم فيدخل فيها كل من حقق الشرط الذي قُرِنَ بها من إيمان وجن ، ويتلقى الجزاء ، وهو المغفرة ، والجنة كل من حقق الشرط من إسمي وجني . وأصرح في الدلالة من هـد قوله تعالى من سورة الرحمن

(١) سورة البروج الآية (١١)

(٢) سورة الأنعام الآية (٩٤)

(٣) سورة العائدة الآية (٩)

﴿وَلِمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ جَنَّاتٌ﴾ (١)

في سياق ذكر الإنس والجن معاً .

## ١١ - هل الجن يؤذون الناس ؟

إن أذى الجن للإنس ثابت لا يُنكر ، حيث ثبت ذلك بالدليل السمعي ، والدليل الحسي ، والعقل لا يحيله ، بل يجيزه ويقره ، ولولا المعقبات من الملائكة التي أناط الله تعالى بها حفظ الإنسان لما نجا من الجن والشياطين أحد .

وذلك لعدم رؤية الإنسان لهم ، ولقدرتهم على الانتقال والتحول بسرعة ، ولكون أجسامهم من اللطافة بحيث لا نشعر بها ، ولا نحس ، ومن هنا كان مما لا شك فيه أن بعض الجن يؤذون بعض الناس ، إما لكون الإنسان قد تعرض لهم بالأذى فآذاهم بصب ماء حار عليهم ، أو ببوله عليهم ، أو بتزوله في بعض منازلهم وهو لا يشعر ، فينتقمون فيؤذونه .

وإما لمجرد الظلم من بعضهم ، فيؤذون الإنسان بدون سبب كما يحدث ذلك بين الإنسان وأخيه الإنسان ، إذ أحياناً يؤذي الإنسان أخاه لسبب خاص ، وأحياناً لمجرد الظلم ، كما هو مشاهد في الناس عند فساد فطرتهم ، وضعف إرادتهم ، وعقولهم ، وقد تقدم حديث الصحيح وجاء فيه أن الشاب الأنصاري لما طعن الجني المتمثل في صورة حية ، ما ماتت الحية حتى انتقم منه الجن ، وقتلوه ، فمات لغوره حتى قال أبو سعيد « لم يدر أيهما كان أسرع موتاً من صاحبه الحية أم الفتى » (٢) ؟ ولشهرة هذه الحقيقة ، وتسليم الناس بها لا نطلب لها إيراد شواهد

(١) الآية (٤٦) .

(٢) رواه مسلم وتقدم في (هل الشياطين يتشكلون) ؟ (ص ٢٢٤ - ٢٢٦) .

أخرى ، وبكتفي حادثة الأنصاري الثابتة في صحيح مسلم ، وبذكر حادثة أخرى تمت في بيتنا وعشنا ألامها ، وعانينا آثارها السيئة .

به كان لي أحت أكر مني تدعى « سعدية » وكنا يوماً ونحن صعدنا بطبع عرجين التمر من أسفل البيت إلى سطحه بواسطة جبل يرتبط به القنوة ( العرجون ) ونسحبه إلى السطح ونحز فوقه ، فحصل أن أختي سعدية حرت الحبل ، فضعفت عنه ، فغلبها فوقعت على الأرض على أحد الحول ، فكأنها بوقعها عليه أدته أدنى شديداً ، فانتقم منها فكان يأتيه عدد يومه في كل اسوع مرتين أو ثلاثاً ، أو أكثر فيخنقها ، فتروى لمسكبة رحيب . وتضطرب كنشدة المدبوحة ولا يتركها إلا بعد أن تصبح نومه مينة ، ويطق مرة على لسانها مصرحاً بأنه يفعل بها هذا لأنها دته يوم كذا في مكان كذا . وما زال يأتيه ويعذبها بصرعة تأتيه بعد النوم فقط حتى فتنه بعد نحو عشر سنوات من العذاب الذي لا يطاق ، فصارعها ليلة على عدته فما رأت تروى رحيبها وتضطرب حتى ماتت . عمر الله لها . ورحمها أمين

هذه حادثة عشته ، ويعي رأيته ، وما زاء كمن سمع !!!

## فائدة عظيمة

ونختتم هذا البحث في موضوع الجن والشياطين بفائدة جلية ، وهي أن التحصن من الشياطين ، والاحتراز منهم ممكن ، إذا استعمل المؤمن واحداً من سبعة أشياء وهي :-

١ - الاستعاذة بالله تعالى ، لقوله عز وجل ،

﴿وَمَا يَنْزَعُكَ مِنَ الشَّيْطَانِ تَزَعٌ فَأَسْتَعِذُّ بِاللَّهِ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾<sup>(١)</sup>  
ولقول الرسول صلى الله عليه وسلم في حديث الصحيحين : « إني لأعلم كلمة لو قالها لذهب ذا عنه : أَعُوذُ بِاللَّهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ »<sup>(٢)</sup>.

٢ - قراءة المعوذتين : قل أعوذ برب الفلق ، وقل أعوذ برب الناس لحديث النسائي وغيره وهو حديث حسن الإسناد : « يا ابن عباس ألا أدلك أو ألا أخبرك بأفضل ما تَعُوذُ بِهِ الْمُتَعَوِّذُونَ ؟ قَالَ : بَلَى يَا رَسُولَ اللَّهِ . قَالَ : قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ الْفَلَقِ ، وَقُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ هَاتَيْنِ السُّورَتَيْنِ »<sup>(٣)</sup>.

(١) سورة فصلت الآية (٣٦) .

(٢) متفق عليه واللفظ لمسلم اللؤلؤ والمرجان (٣/١٩٩) . ومسلم (٣١/٨) . والبخاري (٣٥ ، ٣٤/٨)

(٣) النسائي (٨/٢٢٠ ، ٢٢١) .

۳ - قراءة آية الكرسي :

﴿ اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ لَا تَأْخُذُهُ سِنَّةٌ وَلَا نَوْمٌ لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ مَنْ ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِنْدَهُ إِلَّا بِإِذْنِهِ يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلَا يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِنْ عِلْمِهِ إِلَّا بِمَا شَاءَ وَسِعَ كُرْسِيُّهُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَلَا يَئُودُهُ حِفْظُهُمَا وَهُوَ الْعَلِيُّ الْعَظِيمُ ﴾ (۱)  
 لحديث أبي هريرة في صحيح مسلم وقد تقدم (۲) حيث جاء فيه : « أَنَّ الشَّيْطَانَ لَمَّا لَقِيَ أَبَا هُرَيْرَةَ عَلَيْهِ الْقَبْضُ قَالَ : أَطْلَقْنِي وَأَعْلَمَكَ آيَةَ لَا يَقْرُؤُهَا أَحَدٌ وَيَقْرُبُهُ شَيْطَانٌ أَبَدًا ، وَقَدْ أَمَرَ الرَّسُولُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ذَلِكَ بِقَوْلِهِ : « صَدَقَ وَهُوَ كَذُوبٌ » .

۴ - قراءة سورة البقرة بكاملها ، لحديث مسلم وفيه : « لَا تَجْعَلُوا بُيُوتَكُمْ مَقَابِرَ إِنَّ الشَّيْطَانَ يَنْفُرُ مِنَ الْبَيْتِ الَّذِي تَقْرَأُ فِيهِ سُورَةَ الْبَقَرَةِ » (۳)

۵ - ذكر لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير في يوم مائة مرة ، فإن من فعلها كانت له عدل عشر رقاب ، وكتبت له مائة حسنة ، ومحيت عنه مائة سيئة ، وكانت له حرزاً من الشيطان يومه ذلك حتى يمسي ، ولم يأت أحد بأفضل مما جاء به إلا رجل عمل أكثر منه (۴) .

۶ - ذكر الله تعالى لحديث الترمذي وفيه قال يحيى بن زكريا

(۱) سورة البقرة الآية (۲۵۵)

(۲) في « هل الحن والشيطان يتشكّلون ؟ » (ص ۲۲۳ - ۲۲۴)

(۳) رواه مسلم ( ۱۸۸/۲ )

(۴) متفق عليه اللؤلؤ والمرجان ( ۵۲۵/۱ )

« وأمركم أن تذكروا الله تعالى فإن مثل ذلك كمثل رجل خرج العدو في أثره سراعاً حتى أتى على حصن حصين فأحرز نفسه منهم . كذلك العبد لا يحرز نفسه من الشيطان إلا بذكر الله تعالى » (١) .

٧ - الوضوء عند الغضب ، فمن غضب فليتوضأ فإنه يعصم نفسه من الشيطان أن يحملة على ارتكاب ما لا ينبغي ، أو ما لا يحسن من قول أو فعل ، وذلك لحديث أبي داود : « إِنَّ الْغَضَبَ مِنَ الشَّيْطَانِ ، وَإِنَّ الشَّيْطَانَ مِنَ النَّارِ ، وَإِنَّمَا تَطْفَأُ النَّارُ بِالْمَاءِ ، فَإِذَا غَضِبَ أَحَدُكُمْ فَلْيَتَوَضَّأْ » (٢) .

(١) الترمذي ( أدب / ٧٨ ) .

(٢) أبو داود ( ٢ / ٥٥٠ ) ، وأحمد ( ٤ / ٢٢٦ ) .



## الركن الثالث من أركان عقيدة المؤمن الإيمان بالكتب

تعريف :

الكتب جمع كتاب ، والكتب : مصدر كتب يكتب كتابا وكتنا وكتنة إذا جمع الحروف ، وألف بينها ، فكانت كلمات ذات معان خاصة ، ثم كون من تلك الكلمات ذات المعاني جملاً مفيدة ، تسمى كلاماً .

والكتاب إذا هو ما حوى كلاماً مفيداً ، ذا أغراض متعددة . وكتب لله تعالى التي يحب الإيمان بها هي الصحف التي حوت كلام الله عز وجل الذي أوحاه إلى رسله عليهم السلام فكانت كتب ، ووقيت صحفاً لم تجمع ، ولم يتكون منها كتاب خاص . والصحف كصحف إبراهيم وموسى عليهما السلام . والكتب كالنوراة ، ولزبور ، والإنجيل والقرآن العظيم .

حقيقة الإيمان بالكتب :

إن معنى الإيمان بالكتب الإلهية الذي هو جزء من عقيدة المؤمن : التصديق الحازم بما أوحى الله تعالى من كلامه الخاص إلى من صطفى من رسله عليهم السلام ، فجمع ودون فكان صحفاً مطهرة ، وكتناً قيمة

فما عرف منها من به المؤمن تفصيلاً ، وما لم يعرف من به حملاً .

## ما عرف من الكتب الإلهية وما لم يُعرف

إن المصدر الوحيد الذي يرجع إليه في معرفة الكتب الإلهية بالتفصيل هو القرآن الكريم وحده ، إذ هو الكتاب المحفوظ حفظاً ، لا يتطرق إليه معه الزيادة ، ولا النقص ، ولا التحريف ، ولا التغيير ، أو التبديل ، بحال من الأحوال : لأنه من ساعة نزول الآية منه أو الآيات ، أو السورة القصيرة أو الطويلة ورجال متوفرون لكتابته في سطورهم ، وحفظه في صدورهم ، فلم يتم نزوله في خلال الثلاث والعشرين سنة من عهد النبوة المحمدية حتى حفظه عن ظهر قلب مئات الرجال الأذكياء الأمناء ، ثم لم يمض غير قصير زمن حتى أصبح حفاظ القرآن غياً في الصدور عشرات آلاف من الرجال الأفاضل ، والنساء الفضليات ، واستمر محفوظاً في الصدور ، ومدوناً في السطور ، ترعاه دول ، وأمم ، وشعوب ، وحكومات ، وتتوارث حفظه ، ورعايته الأجيال جيلاً بعد جيل إلى يومنا هذا . وأكبر شاهد أنني أنا كاتب هذه العقيدة أحفظه عن ظهر قلب ، وكذا والذي رحمه الله ، وجدي كذلك ، وقد يكون جد أبي كذلك . وسوف يستمر القرآن محفوظاً بحفظ الله تعالى له إلى قرب نهاية هذه الحياة ، مصداقاً لقوله تعالى :

﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ ﴾<sup>(١)</sup>

(١) سورة الحجر الآية (٩)

وقوله تعالى :

﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِالذِّكْرِ لَمَّا جَاءَهُمْ وَإِنَّهُ لَكِتَابٌ عَزِيزٌ ﴿٤١﴾ لَا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ تَنْزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ ﴿٤٢﴾﴾ (١)

وقد ذكر القرآن الكريم من الكتب السابقة صحف إبراهيم ،  
وصحف موسى وثلاثة كتب هي :

توراة موسى ، وزبور داود ، وإنجيل عيسى ، عليهم السلام ، ذكرها في  
مواضع متفرقة منه : نذكر منها قوله تعالى من سورة الفرقان :  
﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ وَجَعَلْنَا مَعَهُ أَخَاهُ هَارُونَ وَزِيرًا ﴿٢٧﴾﴾  
والمراد من لفظ الكتاب في هذه الآية التوراة ، وقوله تعالى في الحديث  
عن اليهود :

﴿وَكَيْفَ يُحْكُمُونَكَ وَعِنْدَهُمُ التَّورَةُ فِيهَا حُكْمُ اللَّهِ ثُمَّ يَتَوَلَّوْنَ مِنْ بَعْدِ  
ذَلِكَ وَمَا أُولَئِكَ بِالْمُؤْمِنِينَ ﴿٤٣﴾﴾ إِنَّا أَنْزَلْنَا التَّورَةَ فِيهَا هُدًى وَنُورٌ  
يُحْكُمُ بِهَا النَّبِيُّونَ الَّذِينَ أَسْلَمُوا لِلَّذِينَ هَادُوا وَالرَّبَّنِيُّونَ وَالْأَحْبَارُ بِمَا  
أَسْتُحْفِظُوا مِنْ كِتَابِ اللَّهِ وَكَانُوا عَلَيْهِ شُهَدَاءَ ﴿٢٨﴾﴾  
وقوله تعالى .

﴿وَلَقَدْ فَضَّلْنَا بَعْضَ النَّبِيِّينَ عَلَى بَعْضٍ وَآتَيْنَا دَاوُدَ زَبُورًا ﴿٤٤﴾﴾  
وقوله تعالى : ﴿ثُمَّ قَفَّيْنَا عَلَى آثَرِهِمْ بِرُسُلِنَا وَقَفَّيْنَا بِعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ  
وَآتَيْنَاهُ الْإِنْجِيلَ ﴿٥٠﴾﴾

(١) سورة فصلت الآية (٤١ ، ٤٢ )

(٤) سورة المائدة الآية (٤٣ ، ٤٤ )

(٢) الأمل (٣٥)

(٥) سورة الحديد الآية (٢٧) .

(٣) سورة الإسراء الآية (٥٥)

وقوله تعالى :

﴿إِنَّ هَذَا لَآلِیُّ الصُّحُفِ الْأُولَى ۝ صُحُفِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى ۝﴾ (۱)

فقد جاء في هذه الآيات ذكر ثلاثة كتب إلهية مع كل من صحف إبراهيم وموسى ، كما جاء في مواضع أخرى من القرآن ذكر بعض ما جاء فيها من أخبار نحو قوله تعالى في التوراة :

﴿وَكُتِبْنَا عَلَيْهِمْ فِيهَا أَنَّ النَّفْسَ بِالنَّفْسِ وَالْعَيْنَ بِالْعَيْنِ وَالْأَنْفَ بِالْأَنْفِ وَالْأَذْنَ بِالْأَذْنِ وَالسِّنَّ بِالسِّنِّ وَالْجُرُوحَ قِصَاصٌ فَمَن تَصَدَّقَ بِهِ فَهُوَ كَفَّارَةٌ لَهُ، وَمَن لَّمْ يَحْكَمْ بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ ۝﴾ (۲)

حيث ذكرت حكماً من أحكام القصاص في الأطراف . ونحو قوله تعالى :

﴿مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ تَرَاهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا سِيمَاهُمْ فِي وُجُوهِهِمْ مِّنْ أَثَرِ السُّجُودِ ذَلِكَ مَثَلُهُمْ فِي التَّوْرَةِ وَمَثَلُهُمْ فِي الْإِنْجِيلِ كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْئَهُ فَفَازَرَهُ فَاسْتَغْلَظَ فَاسْتَوَىٰ عَلَىٰ سُوقِهِ يُعْجِبُ الزُّرَّاعَ لِيُغَيِّظَ بِهِمُ الْكُفَّارَ ۝﴾ (۳)

فقد نصت هذه الآية القرآنية على أن وصف الرسول محمد ﷺ ووصف أصحابه في كل من التوراة والإنجيل بنفس المعنى الذي حوته هذه الآية القرآنية الكريمة . كما جاء في قوله تعالى :

(۱) سورة الأعلى الآيتان (۱۸ ، ۱۹) .

(۲) سورة المائدة الآية (۴۵) .

(۳) الآية (۲۹) من سورة الفتح

﴿ أَمْ لَمْ يُبَيِّنْ بَمَا فِي صُحُفِ مُوسَى ﴿٣٦﴾ وَإِبْرَاهِيمَ الَّذِي وَفَّى ﴿٣٧﴾ أَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى ﴿٣٨﴾ وَأَنْ لَّيْسَ لِلْإِنْسَانِ إِلَّا مَا سَعَى ﴿٣٩﴾ وَأَنْ سَعَاهُ سَوْفَ يَرَى ﴿٤٠﴾ ثُمَّ يُجْزَاهُ الْجَزَاءُ الْأَوَّلَى ﴿٤١﴾ ﴾

فقد نصت هذه الآيات من القرآن الكريم على أن في صحف كل من إبراهيم وموسى : الإخبار بأن النفس المذنبة يوم القيامة لا يحمل عنها ذنبا غيرها ، وأن الإنسان ليس له من نتائج العمل إلا ما عمله ، وسعى فيه بنفسه ، كما أن سعي الإنسان سوف يعرف به ، ويجزاه كاملاً غير منقوص .

فهذه الكتب التي ذكرت في القرآن الكريم بأسمائها ، وأسماء أصحابها الذين نزلت عليهم ، يؤمن بها المؤمن تفصيلاً كما ذكرت مفصلة ، ويؤمن بباقي كتب الله تعالى التي لم تذكر في القرآن مفصلة ، حيث لم يرد في القرآن ذكر أسمائها ، ولا أسماء من نزلت عليهم ، وإنما ذكرت مجملة كما في قوله تعالى من سورة الحديد : ﴿ لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِالْبَيِّنَاتِ وَأَنْزَلْنَا مَعَهُمُ الْكِتَابَ وَالْمِيزَانَ لِيَقُومَ النَّاسُ بِالْقِسْطِ ﴾ (١)

وكما في قوله تعالى من سورة البقرة :

﴿ كَانَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً فَبَعَثَ اللَّهُ النَّبِيِّنَ مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ وَأَنْزَلَ مَعَهُمُ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ لِيَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ فِيمَا اخْتَلَفُوا فِيهِ ﴾ (٢)

(١) سورة الحديد الآية (٣٦ - ٤١)

(٢) الآية (٢٥)

(٣) الآية (٢١٣)

فقد جاء في هاتين الآيتين ذكر الكتب مجملًا فيؤمن بها المؤمن  
مجملًا ، وإن لم يعرف أسماءها ولا أسماء من أنزلت عليهم .

وهكذا تتلخص عقيدة المؤمن في الإيمان بالكتب بأنه يؤمن بكل  
كتاب أنزله الله تعالى على من اصطفى من رسله ، لحمل رسالاته ،  
وإبلاغها إلى عباده ، فما عُرف منها مفصلاً آمن به مفصلاً ، وما عرفه  
منها مجملًا آمن به مجملًا . ولا يؤمن ببعض ويكفر ببعض تعصباً  
وضللاً ، كما هو حال اليهود والنصارى الذين آمنوا بالتوراة المحرفة ،  
والإنجيل المبدل المغير ، وكفروا بالقرآن المحفوظ الباقي غضاً طرياً  
كما نزل ، والصابي المحض ، الذي لم يُشب . فكانوا كمن آمن  
بالباطل وكفر بالحق . وهم - يعلم الله - لكذلك .



## على أي دليل آمن المؤمن بالكتب ؟

إن المؤمن لم يكن في حاجة إلى أدلة عقلية ، ولا حسية سمعية ليؤمن بالكتب الإلهية بعد أن آمن بالله وملائكته إيماناً راسخاً ، لا تزعزعه أعاصير الشك ، ولا تعصف به عواصف الأوهام مهما كنت عنيفة قوية لأنه يسي دائماً أسس معتقده على العلم والمعرفة ، ويتحاشى دوماً أن يؤمن إيمان التقليد والتبعية ، فلذا سندكره هت بأصل كل الأدلة ، وأم كل البراهين ليقيم اعتقاده بالكتب عليهما ، كما أقام ويقم كل معتقداته عليها إذ هما الدليلان اللذان لا يسقطان ، والبرهانان اللذان لا يُغْنِيان ، وهما دليل الأثر والخبر اللذان ثبت بهما كل غيب ، وآمن به كل عقلاء البشر ، فمن دليل الأثر نكتفي بأثر واحد وهو القرآن الكريم ، الكتاب الذي دل وجوده دلالة قوية قطعية على وجود منزله ، وعلى عممه ، وقدرته ، وحكمته ، ورحمته ، ودل على نبوة من أنزل عليه ، وعلى رسالته ، وعلمه ، وحكمته ، وفضله ، وشرفه ، وكماله ، كما دل بالتالي على ذات نفسه ، بأنه كتاب الله ، ووحيه ، وتنزيله ، كما قرر نزول كتب الله السابقة النزول عليه ، حيث ذكر صحف إبراهيم ، وتوراة موسى ، وزبور داود ، وإنجيل عيسى عليه السلام ، وذكر طرقاتاً مما جاء فيها من أخبار وأحكام ، كما قرر أن الله كتباً أخرى لم يكن اليوم بيد الناس منها شيء .

وبعد : فأي أثر من الآثار الدالة على غيرها دل دلالة القرآن الكريم على نفسه وعلى غيره من كتب الله تعالى ؟؟ .

إن من يصغي إلى صوت العقل ، ويستمع إلى شهادة الفطرة ، ويحكم شواهد الوجدان البشري ، ويرضى بحكمها ، لا يسعه أبداً غير الإيمان بالله رباً ، ومحمد نبياً ورسولاً ، وبالقرآن إماماً وحاكماً ، وبالإسلام شرعاً وديناً ، كل ذلك لدلالة القرآن العظيمة التي لا أرى ما هو أعظم منها في باب الدلالات على اختلافها وتنوعها ، إذ القرآن - وهو كتاب معجز - قد حوى علوماً ومعارف لم يتأت للبشر أفراداً وجماعات ، وأمماً ، وشعوباً الإتيان بمثله حتى ولو أضيف إليهم العالم الثاني ( الجن ) ، والتحدي ما زال قائماً في قوله تعالى :

﴿ قُلْ لِّئِنْ أَجْتَمَعَتِ الْإِنْسُ وَالْجِنُّ عَلَيَّ أَنْ يَأْتُوا بِمِثْلِ هَذَا الْقُرْآنِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيراً ﴾<sup>(١)</sup>

القرآن الذي هذا هو واقعه قد ثبت ثبوتاً قطعياً يغنينا أيضاً أنه نزل وحياً على محمد ، النبي الأمي ﷺ ، ولم يكن من تأليف أحد من الخلق ، ولا من نظمه فضلاً عن أن يكون من تأليف محمد ﷺ ، أو من نظمه ، وهو الأمي الذي لا يقرأ ولا يكتب ، إذ حكم العادة البشرية جار على أن من لم يقرأ ولم يكتب ، ولم يجلس بين يدي معلم قط ، يستحيل في حقه أن يأتي بمثل القرآن في علومه ، ومعارفه ، وشرائعه ، وآدابه ، وقصصه ، وأخباره ، يأتي بمثله من نفسه ، لاسيما وأن المنزل عليه ﷺ قد قضى أربعين سنة من عمره المبارك لم يتكلم فيها بوحى ، ولم ينطق فيها بقرآن قط .

وبالجملة فإن دلالة القرآن على ما ذكرنا من وجود الله تعالى ، وعلمه ، وحكمته ، وقدرته ، ورحمته ، وعلى نبوة محمد ورسالته وفضله ، وشرفه ، وكمالته ، وعلى أن القرآن نفسه وحى الله ، وكتابه ،

(١) سورة الإسراء الآية (٨٨) .



وأن الكتب التي سبقته هي كذلك كتب الله ، مُنزلة وموحى بها إلى من نزلت عليه من رسل الله ، وأنبيائه ، دلالة عقلية منطقية ، لا ترد بحال ، وبرهان عقلي لا يغلب بآخر ، وأن كل من أراد أن ينفي عن القرآن دلالاته العظيمة على ما ذكرنا إنما أراد أن يتورط في إثبات مستحيلات قصت كل العقول باستحالة إثباتها وهي :

- ١ - وجود كلام بدون متكلم .
- ٢ - وجود علم بدون عالم .
- ٣ - وجود رسالة بدون رسول ولا مرسل .
- ٤ - وجود سوة بدون سبي ولا مبيء .
- ٥ - وجود دلالة بدون دليل .
- ٦ - وجود أثر بدون مؤثر .

هذه ستة مستحيلات كلها يقول بها من يركب رأسه ، ويحاول أن يسكر دلالة القرآن على ما ذكرناه آنفاً . وهل يليق بعقل أن يركب هذه الحساقات ، ويقول تحوير هذه المستحيلات الستة ؟ لهم ، لا

### ودليل الخبر :

ما الذي بورده من الأحبار وهي متكاثرة متواترة ؟ إن عقل نحي من ناس ليحلل إذا أراد أن يدل على وجود سدهيت لعقبة ، ونصرورت الكونية

أرأت نوقاه أحد في وسط جمع حشد من الناس ، يدل لهم في حشد على وجود الشمس والقمر ، والأرض والسماء ، أو على حاحه لعطشان إلى الماء ، والحائع إلى الطعام ، أو لمريض إلى دواء ، والحائف إلى الأمان ، فكيف يكون حاله من العربة .

محب ١٥

إذا فإن حال من نصب نفسه للناس يدل لهم على أن الله تعالى

قد أنزل كتباً ، أوحاها إلى رسله بعد أن قرأ الناس تلك الكتب ، وعملوا بها ، وانتفعوا بهديها ، ورفعتمهم إلى المستوى اللائق بهم من الكمال البشري ، ومنذ آلاف السنين ، لأعجب وأغرب من حال الأول- والله المستعان !! .

ومع هذا فسوف نورد أخباراً هي أصدق أخبار تلقاها الإنسان منذ أن كان : هي أخبار الله تعالى الخلاق العليم ، ومن أصدق من الله حديثاً ؟ يقول تعالى في تقرير إنزاله الكتاب على عبده ورسوله محمد صلى الله عليه وسلم ليحكم بين الناس :

﴿ إِنَّا أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ لِتَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ بِمَا أَرَاكَ اللَّهُ ﴾<sup>(١)</sup>

ويقول في الامتنان على رسوله بما فضله وأنعم به عليه ،  
وَأَنْزَلَ اللَّهُ عَلَيْكَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَعَلَّمَكَ مَا لَمْ تَكُن تَعْلَمُ وَكَانَ فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكَ عَظِيمًا<sup>(٢)</sup>

ويقول في الإخبار عن توحيده في ألوهيته ، وبيان إفضاله وإنعامه على خلقه بإنزال الكتاب بالحق على رسوله مصداقاً لما بين يديه من الكتب التي سبقته ، وإنزال التوراة ، والإنجيل ، والفرقان :

﴿ أَلَمْ يَأْتِ الْفُتُورَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ ﴾<sup>(٣)</sup> نَزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابُ بِالْحَقِّ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ وَأَنْزَلَ التَّوْرَةَ وَالْإِنْجِيلَ<sup>(٤)</sup> مِنْ قَبْلُ هُدًى لِّلنَّاسِ وَأَنْزَلَ الْفُرْقَانَ<sup>(٥)</sup>

(١) سورة النساء الآية (١٠٥) .

(٢) سورة النساء الآية (١١٣) .

(٣) سورة آل عمران الآيات (١ - ٤) .

ويقول في تقرير وحيه إلى أنبيائه ورسله ، وإيتائه داود زبوراً ، وتكليمه موسى تكليماً ، وفي بيان الحكمة من إرسال الرسل .

﴿ إِنَّا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ كَمَا أَوْحَيْنَا إِلَى نُوحٍ وَالنَّبِيِّينَ مِنْ بَعْدِهِ ۚ وَأَوْحَيْنَا إِلَى إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطِ وَعِيسَى وَأَيُّوبَ وَيُوسُفَ وَهَارُونَ وَسُلَيْمَانَ وَآتَيْنَا دَاوُدَ زَبُورًا ۖ وَرُسُلًا قَدْ قَصَصْنَاهُمْ عَلَيْكَ مِنْ قَبْلُ وَرُسُلًا لَمْ نَقْصُصْهُمْ عَلَيْكَ وَكَلَّمَ اللَّهُ مُوسَى تَكْلِيمًا ۖ رُسُلًا مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى اللَّهِ حُجَّةٌ بَعْدَ الرُّسُلِ وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا ۝ ﴾<sup>(١)</sup>

ويكتفي بهذا القدر من أخبار الله تعالى محبين من أراد المزيد على كتاب الله القرآن الكريم ، فإن فيه من أخبار الله تعالى لمصرحة بوحيه وإنه ، وأسماء كتبه ، وأسماء رسله الذين أوحى إليهم ، وأمر الله عنهم ، الأمر الذي لا يترك مجداً لأدنى شك بمكانة يوحى في نفس سائر في شأن الكتب الإلهية ، ووجوب الإيمان بها ، والتصديق بما ورد فيها من أخبار وأحكام ، وشرائع وأداب

(١) سورة النساء ، آيات (١٦٣ - ١٦٥)

## أدلة وجوب الإيمان بالكتب الإلهية ، وكونه ركن الإيمان

إن الإيمان بالكتب السماوية الإلهية لواجب شرعاً كما هو واجب عقلاً وهذا بيان ذلك :

أما كون الإيمان بالكتب الإلهية واجباً شرعاً فذلك لأن الله تعالى أمر به أمراً جازماً لا يقتضي إلا طاعة الله تعالى فيه ، وتحريم معصيته إذ قال تعالى في الأمر بالإيمان بكتبه :

﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا ءَامِنُوا بِاللّٰهِ وَرَسُولِهِ ءَالْكِتٰبِ الَّذِى نَزَّلَ عَلَىٰ رَسُولِهِ ءَالْكِتٰبِ الَّذِى اُنزِلَ مِنْ قَبْلُ وَمَنْ يَكْفُرْ بِاللّٰهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ ءَالْيَوْمِ الْاٰخِرِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلٰلًا بَعِيْدًا﴾<sup>(١)</sup>

إن هذه الآية وحدها كافية في الدلالة على وجوب الإيمان بكتب الله تعالى عامة ، وبالقُرآن الكريم كتاب الإسلام والمسلمين خاصة ، وفي تحريم التكذيب بها ، وعدم التصديق بكل ما جاء فيها ، مما هو وحي الله ، وكلامه سبحانه وتعالى .

إن الإيمان بالكتب ليس واجباً فحسب بل هو أحد أركان الإيمان الستة التي لا يصح إيمان عبد إلا باستكمالها بالإيمان بها كلها . وإنه - الإيمان بالكتب - للركن الثالث من تلك الأركان ، التي هي بناء العقيدة

(١) سورة النساء الآية (١٣٦) .

الإسلامية ، كما جاء ذلك في الكتاب والسنة ؛ ففي الكتاب يقول تعالى  
من سورة البقرة :

﴿لَيْسَ الْبِرَّ أَنْ تُولُوا وَجُوهَكُمْ قِبَلَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنْ  
ءَمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَآلَمَ بِكَهٖ وَكَتَبَ وَاتَّبَعَ وَءَاتَى الْمَالَ  
عَن حَبِّهِ ذُو قُرْبَىٰ وَيَتِمَّىٰ وَنَسَكَيْنَ وَابْنَ سَبِيلٍ وَالسَّيِّئِينَ وَفِي  
زُقَٰتٍ وَأَقَامَ الصَّلَاةَ وَءَاتَى الزَّكَاةَ وَأَمْلَفَ بِعَهْدِهِمْ إِذْ عَاهَدُوا  
وَصَصَّرِينَ فِي نَاسٍ وَالصَّاعَةَ وَوَحِينَ نَبَأَسِ لَوْ كُنْتَ تَدْرِي صَدَقُوا  
وَأَنكِتَ هُمْ لَمُتَّقُونَ﴾<sup>(١)</sup>  
ويقول :

﴿مَنْ الرُّسُولُ مِمَّا أُنْزِلَ إِلَيْهِ مِنْ رَبِّهِ وَالْمُؤْمِنُونَ كُلٌّ ءَمَنَ بِاللَّهِ  
وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْ رُسُلِهِ﴾<sup>(٢)</sup>

ومن نسخة حديث مسلم عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه  
ولدى جاء فيه سؤال حريز لرسول صلى الله عليه وسلم عن  
الإيمان ، وحوادث لرسول له بأنه : الإيمان بالله ، وملائكته ، وكتبه ،  
ورسوله ، ونبيه الآخر ، وتقدر حيز وشبهه (حنوده ومرة)<sup>(٣)</sup>

ولم يكون الإيمان بها وحداً عقلاً فيه يظهر لمتأمل من حيث  
حاجته بعد إليها ، وإقامه لحجة عليهم بها ، فإن لرسول لمصلحة عن  
الله شرايعه وأحكامه يحتاج عالماً في إثبات رسالته إلى كتاب من الله  
تقدم به لحجة له على تلك الأمة التي أرسل إليها حتى يؤمنوا به ،

(١) ذلة (١٧٦)

(٢) سورة البقرة ذلة (٢٨٥)

(٣) مسلم (١) ٢٨٠ ٢٩

ويصدقوه ، ويتبعوه ويعملوا بما جاءهم به ، والتشريع الإلهي نفسه يفتقر إلى كتاب يحويه ، ويتضمنه ، ويثبت فيه ، ليبقى بعد وفاة الرسول الذي جاء شرعاً محفوظاً ، تعمل به الأجيال إلى المدى الذي حدد له بنسخه برسالة أخرى ، أو بنسخ بعض ما جاء فيه كما حصل للتوراة والإنجيل ، فقد نسخ الله تعالى بالإنجيل بعض أحكام التوراة ، ونسخ بالقرآن الكريم الإنجيل والتوراة كليهما .

ولولا بقاء الكتاب بعد الرسول لضاع الدين الذي جاء به ، أو ضاع الكثير منه ، وحينئذ يقول الناس : بم نعبد الله ، وكيف نعبده ولم يكن لدينا من شرائعه ما نعبد به ؟؟ .

وتكون لهم الحجة على الله تعالى ، وهذا ما لم يرد الله تعالى حيث صرح بنفسه في قوله  
﴿رُسُلًا مُبَشِّرِينَ وَمُنْذِرِينَ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى اللَّهِ حُجَّةٌ بَعْدَ أَرْسُلٍ  
وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا﴾<sup>(١)</sup>

### فهذه المسائل الثلاث :

• احتياج الرسول في إثبات رسالته إلى كتاب من ربه تقوم له به الحجة على قومه .

• افتقار التشريع الإلهي إلى كتاب يحويه ، ويتضمنه ، ويثبت فيه .

• عدم إعطاء الناس الحجة على الله تعالى ببقاء التشريع الإلهي محفوظاً في كتاب ، ثابتاً فيه ، هي التي اقتضت عقلاً وجوب كتب إلهية ، كما اقتضت وجوب الإيمان بها ، وتصديقها ، والعمل بما فيها ، لافتقار سعادة البشرية في الحياتين اليها ، وتوقفها عليها .

(١) سورة النساء (١٦٥) .

## منزلة القرآن الكريم بين كتب الله تعالى

إن مما لا شك فيه عند الدارسين للقرآن الكريم ، لواقفين على سروره وعجائبه ، العالمين بما حواه من أصول التشريع وقواعده ، وبمصدرين للحقائق العلمية التي أثبتتها ، ولفت النظر إليها - أن القرآن الكريم منزلة خاصة بين سائر الكتب الإلهية التي تقدمته في الزمان .

وقد تحلى هذه المنزلة العلية للقرآن العظيم بأبعاد النظر في نقاط الخمس التالية والتأمل فيها :-

كونه ناسخاً لها لفظاً وحكماً ، فلا تُقرأ لتتعد ، ولا يعمل بما فيها من شرائع وأحكام وذلك

أولاً - لما داخلها من تحريف ، وما أصابها من تضبيع ونسيان إذ لم يبق فيها ما يحرم بصبغة نستسهل إلى الله تعالى أدياً ، عرف هذه الحقيقة وقررها المنصفون والمحققون من علماء أهل الكتابين معاً .

وثانياً - كان التشريع فيها خاصاً ببني إسرائيل ، وموقوفاً بزمن مبين ، وليس أدل على نسخ القرآن للكتب قبله من أمر الله تعالى لنبي بعده محمد ﷺ أن يحكم بين سائر الناس على اختلاف ما ينتحلون من دبابات بالقرآن الحكيم ، وذلك في قوله تعالى :

﴿وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ الْكِتَابِ وَمُهَيْمِنًا عَلَيْهِ فَاحْكُم بَيْنَهُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ عَمَّا جَاءَكَ مِنَ الْحَقِّ﴾ (٣)

وقوله :

﴿إِنَّا أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ لِتَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ بِمَا أَرَاكَ اللَّهُ﴾ (٤)

\* كونه مهيمناً عليها رقيباً شهيداً ، فما صححه منها وأقره فيها صح وقر ، وما أبطله منها ونفاه لكونه دخیلاً عليها ليس منها بطل وانتفى . كما جاء شاهد هذا في الآية السابقة :

﴿وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ الْكِتَابِ وَمُهَيْمِنًا عَلَيْهِ﴾

\* كون ما يحمل من التشريع الإلهي عاماً لكل الناس في أي مكان كانوا وفي أي زمان وجدوا ، وذلك لعموم رسالة صاحبه المنزل عليه ﷺ ، إذ قال الله سبحانه وتعالى :

﴿تَبَارَكَ الَّذِي نَزَّلَ الْفُرْقَانَ عَلَى عَبْدِهِ لِيَكُونَ لِلْعَالَمِينَ نَذِيرًا﴾ (٥)

(١) أل هنا تدل على الكمال فيه فهو الكتاب الذي أكمل الله به الدين ، فهو الحري بأن يتصرف إليه لفظ الكتاب دون غيره من الكتب السابقة ، ومعنى بالحق : متلبساً به مؤيداً له ، مشتملاً عليه ، مقرأ له .

(٢) أل في الكتاب للجنس أي من جنس الكتاب ، فبدخل في ذلك التوراة والزبور والإنجيل وغيرها .

(٣) سورة المائدة الآية (٤٨) .

(٤) سورة النساء الآية (١٠٥) .

(٥) سورة الفرقان الآية (١) .



وقل

﴿ قُلْ يٰٓاَيُّهَا النَّاسُ اِنِّى رَسُوْلُ اللّٰهِ بِكُلِّ جَمِيْعٍ ۝۱۱ ﴾

وقل

﴿ وَمَا اَرْسَلْنَاكَ اِلَّا كَاَفَّةً لِلنَّاسِ بَشِيْرًا وَنَذِيْرًا ۝۱۲ ﴾

خلاف كتب لى سفته فيها كت حصة فى المكن ولرمز ، ولا  
عدمه فيها لى

\* عهد لرب ربك وتعالى حفظه لى ان يرفع به ، يد قل

نعى

﴿ اِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَاِنَّا لَهُ لَحٰفِظُوْنَ ۝۱۳ ﴾

وقل

﴿ وَاِنَّمَا نَكْتُبُ عَزِيْرًا ۝۱۴ لَا يَاتِيهِ الْبَطْلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ ۝۱۵  
تَنْزِيْلًا مِّنْ حَكِيْمٍ حَمِيْدٍ ۝۱۶ ﴾

محفوظ لرب ربك وتعالى بان يقص له رجالا امراء ، حفظوه فى  
صحة هم ، مستطوهم فى تقويد الرمز ، ولا يد العدون على ان تريد  
فيه حرف ، ولا ان نقص منه حرف ، خلاف غيره من الكتب وحصة  
ساره فقد صعدت كتب فى عرو وحتنصر لى لى لى لى لى لى لى لى لى لى  
وهم يعبر عنها ولا يمد بعد ، ثم ما ان جمعت والله اعلم بصحة ما  
جمع فيها حتى تسلط عليها عبدة المادة وحرفوها وبدلوا حسب  
مفسحهم وهوانهم ، ما لا يحيل فيكمى فى الدلالة على عدم حفظه

(١) - (١٥٨) - (١٥٩)

(٢) - (٢٨) - (٢٩)

(٣) - (٣٠) - (٣١)

(٤) - (٤٢) - (٤٣) - (٤٤)

انه اليوم خمسة أناجيل<sup>(١)</sup>، بعد أن كان يوم نزوله إنجيلاً واحداً. !!!

\* شموله لأصول الهداية البشرية وفروعها ، واحتواؤه على أعظم منهج رباني محقق لسعادة الإنسان في الدنيا وفي الآخرة متى آمن به وعمل بما فيه . قال تعالى :

﴿بَنَاهُ الْكِتَابَ قَدْ جَاءَكُمْ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمْ كَثِيرًا مِمَّا كُنْتُمْ تُخْفُونَ مِنَ الْكِتَابِ وَيَعْفُو عَنْ كَثِيرٍ قَدْ جَاءَكُمْ مِنَ اللَّهِ نُورٌ وَكِتَابٌ مُبِينٌ ﴿٥٥﴾ يَهْدِي بِهِ اللَّهُ مَنِ اتَّبَعَ رِضْوَانَهُ سُبُلَ السَّلَامِ وَيُخْرِجُهُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ بِإِذْنِهِ ۖ وَيَهْدِيهِمْ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴿٥٦﴾﴾

---

(١) هي إنجيل متى ومرقس ولوقا ويوحنا وبرنابا والأخير أصحابها وقد أخفي من القرن الرابع إلى القرن السابع عشر . الميلادي .  
(٢) سورة المائدة الأيتان (١٥ - ١٦) .

## لوحة مشرقة

### بیان ما في القرآن من الهدى والخير

إن في القرآن المجید من الهدی والحیر لبني الناس كافة ما لا يوجد اليوم - والله - معشار عشره في كتاب غيره ، وفي الأرقام التالية بیان ذلك وتحقیقه . -

١ - الهدی الموصل إلى كل حیر ، والمرشد إلى كل كمال ، وهدی إلى سعادة الدارين ، قال مرثیه سبحانه وتعالى :

﴿ لَمْ يَكُنْ لِرَبِّ فِيهِ هُدًى لِلْمُتَّقِينَ ﴾<sup>(١)</sup>

٢ - الرحمة أتم معناها ، الرحمة التي تعم الانسا ، ولحد ، وحيون ، والكبير والصغير ، والكافر والمؤمن ، والحي والميت . قال تعالى في آياتها :

﴿ أَلَمْ تَلِكْ ءَايَاتِ الْكِتَابِ الْحَكِيمِ هُدًى وَرَحْمَةً لِلْمُحْسِنِينَ ﴾<sup>(٢)</sup>

٣ - الشفاء التام العام لجميع الأمراض العقلية ، والنفسية ، والتقنية شفاء من الكفر ، والشرك ، والقلق والاضطراب ، والحيرة والخوف ، والنكر والحسد ، والكسل والعجز ، والبخل والشح ، والظلم والخوف . قال تعالى في آيات هذا الشفاء وتقديره :

﴿ وَرَبِّ مِنَ الْقُرْآنِ مَا هُوَ شَفَاءٌ وَرَحْمَةٌ لِلْمُؤْمِنِينَ ﴾<sup>(٣)</sup>

(١) سورة البقرة الآية (١ - ٢)

(٢) سورة الإسراء الآية (٨٢)

(٣) سورة لقمان الآية (١ - ٣)

٤ - النور الكاشف لجميع الظلمات القلبية ، والمبدد لسائر الجهالات النفسية ، والمبين لسائر الحقائق والأسرار الكونية . قال تعالى  
في تقرير نورانيته

﴿يَتَأْتِيهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَتْكُمْ بُرْهَانٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَأُنْزِلْنَا إِلَيْكُمْ نُورًا مُّبِينًا﴾<sup>(١)</sup>

٥ - الموعظة الداعية إلى اكتساب كل فضيلة ، والزاجرة عن كل رذيلة ، قال تعالى في ذلك

﴿يَتَأْتِيهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَتْكُمْ مَوْعِظَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَشِفَاءٌ لِّمَا فِي الصُّدُورِ﴾<sup>(٢)</sup>

٦ - البشرى بخير الدنيا والآخرة وسعادتهما . قال تعالى في ذلك :

﴿وَنُزِّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تَبْيِينًا لِّكُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً وَبُشْرَىٰ لِلْمُسْلِمِينَ﴾<sup>(٣)</sup>

٧ - الحق الإلهي الثابت في نفسه ، المحقق المثبت لغيره من كل ما هو حق ، فكل حق القرآن يؤيده ، والقرآن يقرره ، قال تعالى :

﴿وَبِالْحَقِّ أَنْزَلْنَاهُ وَبِالْحَقِّ نَزَلَ﴾<sup>(٤)</sup>

(١) سورة النساء الآية (١٧٤) .

(٢) سورة يونس الآية (٥٧) .

(٣) سورة النحل الآية (٨٩) .

(٤) سورة الاسراء الآية (١٠٥) .

وقال :

﴿وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ﴾ <sup>(١)</sup>

أي متناسلا به مشتملا عليه ، مؤيدا له ، ومقررا

٨ - اذكر الإلهي الذي تحيا عليه القلوب ، وتطيب بتلاوته  
الأرواح ، وتركوا بالعمل به النفوس . الذكر المكسب للشرف ،  
والموصل لحضرة القدس ، والرفع إلى ملائكة الأخيار . قال تعالى :  
﴿ص وَالْقُرْآنِ ذِي الذِّكْرِ﴾ <sup>(٢)</sup>

وقال في الحديث عنه

﴿وَإِنَّهُ لَذِكْرٌ لَّكَ وَلِقَوْمِكَ وَسَوْفَ تُسْأَلُونَ﴾ <sup>(٣)</sup>

٩ - تحير لعدم لكل إنسان ، وحيوان ، فم من كل في  
هذه حجة ، إلا والله من خبرية القرآن من يوم رونه إلى يوم رفعه إلى  
به ، وفوضه إليه ، أنهم إلا من كان من المضطربين من شياطين لانس  
والجن ، المستسبين من كل حير . قال تعالى :

﴿وَقِيلَ لِلَّذِينَ اتَّقَوْا مَا ذَا نَزَّلَ رَبُّكُمْ قُلُوا خَيْرًا﴾ <sup>(٤)</sup>

١٠ - لتبين والبيان لكل شيء مما الإنسان في حاجة إليه مما  
توقف عليه سعاده دينا وأخرى . قال تعالى :

﴿وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تِبْيَانًا لِّكُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً وَبُشْرَى  
لِّلْمُسْلِمِينَ﴾ <sup>(٥)</sup>

١ - سورة البقرة الآية (٤٨)

(٣) سورة البقرة الآية (٤٤)

٢ - سورة البقرة الآية (١٠١)

(٥) سورة البقرة الآية (١٨٩)

(٤) سورة البقرة الآية (١٣٠)

۱۱ - الروح التي تتوقف عليه حياة الإنسان ، فالقرآن هو الروح اللازمة للحياة الفاضلة الكريمة . إن الناس بدون أن تسري فيهم الروح القرآنية أموات حقاً ، لا يتفعون بوجودهم ، ولا بحياتهم المادية ، قال تعالى في هذا :

﴿وَكَذَلِكَ أَوحَيْنَا إِلَيْكَ رُوحًا مِّنْ أَمْرِنَا مَا كُنْتَ تَدْرِي مَا الْكِتَابُ وَلَا الْإِيمَانُ وَلَكِن جَعَلْنَاهُ نُورًا نَّهْدِي بِهِ مَن نَّشَاءُ مِنْ عِبَادِنَا وَإِنَّكَ لَتَهْدِي إِلَى صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾<sup>(۱)</sup>

---

(۱) سورة الشورى الآية (۵۲) .

## شروط الانتفاع التام بما في القرآن من الخير والهدى

إنه بالرجوع الى تلك اللوحة المشرقة بنور القرآن وهدايته يتبين لنا بحق وصدق أن في القرآن الكريم من الهدى والخير ما يكفل للإنسان سعادة ، في دنياه وأخراه ، غير أننا إذا عاودنا النظر لتلك اللوحة نجد أن ما في القرآن من الخير والهدى مخصوص بأناس وُصفوا بصفات أربع هي : الإيمان ، والإسلام ، والإحسان ، والتقوى ، فمن استجمع تلك الصفات فقد تهيأ لتلك الفيوضات الربانية ، وفاز بما في القرآن من الخير والهدى ، ومن قصر عنها ، ولم يستكملها فإن حظّه منه بقدر حظّه منها .

وهذا إيضاح لتلك الصفات الأربع :

١ - الإيمان : بأن يؤمن المرء إيماناً عاماً بكل ما جاء به رسول الله عن الله ، ويؤمن إيماناً خاصاً بما في القرآن من الهدى والخير إيماناً يحمده على تعرفه عليه ، وطلبه منه ، وذلك بدراسة القرآن ، والعمل بما فيه من العقائد والشرائع ، والآداب ، والأخلاق .

٢ - الإسلام : بأن يسلم المرء لله تعالى قلبه ، ووجهه ، فيسخر كل شيء فيه لله تعالى بحيث لا يكون له هم إلا الله تعالى ، فيعيش ظالماً لم يرصاه الله من اعتقاد ، وقول ، وعمل ، متجنباً لكل ما يسخطه الله تعالى من اعتقاد ، وقول ، وعمل .

٣ - الإحسان : بأن يحسن في إيمانه وإسلامه ، فيعيش يراقب الله

تعالى في كل ما يأتي ويذر ، وما يقدم وما يؤخر ، يراقبه في طاعته كما يراقبه في معصيته ، وبعبارة أخرى يراقبه في محابه فيأتينا بصدق ويعملها باتقان ، وفي مسأخطه فيتجنبها في بغض لها ، ويتعد عنها في كره منه لها تام .

٤ - التقوى : بأن يتقي الله تعالى في أن يشرك به ، أو أن يعصيه بترك ما أوجب عليه ، أو انتدبه إليه ، أو بفعل ما حرمه عليه ، أو كرهه له .

وكلمة أخيرة أن من استكمل هذه الصفات ، وحققها كما هي موضحة أعلاه ، ومبينة فيما سلف فقد استوجب كل ما في القرآن من خير وهدي ، وتحقق له ذلك كاملاً ، فحصل له الشفاء في صدره وبدنه ، والرحمة في قلبه ، والنور في بصيرته ، والذكر والموعظة في قلبه ، والبيان في لسانه ، والحق في حكمه ، والبشرى في حياته وآخرته .

وأما من لم يستكمل تلك الصفات فإنه لم ينتفع بما في القرآن من الهدى والخير ، وليس ذلك عائداً إلى أن القرآن نفذ منه هداه وخيره اللذان كانا فيه ، وإنما هو عائد إلى عدم أهلية المرء للاستفادة منه . وإن لذلك مثلاً نضربه هو وجود مريض يُوصف له دواء نافع ، ويقدم له ، ولم يكلف نفسه مشقة تناوله ، فيبقى الدواء في خزائنه ، ويبقى هو يعاني من آلام مرضه إلى أن يُكره على استعمال الدواء فيشربه ، فيشفى من مرضه ، أو لا يكرهه أحد على شربه واستعماله فيبقى يعاني من أسقامه ، وأوجاعه حتى يهلك بها ويموت . فهل الذنب في هذا ذنب الدواء ؟ والجواب لا ، إن الذنب ذنب المريض نفسه الذي لم يستعمل الدواء وهو بين يديه ، فكان حاله كحال من قال :

كالعيس في البيداء يقتلها الظمأ والماء فوق ظهورها محمول



## تقرير أخير لعقيدة المؤمن في الكتب الأربعة القرآن ، والتوراة ، والزبور ، والإنجيل

إن المؤمن قد آمن ويؤمن بكل ما أنزله الله من كتاب إجمالاً فيما لم يعرف ، وتفصيلاً فيما عرف . فآمن بصحف إبراهيم ، وألواح موسى وتوراته ، وزبور داود ، وإنجيل عيسى ، وفرقان محمد صلى الله عليه وعليهم أجمعين وسلم تسليماً كثيراً .

كما آمن بالقرآن على أنه كتاب إلهي هو أكمل الكتب ، نسخ الله تعالى به كل ما سبقه من الكتب ، لأنه متأخر عنها في النزول ، وسنة النسخ وطريقته دائماً أن ينسخ المتأخر المتقدم ، واللاحق السابق ، ولأن الرسالة التي تضمنها رسالة عامة لكل الناس أبيضهم ، وأحمرهم ، وأصفرهم ، وأسودهم ، فلم تكن مخصوصة بشعب دون آخر من شعوب البشر ، كما أن الكتب المتوفرة والموجودة لدى نزوله كالنوراة ، والزبور ، والإنجيل كان قد داخلها التحريف ، والتبديل ، والتغيير ، والزيادة ، والنقصان ، وذلك بنسيان أهلها لأكثرها ، ولانقطاع سندها إلى من أوحيت إليهم من أنبياء بني إسرائيل ورسلمهم ، كما هو معروف ومسلم لدى عقلائهم ، والمنصفين منهم . فأصبحت تلك الكتب لا تمثل حقيقة كتب الله تعالى ، ولا تحمل الهدى ، والنور ، والرحمة ، والموعظة لأهلها ، فضلاً عن غيرهم فلم تكن قادرة على الإصلاح ولا الهداية لخلق ، ومن ثم اقتضت رحمة الله تعالى بعباده أن يحدد لهم عهد لسوء بعد اندثارها . وعهد الوحي بعد اندراسه ، فبعث الله تعالى النبي الخاتم ، النبي المنتظر ، النبي الأمي محمداً ﷺ ، وأن ينزل عليه

الكتاب الكامل الجامع ، فينسخ به سائر الكتب ، وضمنه هداية الأبيض والأسود ، والعربي والعجمي من الناس أجمعين .

فهو الكتاب الذي أنزله مصداقاً لما بين يديه من الكتب ، ومهيماً عليها ، أمر محمداً عبده ورسوله أن يحكم به بين الناس كافة إذ قال تعالى :

﴿وَأَنزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ الْكِتَابِ وَمُهَيْمِنًا عَلَيْهِ فَاحْكُم بَيْنَهُم بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ﴾ <sup>(١)</sup>  
وقال عز وجل :

﴿إِنَّا أَنزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ لِتَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ بِمَا أَرَاكَ اللَّهُ﴾ <sup>(٢)</sup>  
فتعين لذلك نسخ القرآن لما سبقه من كتب الله تعالى ، ونسخ الدين الإسلامي لسائر الأديان السابقة . قال تعالى :

﴿إِنَّ الدِّينَ عِنْدَ اللَّهِ الْإِسْلَامُ﴾ <sup>(٣)</sup>

وقال : ﴿وَمَنْ يَبْتَغِ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾ <sup>(٤)</sup>

وقال رسول الله ﷺ مُبَيِّنًا نَسْخَ كِتَابِهِ «القرآن» لغيره من الكتب ، ونسخ دينه «الإسلام» لغيره من الأديان ، قَالَ : «والذي نفسي بيده لو أَنَّ مُوسَى كَانَ حَيًّا مَا وَسَعَهُ إِلَّا أَنْ يُتَّبِعَنِي» . قَالَهُ لِعُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ

(١) سورة المائدة الآية (٤٨) .

(٢) سورة النساء الآية (١٠٥) .

(٣) سورة آل عمران الآية (١٩) .

(٤) سورة آل عمران الآية (٨٥) .

رضي الله عنه لما أتاه بكتاب أصابه من بعض أهل الكتاب ، فقرأ عليه ، فغضب ، وقال : « لقد جئتكم بها بيضاء نقية لا تسألوهم - أهل الكتاب - عن شيء فيخبروكم بحق ، فتكذبوا به ، أو يباطل فنصدقوا به ، والذي نفسي بيده ... الخ »<sup>(١)</sup> وكيف لا يكون إلا ما أحبر به رسول الله صلى الله عليه وسلم وجزءه به من أتباع موسى عليه السلام نه فضلاً عن أمته ، والله تعالى يقول :

﴿وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ النَّبِيِّينَ لَمَآءَ آتَيْتُكُمْ مِنْ كُنُوبٍ وَحِكْمَةٍ ثُمَّ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مُصَدِّقٌ لِمَا مَعَكُمْ لَتُؤْمِنُنَّ بِهِءَ وَلَتَنْصُرُنَّهُ قَالَ أَأَقْرَرْتُمْ وَأَخَذْتُمْ عَلَىٰ ذَٰلِكُمْ إِصْرِي ۚ قَالُوا أَقْرَرْنَا قَالَ فَاشْهَدُوا وَأَنْ مَعَكُمْ مِنَ الشَّاهِدِينَ مَنْ تَوَلَّىٰ بَعْدَ ذَٰلِكَ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ ۚ﴾<sup>(٢)</sup>

(١) . . . أحمد . . . من أبي شيبه . . . صحیح

(٢) . . . إصري . . . من . . . عهد . . . صبي

(٣) . . . من . . . من . . . ( ٨٢ ، ٨١ )

## الركن الرابع الإيمان بالرسول عليهم السلام

مقدمات :

(أ) إمكان الوحي :

تعريف الوحي :

الوحي اسم مصدر من أوحى إليه بكذا يوحى إياه : إذا أعلمه  
بمراده في سرعة وخفاء .

فالوحي إذاً هو الاعلام السريع الخفي ، وبأي واسطة حصل ، إذ  
ليس شرطاً فيه أن يكون من قرب ، أو بقول ، أو بين متجانسين ؛ فقد  
قال تعالى :

﴿وَأَوْحَىٰ رَبُّكَ إِلَى النَّحْلِ أَنِ اتَّخِذِي مِنَ الْجِبَالِ بُيُوتًا وَمِنَ الشَّجَرِ وَمِمَّا  
يَعْرِشُونَ ۖ ثُمَّ كُلِي مِن كُلِّ الثَّمَرَاتِ فَاسْلُكِي سُبُلَ رَبِّكِ ذُلُلًا ۗ﴾<sup>(١)</sup>

وقال تعالى :

﴿وَأَوْحَيْنَا إِلَىٰ أُمِّ مُوسَىٰ أَنْ أَرْضِعِيهِ ۖ فَلَإِذَا خَفَتْ عَلَيْهِ فَأَلْقَاهُ فِي الْقِمِّ ۗ﴾<sup>(٢)</sup>  
فقد أعلم الله تعالى النحل مراده ففهمت عند ذلك ، ونفذته  
كاملاً ، ولم يكن هنا قرب ، ولا قول . ولا تجانس مما يعرف الناس

(١) سورة النحل الآيتان (٦٨ ، ٦٩) .

(٢) سورة القصص الآية (٧)

في حياتهم المادية هذه . كما أنه تعالى أعلم أم موسى بمراده ففهمته ،  
ونفذته كاملاً تاماً ، وبدون قرب أيضاً ، ولا قول ، ولا تجانس أبداً بين  
الموجي ، والموجى إليه .

فالوحي بهذا المعنى ممكن ، ولا معنى لانكاره أبداً ، ونقول هذا  
تنزلاً مع الشاكين فقط ، وإلا فالوحي قد وقع ، وتم ، ومنذ وجد الانسان  
الأول على هذه الأرض وهو آدم عليه السلام .

والذين كلت أذهانهم أمس عن فهم الوحي وإدراكه لم يبق لهم  
اليوم من عذر في دعوى كلال الذهن عن فهم الوحي وهم يشاهدون  
الاتصالات السلوكية واللاسلكية ، والاذاعية وغيرها .

وقد بلغهم أن الاكتشافات العلمية أثبتت بما لا مجال للشك فيه  
أن الوحي بالمعنى الذي قررنا موجود حتى بين الحيوان وأخيه الحيوان ،  
بل بين أصغر الحشرات كالقراش والنمل وما إلى ذلك ، فيتم الاعلام  
السريع الخفي بين حيوان وآخر وبدون قرب بل أبعاد شاسعة ، وبدون  
قول أيضاً ، ولا مشابهة البتة .

فالوحي إذاً ممكن وموجود ، وإنكاره يعد إنكاراً للحس ، وتكذيب  
بالتواقع المشاهد . نعم الوحي تختلف وسائله ، فالوحي الإلهي كان يتم  
بوسائل متعددة ، وكيفيات مختلفة وفيما يلي : بيان ذلك .

## الوحي الإلهي وطرقه

تعريف :

الوحي الإلهي هو ما يوحى به الله تعالى من كلماته الصادقة في أخبارها ، العادلة في أحكامها ، بطريقة من طرق الوحي إلى من يصطفي من الناس ، ولا شاهد أقوى على وجوده وإمكانه من كلام الله تعالى الموجود بين أيدي المؤمنين يقرءونه محضاً لم يشب بكلمة واحدة من كلام الناس ، وهو القرآن الكريم الموحى به إلى النبي محمد ﷺ آيات وسوراً ، شيئاً فشيئاً حتى اكتمل نزوله ، ووحيه في خلال ثلاث وعشرين سنة .

وقد حاول خصومه منذ شروق أنواره أن يبعده عن حقيقته ، ويخرجوا به عن كونه وحياً تلقاه النبي محمد ﷺ من ربه كما قال تعالى :

﴿وَإِنَّكَ لَنُتْلَىٰ الْقُرْآنَ مِن لَّدُنْ حَكِيمٍ عَلِيمٍ﴾<sup>(١)</sup>

حاول أولئك الخصوم أن يخرجوا به عن حقيقته ، فقالوا : سحر ، وقالوا : شعر ، وقالوا : أساطير الأولين ، وقالوا غير ذلك . بيد أنهم لم تطل بهم الحياة حتى أذعنوا للحق ، وسلموا أنه وحي الله وكلامه ، الذي أوحاه إلى صفوة خلقه ، وسيد أنبيائه ورسله

(١) سورة النمل الآية (٦) .

محمد ﷺ ، فآمنوا به ، وعملوا بهدایتہ ، فأكملوا ، وسعدوا ، وسادوا .  
أيضاً .

ولتلقى الوحي الإلهي طرق بينها الله تعالى في كتابه بقوله من  
سورة الشورى :

﴿ وَمَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَنْ يَكَلِّمَهُ اللَّهُ إِلَّا وَحْيًا أَوْ مِنْ وَرَآئِ حِجَابٍ أَوْ يُرْسِلَ  
رَسُولًا فَيُوحِيَ بِإِذْنِهِ ۚ مَا يَشَاءُ ۚ إِنَّهُ عَلَىٰ حَكِيمٍ مُّبِينٌ ۝۱۱ ﴾

فهذه ثلاث طرق لتلقى الوحي الإنهبي :-

الأولى : الوحي المباشر وهو أن يعد الله تعالى قلب العبد إعداداً  
خاصاً بتصفيته من الكدورات ، والرغوبات النفسية ، ثم يلقي إلى  
صاحبه بكلماته التي أراد أن يوحى بها إليه . فيتلقاها ذو القلب الطاهر  
وهو النبي من أنبياء الله تعالى ويعيها وعياً كاملاً صحيحاً ، وهو حرم  
بأنها كلام الله تعالى ، ووحيه إليه ، وذلك لما يحد في نفسه من ضرورة  
تحتم عليه ذلك وتضطره إليه أكثر من ضرورة معرفة أحد بوجوده يسر  
حياً بين الناس ، أو بضرورة معرفة صوت ، أبيه أو أمه أو أخيه ، ذلك  
الصوت الذي عاش دهرأ يسمعه ، ويفرق بينه وبين سائر الأصوات .

الثانية : أن يحاطب الله تعالى من أعده لذلك من أنبيائه ورسوله  
فيسمعه كلامه المباشر مع القرب وبدونه . ولكن من وراء حجاب ،  
فيسمع النبي الكلام ولا يرى المتكلم ، وقد تم هذا للنبي محمد ﷺ  
ليلة الإسراء والمعراج في الملكوت الأعلى ، إذ عُرج به ﷺ حتى بلغ  
سدة المنتهى ، وضمنه ربه تعالى ، وفرض عليه الصلوات الخمس هذه  
التي يصلها المؤمنون خمس مرات في كل يوم وليلة ، غير أنه لم ير

ربه تعالى ، فقد سئل عن ذلك فقال : « نور أنى أراه »<sup>(١)</sup> . أما قوله تعالى من سورة النجم :

﴿ وَلَقَدْ رَآهُ نَزْلَةً أُخْرَىٰ ۖ عِنْدَ سِدْرَةِ الْمُنْتَهَىٰ ۚ عِنْدَهَا جَنَّةُ الْمَأْوَىٰ ۖ إِذْ يَغْشَى السِّدْرَ مَا يَغْشَىٰ ۖ (١٦) مَا زَاغَ الْبَصَرُ وَمَا طَغَىٰ ۖ (١٧) لَقَدْ رَأَىٰ مِنْ ءَايَاتِ رَبِّهِ الْكُبْرَىٰ ۖ (١٨) ﴾

فإن الضمير في قوله تعالى « ولقد رآه نزلة أخرى » عائد إلى جبريل عليه السلام وليس عائداً إلى الله تعالى .

كما تم هذا التكلم من وراء حجاب لموسى بنى إسرائيل عليه السلام ، وكان بجبل الطور من سيناء حيث ناداه ربه بالواد المقدس طوى ، ونبأه ، وأوحى إليه ، وأرسله إلى فرعون وملاه ، كل هذا وموسى عليه السلام يسمع كلام الله تعالى المباشر ، ولا يرى الله تعالى مُكَلِّمَهُ عز وجل حتى تآقت نفسه لرؤيته ، فسأل ربه ذلك فقال :

﴿ قَالَ رَبِّ ارْنِيْ اَنْظُرْ اِلَيْكَ ﴾

فقال الله تعالى له : ﴿ لَنْ تَرٰنِيْ ﴾<sup>(٣)</sup> . وأقنعه بمعجزه عن الرؤية لله تبارك وتعالى ، فأمره أن ينظر إلى الجبل وقد تجلى له ، فصار دكا فنظر موسى إلى الجبل فلم يقو على رؤيته فخر ، مغشياً عليه فلما أفاق من غشيته قال :

﴿ سُبْحٰنَكَ تَبْتَ اِلَيْكَ وَاَنَا اَوَّلُ الْمُؤْمِنِيْنَ ﴾<sup>(٤)</sup>

(١) حديث الإسراء ثابت في الصحيحين وغيرهما للؤلؤ والمرجان (٣٥/١) وقوله ﷺ نور أنى أراه رواه مسلم (١١١/١) .

(٢) الآيات (١٣ - ١٨) .

(٣) سورة الاعراف الآية (١٤٣) .

(٤) سورة الاعراف الآية (١٤٣) .



﴿قَالَ إِنَّمَا أَنَا رَسُولُ رَبِّكِ لِأَهَبَ لَكِ غُلَامًا زَكِيًّا قَالَتْ أَنَّى يَكُونُ  
لِي غُلَامٌ وَلَمْ يَمْسَسْنِي بَشَرٌ وَلَمْ أَكُ بَغِيًّا ۖ قَالَ كَذَلِكَ قَالَ رَبُّكَ هُوَ  
عَلَىٰ هَٰئِهِ قَلِيلٌ ۖ وَلِيَجْعَلَهُ آيَةً لِّلنَّاسِ وَرَحْمَةً مِنَّا وَكَانَ أَمْرًا مَّقْضِيًّا ۖ﴾

(٢) سورة مريم (١٩ - ٢١)

كما كان يأتي النبي ﷺ في صورة دحية بن خليفة الكلبي وجاء مرة في صورة أعرابي فدخل المسجد وجلس إلى النبي ﷺ وأسند ركبتيه إلى ركبتيه ، ووضع يديه على فخذه ، وأخذ يسأل الرسول ﷺ والرسول يجيبه وهو يصدقه بقوله : « صدقت » حتى عجب الصحابة منه ، كيف يسأله ويصدقه . ولما انصرف أمر الرسول أصحابه أن يردوه عليه فطلبوه فلم يظفروا به ، فقال لهم « إنه جبريل أتاكم يعلمكم أمر دينكم » (١) .

### ب - ضرورة الوحي ، وحاجة الناس إليه .

إن الوحي الإلهي ضرورة من ضرورات شتى قد اقتضاها وجود الانسان على هذه الأرض ، يكابد فيها حياة طويلة فُرِضت عليه ، وقدرت له ، ولا ينتهي منها إلا بانتهاء هذا الكون وانقراضه ، حيث ينقل إلى ملكوت آخر فهو في هذه الرحلة الطويلة من حياته لا بد له من تعاليم من ربه تنظم حياته ، ولا بد له من هدي يعيش عليه ، وكيف يتم له ذلك بغير الوحي ؟ فالوحي إذاً ضرورة من الضرورات لا غنى عنه بحال من الأحوال .

وضرورة الوحي ، وحاجة الانسان إليه تظهران بوضوح إذا عرفنا أن الانسان مكون من روح وجسد ، وأن العالم عالمان علوي وسفلي ، وأن الحياة حياتان : أولى تنقضي ، وثانية تدوم ولا تنتهي ، وتبقى أبداً ولا تنقص ، وأن بين الحياتين برزخاً تنقضي فيه الأرواح فترة ما بين موت الإنسان وبعثه للحياة الثانية ، وبيان ذلك : أن كون الإنسان روحاً يقتضي حياً إلهياً ، يخبره عن الروح ، وصفاتها ، وأحوالها ، وأسباب كمالها ونقصانها ، وسعادتها وشقائها . وأن كون الإنسان جسماً يقتضي كذلك حياً إلهياً يبين له فيه طرق المحافظة على جسمه ، ويضع له

(١) مسلم (٢٨/١) ، ٢٩ )

القوانين ، التي تساعده على بقائه صالحاً المدة المحددة له من هذه الحياة . وأن كون العالم عالمين علوياً وسفلياً يقتضي وحياً إلهياً يخبره عن العالم العلوي ، وما فيه ، لعجز الانسان عن معرفة ذلك بوسائله الخاصة ، وإدراكه دون الوحي الإلهي ، وأن كون الحياة حيتين يقتضي كذلك وحياً إلهياً يعرف الانسان بواسطته الحياة الثانية ماذا فيها ؟ وما الذي يتم للانسان يوم يُنقل إليها ؟ إذ مثل هذا لا يدركه الانسان بواسطة عقله مجرداً عن الوحي الإلهي بحال من الأحوال .

فهذه أكثر من ضرورة قد اقتضت الوحي الإلهي ، وجعلته حاجة من حاجات الانسان التي لا يستغني عنها بحال ، فالوحي إذاً مع إمكانه هو ضرورة من ضرورات حياة الانسان ، وحاجة من حاجاته ، وإنكاره والتكذيب به يُعد خطأ عقلياً كبيراً ، وعجزاً فكرياً مُشيناً ، وفساداً فطرياً خطيراً ، لأن إنكار ما هو موجود وواقع ، وحوادث ما هو ضرورة للحياة ، وحاجة أكيدة لها لا تفرح العقول ، ولا توافق عليه بحال أبداً .

#### ( جـ ) النبوة .

تعريف :

النبوة اسم مشتق من نبا الشيء ينبو نبوة إذا ارتفع مجاوزاً غيره ، ومنه قولهم . نبا السيف ينبو نبوة إذا ارتفع متجاوزاً مضرب الفارس ، أو هي اسم مشتق من أنبا فلان غيره ينبيه إنباء إذا أخبره بخبر ذي شأن ، ولهذا يقال النبوة بالهمزة بعد الواو وبها قرأ ورش عن نافع :

﴿ آتَيْنَهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَ وَالنَّبُوءَ ﴾<sup>(١)</sup>

وقرأ حفص عن عاصم النبوة بواو مشددة . ويمكن رد القراءة الأولى إلى هذه وذلك بقلب الهمزة واواً ، وإدغامها في الواو ، وهو إعلال معروف عند النحاة

(١) سورة الأنعام الآية (٨٩)

وبناء على هذا فالنبوة الشرعية هي إعلام الله تعالى من اجتنبى من الناس لرفعته ، والإعلاء من شأنه بإنبائه بالوحي الذي أَرادَه له ، أو له ولغيره .

والأنبياء جمع نبي ويمد مهموزاً فيقال نبيء كما هي قراءة ورش عن نافع في جميع القرآن أو في غالبه ، وهو عائد إلى الاشتقاق الأول الذي تقدم في كلمة النبوة .

والنبي : ذكر من بني آدم ، أوحى الله تعالى إليه بأمر ، فإن أمر بتبليغه إلى الناس فهو نبي ورسول ، وإن لم يؤمر بتبليغه فهو نبي غير رسول ، وبهذا يظهر الفرق بين كل من النبي والرسول ، وهو أن الرسول من أمر بإبلاغ ما أوحى إليه ، والنبي من أوحى إليه بشيء ولم يؤمر بإبلاغه لاختصاصه به دون غيره من الناس ، وعليه فكل رسول نبي وليس كل نبي رسولاً . ومثال النبي غير الرسول يوشع بن نون صاحب موسى وفتاه عليهما السلام ، فقد نبأه الله تعالى ، وخلف موسى وهارون في بني إسرائيل وهو الذي غزا بيت المقدس وفتحها الله تعالى عليه .

ومثال النبي الرسول نبينا محمد ﷺ ، إذ هو نبي الله ورسوله إلى الناس أجمعين ، وكذا سائر الأنبياء والمرسلين المذكورين في القرآن الكريم كما سنقف عليه إن شاء الله تعالى في بحث هذا الركن من أركان عقيدة المؤمن .

#### د - مؤهلات النبوة

الذي ينبغي أن يُعلم هنا أن النبوة لا تأتي من طريق الكسب والاجتهاد أبداً ، فلو انقطع المرء إلى العبادة كلية ، وتخلّى عن سائر الحظوظ النفسية ، وعن كل الرغبات ، والشهوات ، وسائر متع الحياة ، ولذا نراها لم يؤهل ذلك لأن يكون نبياً أو رسولاً بحال من الأحوال . إن النبوة هبة خاصة ، يختص بها الله واهبها من أهله لها من عباده

المؤمنين ، بيد أن الله يهيء لها بإعداد خاص عدا من عباده ، فيحفظه من التلوث النفسي ، والضلال العقلي ، والفساد الخلقي ، والانحراف الفطري ، ويضفي عليه من الكمالات النفسية ، والعقلية ، والخلقية ما يؤهله به لمقام النبوة الشريف ، ومن المؤهلات ثنونة ، وتلقي الوحي الإلهي :-

١ - المثالية . وعني بالمثالية ذلك الكمال الشري الذي يحوره المرشح لمقام النبوة ، والذي لا يسمو إليه سواه من المرشحين لها من سائر الناس

٢ - شرف النسب : إن عمل النورثة سبق ن قراره ، ونه نكره ، وهو أن كثيراً من النصب ، والنقص ، والمميزات تنقل بهذه النسبة الإلهية (عمل النورثة) من الأصل النورثي إلى الفرع المولود . ومن هنا كان الأنبياء ، يفتون في شرف قومهم ، ولهمرد من شرف بالمعنى العام الترفع عن الدن الخلقية ، ولشرف عما يحل بالمحروقات ، ويهبط بالقيم الشريية . من كل سنوك مثل محرف ، نكرهه طبع الشريية السبيمة ، وتشتتر منه القوس الكريمة .

٣ - عمل الرمن : إن المراد من عمل الرمن هو وجود مقتنصب في الرمن المعين ، تحتم بعثة نبي ، وإرسال رسول ، ونقتصيه ، ومن ذلك وجود فرغ روعي تسب عنه فساد اجتماعي كبير ، فأصحت محل تنظت سيا مصلحا يرد لنحية اعتذارها ، وإلأسر فيسته . وذلك كالفراع الذي كان قبل إرسال موسى وأحبه هرون عبيهما نسلام ، وكذلك كان قبل نبوة عيسى ورسائله عليه السلام وكذلك كان قبل بعث محمد عليه الصلاة والسلام ورسائله ، فإن الأخوان نبي كانت سائدة في تلك الأزمنة الثلاثة كانت تلج مطالبة نبوة نبي ورسالة رسول ، لإصلاح البلاد والعباد ، وكان الناس يومها يشعرون بالحاجة الملحة إلى نبوة تعبر الأوضاع الفاسدة التي سادت يومئذ ، والذين قالوا

لفرعون إن زوال ملكك سيكون على يد رجل من بني إسرائيل وبنو إسرائيل يومئذ مستعدون ، مضطهدون أكثر من غيرهم ، لاشوكة لهم ، ولا قوة ، هذا القول وإن نسب إلى الكهنة فإنه هو نفسه عامل الزمن ، وهو الشعور العام بالحاجة إلى مُصلح يصلح الأرض بعد أن أفسدها الطغيان الفرعوني ، وجبروت الكبر ، وفساد العلو في الأرض ، والإسراف في الشر .

كما أن زمن ما قبل البعثة المحمدية كان يوحى بقرب نبوة مصلحه ، بحيث تطلع كثير من أهل الكتاب لها ، بل صرحوا بقربها ، وجأهروا به ، وانتظروه ، لذا بادر كثير منهم بالإيمان بنبوة محمد ﷺ ورسالته ، ولم يترددوا في ذلك بمجرد ظهورها ، وذلك كالنجاشي من النصارى ، وعبد الله بن سلام من اليهود وغيرهما من أحبار اليهود ، ورهبان النصارى ، وذلك لما شاهدوا من الفساد العام الذي انتظم العالم بأسره وبخاصة جزيرة العرب ، وبلاد الروم ، وفارس ، وهي تمثل العالم الإنساني تقريباً<sup>(١)</sup>.

ومجمل القول أن وجود فساد عام في الأرض من شأنه أن تتطلع معه النفوس إلى مصلح يصلح الله به البلاد والعباد ، وذلك لما غرز الله تعالى في الفطر البشرية من الشعور بالرحمة الإلهية ، وقربها كلما عم الشر ، وعظم الفساد، شعور كشعور العطشان بالحاجة إلى الماء ، وتطلعه إليه .

وها هي ذي البشرية اليوم في حاجة ملحة إلى نبوة إلهية تصلح فسادها ، وتخرجها من محتتها المادية التي تعاني منها . والنبوة الإلهية

---

(١) ويشهد لهذا القرآن الكريم إذ جاء فيه قوله من سورة البقرة « ولا تفسدوا في الأرض بعد إصلاحها » فهي الاقرار بأن الأرض كانت قبل البعثة المحمدية فاسدة ، وأن الله تعالى قد أصلحها بها .

موجودة بين أيدينا ولكن الذي أعوزنا العبقري الملهم الذي يحمد على  
 الاهتداء بهديها ، والسير على ضوء هدايتها ، حتى نخرج من هلكتنا ؛  
 وسعد في حياتنا . إن السوء المطلوبة هي سوء محمد ﷺ ، وهي  
 محفوظة لم تُشب بفساد ، ولم تخلط بباطل ولم يمسها سوء ، ولأمر ما  
 حفظها الله تعالى صالحة نقية بعد مضي زمن طويل غنى ظهورها ، وما  
 يدري أن الله تعالى قد ادحر لنا عددا من عدده المؤمنين ، سيظهر في  
 يوم ما من الأيام فيملأ به الأرض ظهرا وعدلا بعد ما مدت حشا  
 وضما .

### هـ - صفات الأنبياء :

إن للمؤهلين لحمل رسالة الخلق إلى الخلق صفات كمال لا  
 تفقد في أحدهم أبدا ، إذ هي واحدة لكل من يحمل رسالة به تعنى  
 إلى عباده ، ومن تلك الصفات

١ - الصدق : صدق الية ، والإرادة ، صدق نفوس ، ونعم  
 حيث يستحيل أن يتصف بمؤهل لسوء بعد تصديق وهو كذب ،  
 والنفاق ، أو الإهمال ، واللامبالاة ، والمتنع تسير الأشياء يعرف هذه  
 الحقيقة ، ويؤمن بها

٢ - الأمانة : الأمانة في كل شيء في نفوس وعمل ، في لحكم  
 والنقص في الحديث والنقل ، في الرواية والتسليم ، في السر والنفس  
 معا ، إذ يستحيل أن تصفوا بصددها وهي الحياة بحر من الأخوان ،  
 فلا حياة فيهم أبدا ، ولو في أقل الأشياء وانفهمها ، ومتى وجد شيء من  
 لحبة ولا سوء ولا أهلية لها أبدا

٣ - التسليم : والمراد منه أن يبلغ الرسول كل ما أمر بتسليمه ولا  
 يحتمل منه شيء ، ولا يكتم بحال من الأخوان ، فلا تحميه رعة ولا  
 به على أن يكتم بعضا مما أوحى إليه ، وأمر بإبلاغه إلى الناس ،

والكتمان للوحي الإلهي يتعذر على المرسلين ، ويستحيل في حقهم ، ولا يتأتى لهم ، لأن الله تعالى ألقاهم للبلاغ عنه ما أراد له عباده من الهدى والخير . فمتى وجد الكتمان بطلت النبوة ، وانفتحت الرسالة .

٤ - الفطنة : إن الفطنة ليست الفهم والذكاء فحسب ، بل هي مع ذلك رقة الشعور ، وصفاء الذهن ، ورهافة الحس وصدق ، وسرعة البداهة . على حد قول حسان بن ثابت في النبي محمد ﷺ :  
لو لم يكن فيه آيات مبينة كانت بديهته تأتيك بالخبر

إذ الفطنة من المؤهلات لتلقي الوحي ، والأمانة عليه ، فالغباء ، وبلاهة الحس ، وبطء الإدراك تتنافى مع مقام النبوة ، وشرف التلقي عن الله تعالى ، وسوف تكشف عن هذه المؤهلات ونجلي الكثير من معانيها إن شاء الله تعالى عند الحديث عن خاتم الأنبياء محمد ﷺ ، إذ هو المقصود بهذه الدراسات كلها ، وذلك لوجود رسالته قائمة بين أيدي الناس ، ولحاجة الناس إليها .



## الرسل عليهم السلام

### الرسل في التاريخ .

لقد سبق أن عرفنا الرسول في اصطلاح الشرع وهو : ذكر من سي  
دم الوحي إليه بتسريع ، وأمر بتسليمه ، وأنه يوحي الله تعالى إليه أصبح  
سبي وبإرساله كان رسولاً

والآن نعرض لحملة من تاريخ الرسل فقول : أن التاريخ الذي  
كتبه يد البشر ومهما كانت اليد الكاتبة أمية ، وعزيمة لتاريخ ناقص عن  
نوعية رسل حقهم فيما وهبهم الله تعالى من الكمال ، وقصر عن إعطاء  
لصورة الواضحة لرسول الله وأسيائه الذين لم تخل من وجودهم فيها أمة  
من الأمم ، ومن بدء الحليقة إلى أن ختموا بإمامهم ، وسيدهم ، محمد  
صلى الله عليه وعليهم وسلم تسليماً كثيراً ، لقول الله تعالى :  
﴿وَيَا أَيُّهَا النَّبِيُّ خُذْ مِنْ أُمَّةٍ إِلَّا خَلَا فِيهَا نَذِيرٌ﴾<sup>(١)</sup>

ومع هذا فإنه لا يوجد في مصادر التاريخ اليوم ما يعول عليه في  
هذا الشأن ، وما يعتمد عليه في هذه المهمة العظيمة ، وهي التاريخ  
الصادق الكامل لصفوة الخلق ، وخلاصة البشر الرسل عليهم السلام ،  
الذين لا ما كان من كتاب الله تعالى القرآن الكريم ، فإنه المصدر  
لتحديد الموثوق ، الذي لا يُعدل به غيره ، ولا يلتفت معه إلى سواه ،

(١) سورة فاطر الآية (٢٤)

اذ لا يعرف الأنبياء ، كمن نبأهم ، ولا يعرف المرسلين المصطفين كمن اصطفاهم وأرسلهم . فحسبنا اذاً القرآن في هذا الشأن فتكتفي بإيراد بعض ما جاء فيه عن رسل الله من حيث عددهم ، وبيان زمن وجود كل منهم ، ومعرفة أسمائهم ، ومعرفة أعظمهم وأولي العزم منهم ، وذكر بلادهم ، وأقوامهم ، وما إلى ذلك من تاريخ حياتهم .

### عدد الرسل

لم نشك أبداً في أن الرسل كانوا جماعاً غفيراً ، وذلك لقول الله تعالى :

﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولًا أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ﴾<sup>(١)</sup>  
وقوله :

﴿وَإِنْ مِنْ أُمَّةٍ إِلَّا خَلَا فِيهَا نَذِيرٌ﴾<sup>(٢)</sup>

غير أننا لا نستطيع أن نجزم بعدد معين لا نزيد عليه ، ولا ننقص منه ، ذلك لعدم ثبوته عن الوحي الإلهي ، والخبر النبوي الصحيح ، وكل ما ورد عن النبي ﷺ في بيان عدد الأنبياء والمرسلين حديث أبي ذر الغفاري في مسند أحمد وسنده ليس بالقوي كما قيل ، ولفظه : « قلت : يا رسول الله أي الأنبياء كان أول ؟ قال آدم ، قلت : يا رسول الله أنبي كان ؟ قال نعم ، نبي ، مكلم ، قلت يا رسول الله كم المرسلون ؟ قال ثلثمائة وخمسة عشر جماعاً غفيراً » . وفي لفظ : « كم وفاء عدد الأنبياء ؟ قال مائة ألف وأربعة وعشرون ألفاً ، الرسل منهم ثلثمائة وخمسة عشر جماعاً غفيراً »<sup>(٣)</sup> . ففي هذا الخبر المرفوع بيان أن

(١) سورة النحل الآية (٣٦) .

(٢) سورة فاطر الآية (٢٤) .

(٣) أحمد (١٧٨/٥ ، ١٧٩ ، ٢٦٦) .



الكریم فی قوله تعالى :

﴿ إِنَّا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ كَمَا أَوْحَيْنَا إِلَى نُوحٍ وَالنَّبِيِّينَ مِنْ بَعْدِهِ ۚ ﴾ (۱)

ثم جاء بعده هود فصالح إبراهيم ، فلوط ، إسماعيل ،  
إسحاق ، يعقوب ، يوسف ، ثم شعيب ، فموسى فهارون ، فداود .  
ف سليمان . ثم إلياس فأيوب ، واليسع ، وذو الكفل ، ويونس ،  
وزكريا ، يحيى ، وعيسى ، ثم خاتمهم محمد صلى الله عليهم وسلم  
أجمعين .

وهذا الترتيب الزمني صحيح إلى حد ما ، ولولا الخفاء في زمن  
كل من يونس ، وأيوب ، وذو الكفل ، واليسع لكان إلى الصحة أقرب  
منه إلى غيرها . والحقيقة في هذا أنه من باب علم لا ينفع ، وجهالة لا  
تضر ، إذ المطلوب هو الإيمان بالرسول ، وتوحيدهم ، وتعزيزهم ،  
واتباعهم ، والافتداء بهديهم في أي زمان كانوا ، وفي أي أرض  
وجدوا .

ديار الرسل :

إن عامة من ذكر من الرسل في القرآن الكريم كانت ديارهم في  
الشرق الأوسط ، منها بعثوا ، وفيها عاشوا مع أقوامهم ، وفيها ماتوا  
ودفنوا ، إبراهيم عليه السلام بعث بالعراق ، وهاجر منها إلى أرض  
كنعان ، فتنقل بين الحجاز والشام وأرض المعاد حتى توفاه الله تعالى ،  
وإسماعيل عليه السلام ولد بالشام وعاش بمكة المكرمة لم يفارقها ،  
وفيها بعث ، وبين القبائل العربية دعا إلى الله حتى توفاه الله . وإسحاق  
كان بأرض المعاد وكذا يعقوب ولده إلا أن الأخير هاجر إلى أرض  
مصر ، فعاش بها مع أولاده ، ولعله توفي بها وأرسل من بعده يوسف ،

(۱) سورة النساء الآية (۱۶۳) .

فعاش بمصر حتى هلك بها ، ثم أرسل موسى وهارون ، وعاشا بين مصر وسبأ إلى أن توفاهما الله تعالى . وحاء داود وسليمان فكانا في أرض القدس . وتوالت أجيال بني إسرائيل على أرض الشام ، وكان آخرهم عيسى عليه السلام فولد في بيت لحم ، وعاش بأرض المقدس حتى رفعه الله تعالى إليه . ثم نُعت حاتم الأنبياء محمد ﷺ بمكة ، فولد بها وعاش إلى أن هاجر إلى المدينة من أرض الحجاز ، فعاش بها عشر سنوات ، وبها توفي ، وبها قبره الشريف

أما نوح عليه السلام فلا يعد أنه كان كذلك بين شترقين الأوسط ولأدنى . وأما هود ، وصالح ، وشعيب فقد كانوا بأرض نجر ، هود في الجنوب ما بين حضرموت والشحر ، وصالح بالشمار ما بين لحجاز والشام ، وشعيب نجر الحريرة ، حوٲ الأردن الشرقي بأرض مدين ، ولوط عليه السلام كان قد هاجر مع عمه إبراهيم لحبيب من أرض بابل بالعراق ، فبعته الله تعالى إلى المونفكات ، وكنت خمس مدن كبيرة أشهرها سدوم ، وعمورة فأهلك الله أهل تلك البلاد فسددهم وختنهم ، وبقي لوطاً ومن معه من المؤمنين ، فارتفعوا إلى أرض شام وقاموا بها

### أولو العزم من الرسل :

من يعتبر جزءاً من العقيدة الإسلامية معرفة أولي العزم من الرسل عليهم السلام ، بداء في القرآن قوله :

﴿ فَاصْبِرْ كَمَا صَبَرَ أُولُو الْعَزْمِ مِنَ الرُّسُلِ ﴾<sup>(١)</sup>

فنعيب معرفتهم نذكر ، كما جاء في القرآن بيان عددهم ، وأسمائهم مع ، وذلك في آية من سورة الأحزاب وهي قوله تعالى :

١ سورة الأحزاب آية (٣٥)

﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِنَ النَّبِيِّينَ مِيثَاقَهُمْ وَمِنْكَ وَمِنْ نُوحٍ وَإِبْرَاهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ﴾ (١)

فالكاف من قوله ومنك حرف خطاب تعني محمداً ﷺ ، فهو مقدم في اللفظ الفضل ، ويأتي أربعتهم بعده وهم نوح وإبراهيم وموسى وعيسى ، مرتبون في الفضل ، والزمن ، فنوح أولهم وعيسى بن مريم آخرهم فصلوات الله وسلامه عليهم أجمعين .

---

(١) الآية (٧) .

## وجوب الإيمان بالرسول عليهم السلام

بعد أن عرفنا إمكان الوحي : وعرفنا الوحي وطرقه لخاصة به ، وعرفنا ضرورته ، وحاجة الناس إليه ، كما عرفنا السوء ، ومؤهلانها وعرفنا صفات الأسياء والرسول ، وتريخهم الغد ، نذكر إتمام لسحت في هد المعتقد أن الإيمان بالرسول إحصالا وتفصيلا جزء من عقيدة المؤمن لا يتحرأ ، حيث لا تصح عقيدة المؤمن ، ولا تكمل إلا به

ومعنى لإيمان بالرسول إحصالا أن يؤمن المرء بكل رسالة من نبي وكل مرسول من رسول ممن عرف نبوتهم ورسالاتهم ، وممن يعرف ، فيؤمن بيمان إحصائيا

ومعنى الإيمان بالرسول تفصيلا أن يؤمن المرء بكل نبي ورسول عرف نبوته ورسالته عن طريق الوحي بيمان تفصيليا ، فمن عرفهم من طريق الوحي الإلهي أسماؤهم من جهة واحدا واحدا على تفصيل ، لا يؤمن برسالة بعض ويكفر برسالة بعض آخر ، إذ الكفر بواحد منهم يعتبر كفرا بجميعهم وقد تقدم أيضا بيان الرسول الذين ذكروا في القرآن الكريم وهم خمسة وعشرون نبيا ورسولا ، منهم ثمانية عشر قد ذكروا في آية من سورة الأنعام

﴿وَتِلْكَ خُتُبَاتُهَا إِبْرَاهِيمَ عَلَى قَوْمِهِ تَرَفَّعَ دَرَجَاتٍ مِّنْ لَّدُنَّا﴾

إِنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ عَلِيمٌ ﴿٨٣﴾ وَوَهَبْنَا لَهُ إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ كُلًّا هَدَيْنَا وَنُوحًا هَدَيْنَا مِنْ قَبْلُ وَمِنْ ذُرِّيَّتِهِ دَاوُدَ وَسُلَيْمَانَ وَأَيُّوبَ وَيُوسُفَ وَمُوسَى وَهَارُونَ وَكَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ وَزَكَرِيَّا وَيَحْيَى وَعِيسَى وَإِلْيَاسَ كُلٌّ مِنَ الصَّالِحِينَ ﴿٨٥﴾ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيُوسُفَ وَلُوطًا وَكُلًّا فَضَّلْنَا عَلَى الْعَالَمِينَ ﴿٨٦﴾

وذكر السبعة الباقون مفرقين في عدة سور من القرآن الكريم وهم آدم ، وإدريس ، وهود ، وصالح ، وشعيب ، وذو الكفل ، وخاتمهم محمد صلى الله عليه وسلم ﴿٨٧﴾.

والإيمان بالرسول ضروري ، لا يتوقف على نظر ولا استدلال بالنسبة إلى المؤمنين بالله تعالى ، لأن الله تعالى هو الذي نبأهم ، وأرسلهم ، وأخبر عنهم ، وأمر بالإيمان بهم ، وتصديقهم ، والإيمان بالله تعالى مستلزم للإيمان بكل ما أمر الله بالإيمان به من الملائكة ، والكتب ، والرسول ، والبعث ، والخبراء ، والقدر ، والقضاء ، وبكل غيب أمر الله تعالى بالإيمان به فيكفي المؤمن دليلاً أن يبلغه خبر الله ، وأمره بالإيمان بالرسول كقوله تعالى :

يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا ءَامِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ ءَ الْكِتَابِ الَّذِي نَزَّلَ عَلَى رَسُولِهِ ءَ الْكِتَابِ الَّذِي أُنْزِلَ مِنْ قَبْلُ ﴿٨٨﴾

(١) الآيات (٨٣ - ٨٦) .

(٢) آدم في (٣٣) من آل عمران ؛ وإدريس في (٥٦) من مريم ؛ وهود في (٥٠) من سورة هود ؛ وصالح في (٧٣) من الأعراف ؛ وشعيب في (٨٥) من الأعراف ؛ وذو الكفل في (٨٥) من الأنبياء ؛ ومحمد في (٤٠) من الأحزاب .

(٣) سورة النساء الآية (١٣٦) .



وقوله تعالى :

﴿أَمَنَ الرَّسُولُ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْهِ مِنْ رَبِّهِ ۚ وَالْمُؤْمِنُونَ كُلٌّ آمَنَ بِاللَّهِ  
وَمَلَائِكَتِهِ ۚ وَكُتُبِهِ ۚ وَرُسُلِهِ ۚ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْ رُسُلِهِ ۚ﴾<sup>(١)</sup>

فلها تين الآيتين وغيرهما يؤمن المؤمن برسل الله تعالى . ولا  
يفرق في الإيمان بهم بين رسول ورسول منهم ، كما فعل اليهود  
والنصارى . حيث آمن اليهود بأنبياء بني إسرائيل وكفروا بعيسى بن مريم  
ومحمد ﷺ . ولا كما آمن النصارى بكافة الأنبياء . وكفروا بخاتمهم  
وإمامهم محمد ﷺ .

وقد كثر الله . وتوعد بالعذاب المهين من يؤمن بعض الرسل .  
ويكفر ببعض في قوله من سورة النساء :

﴿إِنَّ الَّذِينَ يَكْفُرُونَ بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ ۚ وَيُرِيدُونَ أَنْ يُفَرِّقُوا بَيْنَ اللَّهِ وَرُسُلِهِ ۚ  
وَيَقُولُونَ نُوْمِنُ بِبَعْضٍ وَنَكْفُرُ بِبَعْضٍ وَيُرِيدُونَ أَنْ يَتَّخِذُوا بَيْنَ ذَلِكَ  
سَبِيلًا أُولَٰئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ حَقًّا وَأَعْتَدْنَا لِلْكَافِرِينَ عَذَابًا مُهِينًا﴾<sup>(٢)</sup>

هذا ونظرا لنسخ جميع شرائع الرسل عليهم السلام شريعة  
خاتمهم محمد ﷺ ، فإنه لم يبق هناك ما يلزم المؤمن إزاء أولئك  
الرسل سوى الإيمان بهم واعتقاد عصمتهم ، وكمالهم ، ووجوب  
تعظيمهم ، واحترامهم .

ولهذا يكتفي بما سبق من البحث في اعتقاد المؤمن بالرسل  
عليهم السلام لم يخص بالبحث النبي الخاتم ، صاحب الشريعة المنتمية  
لناسخ الشرائع ، والعامه لكل الناس ، وهو النبي الأمي محمد رسول الله ﷺ .

(١) سورة الفرقه الآية (٢٨٥)

(٢) الأيات (١٥٠ ، ١٥١)

## مَحَمَّدٌ رَسُوْلُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ

التعريف به صلى الله عليه وسلم :

نسبه : هو محمد بن عبد الله بن عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف بن قصي بن كلاب بن كعب بن مرة بن لؤي بن غالب بن فهر ابن مالك بن النضر بن كنانة بن خزيمة بن مدركة بن الياس بن مضر ابن معد بن عدنان من ولد إسماعيل بن إبراهيم عليه السلام .

نشأته :

ولد صلى الله عليه وسلم بمكة بدار أبي يوسف ، ولدته آمنة بنت وهب بن زهرة بن عبد مناف بن قصي بن كلاب . ولدته صبيحة يوم الإثنين الثاني عشر من ربيع الأول عام الفيل ، الموافق لأغسطس عام ( ٥٧٠ ) ميلادية ومات والده عبد الله وهو حمل في بطن أمه ، وكفله جده عبد المطلب ، وماتت والدته آمنة وهو ابن ست سنين ، وحضنته أم أيمن جارية أبيه . ومات جده فكفله عمه أبو طالب .

زواجه وأولاده :

ولما بلغ الخامسة والعشرين من عمره صلى الله عليه وسلم تزوج بخديجة بنت خويلد ، إحدى شريفات قريش ، فأنجب منها ولدين هما القاسم وعبد الله <sup>(١)</sup> ماتا صغيرين ، وأربع بنات هن فاطمة الزهراء

---

(١) ومن أصحاب السير من يزيد الطيب فيجعل الأبناء ثلاثة والله اعلم بالحقيقة .

وزيب ورقية ، وأم كلثوم رضي الله عنهم ، ولم يزاوِل من الأعمال صلى الله عليه وسلم في هذه الفترة من عمره سوى رعي الغنم ، إذ قال صلى الله عليه وسلم « ما بعث الله نبياً إلّا ورعى الغنم ، فقال أصحابه : وأنت ؟ فقال : نعم ، كُنْتُ أرعاها على قراريط لأهل مكة »<sup>(١)</sup> والتجارة حيث خرج مع عمه إلى الشام مرة واحدة وخرج بعد ذلك في تحارة لخديجة فربح لها ربحاً عظيماً .

وكان صلى الله عليه وسلم في هذه المدة من حياته يتمتع بأفضل الأخلاق ، وأطيب السمائل ، فلم يُؤثر عليه ما يخل بمكارم الأخلاق قط ، فلم يأت ولا مرة ما كان يأتيه بنو قومه أبداً ، فلم يسجد لصنم ، ولم يشرب خمرأ ، ولم يلعب قمارأ ولا ميسراً ، ولم يستقسم بزلْم ولم يظنم أحداً في عرض ، ولا مال ، ولا دم ، لقد كان بشهادة أعدائه وخصومه مثالياً في أخلاقه ، وناهيك بإجماع قريش على إضفاء لقب الأمين عليه ، هذا اللقب الذي لم يظفر به أحد في ديارها أبداً ، لقد كن صلى الله عليه وسلم أميناً في سره ، وفي علنه ، أميناً في قوله وفي عمله ، أميناً في غيبه ، ومشهده ، أميناً في كل شيء ، وعلى كل شيء .

وإذا كانت قريش قد اضطرت إلى منحه ذلك اللقب السامي ، لرفع . والكريم ، لقب الأمين ، فإن الله تعالى قد أقسم له في مطلع نبوته على أنه على خلق عظيم ، وهي شهادة والله لا تعادلها شهادة أبداً ، إذ قال من سورة القلم :

﴿ ت وَالْقَلَمِ وَمَا يَسْطُرُونَ ﴾ ﴿ مَا أَنْتَ بِنِعْمَةِ رَبِّكَ بِمَجْنُونٍ ﴾  
﴿ وَإِنَّ لَكَ لَأَجْراً غَيْرَ مَمْنُونٍ ﴾ ﴿ وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ ﴾<sup>(١)</sup>

(١) التحري ( ١٠٩٠٣ ، ١١٠ ) كتاب الإحارة ، باب رعي الغنم على قراريط

(٢) الآيات ( ١ - ٤ )

## عناية الله به :

لم يكن الكمال الذي عاش عليه محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم وعرف به قبل نبوته ، لم يكن نتيجة أم أو أب ، أو أثر تعليم أستاذ ، أو مرب قط ، وإنما كان أثر عناية الله تعالى له ، فאלله الذي خلقه لأن يكون واسطة بينه وبين عباده ، ليلفهم شرعه ، ودينه ، هو الذي حماه من كل ما يلوث نفسه ، أو يعكر صفاء روحه ، إعداداً له لحمل رسالته إلى خلقه ، وحمل مثل تلك الرسالة يتطلب كمالاً نفسياً يكون صاحبه فيه مثلاً أعلى لغيره من سائر الناس ، وكذلك كان رسول الله ﷺ ، ولنستشهد على عناية الله للرسول ، وحمایته تعالى له من التلوث النفسي منذ ولادته بشاهدين اثنين نستغني بهما عن عشرات الشواهد والأمثلة وهما :

١ - ما روى البيهقي عن محمد بن إسحق عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه قال : « سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ : مَا هَمَمْتُ بِشَيْءٍ مِمَّا كَانَ أَهْلُ الْجَاهِلِيَّةِ يَهْمُونَ بِهِ إِلَّا لَيْتَنِي ، كَلَنَاهُمَا عَصَمَنِي اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ فِيهِمَا : قُلْتُ لَيْلَةً لِيَمُضِرَ فِتْيَانِ مَكَّةَ وَنَحْنُ فِي رِعَاءِ غَنَمٍ أَهْلُهَا ، فَقُلْتُ لِصَاحِبِي : أَبْصُرْ لِي غَنَمِي حَتَّى أَدْخُلَ مَكَّةَ أَشْمُرُ فِيهَا كَمَا يَسْمُرُ الْفِتْيَانُ : فَقَالَ : بَلَى ، قَالَ : فَدَخَلْتُ حَتَّى جِئْتُ أَوَّلَ دَارٍ مِنْ دُورِ مَكَّةَ ، فَسَمِعْتُ عَزْفًا بِالْغُرَابِيلِ ، وَالْمَزَامِيرِ ، فَقُلْتُ : مَا هَذَا ؟ قَالُوا : تَزُوجُ فُلَانٌ فُلَانَةً فَجَلَسْتُ أَنْظُرَ ، وَضَرَبَ اللَّهُ عَلَى أَذُنِي ، فَوَاللَّهِ مَا أَيْقَظَنِي إِلَّا مَسُّ الشَّمْسِ فَرَجَعْتُ إِلَى صَاحِبِي ، فَقَالَ : مَاذَا فَعَلْتَ ؟ فَقُلْتُ : مَا فَعَلْتُ شَيْئًا ، ثُمَّ أَخْبَرْتَهُ بِالَّذِي رَأَيْتُ ( وَذَكَرَ أَنَّهُ حَصَلَ لَهُ مَرَّةً أُخْرَى فَنَمَ لَهُ مِثْلُ الَّذِي حَصَلَ فِي الْأُولَى ) ثُمَّ قَالَ : فَوَاللَّهِ مَا

هَمَمْتُ ، وَلَا عُدْتُ بَعْدَهُمَا لشيءٍ مِنْ ذَلِكَ حَتَّى أَكْرَمَنِي اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ  
بِنُبُوَّتِهِ « (۱) »

۲ - ماروی البخاری ومسلم أن النبی ﷺ كَانَ يَنْقُلُ مَعَهُمُ الْحِجَارَةَ لِلْكَعْبَةِ  
(لَمَّا أَرَادُوا تَجْدِيدَ بَنَائِهَا) وَعَلَيْهِ إِزَارُهُ ، فَقَالَ لَهُ الْعَبَّاسُ عَمُّهُ : يَا ابْنَ أَخِي لَوْ  
حَلَلْتُ إِزَارَكَ فَجَعَلْتُهُ عَلَى مَنْكَبِكَ دُونَ الْحِجَارَةِ ، قَالَ : « فَحَلَهُ فَجَعَلَهُ عَلَى  
مَنْكَبِهِ ، فَسَقَطَ مَغْشِيًّا عَلَيْهِ ، فَمَا رَأَى بَعْدَ ذَلِكَ غَرِيَانًا » (۲) .

نُبُوَّتُهُ وَبِعَثَّتُهُ :

وعلى رأس الأربعين كما هي سنة الله في الأنبياء سيء محمد ﷺ  
إِذْ جَاءَهُ الْحَقُّ وَهُوَ بَغَارُ حِرَاءٍ ، بَعْدَ أَنْ كَانَ قَدْ حُجِبَ إِلَيْهِ الْخَلَاءُ فِيهِ  
مُدَّةٌ شَهْرَ رَمَضَانَ ، فَجَاءَهُ جَبْرِيلُ وَهُوَ بِهِ فَضَمُّهُ إِلَى صَدْرِهِ وَأَرْسَلَهُ ثَلَاثًا  
وَقَالَ لَهُ : اقْرَأْ . فَقَالَ : مَا أَنَا بِقَارِئٍ وَفِي الرَّابِعَةِ قَالَ :

﴿ اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ ﴾ خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ عَقِيٍّ ﴿ ۱ ﴾  
﴿ اقْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ ﴾ ﴿ ۳ ﴾

فَذَهَبَ بِهَا ﷺ إِلَى خَدِيجَةَ زَوْجِهِ الْكَرِيمَةِ تَرَجَّفَ بِوَادِرِهِ ، وَهُوَ خَائِفٌ  
عَلَى نَفْسِهِ ، وَهِيَ تَقُولُ لَهُ : كَلَا ، وَاللَّهِ مَا يُخْزِيكَ اللَّهُ أَبَدًا إِنَّكَ

(۱) ذَكَرَ هَذِهِ الْحَادِثَةَ بَعْضُ كَثِيرٍ فِي الْبَدَايَةِ وَالنِّهَايَةِ ، وَقَالَ هَذَا حَدِيثٌ غَرِيبٌ جَدًّا ، وَقَدْ  
يَكُونُ عَنْ عَلِيٍّ بِنَفْسِهِ ، وَيَكُونُ قَوْلُهُ فِي آخِرِهِ « حَتَّى أَكْرَمَنِي اللَّهُ سُنَّتَهُ » مَقْجُمًا ، وَهُوَ  
عَنْهُ هـ - ( ۲۸۸ / ۲ ) الطُّعْمَةُ الْأُولَى ۱۹۶۶ اشْرَفَ عَلَيْهَا مَكْتَبَةُ الْمَعْرِفِ وَمَكْتَبَةُ

(۲) التَّلَاقُ وَالْمَرْحَلَةُ ( ۷۲ / ۱ ) الْبُخَارِيُّ ( ۹۷ / ۱ ) وَمُسْلِمٌ ( ۱۸۴ / ۱ ) وَمِنْ بَيْنِ الْقَوْصَيْنِ نَبَسٌ  
مِنْ حَدِيثٍ

(۳) سُورَةُ الْعَلَقِ الْآيَاتِ ( ۱ - ۳ )

لَتَصِلَ الرَّحِمَ ، وَتَحْمِلَ الْكُلَّ ، وَتَكْسِبَ الْمَعْدُومَ ، وَتَقْرَى الضَّيْفَ ، وَتَعِينُ عَلَى نَوَائِبِ الْحَقِّ ، وَانْطَلَقَتْ بِهِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا إِلَى وَرْقَةٍ بِنِ نَوْفَلِ بْنِ أَسَدِ بْنِ عِمِيهَا ، وَكَانَ امْرَأً قَدْ تَنَصَّرَ فِي الْجَاهِلِيَّةِ ، وَكَانَ يَكْتُبُ الْكِتَابَ الْعِبْرَانِيَّ ، فَيَكْتُبُ مِنَ الْإِنْجِيلِ مَا شَاءَ اللَّهُ أَنْ يَكْتُبَ ، وَكَانَ شَيْخاً كَبِيراً قَدْ عَمِيَ ، فَقَالَتْ لَهُ خَدِيجَةُ : يَا ابْنُ عَمِّ اسْمَعْ مِنْ ابْنِ أَخِيكَ ، فَقَالَ لَهُ وَرْقَةُ : يَا ابْنُ أَخِي مَاذَا تَرَى ؟ فَأَخْبَرَهُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ خَبَرَ مَا رَأَى فَقَالَ لَهُ وَرْقَةُ ، هَذَا التَّامُوسُ الَّذِي نَزَلَ اللَّهُ عَلَى مُوسَى ، يَالِيتَنِي فِيهَا جِذْعاً<sup>(١)</sup> ، يَا لَيْتَنِي أَكُونُ حَيًّا ، إِذَا يُخْرِجُكَ قَوْمُكَ ، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ : أَوْ مُخْرِجِي هُمْ ؟ قَالَ : نَعَمْ ، لَمْ يَأْتِ رَجُلٌ قَطُّ بِمِثْلِ مَا جِئْتَ بِهِ إِلَّا عُودِي ، وَإِنْ يُدْرِكُنِي يَوْمُكَ أَتَنْصُرُكَ نَصْرًا مُؤَزَّرًا ، ثُمَّ لَمْ يَنْشَبْ وَرْقَةُ أَنْ تُوْفِيَ وَفَتَرَ الْوَحْيَ<sup>(٢)</sup> .

وبعد فترة فتر فيها الوحي ، تبدَّى له جبريل في صورته الملائكية وقد سد الأفق ، وله ستمائة جناح ، ثم أخذ يدنومه ويتدلى حتى كان قاب قوسين أو أدنى ، فأوحى الله ما أوحى !! ونزل عليه قوله تعالى : ﴿يَا أَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ ۝ قُمْ فَأَنْذِرْ ۝ وَرَبُّكَ فَكْبِيرٌ وَثِيَابُكَ فَطَهِّرْ وَالرُّجْزَ فَاقْصِرْ﴾<sup>(٣)</sup> فأرسل بها ﷺ .

(١) جذعا منصوب على أنه خبر كان المحذوفة والتقدير ليتني أكون فيها جذعا ، أو الخير متعلق بالجار والمجرور وجذعا منصوب على الحال .

(٢) لم ينشب أي لم يتعلق بأي عمل من الأعمال ، كتابة عن كونه مات بعد قليل ولم تطل حياته ، والحديث بطوله أخرجه البخاري في أول كتابه (٦٠٥/١) ومسلم (٩٨ ، ٩٧/١) واللؤلؤ والمرجان (٣٢/١) .

(٣) سورة المدثر الآيات (١ - ٥) ، والحديث رواه البخاري ومسلم إلا أنه ليس بهما في هذا الحديث أن له ستمائة جناح وأنه أخذ يدنومه ويتدلى حتى كان قاب قوسين أو أدنى ، فأوحى الله ما أوحى راجع اللؤلؤ والمرجان (٣٤/١) ومسلم (٩٨/١) ، (٩٩) . والبخاري (٦/١) .

## بدء الدعوة :

وبدأ ﷺ دعوته إلى الإيمان بالله ورسوله ، وكتابه ، ولقائه وتوجيهه تعالى في عاداته ، بدأها فردية ، وتلقى هو ومن آمن به صنواً من الأذى ، وأنواعاً من الاضطهاد مما اضطر بعض أصحابه إلى الهجرة إلى الحبشة ، ثم إلى المدينة النبوية . كما حُوصِر هو وأسرته الشريفة والمؤمنون من بني هاشم ، حوصروا في شعب أبي طالب ثلاث سنوات ، حاعوا فيها جوعاً أكلوا معه ورق الشجر ، مع كامل الأسف .

وفي هذه الأثناء توفيت أم المؤمنين خديجة ، وزوجها المفضلة رضي الله عنها ، كما توفي عمه أبو طالب الذي لم يأل جهداً يدفع عن رسول الله ﷺ ، ويحميه من كيد أعدائه له ، فكان ذلك العام يدعى عام الحزن كما قيل .

وفي نهاية السنة العاشرة من بعثته ﷺ ومطلع الحادية عشرة عُرج به ﷺ إلى الملكوت الأعلى حتى بلغ سدرة المنتهى عند جنة المأوى ، وتحورها إلى مقام أسمى سمع عنده صريف الأقلام ، وناجاه ربه ، واداه ، وفرض عليه وعلى أمته الصلوات الخمس<sup>(١)</sup> ، وفي هذه الأثناء عقد ﷺ اتفاقية مع بعض رحالات الأوس والخزرج تنص على أن يحمي أولئك الرجال من يهاجر إليهم من المؤمنين مما يحمون به أنفسهم وموالهم ، وأن لهم عند الله تعالى الجنة ، وسميت هذه الاتفاقية ببيعة العقب الأولى . ونمت عندها أخرى مثلها وسميت ببيعة العقب الثانية<sup>(٢)</sup> . وهاجر الرسول ﷺ إلى المدينة بعد أن كثرت بها الإسلام والمسلمون ، وكانت قبل ذلك تسمى ( يثرب ) فصارت بحلول النبي فيها تسمى المدينة النبوية . ولعامة تسميتها المدينة المنورة ، وفيها شُرعت كل

(١) حديث الإسراء ثبت في الصحيحين ، ملوثة ولمرحل (٣٥/١)

(٢) راجع أحداث البيعة في الحديث (٦٩، ٧٠)

الأحكام والقوانين الجنائية والمدنية ، وبها تكونت الدولة الإسلامية الأولى في تاريخ الاسلام . ومن المدينة انطلق المسلمون ينشرون راية العدل والحق في ربوع الأرض ، ويخرجون الناس من ظلمات الكفر إلى أنوار الإيمان ، ومن عبادة العباد إلى عبادة رب العباد ، ومن جور السلطان إلى عدل الإسلام كما قال ربعى ابن حراش لكسرى ملك الفرس . ولم يُقبض رسول الله ﷺ حتى انتظم الإسلام كامل شبه جزيرة العرب ، وحتى تم التشريع الإسلامي أوفر وأقوى ما يكون ، ونزل في ذلك قوله تعالى من سورة المائدة :

﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتِمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا﴾ (١)

وَقَبِضَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَوْمَ الْاِثْنَيْنِ مِنْ شَهْرِ رَبِيعِ الْاَوَّلِ بَعْدَ مَا مَضَى عَشْرَ سَنَاتٍ وَشَهْرَانِ وَبَعْضُ اللَّيَالِي عَلَى هِجْرَتِهِ إِلَى الْمَدِينَةِ ، وَالتِّي كَانَتْ مَبْدَأُ التَّارِيخِ الْإِسْلَامِي ، وَلَمْ يَلْتَحِقْ ﷺ بِالرَّفِيقِ الْأَعْلَى حَتَّى لَمْ يَتْرَكْ خَيْرًا قَطْ إِلَّا دَلَّ أُمَّةَ الْإِسْلَامِ عَلَيْهِ ، وَلَا شَرًّا إِلَّا حَذَرَهَا مِنْهُ فَصَلَّوَاتُ اللَّهِ عَلَيْهِ إِلَى يَوْمٍ أَنْ نَسْعِدَ بِرُؤْيَيْهِ وَشِفَاعَتِهِ .

هذه نظرة سريعة ألقيناها متبركين بها على تاريخ محمد رسول الله ﷺ بمناسبة الحديث عن نبوته ، فكانت مثل ترجمة قصيرة نقدمها بين يدي بحث دلائل نبوته ، وعموم رسالته ، وتقرير أن سعادة الانسان في الدنيا والآخرة رهن ذلك ومتوقفة عليه .

### مؤهلاته للنبوة :

لقد سبق أن ذكرنا أن من مؤهلاته للنبوة العامل الزمني ، والمثالية ، وشرف النسب فلننظر الآن فيما إذا كانت هذه العوامل الثلاثة

(١) الآية (٣) .



متوفرة للنبي العربي ﷺ أم لا ؟ ولنبدأ بالعامل الزمني فنقول :

لقد أجمع من أرخوا للدولتين الكبيرتين الفارسية والرومانية قبل البعثة المحمدية ، أجمعوا على أن فساداً عاماً قد عم تينك الدولتين العظيمتين فساداً في الدين ، فساداً في الأخلاق ، فساداً في الحكم ، فسرى ضعف هائل في كل أجهزة تينك الدولتين ، وخلايا تينك الأمتين الكبيرتين . هذا في دولة الفرس والروم الحضاربتين أما في غيرهما فإن الأحوال أسوأ ، والأمور أردأ ، والظلام في كل جوانب الحياة أحلك ، ففي شبه جزيرة العرب أصنام تُعبد ، وخمور تُشرب ، وبنات تُؤاد ، كهانات حلت محل النبوات ، وأعراف قبلية سائدة سيادة الشرائع الإلهية . من له يُعطى ويزاد ، ومن ليس له يؤخذ منه ، وليس حال غيرهم خيراً من حالهم ، فالعالم يومئذ كله يعيش في ظلام دامس من الظلم والشر والفساد ، وهي حال تدعو بل تصرخ بذى نبوة إلهية ، ورسالة ربانية ، يصلح الله به وعلى يديه فساد البلاد والعباد .

بحقاً فقد تطلع الناس إلى صاحب هذه النبوة ، وحامل تلك الرسالة ، ففي الجزيرة العربية إرهابات كثيرة ، وبين أهل الكتاب سيئات أكثر ، همسات خفية في كل واد ، وممنية بقرب نبوة سماوية . كل الدلائل تشير إلى أن هذه النبوة ستكون هذه المرة في الأمة العربية ، قد يلوح سناها بين جبال فاران ( مكة ) وتطلع شمس ضحاها في يثرب ذات الخيل والظل الظليل ، إنها مهاجر النبي الذي قد أظلم زمانه .

وسابق بعض أهل الكتاب الأحداث ، فهاجروا إلى الحجاز ، وبنوا يثرب نفسها ، وتأكدت التنؤات عند بعضهم ، حتى استفتحوأ على العرب - حيرابهم بأن النبي المنتظر سيبعث فينا ، ونقاتلكم معه

والحكمة فإن تلك الفترة وهي السبعون سنة بعد الأربعمائة من ولادة السيد المسيح عليه السلام . كنت فترة إرهابات كثيرة .

وتطلعات كبيرة ، وتنبؤات لا حد لها ، وفي أنحاء شتى من العالم إلى نبوة يتغير بها مجرى التاريخ الانساني ويوقف بها تيار الفساد العام بين البلاد والعباد ، ومن يا ترى يكون المؤهل لهذه النبوة ؟ .

إنه كان محمداً بن عبد الله ، دعوة إبراهيم القائل :

﴿ رَبَّنَا وَابْعَثْ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِكَ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَيُزَكِّيهِمْ إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴾ (١)

وبشارة عيسى القائل :

﴿ يٰٓيَسَىٰٓ إِسْرَءِيلَ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُم مُّصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيَّ مِنَ التَّوْرَةِ وَمُبَشِّرًا بِرَسُولٍ يَأْتِي مِنْ بَعْدِي اسْمُهُ أَحْمَدُ ﴾ (٢)

إنه كان محمداً النبي الأمي الذي نادى قائلاً :

﴿ يٰٓأَيُّهَا النَّاسُ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمُ جَمِيعًا ﴾ (٣)

فمرحباً بوفادته على الدنيا ، ومرحباً بقيادته للإنسانية ومرحباً به وهو الرحمة الإلهية ، ومن العامل الزمني إلى المثالية ، فلنلق نظرة سريعة على المثالية المحمدية التي أهلهت بإذن الله لقيادة البشرية ، وهيته لتلقي الوحي من السماء ، ليكون رسول الله إلى الناس كافة . فلنتنظر إليها في الجانب الخلقي الذاتي ، ثم في الجانب الخلقي النفساني . إن أصحاب السير وجميع من كتب في السيرة المحمدية مجمعون على أن محمداً بن عبد الله والنبي الأمي كان أكمل الناس ذاتاً ، وأجملهم وجهاً ، وأحسنهم قداً واعتدالاً ، ولترك الرواة الصادقين يصفون لنا

(١) سورة البقرة الآية (١٢٩) .

(٢) سورة الصف الآية (٦) .

(٣) سورة الأعراف الآية (١٥٨) .

الذات المحمدية كما رأوها ، وعرفوها قال البراء في رواية مسلم « كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ رَجُلًا مَرْبُوعًا ، بَعِيدَ مَا بَيْنَ الْمَنْكِبَيْنِ عَظِيمُ الْجُمَةِ إِلَى شَحْمَةِ أُذُنَيْهِ ، عَلَيْهِ حُلَّةٌ حُمْرَاءُ مَا رَأَيْتُ شَيْئًا قَطُّ أَحْسَنُ مِنْهُ ﷺ »<sup>(١)</sup> وقال أنس في رواية مسلم « كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ أَزْهَرَ اللَّوْنِ ، كَانَ عَرَقُهُ اللَّوْلُو إِذَا مَشَى بَكَفًا ، وَلَا مَسَسَتْ دِيْبَاجَةٌ وَلَا حَرِيرَةٌ الْبَيْنَ مِنْ كَفَيْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ وَلَا شَمَمَتْ مِسْكَةً وَلَا غَبِيرَةٌ أَطْيَبُ مِنْ رَائِحَةِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ »<sup>(٢)</sup> ، ولنصغ أخيراً إلى ما قاله نحس من علي رضي الله عنهما حيث قال : « سَأَلْتُ هَدَسَ بْنَ هَنْدَةَ عَنْ حَبِيَّةَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ وَكَانَ وَصَادُ ، وَهُوَ أَزْهَرُ أَنْ يَصِفَ لِي مِنْهَا شَيْئًا أَنْعَقَ بِهِ ، فَقَالَ كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فَحْمًا مَفْحَمًا ، يَتَلَأَلُ وَجْهَهُ تَلَأُلُ الْقَمَرِ لَيْلَةَ لَدَرٍ ، أَظْلَمُ مِنَ الْمَرْبُوعِ (بَيْنَ الْقَصْرِ وَالظُّلُومِ) وَأَقْصَرُ مِنْ مَشْدَدِ (النَّائِلِ الظُّلُومِ) عَظِيمِ الْهَمَةِ ، رَحِلَ الشَّعْرِ (لَيْسَ سِطًى وَلَا حَمْدٌ) بَنَ بَرَقَتْ عَقِيقَتُهُ فَرْقَهَا ، وَإِلَّا فَلَا يَحْدُورُ شَعْرُهُ مَشْحَمَةً أُذُنَيْهِ بِدَ هُوَ وَقَوْدُهُ ، أَزْهَرُ اللَّوْنِ ، وَاسِعُ الْجَبِينِ ، أَرْجَحُ الْخَوَاحِشِ<sup>(٣)</sup> سَوَاعِجُ مِنْ غَيْرِ قَبْلِ سِيْهِمْ ، عَرَقٌ يُبْذَرُهُ الْعَضْبُ ، أَفْنَى الْعَرِيْسِ<sup>(٤)</sup> ، لَهُ بَوْرُ يَعْبُودُ ، يَحْسَهُ مِنْ لَمْ يَتَأَمَّلَهُ أَشْمُ ، كَثَّ النَّحْيَةِ ، أَدْعَجُ ، سَهْرُ حَدِيدٍ ، صَبِيعُ الْقَمَرِ ، أَشْبَبُ<sup>(٥)</sup> ، مَفْلَحُ الْأَسَدِ ، ذَفِيقُ الْمَسْرَةِ<sup>(٦)</sup> ، كَأَنَّ عَيْنَهُ حَبْدٌ ذُمِيَّةٌ فِي صَفَاءِ الْقَصَّةِ ، مَعْتَدِلُ الْحَقِيقِ ، دَدُو (دَوْنُحَم) مِنْهُ سَكَنُ سَوَاءِ الظُّلْمِ وَالضُّدْرِ ، بَعِيدٌ مَا بَيْنَ الْمَنْكِبَيْنِ ، صَحْمٌ نَكَرٌ دَيْسُ

١. أخرجه ابن أبي عمير ، ومعه مسلم ، وأبو جرحول (١٠٧٦) ، ومعه (١٣٧) .

٢. أخرجه (٢٢٩٤) .

(٢) مسلم (٩١٦) .

٣. أخرجه أحمد بن حنبل ، ومعه مسلم ، وأبو جرحول ، ومعه (١٣٧) .

٤. أخرجه أحمد بن حنبل ، ومعه مسلم ، وأبو جرحول ، ومعه (١٣٧) .

(٥) أخرجه أحمد بن حنبل ، ومعه مسلم ، وأبو جرحول ، ومعه (١٣٧) .

(٦) أخرجه أحمد بن حنبل ، ومعه مسلم ، وأبو جرحول ، ومعه (١٣٧) .

(رؤوس العظام) أنور المتجرد، موصول ما بين اللبة والسرة بشعر يجري كالخط، عاري الثديين، أشعر الذراعين والمنكبين وأعالى الصدر، طويل الزندين، رجب الراحة، شش الكفين والقدمين، سائل الأطراف، عبل الذراعين<sup>(١)</sup>، خمصان الأخصمين، مسيح القدمين، ينبو عنهما الماء، إذا زال زال ثقلها، ويخطو تكفوفاً، ويمشي هوفاً، ذريع المشية، إذا مشى كأنما ينحط من صبيب (علو) ارتقاه، وإذا التفت التفت جميعاً، خافض الطرف، نظره إلى الأرض أطول من نظره إلى السماء، جل نظره الملاحظة، يسوس أصحابه، ويبدأ من لقيه بالسلام<sup>(٢)</sup>.

هذا الجانب الخُلقي الذاتي هو محض عطاء الله تعالى وهبته، ولا كسب فيه للإنسان، فإن النبي الأمي محمداً صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم قد أعطي منه ما لم يُعط غيره، حتى كان في جماله الذاتي مثلاً عالياً لا يسامى فيه، ولا يُطاول أبداً. ولنتنظر إلى مثاليته ﷺ في الجانب الخُلقي النفساني، متبعين عناصر الكمال فيه عنصراً بعد آخر فنقول - ولسنا بموفيه ﷺ كماله مهما حدثنا وكتبنا.

### رجاحة عقله :

نكتفي من عشرات الأمثلة الدالة على ما كان للنبي محمد ﷺ من كمال العقل ورجاحته بأربعة أمثلة، اثنين منها قبل نبوته واثنين بعدها فاما اللذان قبل نبوته ﷺ فهما :

١ - حضوره حلف الفضول وقوله فيه : «لَقَدْ حَضَرْتُ حَلْفَ الْفُضُولِ بِذَاكَ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ جَدْعَانَ ، وَمَا أَحَبَّ أَنْ لِي بِحَلْفِ حَضْرَتِهِ فِي

(١) العبل : الغلط .

(٢) محمد المثل الكامل (١١/١٠) .

ذَارَ عَبْدُ اللَّهِ ابْنَ جَدْعَانَ حُمْرَ النِّعَمِ ، وَلَوْ دُعِيَتْ بِهِ لَأَجَبْتُ<sup>(١)</sup> .

فهذا الحلف تم على أساس نُصْرَةِ المظلوم ، والوقوف إلى جنبه حتى يؤخذ له الحق ممن ظلمه ، فحضور النبي ﷺ له تأييداً للحق ، واعتناظه به حتى قال : « ما أحب أن لي به حُمْر النِّعَمِ » دال على كمال عفته ورحمته بدون شك .

٢ - حكمه بأن يوضع الحجر الأسود في ثوب ، ثم تأخذ بأطرافه القنابل القُرَشِيَّة ، حتى إذا بلغ الحجر مكانه من جدار البيت تناوله هو ووضعه في مكانه . فقصي بذلك على حصومة من أشد الخصومات ، وحسن دمء كبت قد تُرْفِقُ لولا ذلك التصرف الحكيم ، الذي إن دل على شيء فإنه يدل على كمال العقل المحمدي ورجاحته . بما لا محذور يشك فيه .

وأم المثلان لنداء في عهد نبوته فهما .

١ - تنازله فريش عنى كتابة لفظة الرحمن الرحيم ، وعلى لفظ رسول الله في كتابة وثيقة المعاهدة التي أبرمها مع فريش عام صلح الحديبية ، إذ أمر الكاتب وهو علي بن أبي طالب أن يكتب بسم الله الرحمن الرحيم ، فقال ممثل فريش وهو سُهيل بن عمرو : أمسك لا عرف الرحمن الرحيم ، بل أكتب باسمك اللهم ، فتنازل عن ذلك وكتب باسمك اللهم . ولما قال للكاتب أكتب هذا ما صالح عليه محمد رسول الله ، قال ممثل فريش : أمسك لو شهدت أنك رسول الله لم أقاتلك ، ولكن أكتب هذا ما صالح عليه محمد ابن عبد الله ، فتنازل عن ذلك وكتب<sup>(٢)</sup> في حين أن أصحابه وعلى رأسهم عمر وعلي قد كرهوا ذلك

... . هــ ١٤٣ (١) معناه ، وذكر الحنف أحمد رحمه الله في مسنده

١٩٠١ ، ١٩٠٢ ، سعد في صفته لخرء (١) عنه (١) ص (٨٢)

(٢) معناه عنه ذلك (محمد رسول الله) ذوار بسم الله الرحمن الرحيم ، انزلوا =

وأبوا أن يفعلوه ، وراوه أنه إعطاء للندية في دينهم<sup>(١)</sup> ، غير أن النتائج الطيبة التي أعقبت ذلك التنازل أدلت على قصر نظر القوم . وبعد نظر الرسول محمد ﷺ ، وكمال عقله ورجاحته ، الأمر الذي كان به مضرب المثل في كمال العقل ، وحسن السياسة ، والتدبير .

٢ - لما دخل مكة يوم الفتح منتصراً ووجد رجالات قريش قد تجمعوا حول الكعبة ينظرون حكم الفاتح المنتصر فيهم : ناداهم ﷺ قائلاً : « يَا مَعْشَرَ قُرَيْشٍ مَا تَرَوْنَ أَنِّي فَاعِلٌ بِكُمْ ؟ قَالُوا : خَيْراً أَخْ كَرِيمٍ وَابْنَ أَخٍ كَرِيمٍ . قَالَ : إِذْهَبُوا فَأَنْتُمْ الطُّلُقَاءُ<sup>(٢)</sup> .

إن هذا الموقف المثالي في تاريخ العظماء يُنم قطعاً على ما أوتي رسول الله محمد صلى الله عليه وسلم من رجحان العقل وكماله ، ما أصبح به مثلاً عالياً في هذا الشأن .

شجاعته :

إن شجاعة قلب النبي محمد ﷺ لم تكن أقل من رجاحة عقله ، إنه قد بلغ فيها بحق المثالية التي لا توصف ، وناهيك في إثبات هذا الخلق العظيم أن يقول أفذاذ الأبطال كعلي بن أبي طالب ، والزبير بن العوام ، وخالد بن الوليد ، وغيرهم ممن عُرفوا بالبطولات النادرة ، والشجاعات الفذة أن يقولوا : « كُنَّا إِذَا حَجَبِي الْوُطَيْسُ ، وَاشْتَدَّ الْبَأْسُ نَلُودُ بِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ نَتَقِي بِهِ<sup>(٣)</sup> » لقد انهزم الجيش الإسلامي يوم حُنين

= والمرجان ( ٢٢٤/٢ ) ورواه مسلم بقريب من هذا اللفظ المذكور في الكتاب في ( ١٧٥/٦ ) .

(١) جاء هذا في حديث متفق عليه ، اللؤلؤ والمرجان ( ٢٢٤/٢ ) ، والبحاري ( ٢٢٨/٣ ) ، ( ٢٢٩ ) ، ومسلم ( ١٧٣/٥ - ١٧٥ ) .

(٢) سيرة ابن هشام ( ٤١/٤ ) .

(٣) روى مسلم عن البراء قوله « كنا والله إذا احمر البأس نتقي به » ( ١٦٨/٥ )

شر هزيمة ، وثبت رسول الله ﷺ في الميدان وحده ، حتى ثاب إليه أصحابه ، وقاتل بهم حتى انتصر نصراً ساحقاً على أعدائه ، وأمسوا في قضيته ، وتحت سلطانه ، ولهذا الموقف نظيره في أحد أيضاً ، وهذا مصداق شهادة القرآن له بالشجاعة في قوله تعالى :

﴿ فَقَاتِلْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ لَا تُكَلَّفُ إِلَّا نَفْسَكَ ﴾ (١)

إن شخصاً يكلف بالقتال وحده ، وقاتل مَنْ ؟ إنه قتال كل أهل الكفر على الأرض وما على الأرض يومها إلا كافر باستثناء تلك الحفنة من أصحابه المؤمنين لشخص هو أشجع من طلعت عليه الشمس ، هزمت في دنيا الناس ، ذلك هو محمد رسول الله ﷺ .

سياسته :

إن سياسة النبي محمد ﷺ وفي كلا مجالها المدني والعسكري ، أو نسبي ونحوي كدت وبدون شك ، ولا مبالغة مضرب المثل ، وكدت على نحوته يطمع في الوصول إلى مثله أحد من الناس . ومهما أوتى من الكمال في هذا الخصوص ، ولنكتف في الاستشهاد على هذه نمشية في السياسة المحمدية الرشيدة السديدة بذكر مسائر معينة منها :

\* بده ﷺ لأصحابه بالهجرة إلى الحبشة بعد أن اشتد أذى المشركين لهم ، حيث علم أنه لا يقدر على دفع الأذى عنهم ، وأن الحبشة ملكاً صالحاً كريماً ، سيكرم وفادة أصحابه ، ويحسن جوارهم وهو أوصحمة الحاشي ، فكان هذا الإذن بالهجرة تديراً سياسياً جديراً بالتقدير والاحترام (٢)

(١) سورة النساء (٨٤)

(٢) ذكر البخاري رحمه الله الهجرة إلى الحبشة في (٦٢٠٥ - ٦٤) وراجع البداية والنهاية

(٦٦٠٣) وما بعده . وسيرة ابن هشام (١/٣٣٠) وما بعده .

\* اتخاذه دار الأرقم بن أبي الأرقم مركزاً للدعوة الإسلامية أيام اضطهاد المشركين لها ، وتثقيف أصحابه فيها ، وتربيتهم ، وتعليمهم كان تديراً حكيماً دل على رشد في السياسة ، وحسن فيها ، مع حكمة التصرف ، وكمال التدبير .

\* عقده اتفاقيتي العقبة - وهما بيعتان بايع فيهما رجالاً من أهل المدينة لتأمين الهجرة إليها ، وحماية المهاجرين فيها ، ثم أمره أصحابه بالهجرة ، وبالتالي هجرته هو ﷺ إليها ، مما جعلها في بضعة أعوام دار إسلام ، وعاصمة خلافة في الأرض ، ومنطلق فتح ، وهداية لكافة البشر<sup>(١)</sup>.

معاهداته لطوائف اليهود الثلاث بالمدينة ، وما حققته تلك المعاهدات من فوائد للدعوة الإسلامية ، وما وفرته من حماية لها أيام حاجتها الملحة إلى الحماية والتأمين ، وذلك لضعفها ، ومناوأة كل الناس لها .

\* مؤاخاته بين المهاجرين والأنصار تلك المؤاخاة التي لحمت ما بين المهاجرين النازحين ، وأهل البلاد المواطنين فجعلتهم كجسم واحد إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائرته بالحمى والسهر ، تلك المؤاخاة التي لم يتم نظيرها على وجه الأرض قط . تحققت بفضل الله تعالى ، ثم بتلك الحُكمة السياسية والرشد المنقطع النظر فيها .

\* زواجه ﷺ من خديجة وهي بنت أربعين سنة ، وهو شاب لم يتخط الخامسة والعشرين من عمره ثم زواجه من عدة أرامل من النساء المسنات ، وكزواجه من أم المؤمنين عائشة بنت الصديق وسنها لم يتجاوز التاسعة من عمرها ، كل ذلك دال على بعد نظر ، وعمق

(١) بيعتا العقبة مذكورتان في البخاري (٦٩/٥ ، ٧٠) وابن هشام (٤٧/٢ - ٥٦) والبداية والنهاية (١٥٨ / ١٤٧/٣) .



سیاسة ، وحسن تصرف ، وكمال تدبیر حیت أعطی به لدعوة ربه الاسلامیه دعوا قویا إلى البصر ، والتقدم ، والاستتار ، ما لم تكن لتصل إليه وتحققه لولا تلك السیاسة الحکیمه الرشیده .

\* سراياه وعمراته العذیده ، والتي تحلت في جميعها بحیره عسکرية ، والمبدا المثالیة الحکیمه والأمر الدی اعترف به لصديق ولعدو على حد سواء ، ویکفی فی تقرير ذلك أنه فی حلال عشر سوت من جهاده المقدس انتظم الإسلام أرض الحریة لعریة کما ، واستمرت سوره کل دیرها ، وأن قتی تلك الحروب والمعارک لثلاثة لئی دیرت رحله مدة عشر سوت تقریب ، وذات شیحة لها أرض منه الحریة کما بسلام لم يتحدروا لأتیس والمحمسالة م بین شهید وقتیل

رحمته :

إن الرحمة التي كان یحییها قلب محمد نبي   لرحمة مثلیة ، لا تنسی لغيره من نبي الناس ، وإذا أردنا أن نذكر بعض مظاهره تقرير لها ، فبعد عدل أن نذكر منها بعد أن قد الله تعالی فيه ﴿لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ فَأُمِّمْنِیْ رَءُوفٌ رَّحِیْمٌ﴾ (١)

ومع هذا فیشتر إلى بعض المظاهر للرحمة المحمدیه والتي منها :

١ - رفع الله ولده ابراهيم بن ماریة القبطية رضي الله عنهم ، وهو مریض حدود نفسه ، فوضعه بین یدیه وکی   ، وقال «إن العین تدعی ، والقلب یحزن ، ولا نقول إلا ما یرضی ربنا ، وإنا بفراقك یا

إبراهيمُ لمَحْزُونًا! «(١).

٢ - زار مرة قبر أمه بين مكة والمدينة ، وقف عليه وبكى طويلا ، وانصرف وهو يقول : « استأذنتُ ربي في أن أستغفرَ لها فلم يُؤذن لي ، واستأذنته في أن أزورَ قبرها فأذن لي . . »(٢).

٣ - ولما فتح رسول الله ﷺ القموص حصن بني أبي حُقيق ( من خيبر ) أتى رسول الله ﷺ بصفية بنت حي بن أخطب وبأخرى ، فمر بهما بلال على قتلى يهود ، فلما رأتهما الجارية التي مع صفية صاحت ، وصكت وجهها ، وحثت التراب على رأسها فلما رأى رسول الله ﷺ بتلك الجارية ما رأى قال « أنزعت منك الرحمة يا بلال حين تمر بامرأتين على قتلى رجالهما ؟ »(٣) . ولم تكن رحمته ﷺ قاصرة على بني الناس فحسب بل تعدتهم إلى الحيوانات ، فكان يقول صلى الله عليه وسلم : « في كُلِّ ذَاتِ كَيْدٍ رَطْبَةٌ أَجْرٌ »(٤) ويقول : « عَذِبَتْ إِمْرَأَةً فِي هِرَّةٍ ، أَوْفَقَتْهَا فَلَمْ تُطْعَمْهَا وَلَمْ تَسْقِهَا ، وَلَمْ تَدْعَهَا تَأْكُلْ مِنْ حَشَائِشِ الْأَرْضِ حَتَّى مَاتَتْ »(٥) . وأخير مقرأ الرحمة وأثارها في أهلها فقال : « بَيْنَمَا كَلْبٌ يَطِيفُ بِرَكِيَّةٍ كَادَ يَقْتُلُهُ الْعَطَشُ إِذْ رَأَتْهُ بَغِيٌّ مِنْ بَغَايَا بَنِي إِسْرَائِيلَ ، فَتَزَعَّتْ مَوْقَهَا فَسَقَتْهُ ، فَغَفَرَ لَهَا بِهِ »(٦) .

(١) متفق عليه اللؤلؤ والمرجان (١٠٣/٣) .

(٢) أخرجه مسلم (٦٥/٣) .

(٣) ذكر هذا ابن كثير عن ابن اسحاق في البداية والنهاية (١٩٧/٤) .

(٤) متفق عليه . اللؤلؤ والمرجان (٧٥/٣) .

(٥) متفق عليه واللفظ لمسلم . اللؤلؤ والمرجان (٧٣/٣) مسلم (٣٥/٨) وقوله (حتى ماتت) في رواية أخرى لمسلم في الصفحة المذكورة .

(٦) متفق عليه . اللؤلؤ والمرجان (٧٥/٣) .

کرمه :

إن الكرم النفسي الذي كان يتحلى به محمد رسول الله ﷺ لا يأتي عليه الوصف ، وكيف يوصف كرم من لم يُسأل شيئاً طول حياته وهو في حوزته وقال : لا ، قط . خرج يوماً وعليه حلة من أجمل التحلل فرآه أحد أصحابه ، فعزم أن يطلبها ليلبسها فتمس جلده بعد أن مست حند الرسول ﷺ فقال : يا رسول أعطينها ، فدخل رسول الله ﷺ بينه وبين الحنة وأنه بها »

جاءه رجل فأعطه عملاً بين حلين ، فرجع إلى قومه فقال : « يا قوم اُسْمُوا في محمدٍ يُعْطَى عطاءً لا يَخْشَى الْفَاقَةَ » (١) .

وديع مرة حارس عند الله في جمل له كان قد كلَّ في السفر سدعه يده كذا مائة درهم ، ولما جاء يتقاضاه الثمن أعطاه الثمن وحصل (٢)

لله أكبر ما يذكر عن كرم محمد ﷺ ؟ إنه في هذا الباب كما في غيره المثل جميل وأعلى في الكرم النفسي .

عدله :

في المثلثة في عدل محمد ﷺ تتجلى في مواقف عديدة ، نفتصر منها على مواقف لم يقفهما غيره ﷺ قط ، أولها : حينما سُرقت المحرومية ، وجاء أسامة بن زيد مدفوع برجالات قریش يشتم لها في بيتها ، فحدها ، فقال له الرسول ﷺ وهو في عصب شديد : « تُشْتَمُّ في حده من حدود الله يا أسامة ؟ والله لو سُرقت فاطمة بنت محمد لَضَعَفْتُ يدها » (٣) وثانيهما : أن رسول الله ﷺ عدل صفوف

(١) ١٠ مسلم (٧١ ٧٤) (٢) متفق عنه بمعناه التلؤؤ والمرحان (١٨٥/٢)

(٣) متفق عنه بمعناه التلؤؤ والمرحان (١٨٥ ٢) (١٨٦)

أصحابه يوم بدر وفي يده قدح يعدل به القوم ، فمر سواد ابن غذية حليف بني عدي بن النجار وهو مستتل - أي متقدم - من الصف فطعن في بطنه بالقدح وقال « استويا سواد » فقال : يا رسول الله أوجعتني وقد بعثك الله بالحق والعدل فأقذني !! فكشف رسول الله ﷺ عن بطنه فقال « استقذ ... »<sup>(١)</sup>.

عفوه وحلمه :

إن الاستقصاء للشمائل المحمدية غير محتمل أبداً وأحسن من قال :

إنما مثلوا صفاتك للناس كما مثل النجوم الماء

ولذا فإننا نكتفي دائماً بنماذج لذلك الكمال المحمدي في كل مظهر من مظاهره . ومن شمائل الحلم والعفو عنده صلى الله عليه وسلم نذكر الأمثلة التالية :

١ - صح أنه كان صلى الله عليه وسلم في غزاة فأعطى رجاله فرصة للاستراحة فيها ، فانتشروا في واد يستريحون تحت ظلال أشجاره وأتى هو شجرة فعلق سيفه في أحد أغصانها ، ونام ، فجاء أعرابي من المشركين فاخترط السيف وقال للرسول : من يمنعك اليوم مني يا محمد ؟ فرفع إليه رسول الله صلى الله عليه وسلم رأسه وقال : « اللّهُ » فارتاع الرجل ، وسقط السيف من يده ، فتناول الرسول صلى الله عليه وسلم وقال : « من يمنعك أنت الآن مني ؟ فقال الأعرابي « لا أحد » فعفا عنه الرسول وانصرف<sup>(٢)</sup> .

(١) البداية والنهاية (٢٧١/٣) وسيرة ابن هشام (٣٠١/٢) .

(٢) متفق عليه بمعناه اللؤلؤ والمرجان ١٦٢/٢ واللفظ المذكور قريب من لفظ البخاري (١٤٦/٥ ، ١٤٧) .

إنه غفو بعد مقدرة ، وهو من العفو الكريم الذي يستحق صاحبه كل إجلال وتقدير .

٢ - قسم صلى الله عليه وسلم مالا بين الناس فجاءه أعرابي فحده من طرف رداءه وقال : هذه قسمة ما أريد بها وجهك . فعصب رسول الله صلى الله عليه وسلم وما زاد أن قال : « فمن يعدل إذا لم يعدل الله ورسوله ؟ رحم الله موسى قد أودى بأكثر من هذا فصبر »<sup>(١)</sup>.

٣ - دخل أعرابي مسجده صلى الله عليه وسلم . واضطرتته الحاجة إلى البول ، فانتحى ناحية من المسجد وأخذ يبول . وسمعه أصحاب الرسول صلى الله عليه وسلم وصاحوا فيه فقال لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم : « دعوه لا تزرموه »<sup>(٢)</sup> فتركوه حتى قضى حاجته من بوله . ثم أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم بدلو من ماء فصب عليه . فحلم الرسول صلى الله عليه وسلم أنطق الأعرابي فقال : اللهم ارحمني ومحمدا . ولا ترحم معنا أحدا . فقال الرسول صلى الله عليه وسلم : تحجرت واسعا<sup>(٣)</sup>

كانت هذه مداخل من المثالية المحمدية وهي أحد موهلات ثلاثة تقدم أهل منها وبقي الثالث ، وهو شرف النسب . وضبط الأصل فليس نظيرة على تلك الأرومة الظاهرة . وذلك المحدث الشريف . فنون . من ينظر بنصاف في نسب السوي الشريف يحده نحو شرف نسب وأخيه . وأظهره . وأركنه على الإصلاق . به لم يعرف

(١) مفضل عنه بعد من هذا . مفضل عنه ( ٢٢٩ ، ٢٣٠ )

(٢) مفضل عنه ( ٢٢٩ ، ٢٣٠ )

(٣) مفضل عنه بعد من هذا . مفضل عنه ( ٢٢٩ ، ٢٣٠ )

في شرفه في أول حديث من مسنده بول من ( ٩١ )

التاريخ البشري نسباً كان أوضح وأنصح ، ولا أطيب ، ولا أظهر من نسب النبي محمد صلى الله عليه وسلم إذ قریش كانت أشرف القبائل العربية بلا منازع ولا مدافع ، وبنو هاشم كانوا أشرف قبائل قریش أيضاً بلا منازع ، والأنبياء يبعثون دائماً في أشرف أقوامهم هذه كلمة قالها هرقل ملك الروم وعظيمها<sup>(١)</sup>.

ولنستمع إلى الرسول صلى الله عليه وسلم نفسه وهو يقرر هذه الحقيقة فيقول : « إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَىٰ كِنَانَةً مِّنْ وَلَدِ إِسْمَاعِيلَ ، وَاصْطَفَىٰ قُرَيْشًا مِّنْ كِنَانَةٍ ، وَاصْطَفَىٰ مِّنْ قُرَيْشٍ بَنِي هَاشِمٍ ، وَاصْطَفَانِي مِّنْ بَنِي هَاشِمٍ »<sup>(٢)</sup> فكانَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ خياراً مِّنْ خيارٍ مِّنْ خيارٍ .

وأخيراً فهذه مؤهلات النبوة كلها قد توفرت لمحمد رسول الله صلى الله عليه وسلم وبصورة لا أكبر منها ، ولا أوضح . فهل يصح في العقول نفي نبوته ، أو جحود رسالته ؟ اللهم . لا ، إلا أن يكون ذلك من جاهل متعصب ، أو من معرض ذي طمع فاسد ، يجاهد ويعاند ، ومع هذا فسنورد طرفاً من الأدلة العقلية والنقلية ما تؤكد به نبوته صلى الله عليه وسلم ، ونقرر به وجوب الإيمان به ، وبكل ما جاء عن الله من الهدى والخير ، وتحتم اتباعه ، واتباع دينه توخيًا للحق ، وطلباً للنجاة من العذاب ، وفوزاً بالنعيم الآخروي في الملكوت الأعلى مع الذين أنعم الله عليهم من النبيين ، والصديقين والشهداء ، والصالحين .

(١) راجع حديث أبي سفيان في البخاري (٧/١) .

(٢) مسلم (٥٨/٧) ورواه الترمذي أتم منه (٢٨١/٢) .

## وجوب الايمان بنبوة محمد صلى الله عليه وسلم

### وأدلة ذلك

إن تلك المؤهلات العقلية والشرعية الدينية ، وقد توفرت كمئة نسي محمد ﷺ لكافية في إيجاب الإيمان بنبوته ورسالته ﷺ ، بيد أنه لا مبع من المرید من ذكر الأدلة والبراهين تأكيداً لنبوته ﷺ ، وتقريراً لها ، حتى تجعل الإيمان بها اضطرارياً لا يمكن دفعه إلا على صرر من تمحل والمكابر والعداء والمصادقة .

ومن تلك الأدلة ما يلي . -

( أ ) شهادة الكتب السابقة له على نبوته ، وتبشير الأنبياء السابقين بها فقد جاء في إنجيل يوحنا :

١ - إن كنتم تحبونني فاحفظوا وصاياي ، وأنا أطلب من ( الأب ) فيعطيك معرياً ( فارقليط ) آخر ليمكث معكم إلى الأبد <sup>(١)</sup> .

فالفارقليط ترجمته : محمد أو أحمد . وبقؤه معهم إلى الأبد هو لقاء ديه وكنسه ، وستته . إذ هذه محفوظة بحفظ الله ، وناقية بقاء هذه حبه . هذا معنى إلى الأبد في قوله « يبقى معكم إلى الأبد » .

٢ . نكبي أقول لكم الحق ، إنه خير لكم أن أطلق لأبي إن لم

(١) - ب - بره عشر المصرون ( ١٥ . ١٦ )

انطلق لم يأتكم المعزي ( الفارقليط ) ولكن إن ذهبت أرسلته إليكم<sup>(١)</sup> .  
فالفارقليط هو محمد ﷺ ، ولو لم يذهب عيسى عليه السلام برفع الله تعالى له لما بعث محمد ﷺ ، إذ بعثه النبي محمد ﷺ كانت على فترة من الرسل كما قال تعالى من سورة المائدة :

﴿يَتَأْهَلُ الْكِتَابُ قَدْ جَاءَكُمْ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمْ عَلَى فِتْرَةٍ مِنَ الرُّسُلِ أَنْ تَقُولُوا مَا جَاءَنَا مِنْ بَشِيرٍ وَلَا نَذِيرٍ فَقَدْ جَاءَكُمْ بَشِيرٌ وَنَذِيرٌ وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾<sup>(٢)</sup>

٣- « والفارقليط روح القدس الذي يرسله الأب ، باسمي هو يعلمكم كل شيء ، وهو يذكركم بكل ما قلته لكم »<sup>(٣)</sup> .

فالفارقليط روح القدس هو محمد ﷺ الذي أرسله الله إلى الناس كافة ومن بينهم اليهود والنصارى كما قال تعالى من سورة النساء :  
﴿يَتَأْتِيهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَهُمُ الرُّسُولُ بِالْحَقِّ مِنْ رَبِّكُمْ فَاعْمَلُوا خَيْرًا لَكُمْ وَإِنْ تَكْفُرُوا فَإِنَّ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا﴾<sup>(٤)</sup>

فجاء في هذه الآية القرآنية لفظ الرسول معروفاً بالالف واللام وهي وإن دلت على تفخيم الرسول ﷺ وتعظيمه في كماله فإنها دالة على العهدية فهي إشارة إلى ما في الكتابين : التوراة والإنجيل من البشارة بالرسول محمد ﷺ كما ذكرنا ونذكر ، وكما اعترف به الصالحون والمنصفون من

(١) الباب السادس عشر الفقرة (٧) .

(٢) الآية (١٩) .

(٣) الباب الرابع عشر الفقرة (٢٦) .

(٤) الآية (١٧٠) .



علماء الطائفتين ، اليهود والنصارى .

وجاء في سفر التثنية من التوراة قوله : « جاء الرب من سيناء  
وأشرق لنا من ساعير ، واستعلن من جبال فاران ومعه ألوف  
الأنهار » (١) .

فهذه شهادة صريحة من التوراة واضحة لمحمد صلى الله عليه  
وسلم بنبوته ورسالته ، إذ معنى هذا اللفظ : أن الله تعالى ناجى موسى  
وأوحى إليه بسيناء ، وأرسل عيسى وأوحى إليه بساعير وهي من أرض  
الجبل بالقدس ، وبعث محمداً صلى الله عليه وسلم رسولاً معلناً كلمة  
« لا إله إلا الله » مستعلنين بها من مكة الواقعة بين جبال فاران كجبل أبي  
فبيس وحراء وغيرهما من جبال مكة المحيطة بها .

ب - شهادة علماء أهل الكتابين :

جاء من سورة الشعراء قول الله تعالى :

﴿ أَوَلَمْ يَكُنْ لَهُمْ ءَايَةٌ أَن يَنْزِلَ عَلَيْهِمْ رَسُولٌ يَنْبِئُهُمْ بِمَا هُمْ فِي شَكٍّ مِّنْهُ ﴾ (٢)

فقد وُيِّحَ الله للعرب الكافرين على علم إيمانهم برسالة محمد صلى الله  
عليه وسلم مع وجود آية عظيمة تدل على صدق نبوته ، وثبوت رسالته ،  
وهي معرفة علماء بني إسرائيل وشهادتهم له بأنه نبي الله ، وما جاء به  
هو من عند الله .

وجاء من سورة البقرة قوله تعالى :

﴿ الَّذِينَ ءَاتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَعْرِفُونَهُ كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَاءَهُمْ وَإِنَّ فَرِيقًا

(١) آيات ثلاث وثلاثين . هذه النصوص الأربعة من التوراة والإنجيل نقت عن العقيدة

الإسلامية وأسسها ثم صححت على التوراة والإنجيل

(٢) الآية (١٩٧)

مَنْهُمْ لَيَكْتُمُونَ الْحَقَّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴿١٤٦﴾ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ فَلَا تَكُونَنَّ  
مِنَ الْمُكْذِبِينَ ﴿١٤٧﴾

فقد أخبر تعالى في هذه الآية أن الذين أوتوا الكتاب . التوراة والإنجيل يعرفون نبوة محمد صلى الله عليه وسلم ، وصدقه فيها معرفة مثل معرفتهم لأولادهم . كما أخبر أن فريقاً كبيراً منهم يكتُمون الحق بعد معرفتهم له ، ولذا لم يؤمنوا برسالة محمد صلى الله عليه وسلم بعد معرفتهم لها تمام المعرفة .

ونكتفي بشهادة عبد الله بن سلام رضي الله عنه عن غيرها من شهادة كثير من علماء اليهود وأخبارهم ، روى البخاري في صحيحه من كتاب الأنبياء عن أنس بن مالك : « أن عبد الله بن سلام بلغه مقدم رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة فأتاه فقال : « إني أسألك عن ثلاث لا يعلمهن إلا نبي ، قال :

ما أول أشرط الساعة ؟

وما أول طعام يأكله أهل الجنة ؟

ومن أي شيء يترزع الولد إلى أبيه ؟

فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : أخبرني بهن أنفاً جبريل ، قال : عبد الله بن سلام : ذاك عدو اليهود من الملائكة . فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « أما أول أشرط الساعة فنار تحشر الناس من المشرق إلى المغرب وأما أول طعام يأكله أهل الجنة فزيادة كبد الحوت . وأما الشبه في الولد ، فإن الرجل إذا غشى المرأة فسبقها ماؤه

(١) الأيتان (١٤٦ ، ١٤٧) .

كان الشبّه له ، وإذا سبق ماؤها كان الشبّه لها ، قال عبد الله بن سلام : أشهد أنك رسول الله ثم قال يا رسول الله إن اليهود قوم بُهتٌ إن علموا بإسلامي قبل أن تسألهم بهتوني عندك فجاءت اليهود ، ودخل عبد الله البيت . فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : أي رجل فيكم عبد الله بن سلام ؟ قالوا أعلمنا وابن أعلمنا ، وأخيرنا وابن أخيرنا . فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم أفرأيتم إن أسلم عبد الله ؟ قالوا أعاده الله من ذلك فخرج عبد الله إليهم فقال أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمداً رسول الله ، فقالوا أشربنا وابن شربنا ووقعوا فيه !!

وبعد فإن شهادة عبد الله بن سلام هذه تُعد من كبر شهادات بعد شهادة الله ورسوله ﷺ لمحمد بن مائة وثمانين سنة . وقد لم يذكر بعد من شهادات عمدة اليهود شهادة غيره

فد عمدة نصارى فرسهم من شهادات عيسى بن مريم ورسوله م لا سمعه لعمده . وقد فرس ككتفي من كل ذلك شهادة عظيمة فرس فرس . وسجده في صحنه . لا وهي شهادة سبك نصيح أصحمة لحسن . بد جاء من سورة الحديد قول له تارك وتعالى

﴿ تَتَجَلَّى أَسَدَ النَّاسِ عَدَاوَةً لِّلَّذِينَ ءَامَنُوا الْيَهُودَ وَالَّذِينَ شَرَكُوا وَلَتَجِدَنَّ أَقْرَبَهُم مَّوَدَّةً لِّلَّذِينَ ءَامَنُوا الَّذِينَ قَالُوا إِنَّا نَصْرِي ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قِسْطِينَ وَرَهْبَانٌ وَأَنَّهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ ﴾ وَإِذَا سَمِعُوا مَا أُنْزِلَ إِلَىٰ أَرْسُولٍ مِّنْهُمْ تَبْخَسُ مِنْ الدَّمْعِ مِمَّا عَرَفُوا مِنَ الْحَقِّ يَقُولُونَ رَبَّنَا آمَنَّا

فَاكْتُنَبْنَا مَعَ الشَّهِيدِينَ ﴿٨٥﴾ وَمَا لَنَا لَا نُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَمَا جَاءَنَا مِنَ الْحَقِّ  
وَنَطْمَعُ أَنْ يَدْخُلَنَا رَبَّنَا مَعَ الْقَوْمِ الصَّالِحِينَ فَأَنْتَبَهُمُ اللَّهُ بِمَا قَالُوا جَنَّتٍ  
تَجْرَى مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَذَلِكَ جَزَاءُ الْمُحْسِنِينَ ﴿٨٦﴾

فقد أجمع علماء التفسير والأخبار والسير على أن هذه الآيات  
نزلت في النجاشي وأصحابه المؤمنين ، فقولهم : ﴿ وما لنا لا نؤمن  
بالله وما جاءنا من الحق ونطمع أن يدخلنا ربنا مع القوم الصالحين ﴾ .  
قولهم هذا يعد شهادة عظيمة بالإسلام ، ونبيه ، وكتابه ، وأمته ،  
ولنستمع إلى شهادة النجاشي رحمه الله تعالى من خلال رده على كتاب  
رسول الله صلى الله عليه وسلم الذي ورده وهو في دار ملكه ، وحاضرة  
بلاده ، إذ جاء فيه :

بسم الله الرحمن الرحيم

إلى محمد رسول الله من النجاشي الأصحم بن أبهر

سلام عليك يا نبي الله من الله ورحمة الله وبركاته . لا إله إلا الله  
هو الذي هداني إلى الإسلام فقد بلغني كتابك يا رسول الله فيما ذكرت  
من أمر عيسى ، فو رب السماء والأرض إن عيسى ما يزيد على ما ذكرت  
وقد عرفنا ما بعثت به إلينا ، وقربنا ابن عمك ( جعفر ) وأصحابه .  
فأشهد أنك رسول الله صادقاً مصداً . وقد بايعتك وبايعت ابن عمك ،  
وأسلمت على يديه لله رب العالمين . وبعثت إليك يا نبي الله . بأريحا  
ابن الأصحم بن أبهر ، فلاني لا أملك إلا نفسي . وإن شئت أن أتيك  
فعلت يا رسول الله ﴿ ٢ ﴾ .

(١) الآيات (٨٢ ، ٨٥) .

(٢) البداية والنهاية (٨٤/٣) وجاء في أبي داود أن النجاشي قال : أشهد أنه رسول الله  
ﷺ ، وأنه الذي بشر به عيسى ابن مريم (١٨٩/٢) .

## ج - شهادة بلايين من المسلمين !

إن إيمان بلايين البلايين من المسلمين الذين شهدوا لمحمد ﷺ بنبوته ورسالته وآمنوا به حق الإيمان ، واتبعوا ما جاء به من الحق والهدى ، وجاهدوا دونه ، وبينهم العلماء ، والحكماء ، والصلحاء الصادقون الذين يفوق عددهم الحضر ، ويتعذر الإحاطة بهم علماً ، لهم من أعظم الشهادات ، وأقواها ، وأكثرها اقناعاً للعقول ، وجلباً للطمأنينة والسكون في نفوس المؤمنين بنبوة محمد ورسالته ﷺ .

## د - شهادة الحق عز وجل وملائكته :

إن شهادة الله عز وجل ، وشهادة ملائكته للنبي محمد ﷺ بالنبوة والرسالة شهادة مغنية عن كل شهادة . قال تعالى من سورة النساء :

﴿ تَكُنِ اللَّهُ يَشْهَدُ بِمَا أَنْزَلَ إِلَيْكَ أَنْزَلُهُ بِعِلْمِهِ وَالْمَلَكُ يَشْهَدُونَ وَكَفَى بِاللَّهِ شَهِيدًا ۝ ﴾<sup>(١)</sup>

ولولا كرامة النفوس ، ورعوناتها<sup>(٢)</sup> ، وظلمات الجهل بالله تعالى التي تغشي كثيراً من قلوب الناس لما ذكرنا مع شهادة الله تعالى لمحمد ﷺ بالرسالة شاهداً أبداً . ولكن نظراً لما ذكرنا أوردنا تلك لشهادات السابقة وقفينا عليها شهادة الله تعالى التي لا يردّها عاقل مدّ

وشهادة الله تعالى تنقسم إلى قسمين : شهادة أخبار ، وشهادة معجزات فشهادة الأخبار . هي أخباره تعالى في كتابه عن وحيه ، واصطفائه لرسوله وإرساله ، ونصرته إياه ، وشهادة المعجزات هي ما أظهره الله تعالى على يد نبيه من خوارق العادات ، إذ كل خارقة تقول

(١) لاه (١٦٦)

(٢) تذكره : تفح والانقاص ، والرغوة : الحمور

بلسان حالها عن الله تعالى : صدق محمد عبدي ورسولي فيما أخبر  
عني من أني أرسلته وهو رسولي .

ومن شهادة الأخبار ما يلي :

\* قوله تعالى من سورة (الفتح) .

﴿ مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ ﴾ <sup>(١)</sup>

\* قوله تعالى من سورة الأعراف :

﴿ قُلْ يَأَيُّهَا النَّاسُ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا ﴾ <sup>(٢)</sup>

\* قوله تعالى من سورة البقرة :

﴿ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ بِالْحَقِّ بَشِيرًا وَنَذِيرًا ﴾ <sup>(٣)</sup>

\* قوله تعالى من سورة النساء :

﴿ إِنَّا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ كَمَا أَوْحَيْنَا إِلَى نُوحٍ وَالنَّبِيِّينَ مِنْ بَعْدِهِ ﴾ <sup>(٤)</sup>

\* قوله تعالى من سورة الأحزاب :

﴿ يَأَيُّهَا النَّبِيُّ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَهِيدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا ﴿٥﴾ وَدَاعِيًا إِلَى اللَّهِ

بِأُذْنِهِ وَسِرَاجًا مُنِيرًا ﴾ <sup>(٥)</sup>

\* قوله تعالى من سورة المائدة :

﴿ يَأَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ وَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَغْتَ

رِسَالَتَهُ ﴾ <sup>(٦)</sup>

(١) الآية (٢٩) .

(٢) الآية (١٥٨) .

(٣) الآية (١١٩) .

(٤) الآية (١٦٣) .

(٥) الآية (٦٧) .

(٥) الأيتان (٤٥ + ٤٦) .

\* قوله تعالى من سورة النساء :

﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَكُمُ الرَّسُولُ بِالْحَقِّ مِنْ رَبِّكُمْ﴾<sup>(١)</sup>

ومن شهادة المعجزات ما يلي :

١ - نزول القرآن الكريم عليه وحياً أوحاه الله تعالى إليه ، فإنه أكبر معجزة عرفها الوجود البشري ، إذ العادة قاضية بأن أمياً لم يقرأ ولم يكتب ، ولم يجلس بين يدي أستاذ ، أو مرب أو معلم قط ، قاضية باستحالة تكلمه بالعلوم والمعارف ، ومعرفته لها ، وتفوقه فيها ، فضلاً عن أن يأتي بما لم يأت به غيره من كل معاصريه ، وممن يأتي بعدهم إلى انقراض الحياة ونهاية الكون .

فالقرآن الكريم وقد حوى أعظم تشريع ، واشتمل على قدر من العلوم الإلهية ، وعلى أثبت الحقائق العلمية ، كنظام الزوجية<sup>(٢)</sup> ، والقوانين الكونية<sup>(٣)</sup> ، كما تعرض لبدء الخليقة ، وذكر من قصص الماضين ، وأخبار السابقين الشيء العجيب ، وأخبر بمغيبات عديدة فكانت كما أخبر حرفياً وبلا زيادة أو نقصان<sup>(٤)</sup> . هذا الكتاب يأتي به أمي ، يتحدى كل الخلق على الإتيان بمثله ، أو بعشر سور من مثل

(١) الآية (١٧٠)

(٢) يشير إلى هذا القانون قوله تعالى من سورة يس : ﴿سبحان الذي خلق الأرواح كلها مما تست الأرض ومن أنفسهم وما لا يعلمون﴾ (الآية ٣٦)

(٣) كعملية إرباب المطر المشار إليها بقول الله تعالى ﴿الله الذي يرسل الرياح فتثير سحاباً فيسفعه في السماء﴾ كيف يشاء ويحعله كسفاً فترى الودق يجرح من حلاله ﴿سورة نوح﴾ الآية (٤٨)

(٤) كالإحدر نهاية حرب الروم مع فارس ، وعلت الأولى للأخيرة بعد أن كانت قد غشت ونهرمت ، وذلك في قوله تعالى من سورة الروم ﴿الله غلبت الروم في أدنى الأرض وهم من بعد غلبهم سيعلون﴾ الآيات (١ - ٣)

سوره ، أو سورة واحدة<sup>(۱)</sup> فتعجز البشرية ومعها الجن كلهم ، وتطاطىء رأسها ، وتسكت عن المعارضة لأكبر معجزة أوتيتها محمد صلى الله عليه وسلم لتدل على صدق نبوته ، وثبوت رسالته ، عرف هذا فداه أبي وأمي حين قال : « ما من الأنبياء من نبي إلا قد أعطي من الآيات ما مثله آمن عليه البشر ، وإنما كان الذي أوتيت وحياً أوحى إليّ فأرجو أن أكون أكثرهم تابِعاً يوم القيامة »<sup>(۲)</sup>

وهذه صورة التحدي قائمة إلى يوم القيامة تحويها آية واحدة من سورة البقرة ، هي قوله تعالى :

﴿وَأِنْ كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِّمَّا زَلَّلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِّثْلِهِ وَادْعُوا شُهَدَاءَكُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴿٢٣﴾ فَإِنْ لَمْ تَفْعَلُوا وَلَنْ تَفْعَلُوا فَأْتُوا نَارَ الَّتِي وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ أُعِدَّتْ لِلْكَافِرِينَ ﴿٢٤﴾﴾

فقوله تعالى : ﴿ولن تفعلوا﴾ أي الإتيان بسورة قرآنية من أمي مثل محمد ﷺ في أميته ، هذا التحدي وهو نفي الإتيان بسورة من أمي مثل محمد في أميته ما زال قائماً . وقد مضى عليه الآن قرابة الألف والأربعمائة سنة ، ولا يؤمل أبداً أن يأتي أحد فيطلبه بأن يأتي بسورة قرآنية من رجل أمي لم يقرأ ولم يكتب قط . هيهات هيهات أن يأتي أحد بمثل هذا القرآن والله يقول : ﴿ولن تفعلوا﴾ .

(۱) يقول الله تعالى ( قل لئن اجتمعت الإنس والجن على أن يأتوا بمثل هذا القرآن لا يأتون بمثله ولو كان بعضهم لبعض ظهيراً ) سورة الإسراء ( ٨٨ ) . ويقول تعالى ( قل فأتوا بعشر سور مثله مفتريات ) سورة هود الآية ( ١٣ ) . ويقول عز وجل ( قل فأتوا بسورة مثله ) سورة يونس الآية ( ٣٨ ) .

(۲) متفق عليه واللفظ لمسلم للؤلؤ والمرجان ( ٣٠/١ ) ومسلم ( ٩٢/١ ) ، والبخاري ( ٢٢٤/٦ ) .

(۳) الأيتان ( ٢٣ ، ٢٤ ) .



٢ - فيضان الماء من بين أصابعه بالحديبية حتى سقى وروى جيشاً كاملاً قوامه ألف وأربعمائة رجل وامرأة<sup>(١)</sup> .

٣ - تكثير الطعام يوم الخندق حتى أطعم بصاع من شعير وجدي صغير جيشاً كاملاً تعداده ألف رجل أو يزيدون<sup>(٢)</sup> .

٤ - حنين الحديع إليه ﷺ ونطقه وسماع مئات الرجال الأخبار له ، وعدم سكوته إنى أن أتاه الرسول وهدده كما تهدد الأم طفلها ، فسكت<sup>(٣)</sup> .

٥ - رده ﷺ عين قتادة حيث خرجت حتى تدلت على وحنه سب صرية أصانته يوم أحد فردها ﷺ ، ومسح عليها فكانت 'حسن' منها قبل إصانتها<sup>(٤)</sup> .

٦ - تسبيح الطعام بين يديه ﷺ وأصحابه يسمعون ، وهم عدد كبير من خيار 'البشر'<sup>(٥)</sup> .

٧ - اشتاق القمر له ﷺ حين طلبت قريش ذلك استدلالاً على سوته ﷺ فاشتق القمر فكان فقتان على جبل أبي قبيس وأهل مكة كهم يشاهدون ويعجبون ، أثبت هذه الحادثة في القرآن بقول الله تعالى :

﴿ أَقْرَبَتْ السَّاعَةُ وَالنَّشْقُ الْقَمَرُ ﴾<sup>(٦)</sup>

(١) وه البخاري (٤-٢٣٤ ، ١٥٦/٥ ، ١٥٧)

(٢) منبر عليه ، 'المؤلف' و'المرحب' (٣-٢٠ ، ٢١) وكان هذا في غزوة الخندق

(٣) ٥٠ بخاري بعده (٢-١١)

(٤) ١٠٠ من مشهم (٣-٢٣)

(٥) ٥٠ البخاري (٤-٢٣٥)

(٦) سورة القمر (١٠٠) ، حدث واشتاق ثلث في صحيحين ، 'المؤلف' و'المرحب'

(٢٨٠-٢٨١)

٨ - تسليم الحجر عليه على مرأى من الناس ومسمع ،  
وعشرات المرات<sup>(١)</sup>.

٩ - الإسراء به ﷺ ، والمروج من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى ثم إلى السماء السابعة حيث سدره المنتهى عند جنة المأوى ، فبلغ مستوى سمع فيه صريف الأقلام ، وناداه ربه ، وفرض عليه وعلى أمته الصلوات الخمس<sup>(٢)</sup> ، كل هذه المعجزات وغيرها كثير قد ثبت بما هو أشبه بالمتواتر من الأخبار .

١٠ - إخباره بالمغيبات الكثيرة<sup>(٣)</sup> فكانت كما أخبر . ونذكر منها على سبيل المثال خيراً واحداً من أعجب الأخبار وهو قوله في رواية أحمد بسند صحيح « سَيَكُونُ فِي آخِرِ أَمَّتِي رَجَالٌ يَرْكَبُونَ عَلَى السُّرُوجِ كَأَشْبَاهِ الرِّجَالِ ، يَنْزِلُونَ بِهَا عَلَى أَبْوَابِ الْمَسَاجِدِ ، يَسْأَلُهُمْ كَاتِبَاتٌ ، غَارِبَاتٌ عَلَى رُؤُسِهِنَّ الْبُخْتُ الْبُخْتُ الْعِجَافُ ، الْمَوْهُونُ فَيُنْهَنُ مَلْعُونَاتٌ »<sup>(٤)</sup>.

فما هذه المركوبات يا تَرَى التي أخبر أنها سيركها رجال من

(١) حديث تسليم الحجر عليه ﷺ بمكة وإخباره بهذا ثابت في مسلم (٥٨/٧) وتسلم الأحجار والأشجار عليه ﷺ وسماع علي رضي الله عنه هذا في الترمذي في المناقب . برقم (٣٦٣٠) من كتاب المناقب ، باب (٣ ، ٦) .

(٢) راجع تعليقات الصفحات السابقة من الكتاب تجد آيات وأحاديث الإسراء والمعراج . (٣) من ذلك قوله في الحسن بن علي رضي الله عنه فيما أخرجه البخاري (٣٢/٥) . إن ابني هذا سيد ولعل الله أن يصلح به بين فتيين (عظيمتين) من المسلمين فكان كما أخبر ، وقوله في عمار بن ياسر وهو يحمل اللبن لبناء المسجد (تقتلك الفئة الباغية) فكان كما أخبر كذلك ، فقد قتل عمار في حرب على معاوية قتله جيش الشام . والحديث ثابت في مسلم (١٨٦/٨) .

(٤) (رواه أحمد ، والطبراني في الثلاثة ورجال أحمد رجال الصحيح) هكذا قال الساعني في شرحه على الفتح الرباني (٣٠١/١٧ ، ٣٠٢) .

امته ؟ إنها كسرج الفرس ، وليست بفرس وإنها لتشبه رجل البعير ولكن ليست على البعير ، إنها قطعاً السيارة بنت القرن التاسع عشر الميلادي ، فهل كانت البشرية تحلم يومئذ بالسيارة التي تقطع مئات الأميال في بضع ساعات ، حاملة الركاب وامتعتهم ؟ والجواب : لا ، ولكن الوحي المحمدي أخبر بقدر ما يمكن أن يفهمه السامعون يومئذ ، وانتظر المؤمنون حتى يتم هذا الخبر ، وتمضي الأجيال جيلاً بعد جيل إلى القرن الثالث عشر الهجري حيث ظهر ما أخبر به صلى الله عليه وسلم : وركب الناس على السروج كأشباه الرحال ، ونزلوا بها على أبواب المساجد . . ثم هل عرفت الدنيا يوم أخبر الرسول ﷺ ( الميني جيب ) ؟ وهل يعقل أن امرأة مؤمنة تمشي في الشوارع بين المسلمين وهي كاشفة عن فخذها ، وكل جسمها ما عدا بطنها وظهرها إلى ركبتيها ؟ وهل عرفت النساء وكل النساء كفكفة الشعر على الرأس حتى يكون كذروة البعير الهزيل في غير القرن العشرين ؟ وهل يعقل أن امرأة مسلمة تفعل بشعرها هكذا ، وتخرج بارزة في الشوارع والطرق ؟ والجواب : لا . ولكن ما أخبر به محمد الرسول صلى الله عليه وسلم قد تحقق وهو من الغيب البعيد في أعماق المجهول ، فكان ذلك آية أن محمداً رسول الله صلى الله عليه وسلم . اللهم صل على محمد وآله وصحبه والمؤمنين به ، الناهجين نهجه ، المستقيمين على صراطك المستقيم إلى يوم الدين .

## ختم النبوات

والكلمة الأخيرة في مبحث الإيمان بالرسول عليهم السلام نتناول فيها أمرين هامين :

أولهما : ختم سائر النبوات :

وثانيهما : النبي الخاتم .

أما عن الأمر الأول فنقول : إن الله تعالى قد ختم سائر النبوات بآخر نبوة ، وهي نبوة محمد رسول الله ﷺ ، فلم يبق من مطمع لأحد في أن يدعي النبوة ، أو يؤتاها بعد نبوة محمد النبي الأمي أبداً . ومن جهل هذه الحقيقة ، أو تجاهلها تضليلاً وخداعاً وادعى النبوة فقد كذب على الله ، وأعظم الفرية عليه ، وكذبه في قوله ، وكذب على خلقه . ولم يلبث طويلاً حتى يفتضح شر فضيحة ، ويلعن بين الناس ، كما حصل لعدد من الدجالين الكذابين ، مثل مسيلمة الكذاب في الأولين ، وأحمد مرزا غلام<sup>(١)</sup> في الآخرين عليهما لعنة الله والملائكة والناس أجمعين . وذلك لأن الله تعالى قد أخبر بختم النبوات بنبوة محمد صلى الله عليه وسلم في قوله تعالى من سورة الأحزاب :

﴿مَا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَا أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمْ وَلَكِن رَّسُولَ اللَّهِ وَخَاتَمَ النَّبِيِّينَ وَكَانَ اللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا﴾<sup>(٢)</sup>

(١) غلام أحمد بن غلام مرتضى القادياني هو صاحب القاديانية الباطلة الكافرة .

(٢) الآية (٤٠) .

وبهذا كان الإيمان بمحمد ورسالته ، والعمل بها ضرورياً للنجاة من عذاب يوم القيامة ، وللغفران بالمعصية المقيم فيه . وأما عدد لا يؤمن بهذه الرسالة ، ولا يعمل بمحتواها في حدود طاقته وما يستطيع إلا وهو من أهل الخسران يوم القيامة ، ولا ينفعه إيمان بالله ، ولا بأنبيائه ، وذلك لعدم عمله برسالة محمد الحتمية ، التي جعلها الله تعالى مزية للنفوس ، مطية للأرواح ، فلا تركوا نفس امرئ إلا على الإيمان بها ، ولعمل بما جاء فيها . وزكاة النفس هي المؤهل لفرد لأن يحو من النار ، ويعود بالجنة دار الأبرار . وذلك لقوله تعالى من سورة الشمس ﴿ قَدْ أَفْلَحَ مَنْ زَكَّاهَا ۚ وَقَدْ حَابَّ مَنْ دَسَّاهَا ۝ ١١ ﴾

وعن الأمر الثاني نقول : إن حاتم الأسيء قطع هو نبي محمد صلى الله عليه وسلم ، لقول الله تعالى ﴿ كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَاحِدٍ مِّن رِّجَالِكُمْ وَلَكِن رَّسُولَ اللَّهِ وَحَاكَمَهُ أَنبِيَاؤُنْكَ وَقَالَ اللَّهُ كُلِّ شَيْءٍ عَالِمٌ ۝ ٢١ ﴾

وبالنسبة إلى كل إنسان في هذا التوحيد نشري أن يؤمن به ، ويتبع ما جاء به من الحق والهدى ، وذلك لأمر الله تعالى بالإيمان به واتباع ما جاء به في مثل قوله ﴿ فَآمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَالنَّبِيِّ الَّذِي أُنزِلَ ۝ ٣١ ﴾<sup>(١)</sup> ولتحصيل ثواب تارك وتعالى رحمته وهي الغفران بالخطيئة بعد النجاة من النار لمن آمن به واتباعه فيما جاء به صلى الله عليه وسلم قال تعالى من سورة الأعراف

(١) سورة الأعراف الآية (٣١)

(٢) سورة الأعراف الآية (١١)

(٣) سورة الأعراف الآية (١٨)

﴿وَرَحِمِي وَسِعَتْ كُلُّ شَيْءٍ فَسَأَكْتُبُهَا لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ  
وَالَّذِينَ هُمْ بِآيَاتِنَا يُؤْمِنُونَ ﴿١٥٦﴾ الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ الْأُمِّيَّ الَّذِي  
يَجِدُونَهُ مَكْتُوبًا عِنْدَهُمْ فِي التَّوْرَةِ وَالْإِنْجِيلِ يَأْمُرُهُمْ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَاهُمْ  
عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ الطَّيِّبَاتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ الْخَبَائِثَ وَيَضَعُ عَنْهُمْ  
إِصْرَهُمْ وَالْأَغْلَالَ الَّتِي كَانَتْ عَلَيْهِمْ فَالَّذِينَ ءَامَنُوا بِهِ وَعَزَّرُوهُ  
وَنَصَرُوهُ وَاتَّبَعُوا النُّورَ الَّذِي أُنْزِلَ مَعَهُ ۖ أُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴿١٥٧﴾﴾ (١)

ولتعلق الله تعالى هداية الإنسان إلى الكمال البشري ، وحصوله على  
مؤهلات الفرد للسعادة في الدنيا والآخرة على الإيمان به واتباعه إذ قال  
تعالى : من سورة الأعراف :

﴿فَأَمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ النَّبِيِّ الْأُمِّيِّ الَّذِي يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَكَلِمَاتِهِ وَاتَّبَعُوهُ  
لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴿١٥٨﴾﴾ (٢)

وأخيراً فإن من الأدلة السمعية على ختم النبوة ، وأن محمداً هو  
خاتم الأنبياء حديث الصحيحين ، الذي فيه يقول الرسول الخاتم صلى  
الله عليه وسلم « إن مثلي ومثل الأنبياء قبلي كمثل رجل بنى بيتاً فأحسنه  
وأجمله إلا موضع لبنة من زاوية ، فجعل الناس يطوفون به ويمسجون  
له ، ويقولون : هلا وضعت هذه اللبنة ! فأنا اللبنة وأنا خاتم  
النبيين » (٣).

ومثل هذا الحديث في الدلالة على ختم النبوة ، بنبوة محمد

(١) الآيتان (١٥٦ ، ١٥٧) .

(٢) الآية (١٥٨) .

(٣) اللؤلؤ والمرجان (٩٤/٣) .

صلى الله عليه وسلم ، وأنه الخاتم للأنبياء قبله ، قوله فذاه أبي وأمي  
في رواية الصحيحين : « إِنَّهُ سَيَكُونُ فِي أُمِّي كَذَابُونَ ثَلَاثُونَ كُلُّهُمْ يَزْعُمُ  
أَنَّهُ نَبِيٌّ ، وَأَنَا خَاتَمُ النَّبِيِّينَ ، لَا نَبِيَّ بَعْدِي »<sup>(١)</sup> .

وقوله « إِنَّ لِي أَسْمَاءً : أَنَا مُحَمَّدٌ وَأَنَا أَحْمَدُ . وَأَنَا الْمَاحِي الَّذِي  
يَمْحُو اللَّهُ بِهِ الْكُفْرَ ، وَأَنَا الْحَاشِرُ الَّذِي يُحْشَرُ النَّاسُ عَلَى قَدَمِي . وَأَنَا  
الْعَاقِبُ الَّذِي لَيْسَ بَعْدَهُ أَحَدٌ »<sup>(٢)</sup> .

ومن أقوى الأدلة وأعظم البراهين على ختم نبوة محمد صلى الله  
عليه وسلم سائر السنوات نبوة محمد بنيه ورسوله . أن بمضي لان ما  
قرب في ثلث أربعمئة سنة على الإعلان بحتم النبوات نبوته صلى الله  
عليه وسلم . ولم تأت نبوة حق . ولا نبى صادق ، في كل هذه الحقبة  
من الزمن الطويلة ، في حين أنه كان قبل نبوة محمد صلى الله عليه  
وسلم تظهر السنوات في عصر ومصر<sup>(٣)</sup> وقد يوجد العدد من الأنبياء في  
لأمة الواحدة . والنبوة الواحدة<sup>(٤)</sup> ، كما هو معلوم من التاريخ النبوي  
وفي حجة النبي بالخصوص

(١) . ربه . أحمد الترمذي وأبو داود واللفظ له ( ٤١٤/٢ ) ، وهو متفق عليه لأبو داود والبرهان  
٣٠٩ ( ٣٠٩ ) . ورواه البخاري بلفظ : « وَلَا تَقُومُ السَّاعَةُ حَتَّى يَبْعَثَ دُحُلُونَ كَذَابُونَ قَرِيبًا مِنْ  
ثَلَاثِينَ شَهْرًا يَزْعُمُ أَنَّهُ رَسُولُ اللَّهِ » ( ٢٤٣/٤ ) . وكذا مسلم ( ١٨٩/٨ )  
(٢) . مسلم . عليه . اللفظ مسلم وفي روايه لمسلم ( وأن العاقب والعقب لذي ليس بعدني )  
٨٩ ( ٨٩ ) . وأبو داود والبرهان ( ١١٠/٣ ) . والبخاري ( ٢٢٥/٤ )  
(٣) . ربه . واحد . ربه . مسلم . في عصر واحد . وكما وجد تركيزاً ويحيى ، وعيسى في سد  
٥ . حد . أمة . وحدة . ولأئمة كثيرة . وما حدث بحجة إليها

## الركن الخامس من أركان الإيمان الإيمان باليوم الآخر

تعريف :

ما المراد باليوم الآخر ؟

إن المراد من اليوم الآخر أمران : الأول : فناء هذه العوالم كلها ، وانتهاء هذه الحياة بكاملها . والثاني : إقبال الحياة الآخرة وابتدائها ، فدل لفظ اليوم الآخر على آخر يوم من أيام هذه الحياة وعلى اليوم الأول والأخير من الحياة الثانية ، إذ هو يوم واحد لا ثاني له فيها البتة . فالإيمان باليوم الآخر مقتض للتصديق بأخبار الله تعالى بفناء هذه الحياة الدنيا ، وبما يسبقه من أمارات وما يتم فيه من أهوال ، واختلاف أحوال ، كما هو مقتض كذلك لتصديق الله تعالى في أخباره عن الحياة الآخرة ، وما فيها من نعيم وعذاب ، وما يجري فيها من أمور عظام ، كبعث الخلائق ، وحشرهم وحسابهم ، ومجازاتهم على أعمالهم الإرادية الاختيارية التي قاموا بها في هذه الحياة الدنيا .

إمكان الفناء :

هل الفناء ممكن ؟

والجواب : نعم . الفناء ممكن ، لأن العالم ليس أزلياً أبداً ، ومالم يكن أزلياً فهو حادث ، وما كان حادثاً فالفناء من صفاته اللازمة له ، التي لا تفك عنه بحال ، وطروء الفناء على الحوادث مشاهد في هذه الحياة لا يحتاج إلى دليل .



إنه قد ثبت بالبراهين العقلية والمادية معاً حدوث العالم ، إن  
التغير الجاري ، والمستمر على العوالم دال على حدوثها ، وإن  
حدوثها دال على فناها ، كما أن قانون الطاقة المتاحة - وهي نظرية  
علمية في غاية الصحة - قد أثبت حدوث العالم وبالتالي قد أثبت وجود  
الله تعالى الأزلي ، الموجد لكل موجود ، وكما أثبت حدوث العالم  
أثبت إمكان فناءه أيضاً إذ حقيقة هذا القانون العلمي الهائل هي أن  
لحرارة تنقل دائماً من وجود حراري إلى آخر غير حراري وستمر  
هذه العملية سيرتّب عليها أن تتساوى حرارة جميع لموجودات ،  
وحينئذ لا تبقى أية طاقة مفيدة للحياة والعمل ، فتنتهي لعملية  
الكيميائية الطبيعية ، وعندها تنتهي الحياة لتتقارب ، وبعد نطقت أزمة  
عالم أي قدمه اللاإندائي ، إذ لو كان أرنست لفقد ضافته منذ زمن بعيد  
سقط بذلك الحياة

رسم أيضاً يمكن فهمه اللام نه ، والذي هو في صريفه إنه لأن  
نفسه تدفق الطاقة من لأحسب الحرية إلى حلافه مستمرة ، ولا بد  
أن يأتي عليها يوم تتساوى فيه حرارة جميع لأحسب ، وعندها تتوقف  
عملية الكيميائية الطبيعية ، وتنتهي الحياة ، ويعم الفناء هذا الكون  
كله

وهذا هو حال العالم كلّه حرّ ، ونحن نشاهد الفناء بحرّ  
في حاله مستمر ، فلا يمكن كالحبّون كانت كنه تنقضي مده ،  
موتها ، مفعول وضرب ، وفناء وجوده مستمر ودون انقضاء ، وهي نقص  
حرّ من هذا العالم كما أن يرى التزلزل من الفينة إلى الفينة بدمر مد  
وهو دسرة ، وقد معناه الأرض في كثير من البلاد في نعام ،  
وهذا هو الفناء هذه وأحرّاء العالم دنة على فناء العالم كله ، إذ ما أمكن  
في حاله أمدح فناء كله

وبناء على هذا فاليوم الآخر ممكن لوقوع وهو مرتبط حد ومستمر

انبائه ، وهو اليوم الذي لا يأتي بعده يوم من أيام هذه الحياة ، وذلك لخراب العالم وفنائه .

### إمكان المعاد :

هل المعاد ممكن ؟

ولم لا يكون ممكناً وإثباته لا يوجب أي تناقض عقلي أبداً . وكل ما لا يوجب تصور وقوعه تناقضاً عقلياً فهو من قبيل الجائز الإمكان .

وهل تصور وقوع الحياة بعد فنائها كما كانت وأفضل مما كانت يوجب تناقضاً عقلياً ؟ وإذا كان الجواب : لا ، أبداً . فالمعاد إذاً وهو بعث الخلائق أحياء بعد فنائهم الذي طرأ على حياتهم الأولى ممكن وجائز .

وشيء آخر وهو إذا كان المعاد غير مستحيل ولا واجب ، إذ المستحيل ما أوجب تصور وقوعه تناقضاً عقلياً كتصور وقوع الشيء موجوداً غير موجود . والواجب ما أوجب عدم تصور وقوعه تناقضاً عقلياً كتصور وجود مصنوع بدون صانع ، أو مخلوق بدون خالق ، أو معلول بدون علته فهو أي المعاد إذاً ممكن جائز ، وهكذا ثبت بالقياس العقلي ، والبرهان المنطقي إمكان البعث وجواز وقوعه .

### أدلة البعث (١)

لقد سلك القرآن الكريم في اثبات المعاد والحياة الثانية مسالك عقلية هي غاية في الوضوح والسهولة منها :

\* أن الشيء إذا لم يكن ثم كان وأعدم كانت اعادة أيسر وأهون

---

(١) البعث والمعاد واليوم الآخر ألفاظ مختلفة ، ومدلولها واحد ، وهو وجود حياة ثانية بعد فناء الأولى .

على من بداه أول مرة ثم أعدمه . وأفناه . فالذي بني داراً ، ثم هدمها  
لا يستحيل عليه ولا في حقه إعادة بنائها كما كانت أو خيراً مما كانت .

والذي يصنع آلة من الآلات مخترعاً لها لا يستصعب عليه أن  
يعيدها كما كانت إذا هو كسرهما بإرادته واختياره ليحولها إلى آلة أفضل  
منها قبل . ورد هذا المسلك من الاستدلال في سورة الروم إذ قل  
نعمنى

﴿وَهُوَ الَّذِي يَبْدُؤُا الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ وَهُوَ أَهْوَنُ عَلَيْهِ وَلَهُ الْمَثَلُ الْأَعْلَىٰ فِي  
السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ (١)

كما ورد في سورة يس في قوله تعالى :

﴿قُلْ يُحْيِيهَا الَّذِي أَنشَأَهَا أَوَّلَ مَرَّةٍ وَهُوَ بِكُلِّ خَلْقٍ عَلِيمٌ﴾

﴿مَنْ يُحْيِي الْعِظَمَ وَهِيَ رَمِيمٌ﴾ (٢)

\* الاستدلال بنوم الانسان والحيوان واستيقاظهما . فالنوم يعتبر  
موتاً مصغراً . والاستيقاظ يعتبر حياة مصغرة أيضاً . فكما تتم عملية  
النوم للإنسان والحيوان ، وعملية الاستيقاظ لهما تتم عملية الموت  
والحياة الكاملة لهما . جاء هذا الاستدلال في قول الله تعالى من سورة  
الأنعام :

﴿وَهُوَ الَّذِي يَتَوَفَّاكُم بِاللَّيْلِ وَيَعْلَمُ مَا جَرَحْتُم بِالنَّهَارِ ثُمَّ يَبْعَثُكُمْ فِيهِ  
لِيُقَصَّىٰ أَجَلٌ مُّسَمًّى ثُمَّ إِلَيْهِ مَرْجِعُكُمْ ثُمَّ يُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ (٣)

(١) الآية (٢٧)

(٢) الآيتان (٧٨ ، ٧٩)

(٣) الآية (٦٠)

الاستدلال بالأرض الميتة بسبب المحل ، والجذب ، والقحط ،  
حيث تنعدم فيها الحياة تماماً ، ثم ينزل بها الغيث ، أو تسقى بالماء  
فتعود إليها كما كانت وخيراً مما كانت نماء وازدهاراً . قال تعالى من  
سورة فصلت :

﴿وَمِنْ آيَاتِنَا أَنْكَ تَرَى الْأَرْضَ خَاشِعَةً فَإِذَا أَنْزَلْنَا عَلَيْهَا الْمَاءَ  
أَهْتَزَّتْ وَرَبَتْ إِنَّ الَّذِي أَحْيَاهَا لَمُحْيِي الْمَوْتِ إِنَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ  
قَدِيرٌ﴾ (١)

وقال تعالى من سورة الحج :

﴿وَتَرَى الْأَرْضَ هَامِدَةً فَإِذَا أَنْزَلْنَا عَلَيْهَا الْمَاءَ اهْتَزَّتْ وَرَبَتْ وَأُنَبِّتُ  
مِنْ كُلِّ زَوْجٍ بَهِيجٍ ﴿٢﴾ ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ وَأَنَّهُ يُحْيِي الْمَوْتِ وَأَنَّهُ  
عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ (٢)

\* الاستدلال بالقدره الكافيه التي بها خلق آدم من تراب ، وذريته  
من نطفه على إمكان المعاد والبعث ، وتقرير وقوعهما ، قال تعالى من  
سورة الحج :

﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِن كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِّنَ الْبَعْثِ فَإِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِّن تَرَابٍ ثُمَّ  
مِّن نُّطْفَةٍ ثُمَّ مِّن عِلْقَةٍ ثُمَّ مِّن مُّضْغَةٍ مُّخَلَّقَةٍ وَغَيْرِ مُخَلَّقَةٍ لِّنَبِّينَ لَكُمْ وَنُقَرُّ  
فِي الْأَرْحَامِ مَا نَشَاءُ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى ثُمَّ نُخْرِجُكُمْ طِفْلاً ثُمَّ لِنَبْلُوَكُمْ  
أَشَدَّكُمْ وَمِنْكُمْ مَّن يَتُوفَّىٰ وَمِنْكُمْ مَّن يَرْدُ إِلَىٰ أَرْدَلِ الْعُمْرِ لِكَيْلَا  
يَعْلَمَ مَن بَعْدَ عِلْمٍ شَيْئاً﴾ (٣)

(٣) الآية (٥) .

(٢) الأيتان (٥ ، ٦) .

(١) الآية (٣٩) .

\* الاستدلال بالقدرۃ علی خلق العوالم علی إِمکد إعادة حیاة

الناس بعد موتهم . وفناء أجسامهم ، قال تعالیٰ من سورة المؤمن :

﴿لَخَلْقُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ أَكْبَرُ مِنْ خَلْقِ النَّاسِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾ (١)

وفل عر وحل من سورة السّارعت

﴿إِنَّكُمْ أَنتُمْ أَشَدُّ خَلْقًا أَمَ السَّمَاءُ بَنَاهَا ﴿٢٧﴾ رَفَعَ سَمَكَهَا فَسَوَّيَهَا وَأَغْطَشَ فِيهَا وَخَرَجَ صُحُفَهَا ﴿٢٨﴾ وَالْأَرْضُ بَعْدَ ذَلِكَ دَحَاهَا ﴿٢٩﴾ أَخْرَجَ مِنْهَا مَاءَهَا وَمَرْعَاهَا ﴿٣٠﴾ وَالْجِبَالُ أَرْسَاهَا ﴿٣١﴾ مَتَاعًا لَّكُمْ وَلِأَنْعَمَ عَلَيْكُمْ﴾ (٢)

وقر تعالیٰ من سورة يس ردا علی من قال

﴿مَنْ يُحْيِي الْعِظَمَ وَهِيَ رَمِيمٌ﴾ (٣٢) قُلْ يُحْيِيهَا الَّذِي أَنشَأَ أَوَّلَ نَسْرَةٍ وَهُوَ بِكُلِّ خَلْقٍ عَلِيمٌ ﴿٣٣﴾ الَّذِي جَعَلَ لَكُم مِّنَ الشَّجَرِ الْأَخْضَرِ نَرًا فَمِنْهُ نَسْمُ مِنْهُ تَوْفِدُونَ ﴿٣٤﴾ أَوَلَيْسَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ بِقَدِيرٍ عَلَىٰ أَن يَخْلُقَ مِنْهُمْ بَلَىٰ وَهُوَ الْخَلَّاقُ الْعَلِيمُ ﴿٣٥﴾﴾ (٣)

\* الاستدلال باختلاف سنوك الناس في هذه الحیاة بالحیر والشر

والصلاح والفساد علی وجود حیاة أخرى يُحرى فيها كل عامل بما عمل

من حیر وشر ، لعدم استكمال المحاراة في هذه الحیاة ، قال تعالیٰ من

سورة آل عمران

(٥٧) ١

٢ ٣ ٤ ٥ ٦ ٧ ٨ ٩ ١٠ ١١ ١٢ ١٣ ١٤ ١٥ ١٦ ١٧ ١٨ ١٩ ٢٠ ٢١ ٢٢ ٢٣ ٢٤ ٢٥ ٢٦ ٢٧ ٢٨ ٢٩ ٣٠ ٣١ ٣٢ ٣٣ ٣٤ ٣٥ ٣٦ ٣٧ ٣٨ ٣٩ ٤٠ ٤١ ٤٢ ٤٣ ٤٤ ٤٥ ٤٦ ٤٧ ٤٨ ٤٩ ٥٠ ٥١ ٥٢ ٥٣ ٥٤ ٥٥ ٥٦ ٥٧ ٥٨ ٥٩ ٦٠ ٦١ ٦٢ ٦٣ ٦٤ ٦٥ ٦٦ ٦٧ ٦٨ ٦٩ ٧٠ ٧١ ٧٢ ٧٣ ٧٤ ٧٥ ٧٦ ٧٧ ٧٨ ٧٩ ٨٠ ٨١ ٨٢ ٨٣ ٨٤ ٨٥ ٨٦ ٨٧ ٨٨ ٨٩ ٩٠ ٩١ ٩٢ ٩٣ ٩٤ ٩٥ ٩٦ ٩٧ ٩٨ ٩٩ ١٠٠

(٣) ١ ٢ ٣ ٤ ٥ ٦ ٧ ٨ ٩ ١٠ ١١ ١٢ ١٣ ١٤ ١٥ ١٦ ١٧ ١٨ ١٩ ٢٠ ٢١ ٢٢ ٢٣ ٢٤ ٢٥ ٢٦ ٢٧ ٢٨ ٢٩ ٣٠ ٣١ ٣٢ ٣٣ ٣٤ ٣٥ ٣٦ ٣٧ ٣٨ ٣٩ ٤٠ ٤١ ٤٢ ٤٣ ٤٤ ٤٥ ٤٦ ٤٧ ٤٨ ٤٩ ٥٠ ٥١ ٥٢ ٥٣ ٥٤ ٥٥ ٥٦ ٥٧ ٥٨ ٥٩ ٦٠ ٦١ ٦٢ ٦٣ ٦٤ ٦٥ ٦٦ ٦٧ ٦٨ ٦٩ ٧٠ ٧١ ٧٢ ٧٣ ٧٤ ٧٥ ٧٦ ٧٧ ٧٨ ٧٩ ٨٠ ٨١ ٨٢ ٨٣ ٨٤ ٨٥ ٨٦ ٨٧ ٨٨ ٨٩ ٩٠ ٩١ ٩٢ ٩٣ ٩٤ ٩٥ ٩٦ ٩٧ ٩٨ ٩٩ ١٠٠

﴿كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ وَإِنَّمَا تُوَفَّقُونَ أُجُورَكُمْ يَوْمَ الْقِيَمَةِ  
فَمَن زُحِرَ حَنِ النَّارِ وَأُدْخِلَ الْجَنَّةَ فَقَدْ فَازَ وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا  
إِلَّا مَتَاعُ الْفُرُورِ ﴿١٨٥﴾﴾<sup>(١)</sup>

وقال تعالى من سورة يونس

﴿إِنَّهُ يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ لِيَجْزِيَ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ  
بِالْقِسْطِ وَالَّذِينَ كَفَرُوا لَهُمْ شَرَابٌ مِّنْ حَمِيمٍ وَعَذَابٌ أَلِيمٌ بِمَا كَانُوا  
يَكْفُرُونَ ﴿٢﴾﴾<sup>(٢)</sup>

وقال تعالى من سورة الليل :

﴿إِنَّ سَعْيَكُمْ لَشَتَّىٰ ﴿٣﴾ فَأَمَّا مَن أُعْطِيَ وَاتَّقَىٰ ﴿٤﴾ وَصَدَقَ بِالْحُسْنَىٰ  
فَسَنِيَرُهُ لِلْيُسْرَىٰ ﴿٥﴾ وَأَمَّا مَن يُجِلُّ وَاسْتَفْنَىٰ وَكَذَّبَ بِالْحُسْنَىٰ  
فَسَنِيَرُهُ لِلْعُسْرَىٰ ﴿٦﴾ وَمَا يُغْنِي عَنْهُ مَالُهُ إِذَا تَرَدَّىٰ ﴿٧﴾﴾<sup>(٣)</sup>

\* الاستدلال بالتكاليف الشرعية على وجود حياة أخرى يتم فيها  
الجزاء على القيام بتلك التكاليف ، وعلى تركها واهمالها ، اذ لم يتوفر  
جزاء كاف في هذه الحياة الدنيا على تلك التكاليف قال تعالى من سورة  
الملك :

﴿تَبَارَكَ الَّذِي يَبْدَأُ الْمُلْكَ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ الَّذِي خَلَقَ الْمَوْتَ  
وَالْحَيَاةَ لِيُبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا ﴿٥﴾﴾<sup>(٤)</sup>

(٢) الآية (٤) .

(١) الآية (١٨٥) .

(٣) شتى : متنوع مختلف .

(٤) الآيات (٤ - ١١) .

(٥) الأينان ( ١ ، ٢ ) .

وقال تعالى من سورة المؤمنون :

﴿ اٰخِسِبْتُمْ اَمَّا خَلَقْنٰكُمْ عَبَثًا <sup>(١)</sup> وَاَنْتُمْ اِلَيْنَا لَا تُرْجَعُونَ ﴿٢٠﴾ ﴾ <sup>(٢)</sup>

وقال تعالى من سورة القيامة :

﴿ اِيَحْسَبُ الْاِنْسَانُ اَنْ يُتْرَكَ سُدًى ﴿١﴾ ﴾ <sup>(٣)</sup>

### أدلة أخرى

١ - شعور كل أفراد البشر في جميع العصور والدهور ، وسواء منهم المتحضرين ، أو المتبدون ، شعور الجميع بوجود حياة ثانية بلقى فيها الإنسان جزاء عمله الذي قام به في هذه الحياة الدني من خير أو شر . وصلاح وفساد هذا الشعور العام دال على وجود المعاد والحياة الثانية ، إذ لا يمكن أن يعم هذا الشعور كل أفراد البشر ولا يكون له حقيقة في نفس الأمر ، ولا صورة له في الخارج ، وهو شعور كشعور الإنسان بالحاجة إلى الطعام ، والشراب الذي دل بوجوده وعمومه على وجود غذاء للإنسان لجوعه ، وماء لعطشه

٢ - ما تأكد لدى الناس اليوم من مناجاة الأرواح ومحاضنتها ، ورؤيتها دال على أن وراء هذه الحياة المادية حياة أخرى روحية وجمالية <sup>(٤)</sup> .

٣ - رؤى الناس المتعددة التي واكبت الحياة الانسانية ولم يخل

---

(١) عث لي لا تتركه ولا تهك إذ فعل الأمر وترك لمهى هو لعدة التي حس

الإنسان من أجه

(٢) الآية ١١٥١

(٣) " لي مهملا ، لا يؤمر ولا يهوى ولا يبعث ليحسب ويحرى " والآية برقم

(٣٦)

(٤) أصحاب هذه العقيدة يعتقدون أنهم ساجدون لأرواح البشر وأنهم فيها أرواح بعض نحن  
الإنسانين . ونسب أرواح من مات من البشر وذكرهم هذا ما فيه من إثبات عدم  
موت روحه . وحده بخلاف هذه العقيدة المادية

منها زمان ولا مكان . هذه الرؤى لأموات الناس في المنام ، والحديث معهم ، ومعرفة أحوالهم وسؤالهم ، وإخبار الأموات من رآهم في منامه بأمور غيبية فتكون طبق ما أخبروا به دلالة قطعية على الحياة الثانية .

### آخر الأدلة :

وآخر الأدلة ، وأعظمها على البعث ، والجزاء ، والحياة الآخرة أخبار الله تعالى ، وأخبار رسوله صلى الله عليه وسلم . إن من آمن بالله ، وملائكته ، وكتبه ، ورسله لا يجد داعياً للشك ، ولا مثاراً للجدل والنزاع في ثبوت المعاد ، وكل ما يتم فيه من حساب وجزاء ، إذ أخبار الله تعالى كلها صدق وحق ، فقد أخبر تعالى بآلاف الأخبار فلم تكن إلا وفق ما أخبر . كما أخبر رسوله بآلاف الأخبار فلم يتخلف منها خبر واحد عن مدلوله ، فكيف يعقل إذاً أن يخبر الله تعالى ويخبر رسوله بمئات الأخبار عن ثبوت الحياة الثانية ، وعن كل ما يجري فيها من بعث ، وحساب ، وجزاء ، ثم لا يصح شيء من ذلك ولا يثبت ، اللهم إن هذا باطل لا يصح ، ومحال لا يقبل ولا يعقل .

إن حتمية الفناء ، ووجود معاد كامل ، وحياة أفضل تحوي نعيماً للمحسنين الذين آمنوا وعملوا الصالحات ، وجحيماً للمسيئين الذين أشركوا وعملوا السيئات مما أخبر الله تعالى به ، وقررد في كل كتبه ، وعلى السنة جميع رسله فالشك فيه ضرب من المرض العقلي ، والهبوط الشخصي ، والعياذ بالله تعالى من ذلك .

### الحكمة في المعاد :

إن الحكمة من المعاد الأخروي الذي هو بعث الخلائق أحياء بعد موتهم وفنائهم ، أحياء كما كانوا يوم بدأ الله تعالى خلقهم ، هو مجازاة المكلفين منهم بحسب كسبهم الإرادي الاختياري الذي كسبه في هذه الدنيا ، لأن الدنيا دار عمل ، والآخرة دار جزاء قال تعالى :



﴿كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ وَإِنَّمَا تُوَفَّقُونَ أُجُورَكُمْ يَوْمَ الْقِيَمَةِ  
فَمَنْ زُحْزِحَ عَنِ النَّارِ وَأُدْخِلَ الْجَنَّةَ فَقَدْ فَازَ وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا  
إِلَّا مَتَاعُ الْفُرُورِ ﴿١٠١﴾﴾<sup>(١)</sup>

والناس يعيشون في هذه الحياة الدنيا متفاضلين تفاوت كبير في  
أرزاقهم ، وإحسانهم ، وأعمالهم ، وفي سعادتهم ، وسفاهتهم ، فمهم  
لطمه العثوره ، ومهم المظنوم المهبصوم ، ومهم النصحح لسببه ،  
ومهم المريض السقيم ، ومهم الغني الثري ، ومهم الفقير لشقي  
ومهم العزيز ، ومهم الذليل ، ومهم المحسن ، ومهم المسيء ، إلى  
غير هذا من التفاوت والاختلاف فلو أنهم يموتون بانقضاء أحدهم ، ولا  
يعتبرون لكأن ذلك مافيا للحكمة ، محابا للعدل ولرحمة ، ومن هه  
فصن لله تبارك وتعالي بالعت والجراء ، وحكم بهم ، فهما كاشان لا  
محاله ، فقد أمر رسوله محمد ﷺ أن يقسم عليهم في قوله من سورة التفس  
﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ كَفَرُوا إِن لَّنْ يُعْطُوا قُلُوبًا وَلَئِنْ وَرَّيْ لَتُبْعَثُنَّ ثُمَّ  
لَتُنَبَّيُنَّ بِمَا عَمِلْتُمْ وَذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ ﴿٢١﴾﴾<sup>(٢)</sup>

وقال تعالى من سورة النحل

﴿وَأَقْسَمُوا بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ لَا يَبْعَثُ اللَّهُ مَنْ يَمُوتُ بَلَى وَعْدًا عَلَيْهِ  
حَقٌّ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٢٨﴾﴾ لِيُبَيِّنَ لَهُمُ الَّذِي يُخْتَلَفُونَ فِيهِ  
وَلِيَعْلَمَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّهُمْ كَانُوا كَذِبِينَ ﴿٢٩﴾﴾ إِنَّمَا قَوْلُنَا لِشَيْءٍ إِذَا  
أَرَدْنَاهُ أَنْ نَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ ﴿٣٠﴾﴾<sup>(٣)</sup>

١ - الآية (١٠١) من سورة الزمر

٢ - الآية (٢١)

٣ - آيات (٢٨ ، ٢٩ ، ٣٠)

## وجوب الإيمان باليوم الآخر

إن الإيمان باليوم الآخر هو عبارة عن التصديق الجازم بانقلاب هائل يتم في الكون ، ويكون انتهاء هذه الحياة الدنيا بكاملها ، وابتداء حياة أخرى وهي الدار الآخرة بكل ما فيها من حقائق مدهشة ، من بعث الخلائق وحشرهم ، وحسابهم ، ومجازاتهم .

هذا الإيمان ليس واجباً فحسب بل هو أحد أركان ستة عليها تبنى عقيدة المؤمن ، فلا تتم إذا عقيدته إلا به ، ولا تصح إلا عليه ، قال تعالى :

﴿لَيْسَ الْبِرَّ أَنْ تُولُوا وَجُوهَكُمْ قَبْلَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنْ ءَامَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالْكِتَابِ وَالنَّبِيِّينَ﴾<sup>(١)</sup>

ولاهمية هذا المعتقد في حياة المؤمن ، ولأناره الكبرى في استقامة الفرد وصلاحه عنى القرآن الكريم به عناية لا تقل عن العناية بالإيمان بالله سبحانه وتعالى ، فقد ذكره في عشرات السور منه ، وفي مئات الآيات ، مرة بوصفه ، والحديث عنه كقوله تعالى :

﴿فَإِذَا نُفِخَ فِي الصُّورِ نَفْخَةٌ وَاحِدَةٌ ۖ وَحُمِلَتِ الْأَرْضُ وَالْجِبَالُ فَدُكَّتَا دَكَّةً وَاحِدَةً ۖ فَيَوْمَئِذٍ وَقَعَتِ الْوَاقِعَةُ ۖ ۝١٥ وَأَنْشَقَّتِ السَّمَاءُ فَهِيَ

(١) سورة البقرة الآية (١٧٧) .

يَوْمَئِذٍ وَاهِبَةٌ ﴿٣٧﴾ وَالْمَلَكُ عَلَى أَرْجَائِهَا وَيَحْمِلُ عَرْشَ رَبِّكَ فَوْقَهُمْ  
يَوْمَئِذٍ كُنُوسٌ ﴿٣٨﴾ يَوْمَئِذٍ تُعْرَضُونَ لَا تَخْفَى مِنْكُمْ خَافِيَةٌ ﴿٣٩﴾ فَأَمَّا مَنْ أُوْتِيَ  
كِتَابَهُ يَمِينًا فَيَقُولُ هَٰؤُلَاءِ أَقْرَبُ وَأَكْتَبُ ﴿٤٠﴾ إِنِّي ظَنَنْتُ أَنِّي مُلَاقٍ  
حَسْبٍ ﴿٤١﴾ فَهُوَ فِي عِيشَةٍ رَاضِيَةٍ ﴿٤٢﴾ فِي جَنَّةٍ عَالِيَةٍ ﴿٤٣﴾ قُطُوفُهَا  
دَانِيَةٌ ﴿٤٤﴾ كُلُوا وَشَرِبُوا هَيْثَ شِئْتُمْ بِمَا أَسْلَفْتُمْ فِي الْأَيَّامِ الْخَالِيَةِ ﴿٤٥﴾ وَأَمَّا  
مَنْ أُوْتِيَ كِتَابَهُ شِمَالًا فَيَقُولُ يَتْلُوَنَّ عَلَيَّ كِتَابِي هَٰذَا وَلَمْ أَدْرِ  
مَا حَسْبِي ﴿٤٦﴾ يَنْتَبِهْ كَتَبْتَ الْقَاضِيَةَ ﴿٤٧﴾ مَا أَغْنَىٰ عَنِّي مَالِيهٖ ﴿٤٨﴾  
هَٰذَا عَلَىٰ سُنْبُطِيهٖ ﴿٤٩﴾ خَذُوهُ فَعِلُوهُ ﴿٥٠﴾ ثُمَّ الْجَحِيمَ صَلُّوهُ ﴿٥١﴾ ثُمَّ  
فِي سِنِيهِ دَرْعًا مِّنْ ذِرَاعًا فَاسْلُكُوهُ ﴿٥٢﴾ إِنَّهُ كَانَ لَا يُؤْمِنُ بِاللَّهِ  
الْعَظِيمِ ﴿٥٣﴾ وَلَا يَحْضُ عَلَىٰ طَعَامِ الْمَسْكِينِ ﴿٥٤﴾ فَلْيَسَّرْ لَهُ الْيَوْمَ هَنَاقَ  
حَمِيمٍ ﴿٥٥﴾ وَلَا طَعَامَ إِلَّا مِنْ غِسْلِينٍ ﴿٥٦﴾ لَا يَأْكُلُهُ إِلَّا الْخَاطِفُونَ ﴿٥٧﴾

ومرة تقريره ، وتأکید معیته ، کفره تعالیٰ من سورة الحج :

﴿ ذَٰلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ وَأَنَّهُ يُخَيِّرُ الْمَوْتَىٰ وَأَنَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴾ ﴿١﴾  
﴿ إِنَّ السَّاعَةَ آتِيَةٌ لَا رَيْبَ فِيهَا وَأَنَّ اللَّهَ يَبْعَثُ مَنْ فِي الْقُبُورِ ﴾ ﴿٢﴾

ومرة معنی من سورة النعاس

﴿ رَعَى الَّذِينَ كَفَرُوا أَن لَّنْ يُبْعَثُوا قُلْ بَلَىٰ وَرَبِّي لَتُبْعَثُنَّ ثُمَّ لَتُنَبُّونَ  
عَمَّنَّكُمْ وَذَٰلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ ﴾ ﴿٣﴾

(٣) الآية (٧)

(٢) الأبدان (٦ ، ٧)

(١) سورة النعاس (١٣ - ٣٧)

ومرة بتعليق الاستقامة على الإيمان به ، كقوله تعالى .

﴿ذَلِكَ يُوعِظُ بِهِ مَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ﴾<sup>(١)</sup>

وقوله :

﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِمَنْ كَانَ يَرْجُوا اللَّهَ وَالْيَوْمَ  
الْآخِرَ﴾<sup>(٢)</sup>

ومرة بإثبات الهداية والفلاح للموقنين به ، وذلك كقوله تعالى :

﴿وَبِالْآخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ أُولَئِكَ عَلَى هُدًى مِنْ رَبِّهِمْ وَأُولَئِكَ هُمُ  
الْمُفْلِحُونَ﴾<sup>(٣)</sup>

ومما يؤكد أهمية هذا المعتقد ، ويجعله كالصمام لحياة الاستقامة

والطهر ، والخير هو ذكره مقروناً بالإيمان بالله تعالى ، وذلك كقوله

تعالى من سورة القرة :

﴿إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَالَّذِينَ هَادُوا وَالنَّصَارَى وَالصَّبِيَّانَ مَنْ ءَامَنَ بِاللَّهِ  
وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَعَمِلَ صَالِحًا فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ  
وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾<sup>(٤)</sup>

وكقوله تعالى :

﴿ذَلِكَ يُوعِظُ بِهِ مَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ﴾<sup>(٥)</sup>

(١) سورة الطلاق الآية (٢) وفي سورة البقرة الآية (٢٣٢) (ذلك يوعظ به من ثاب منكم

يؤمن بالله واليوم الآخر) .

(٢) سورة القرة الايتان (٤ ، ٥) .

(٣) سورة الأحزاب الآية (٢١) .

(٤) الموضع الثاني في سورة لقمان الايتان (٤ ، ٥) أيضا (وهم بالآخرة هم يوقنون ،

اولئك على هدى من ربهم واولئك هم المفلحون) .

(٥) سورة الطلاق الآية (٢) .

(٥) الآية (٦٢) .

وقوله تعالى :

﴿وَلَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلَا بِالْيَوْمِ الْآخِرِ﴾<sup>(١)</sup>

وقوله :

﴿إِنْ كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ﴾<sup>(٢)</sup>

في عدة آيات من كتاب الله تعالى .

فدلت هذه العناية القرآنية بهذين الركنين من أركان الإيمان على  
أيهما قوام حياة الروح ، وعليهما مدار استقامة المرء في هذه الحياة ،  
وأن الإيمان بدونهما ليس شيئاً ، وأن من عدمهما قد عدم كل خير ،  
وأن من افتقدهما فقد افتقد كل عناصر الخير والفصيلة في نفسه  
وأصبح من شر البرية .

وبالحكمة فإن معتقد الإيمان بالله واليوم الآخر هو رأس كل  
عقيدة ، وأساس كل إيمان ، وعليه مدار استقامة الإنسان ، وصلاح  
خُلُقِهِ ، وظهرته روحه ، وبدونه فالإنسان مخلوق لا خير فيه لا نفسه ،  
ولا لغيره ، وهو شر كله ، لا يؤمن حابه ، ولا يُضامن إبيه ، ولا تسكن  
أنفوس عنده ، وذلك لما انعدم عنده من أصول الخير ، ويسيع فقصبة  
ونكامل الشري

(١) سورة النمل الآية (٣٨)

(٢) سورة النمل الآية (٢) وسورة النمل الآية (٥٩)

## ظواهر الانقلاب الكوني أو أسرار الساعة

إن لكل كائن حي كالإنسان والحيوان ، أو نامٍ كالأشجار والنباتات علامات تظهر له عند دنو أجله ، وقرب ساعة هلاكه .

فالإنسان يشيب ويهرم ، ويمرض ويضعف ، ويكون ذلك علامة دنو أجله ، وقرب ساعة موته ، والحيوان في غالب أحواله كالإنسان يعتره الهرم والضعف ، وينتابه المرض فتخور قواه ، وتنحل بنيته ويهلك . والنبات كالزراع مثلاً يصفر ويبس ، ثم يذوي ، ويسقط ويبید .

هذه أجزاء من الكون يسبق هلاكها وفناءها علامات تؤذن بقرب ذلك ، والكون وهو كلُّ له (حتماً) علامات تدل على قرب فناءه ، ووقت دماره وخرابه ، قد جاء الوحي الإلهي بذكر تلك العلامات وبيانها ، ونهت الرسل عليها . ولفتت النظر إليها تحذيراً وتعليماً . ففي القرآن الكريم يقول تعالى من سورة (محمد) صلى الله عليه وسلم :

﴿فَهَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا السَّاعَةَ أَنْ تَأْتِيَهُمْ بَغْتَةً فَقَدْ جَاءَ أَشْرَاطُهَا فَأَنَّى لَهُمْ إِذَا جَاءَتْهُمْ ذِكْرُهُمْ ﴿١٨﴾﴾ (١)

ومن أسرارها التي جاء الوحي بذكرها : بعثة النبي محمد صلى

(١) الآية (١٨) .

اللہ علیہ وسلم ، وانشقاق القمر آیہ لہ علیہ الصلاۃ والسلام . أما بعثتہ صلی اللہ علیہ وسلم فقد كانت شرطاً من أشراف الساعة لأن نبوتہ ختم اللہ تعالیٰ بہا سائر النبوات . فلا نبي بعده ، وهذا إيدان بقرب بہایۃ الحیاۃ حیث لم تتطلب الفترۃ المتبقیۃ من عمر الحیاۃ لقصر زمہا ، لم تتطلب تجدد الشریع ببعثہ أنبیاء آخرین ، ولذا قال الرسول صلی اللہ علیہ وسلم فی الصحیحین : « بُعِثْتُ أَنَا وَالسَّاعَةُ كَهَاتَيْنِ وَأُشَارُ إِلَى أَصْبَعِيهِ السَّابَةِ وَالْوَسْطَى وَقرن بينهما » (۱) .

وأما انشقاق القمر فقد كان شرطاً من أشراف الساعة ؛ لأن اللہ تعالیٰ ذكرہ مقروناً بالإخبار باقتراب الساعة فقال تعالیٰ من سورة القمر : ﴿ أَقْتَرَبَتِ السَّاعَةُ وَانْشَقَّ الْقَمَرُ ۚ وَإِنْ يَرَوْا آيَةً يُعَرِّضُوا وَيَقُولُوا سِحْرٌ مُّسْتَمِرٌّ ۚ وَكَذَّبُوا وَاتَّبَعُوا أَهْوَاءَهُمْ وَكُلُّ أُمْرٍ مُّسْتَفِرٌّ ۖ ﴾ (۲) .

وقد انشق القمر فعلاً علی عهد النبی ﷺ ، حیث طلعت منہ قریش آیۃ تدل علی نبوتہ فدعا اللہ ، فانشق القمر فلقین علی حل أبي قیس ، علی مرأى من أهل مكة وهم ينظرون إليه » (۳) .

ونزید هذه الحقیقة توضیحاً فنقول : إن اللہ تعالیٰ مازال یبعث بالأنبیاء ، ویرسل بالرسل لهدایۃ الناس ، وإصلاحهم ، وإعدادهم للکمال الذی خلَقوا لہ فی الدنیا والأخرۃ . حتی ختم الرسالات برسائۃ نبیہ محمد ﷺ ، وأتم الشرائع بشریعتہ ، وجعلہ خاتم الأنبیاء ، وأحر أنه

(۱) معنی علیہ بمعہ المؤنث والمرحاح (۳/۳۱۴) ، والحراری (۶/۲۰۶) ومسنہ (۲۰۸/۸ ، ۲۰۹)

(۲) آیات ۱-۳

(۳) جاء هذا في حديث معنی علیہ كما تقدم المؤنث والمرحاح (۳/۲۰۸) ، والحراری (۴/۲۵۱) ، ومسلم (۸/۱۳۲ ، ۱۵۳)

لا نبي بعده ، فدل ذلك على أن الوقت الباقي من عمر هذه الدنيا قصير ، وأن الرسالة الأخيرة تتممها إصلاحاً وهداية ، فلا يحتاج معها البشر إلى وحي جديد ، وإلى رسالة ناسخة أو مجددة للشرائع والأحكام ، كما كانت الحال قبل هذه الرسالة الختامية ، ولهذا كانت بعثته ﷺ علامة من علامات قرب الساعة ، وانتهاء هذه الحياة الدنيا .

ومن الظواهر الكونية الخارقة للعادة التي ستظهر وتكون علامات الساعة ، وأشراتها لها ما جاء في الوحي الإلهي ( القرآن الكريم ) من نزول عيسى ابن مريم إلى الأرض حكماً عادلاً ، فقد جاء من سورة الزخرف قوله تعالى : ﴿ وَإِنَّهُ لَعَلَّمَ لِلسَّاعَةِ فَلَا تَمُوتُنَّ فِيهِ قَوْلُهُ تَعَالَى :

﴿ وَلَمَّا ضُرِبَ ابْنُ مَرْيَمَ مَثَلًا إِذَا قَوْمُكَ مِنْهُ يَصِدُون ۖ ﴾ (٥٧) وَقَالُوا ءَالِهَتُنَا خَيْرٌ أَمْ هُوَ مَا ضَرَبُوهُ لَكَ إِلَّا جَدَلًا بَلْ هُمْ قَوْمٌ خَصِمُونَ ﴿٥٨﴾ إِنَّ هُوَ إِلَّا عَبْدٌ أَنْعَمْنَا عَلَيْهِ وَجَعَلْنَاهُ مَثَلًا لِّبَنِي إِسْرَءِيلَ ﴿٥٩﴾ وَلَوْ نَشَاءُ لَجَعَلْنَا مِنْكُمْ لَكِهُنَّ فِي الْأَرْضِ يَخْلُفُونَ ﴿٦٠﴾ وَإِنَّهُ لَعِلَّمَ لِلسَّاعَةِ فَلَا تَمُوتُنَّ فِيهَا وَاتَّبِعُونِ هَذَا صِرَاطٌ مُسْتَقِيمٌ ﴿٦١﴾ ﴾ (١)

ومن تلك الظواهر أيضاً ظهور دابة الخلق ، تخرج إلى الناس ، فتكلمهم ، فيفتنون بها أيما افتنان ، فقد جاء من سورة النمل قوله تعالى :

﴿ وَإِذَا وَقَعَ الْقَوْلُ عَلَيْهِمْ أَخْرَجْنَا لَهُمْ دَابَّةً مِّنَ الْأَرْضِ تُكَلِّمُهُمْ أَنَّ النَّاسَ كَانُوا بِآيَاتِنَا لَا يُوقِنُونَ ﴾ (٨٢) ﴿١﴾

(١) الآيات (٥٧ ، ٦١) .

(٢) الآية (٨٢) .



ومنها نكسار سد يأجوج ومأجوج ، وخروج تلك الأمة المفسدة لدمرة  
لتعت في لأرض فساداً ، وترويع الناس أيام ترويع إدا جاء من سورة  
الأنبياء قوله تعالى :

﴿ حَتَّىٰ إِذَا فُتِحَتْ يَأْجُوجُ وَمَأْجُوجُ وَهُمْ مِنْ كُلِّ حَدَبٍ يَنْسِلُونَ وَاقْتَرَبَ  
الْوَعْدُ لَحَقَّ فِئْدٌ هِيَ تَحِصَّةٌ يُنْصَرُ الَّذِينَ كَفَرُوا ۖ ﴾<sup>(١)</sup>

هذا في الكتب ، وأما في السنة وهي من وحي الله فقد أخرج  
مسلم من رويته حديفة بن أسيد أن عذري رضي الله عنه قال : « أطلع  
النبي ﷺ علينا ونحن نتذاكر ، فقال ما تذكرون » قالوا نذكر الساعة  
قال إنها لن تقوم حتى ترون قبلها عشر آيات . فذكر الدخان ،  
والدخان ، والدابة ، وطلوع الشمس من مغربها ، ونزول عيسى بن  
مريم ، ويأجوج ومأجوج ، وثلاثة خسوف : خسف بالمشرق ،  
وخسف بالمغرب ، وخسف بجزيرة العرب . وآخر ذلك نار تخرج من  
الناس تطرد الناس إلى محشرهم »<sup>(٢)</sup>

وهذه من علامات الساعة الكبرى ، وستسقفها علامات صغرى  
وهي شرة حد ، وقد ظهر منها من يوم الإحصاء بها إلى الآن عدد  
كثير . ومن دبر بعضها نبه إلى أن العلامات الكبرى إذا ظهرت آية  
منها تدب حتى تكونها حررات في خيط متى سقطت واحدة ، تنبع  
باقى الحررات حتى تسقط . عن آخرها في زمن وجيز محدود ، وبرهة من  
الزمن قصيرة . كما أن العلامات الكبرى أولها ظهوراً طلوع الشمس من  
مغربها لحديث مسلم في « أن أول الآيات خروجا طلوع الشمس من  
مغربها ، وخروج الدابة على الناس ضحى ، وأيهما ما كانت قبل

(١) سورة الأنبياء : ٩٦ ، ٩٧

(٢) مسلم ( ٨ - ١٧٩ )

صاحبها فالأخرى على إثرها قريباً» (١).

هذا ولنعلم هنا أن هذه العلامات الكبرى إذا ظهرت منها علامة أغلق باب التوبة على الناس ، فلم يقبل إيمان عبد بعدها لم يكن قد آمن من قبل ، كما لم يقبل منه خير لم يقدمه قبل رؤية الآية وظهورها ، وذلك لقول الله تعالى من سورة الأنعام :

﴿هَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا أَنْ تَأْتِيَهُمُ الْمَلَائِكَةُ أَوْ يَأْتِيَ رَبُّكَ أَوْ يَأْتِيَ بَعْضُ آيَاتِ رَبِّكَ يَوْمَ يَأْتِي بَعْضُ آيَاتِ رَبِّكَ لَا يَنْفَعُ نَفْسًا إِيْمَانُهَا لَمْ تَكُنْ ءَامَنَتْ مِنْ قَبْلُ أَوْ كَسَبَتْ فِي إِيمَانِهَا خَيْرًا﴾ (٢)

وهذا جدول بالآيات الصغرى ما ظهر منها حتى الآن وما لم يظهر منها بعد ، نقدمه كما ورد عن رسول الله ﷺ .

١ - قوله ﷺ في رواية الصحيحين : « لا تقوم الساعة حتى تقتل فئتان عظيمتان ، وتكون بينهما مقتلة عظيمة ، ودعواهما واحدة » (٣)  
هذه العلامة قد ظهرت كما أخبر بها رسول الله ﷺ :

إذا المراد من الفئتين عليّ ومن معه ، ومعاوية ومن معه رضي الله عنهم أجمعين ، والمقتلة العظيمة كانت بصفين .

(١) مسلم ( ٢٠٢/٨ ) .

(٢) الآية ( ١٥٨ ) وروى مسلم عن أبي هريرة قال : قال رسول الله ﷺ : ثلاث إذا حرج لا ينفع نفساً إيمانها لم تكن آمنت من قبل أو كسبت في إيمانها شيئاً طلوع الشمس من مغربها ، والدجال ، ودابة الأرض ( ٩٥/١ ، ٩٦ ) وروى البخاري « لا تقوم الساعة حتى تطلع الشمس من مغربها فإذا طلعت فراها الناس أحموه فذلك حين لا ينفع إيمانها ما لم تكن آمنت من قبل أو كسبت في إيمانها خيراً » ( ١٣٢/٧ ) ، واللؤلؤ والمرحان ( ٣١/١ ) .

(٣) اللفظ لمسلم ( ١٧٠/٨ ) واللؤلؤ والمرحان ( ٣٠٣/٣ ) والبخاري ( ٢٤٣/٤ )

٢- قوله ﷺ في رواية مسلم : « لا تقوم الساعة حتى يكثر الهرج ، قالوا : وما الهرج يا رسول الله ؟ قال : القتل القتل »<sup>(١)</sup> . وقد ظهرت هذه العلامة فعلاً فإن الحروب التي تفج في هذه الظروف قتلها لا يعدون بالعشرات ولا بالمئات ، ولا حتى بالآلاف بل بعشرات الآلاف ومئاتها . في حين أن قتلى حروب الإسلام الأولى التي كانت على عهد رسول الله ﷺ والتي دامت زهاء عشر سنوات ، لم تتجاوز ألفين وخمسمائة قتيل حسب إحصائية وثيقة ذكرها غير واحد<sup>(٢)</sup> .

٣- قوله ﷺ في رواية الصحيحين عن أبي هريرة « لا تقوم الساعة حتى يحسّر الفرات عن جبل من ذهب يقتل الناس عليه »<sup>(٣)</sup> . هذه علامة لم تظهر بعد .

٤- قوله ﷺ في صحيح مسلم : « منعت العراق درهمها وقبضها ، ومنعت الشام مديها ودينارها ، ومنعت مصر إردبها ودينارها ، وعدتم من حيث بدأت » الحديث<sup>(٤)</sup> .

وهذه العلامة قد ظهرت كاملة ، فقد ذهبت الخلافة الإسلامية منذ زمن واستقل أهل العراق بعراقهم ، وأهل الشام بشامهم ، وأهل مصر بمصرهم ، وانقطع ما كان يأتي أهل الحجاز من تلك البلاد من حراج وغيره ، وعاد الأمر في الحجاز كما كان قبل فتح تلك البلاد ، وفي هذا

١- مسلم ( ٨ ، ١٧٠ ، ١٧١ )

٢- لقد سمعت هذا السقف من عبد الشيع أبو الحسن سدوي ، وكده في مسنده  
... لا يصدق أنه شئت

٣- مسند أحمد ( ٨ ، ١١٤ ) ، مؤلفه والمبرج ( ٣ / ٣٠٥ ) ، وسحاري ( ٩ / ٧٣ ) ، وسنن

٤- مسلم ( ٨ ، ١٧٥ )

الحديث آية من أعظم الآيات على صدق نبوة محمد ﷺ ، وثبوت رسالته ، إذ أخبر بهذا الغيب والإسلام لم يتجاوز أرض الجزيرة العربية ، فأخبر بأن العراق والشام ومصر ستفتح وتكون دار إسلام ، ويأتي منها الخير الكثير لأهل الحجاز ثم بعد ذلك يطراً عليها ما يجعلها تمنع ما كانت تعطيه لأهل الحجاز . فتم كل ذلك حرفياً ، ولم يتخلف منه شيء قط ، فصلى الله وسلم على محمد نبي الله ورسوله صدقاً وحقاً . وبالحقيقة من كفر به ؛ ولم يتبعه فيما جاء به .

٥ - قوله ﷺ في الصحيحين : « لا تقوم الساعة حتى تخرج نارٌ من أرض الحجاز تُضيءُ أعناق الإبل ببصرى »<sup>(١)</sup> . وقد ظهرت هذه العلامة كما أخبر ﷺ ؛ فقد احترقت الحرة الشرقية من المدينة النبوية ، واستمرت النار ملتهبة فيها مدة طويلة ، ولهبها يرى من بصرى الشام . وما زالت ججارتها سوداء محترقة كالفحم إلى الآن ، وكان ظهور هذه النار ليلة الأربعاء ثالث جمادى الآخرة من عام (٦٥٤) هـ .

٦ - قوله ﷺ في الصحيحين : « لا تقوم الساعة حتى تضطرب أليات نساء دؤوس حول ذي الخلصة ، وكانت صنماً تعبدها دؤوس في الجاهلية يتباله »<sup>(٢)</sup> . وقد ظهرت هذه العلامة وفق أخباره ﷺ ، فقد عادت الجاهلية إلى أرض الجزيرة قبيل دعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب رحمه الله تعالى فعُبدت الأشجار والأحجار ، وانتشر ذلك في شتى بلاد العالم الإسلامي فذُبِحت الذبائح ، وأوقدت الشموع ، ونذرت النذور للمزارات والأضرحة والقبور بصورة عجيبة ، وعلى مرأى ومسمع من كثير من علماء المسلمين ولا حول ولا قوة إلا بالله ، وفي هذا الخبر

(١) اللؤلؤ والمرجان (٣/٣٠٥) ، والبخاري (٩/٧٣) ومسلم (٨/١٨٠) .

(٢) متفق عليه واللفظ لمسلم (٨/١٨٢) واللؤلؤ والمرجان (٣/٣٠٦) ، والبخاري (٩/٧٣) .

انسوى الشريف والدي تم طفق ما أخبر به الصادق المصدق صلى الله عليه وسلم رد على الذين يزعمون أن هذه الأمة لا يقع بينها الشرك ، ولا يوحد بينها من يعمل به مستدلين بقوله صلى الله عليه وسلم « إن الشيطان قد يش أن يعبد المصلون في جزيرة العرب » (١) .

وفتهم أن يفهموا أن يأس الشيطان ليس حجة في عدم وجود شرك في الأمة الإسلامية إن الشيطان يش من أن يُعبد في الجزيرة العربية لم رأى اعلام التوحيد مشورة على ربوعها ، وأهل كلمة التقوى الذين هم أحق بها وأهلها من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم بملاور كل أحوالها وأزجائها تهنيلاً وتكبراً ، وتحميداً وتسبيحاً فيس تسعين ، ولكن ما إن ذهب ذلك الحبل الذي رباه القائد الأعظم محمد صلى الله عليه وسلم وما تلاه من أجيال ، وجاءت أجيال أخرى لم تذق صمته تشربة السوية ، ولم تعرف بحق هدى الله الذي جاء به رسوله صلى الله عليه وسلم ، فحافظ أعمالها الشرك ، وداخل بعض معتقداتها تزيح ونضالات حتى ذهب عن الشيطان بأسمه الأول ، وعاد إليه الأمل المفقود ، ومدان يحسن لكثير من أفراد أمة الإسلام الشرك ، والعمل به حتى أصبح الشرك أكثر فشواً في الأمة من التوحيد ، وكفى بالواقع تدهراً على ما بقول ودليلاً ، وصدق الله العظيم إذ يقول :

﴿ وَمِنْهُمْ مَّنْ كَثُرْهُمْ بِاللَّهِ إِلَّا وَهُمْ مُّشْرِكُونَ ﴾ (٢)

٧ - قوله صلى الله عليه وسلم في الصحيحين : « لا تقوم الساعة

(١) - ١٠ مسلم (١٤٨/٨) وله تنبيه وزواه الترمذي لمعطف « إلا أن الشيطان قد أبس أن يعبد في بلادكم هذه البدا ، ولكن ستكون له طاعة فيما تحتفرون من أعمالكم وسيروى به » ، كتاب الترمذي ، باب ٢٥ ، وأحمد (٢/٢٦٨ ، ٣/٣١٣ ، ٣٥٤ : ٣٦٦ ، ٣٨٤ ، ٧٣٠٥) ، والترمذي في نفس أيضاً باب (٢) .  
(٢) - سورة يوسف آية (١٠٦)

حتى يخرج رجلٌ من قحطانٍ يسوقُ الناسَ بعصاهُ»<sup>(١)</sup>. وهذه العلامة لم تظهر بعد . .

٨ - قوله صلى الله عليه وسلم في الصحيحين : « لا تقومُ الساعةُ حتى يقاتلُ المسلمون اليهودَ ، فيقتلهمُ المسلمونَ حتى يختبئُ اليهوديُّ من وراء الحجر والشجر فيقولُ الحجرُ أو الشجرُ يا مسلمُ يا عبدَ الله هذا يهوديُّ خلفي فتعالَ فاقتلهُ : إلا الفرقدُ فإنه من شجرِ اليهودِ »<sup>(٢)</sup>.

وقد بدت بوادر هذه العلامة تلوح في الأفق ، فقد قاتل العرب المسلمون اليهود في عدة معارك في أرض فلسطين ، وسوف يستمر قتالهم لهم حتى يكتب الله النصر للمسلمين ، ويستأصلون اليهود من أرض القدس نهائياً .

٩ - قوله ﷺ : « بادروا بالأعمال فتناً كقطع الليل المظلم يصبحُ الرجلُ مؤمناً ، ويمسي كافراً ، ويمسي مؤمناً . ويصبحُ كافراً يبيعُ دينه بعَرَضٍ من الدنيا »<sup>(٣)</sup> وقد أخذت هذه العلامة في الظهور ، ووقع لعدد كثير من الناس ما حمله هذا الخبر النبوي الصادق .

---

(١) اللؤلؤ والمرجان (٣٠٧/٣) ومسلم (١٨٣/٨) والبخاري (٧٣/٩) .  
 (٢) متفق عليه واللفظ لمسلم (١٨٨/٨) والبخاري (٥١/٤) واللؤلؤ والمرجان (٣٠٨/٣) .  
 (٣) مسلم (٧٦/١) .

## آيات قريبة جداً من قيام الساعة

هذه بعض آيات أخرى تدل على قرب الساعة ، ولكنها قريبة جداً من قيام الساعة ، ولذا لم يظهر منها شيء بعد وهي :

١ - في قوله صلى الله عليه وسلم : « لا تزال طائفة من أمتي يقاتلون على الحق ظاهرين إلى يوم القيامة » ، قال : فينزل عيسى ابن مريم فيقول أميرهم تعال صل لنا ! فيقول : لا ، إن بعضكم على بعض أمراء ، تكرمة الله لهذه الأمة <sup>(١)</sup> .

٢ - في قوله صلى الله عليه وسلم في الصحيحين : « تقوم الساعة والرجل يحلب اللقحة <sup>(٢)</sup> » فما يصل الإناء إلى فيه حتى تقوم ، والرجلان يتبايعان الثوب فما يتبايعانه حتى تقوم ، والرجل يلوط <sup>(٣)</sup> حوضه فما يصدر حتى تقوم <sup>(٤)</sup> .

٣ - في قوله صلى الله عليه وسلم في الصحيحين : « والله لينزلن

(١) (٩٥/١٠) روى البخاري « كيف أنتم إذا نزل من مريم فيكم وإمامكم معكم »

(٢) (٢٠٤/٤ ، ٢٠٥/٤) للؤلؤ والمرجان (٣١/١) ، ومسلم (٩٤/١)

(٣) (١٠٠/٤) طائفة من أمتي

(٤) لاحظ خصوص بنو نضلة ، مدبره بن نضلة ، شلا بن شلف المراء وهذا اللفظ يروى بالفتح

حسن ، مسلم ، ومسلم

(٤) اللفظ مسلم (٣١٠/٨) ولبخاري معناه (٧٤/٩)

ابن مريم حكماً عادلاً ، فليكسرن الصليب ، وليقتلن الخنزير ،  
وليضعن الجزية ، ولتركن القلاص<sup>(١)</sup> ، فلا يُسمى عليها ، ولتذهبن  
الشحناء والتباغض والتحاسد ، وليدعون إلى المال فلا يقبله أحد<sup>(٢)</sup> .

٤ - في قوله ﷺ في صحيح مسلم : «إِنَّ اللَّهَ يَبْعُثُ رِيحاً مِنْ  
الْيَمَنِ ، أَلِينُ مِنَ الْحَرِيرِ فَلَا تَدْعُ أَحداً فِي قَلْبِهِ - قَالَ أَبُو عُلْقَمَةَ : مَثْقَلُ  
حَبَّةٍ مِنْ إِيْمَانٍ إِلَّا قَبَضَتْهُ»<sup>(٣)</sup> .

٥ - في قوله ﷺ في صحيح مسلم أيضاً : «لَا تَقُومُ السَّاعَةُ إِلَّا  
عَلَى شَرَارِ النَّاسِ»<sup>(٤)</sup> .

---

(١) القلاص : واحدها القلوص وهي الشابة من الإبل ، الطويلة الفوائم .  
(٢) متفق عليه واللفظ لمسلم (٩٤/١) واللؤلؤ والمرجان (٣١/١) ، والبخاري  
(١٠١/٣ ، ١٠٢) بمعناه .  
(٣) (٧٦/١) .  
(٤) (٢٠٨/٨) ، ورواه البخاري بلفظ «من شرار الناس من تدركهم الساعة وهم أحياء»  
(٦١/٩) ، واللؤلؤ والمرجان (٣١٤/٣) .



(بداية الانقلاب الحقيقي)

هذا ذكر منه حل حلالة . وعصمة سبطه بانقراض النكور . ونشأة هذه الحجة الأولى أمر منك يدعى إسرافيل أن يفتح في تصور نفخة واحدة لنفسه ويفتح صفحة ويصطب النكور كند مخلخللة عيفة فتحل به كل نوره على التي كنت ترضى بين حر - نكور . فترتج الأرض رجاً عيفاً . يترنن من لا مروعاً . . . وتندك مع حنانه دك . فتصير هذه مُسْأ

فِيصَابُ نِسَاءٍ يَنْظُرْنَ عَظِيمًا يَبْصُلُ مَعَهُ قُبُورُنَّ يُخَدِّبُهُنَّ مَعْرُوفٌ  
لَهُنَّ فِسْأُهُنَّ كُفُوكَ . وَتَكْدُرُ الشَّمْسُ . وَيَذْهَبُ صَوْنُ النُّكْلِ . وَيَقْدُرُ  
الْحَمِيمُ كِبَاءَهُ . فَيَنْصَبُهُنَّ نَيْتٌ وَأَحْرَامُ نِسْبَتِيَّةٍ حَمِيمٍ مَحْرَمَتُهُ إِذْ هِيَ  
لَا تَسْتَحْسِنُ لِحَدَثِ حَمِيمٍ . ١٢ . هَذَا الْعَلَمُ كَيْفَ سَدِيدِهِ وَحَارِ كَمَا كَانَ قَبْلَ  
الْحَدَثِ وَحَمِيمٍ بِهِ تَعْلَى لَهُ

4-10-1971

ہم سب سے پہلے آپ کی ہمدردی کی دعا کرتے ہیں کہ اللہ تعالیٰ آپ کو صحت و شفا عطا فرمائے۔

[illegible]

42 75 4 4 42

$(\lambda, \mu) = (0, 0)$  für  $\lambda = \mu = 0$ ,  $\lambda = \mu = 1$ ,  $\lambda = \mu = 2$ ,  $\lambda = \mu = 3$ ,  $\lambda = \mu = 4$

[illegible]

الكوني لقيام الساعة لم يكن مستقى من مجرد النظريات الكونية ، ولا مستقى من تقولات الناس وتنبؤاتهم ، ولا من تكهّنات المعينين بمثل هذه الأحداث الكونية ، وإنما هو الحق اليقين الثابت بالوحي الإلهي ، الواصل بواسطة جبريل الروح الأمين المنزل على قلب سيد المرسلين محمد ﷺ .

وما هي ذي آيات الله رب الكون وخالفه تنطق بكل ما سيجري فيه ، وعليه ، قال تعالى في فاتحة سورة الحج :

﴿يَأْتِيهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ إِنَّ زَلْزَلَةَ السَّاعَةِ شَيْءٌ عَظِيمٌ ① يَوْمَ تَرَوْنَهَا تَذْهَلُ كُلُّ مُرْضِعَةٍ عَمَّا أَرْضَعَتْ وَتَضَعُ كُلُّ ذَاتِ حَمْلٍ حَمْلَهَا وَتَرَى النَّاسَ سُكَرَىٰ وَمَا هُمْ بِسُكَرَىٰ وَلَٰكِنَّ عَذَابَ اللَّهِ شَدِيدٌ ②﴾

وقال تعالى في فاتحة القارة :

﴿الْقَارِعَةُ ③ مَا الْقَارِعَةُ ④ وَمَا أَذْرَكَ مَا الْقَارِعَةُ يَوْمَ يَكُونُ النَّاسُ كَالْفَرَاشِ الْمَبْثُوثِ وَتَكُونُ الْجِبَالُ كَالْعِهْنِ الْمَنْفُوشِ ⑤﴾

وقال تعالى من سورة المعارج :

﴿يَوْمَ تَكُونُ السَّمَاءُ كَالْمُهْلِ ⑥ وَتَكُونُ الْجِبَالُ كَالْعِهْنِ ⑦ وَلَا يَسْأَلُ حِمِيمٌ حَمِيمًا يُبْصِرُونَهُمْ يَوْمَ الْمُجْرِمِ لَوْ يَفْقَدِي مِنْ عَذَابِ يَوْمِئِذٍ بَنِيهِ ⑧ وَصَحْبَهُ ، وَأَخِيهِ ⑨ وَفَصِيلَتِهِ الَّتِي تُفَوِّهِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا ثُمَّ يُنْجِيهِ ⑩ كَلَّا إِنَّهَا لَأَطْفَىٰ ⑪﴾

(١) الأيتان (١ ، ٢) .

(٢) الأيات (١ - ٥) .

(٣) الأيات (٨ - ١٥) .

وقال تعالى من أول سورة الزلزلة :

﴿ إِذَا زُلْزِلَتِ الْأَرْضُ زِلْزَالَهَا ۖ وَأُخْرِجَتِ الْأَرْضُ أَثْقَالَهَا ۖ ﴾  
وَقَالَ الْإِنْسَانُ مَا هَٰذَا <sup>(١)</sup>

٥ - وقال تعالى :

﴿ إِذَا السَّمَاءُ أَنْفَطَرَتْ ۖ وَإِذَا الْكَوَاكِبُ انْتَثَرَتْ ۖ ﴾  
وَإِذَا الْبِحَارُ فُجِّرَتْ <sup>(٢)</sup>

وقال تعالى :

﴿ إِذَا الشَّمْسُ كُوِّرَتْ ۖ وَإِذَا النُّجُومُ انْكَدَرَتْ ۖ وَإِذَا الْجِبَالُ سُيِّرَتْ ۖ ﴾  
وَإِذَا الْعِشَارُ عُطِّلَتْ ۖ وَإِذَا الْوُحُوشُ حُشِرَتْ ۖ وَإِذَا الْبِحَارُ سُجِّرَتْ <sup>(٣)</sup>

وقال تعالى :

﴿ إِذَا وَقَعَتِ الْوَاقِعَةُ ۖ لَبِئْسَ لَوْفَعَتِهَا كَاذِبَةٌ ۖ ﴾  
خَافِضَةٌ رَافِعَةٌ <sup>(٤)</sup> إِذَا رُجَّتِ الْأَرْضُ رَجًا ۖ وَبُسَّتِ الْجِبَالُ بَسًّا ۖ فَكَانَتْ هَبَاءً مُنْبَثًا <sup>(٥)</sup>

(١) الآيات (١ - ٣)

(٢) ذات (١ - ٣) من سورة الانعطار

(٣) الآيات (١ - ٦) من سورة التكويد

(٤) الآيات (١ - ٦) من سورة الواقعة

## نشوء الحياة الثانية بعد انتهاء الأولى

إنه لا مجال للعقل البشري في معرفة الحياة الثانية وإدراكها ، ولا في بدء نشأتها ، وكيفية وجودها ، وكل ما في الأمر أن العقل البشري يجيز ولا يحيل وجود حياة كهذه الحياة ، أو أرقى منها بالقياس إلى هذه الحياة ، إذ القدرة الفاعلة المختارة التي كان بها هذا الكون ، ووجدت بها هذه الحياة ، في إمكانها عقلاً أن تحدث كوناً وحياة أرقى وأفضل من الكون السابق ، والحياة المتقدمة .

وبناء على هذا فإن نشأة الحياة الثانية مرد معرفتها إلى إخبار الله تعالى في كتبه ، وإخبار رسله عليهم الصلاة والسلام . وأن مجمل ما عرفناه عن نشوء الحياة الثانية هو : أنه بعد فناء العالم بنفخة إسرافيل نفخة الفناء ، كما تقدم آنفاً<sup>(١)</sup> - وبعد مضي أربعين سنة لا ندري هل أيامها وشهورها مقدرة بأيام حياتنا هذه أو بأيام وشهور أخرى لا تخضع للنظام الشمسي الذي كانت به أيامنا وأعوامنا هذه ؟؟ بعد مضي هذا الزمن ينزل من السماء ماء ، فتنبث الأجسام تحت الأرض كما ينبث البقل ، وذلك بواسطة تفاعل الماء مع بذرة الحياة التي هي عبارة عن عظيم صغير يوجد في آخر فقرات الظهر من كل إنسان وجد في هذه الحياة الدنيا ، يسمى عَجَب الذَنْب . فإذا تم الخلق ، واكتمل النمو ، وأصبحت الأجسام هياكل تامة التكوين تحت الأرض لا ينقصها إلا أن

(١) في ص (٣٤٦) فصل : بداية الانقلاب الحقيقي .

تحلها الأرواح ، فتدب فيها الحياة وتحرك ، وتقوم ، أرسل الله الخلق سبحانه وتعالى الأرواح التي قبضها ملك الموت يوم وفاة كل إنسان في هذه الحياة ، وأودعت في مستودعات بعضها في العالم العلوي وهي الأرواح الطاهرة الطيبة نتيجة إيمان صاحبها ، وعمله الصالح ، وتركه الشرك والمعاصي . وبعضها في العالم السفلي وهي الأرواح الحبيثة نتيجة كفر صاحبها ، وارتكاب الجرائم والآثام . فتدخل تلك الأرواح الآتية من مستودعاتها الأجسام التي هيئت لها فتحيا : ثم ينادي ملائكة تبارك وتعالى : أن قوموا لربكم ، فتسمع وتحيب ، وتشرق لأرض عنهم بسرعة ويقومون من قبورهم أحياء للحشر بعد أن تم الشر

وهذه المعلومات اليقينية التي سقناها ، وكشفنا بها عن كيفية المعاد وبدء الحياة الثانية ، وطريقة نشوئها ، جاءت بها آيات قرآنية ، وصحت بها سنن نبوية لا محال أبداً لإنكردها ، أو الشك فيها . وهذا هو سرورهم محمليين لها فيما يلي -

قال تعالى من سورة الحاقة

﴿فَإِذَا نُفِخَ فِي الصُّورِ نَفْخَةٌ وَاحِدَةٌ ۖ وَحُمِلَتِ الْأَرْضُ وَالْجِبَالُ فَدُكَّتَا دَكَّةً وَاحِدَةً ۖ فَيَوْمَئِذٍ وَقَعَتِ الْوَاقِعَةُ ۖ ۝١٥ وَأَنْشَقَّتِ السَّمَاءُ فَهِيَ يَوْمَئِذٍ وَاهِيَةٌ ۖ ۝١٦ وَالْمَلِكُ عَلَىٰ أَرْجَائِهَا وَيَحْمِلُ عَرْشَ رَبِّكَ فَوْقَهُمْ يَوْمَئِذٍ كَمَلِيَّةٌ ۖ ۝١٧ يَوْمَئِذٍ تُعْرَضُونَ لَا تَخْفَىٰ مِنْكُمْ خَافِيَةٌ ۖ ۝١٨﴾

وقال تعالى من سورة ق .

﴿وَأَسْمِعْ يَوْمَ يُنَادِ الْمُنَادُ مِنْ مَّكَانٍ قَرِيبٍ ۖ يَوْمَ يَسْمَعُونَ أَصْبَحًا بِالنَّخْلِ ۚ ذَٰلِكَ يَوْمَ الْخُرُوجِ ۖ ۝١٢ إِنَّا نَحْنُ نُحْيِيهِ وَنُمِيتُهُ وَإِلَيْنَا الْمَصِيرُ ۖ ۝١٣﴾

(١) الآيات (١٣ ، ١٨)

يَوْمَ تَشَقُّ الْأَرْضُ عَنْهُمْ سِرَاعًا ذَلِكَ حَشْرٌ عَلَيْنَا يَسِيرٌ ﴿١١﴾  
وقال تعالى من سورة القمر :

﴿يَوْمَ يَدْعُ الدَّاعُ إِلَى شَيْءٍ نُّكْرٍ ﴿٦﴾ خَشَعًا أَبْصَرُهُمْ يَخْرُجُونَ مِنَ الْأَجْدَاثِ كَأَنَّهُمْ جَرَادٌ مُنتَشِرٌ ﴿٧﴾ مُهْطِعِينَ إِلَى الدَّاعِ يَقُولُ الْكَافِرُونَ هَذَا يَوْمٌ عَسِرٌ ﴿٨﴾﴾ ﴿٧﴾

وقال تعالى من سورة المعارج :

﴿يَوْمَ يَخْرُجُونَ مِنَ الْأَجْدَاثِ سِرَاعًا كَأَنَّهُمْ إِلَى نُصُبٍ يُوفِضُونَ خَشِيعَةً أَبْصَرُهُمْ تَرَهِقُهُمْ ذَلَّةٌ ذَلِكَ الْيَوْمُ الَّذِي كَانُوا يُوعَدُونَ ﴿٤٤﴾﴾ ﴿٣﴾

وقال تعالى من سورة الإسراء :

﴿فَسَبِّحُوا لِلَّهِ مِمَّا يُعْبَدُ قُلِ الَّذِي فَطَرَكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ فَسَبِّحُوا لَهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَسُحُبٌ مُتَنَزِّلَةٌ عَنْهُ يَوْمَ يَقُودُ الرَّسُولُ سِرَّةً ﴿١٠٠﴾﴾ ﴿٤٥﴾

وقال رسول الله ﷺ في حديث البخاري ومسلم واللفظ له : « ما بين الفختين أربعون قالوا : يا أبا هريرة أربعون يوماً ؟ قال : أبيت ، قالوا : أربعون شهراً ؟ قال أبيت ، قالوا أربعون سنة ؟ قال أبيت ، ثم ينزل من السماء ماء فينبتون كما ينبت البقل . قال : وليس من الإنسان شيء إلا يبلو إلا عظماً واحداً وهو عجب الذنب ، ومنه يركب الخلق يوم القيامة » (٥) .

(١) الآيات (٤١ - ٤٤) .

(٢) الآيات (٦ - ٨) . (٣) الآيات (٤٣ - ٤٤) . (٤) الآيات (٥١ - ٥٢) .

(٥) لم يجزم أبو هريرة راوي الحديث بتفسير لفظ الأربعين هل هو أربعون يوماً ، أو شهراً ، أو عاماً غير أنه ورد في رواية أخرى مفسراً بلفظ ( سنة ) قاله النووي في شرحه على مسلم ( ٨١٣/٥ ) طبعة الشعب تحقيق وإشراف عبد الله أحمد أبو زينة . والحديث في اللؤلؤ والمرحان ( ٣/ ٣١٥ ) ، والبخاري ( ١٥٨/٦ ) ، ٢٠٥ ) ، ومسلم ( ٢١٠ / ٨ ) .

## الحشر

### والموقف الصعب في عرصات القيامة

ما هو الحشر :

إن الحشر عبارة عن جمع الخلائق بعد بعثهم أحياء في ساحة واحدة تدعى عرصات القيامة ، وذلك لفصل القضاء ، وهو الحكم فيما بينهم من أجل مجازاتهم . فالناس إذا بُعثوا من قبورهم أحياء ، حفاة ، عراة ، غرلاً ، كما بدأ الله تعالى خلقهم أولاً يعيده ثانياً ، قال تعالى من سورة الأنبياء :

﴿ كَذَّبْنَا أَوَّلَ خَلْقٍ نَعِيدُهُ وَعَدَّا عَلَيْهِمْ إِنَّا كُنتُمْ فَاعِلِينَ ﴾<sup>(١)</sup>

وقال الرسول ﷺ في الصحيحين : «يحشرُ الناسُ يومَ القيامةِ على أرضٍ بيضاءَ عفراءَ كقرصةِ النقي ليس فيها علمٌ لأحدٍ»<sup>(٢)</sup> وقال في الصحيحين أيضاً : « يحشرُ الناسُ يومَ القيامةِ حفاةَ عراةَ غرلاً »<sup>(٣)</sup> قلتُ يا رسولَ الله النساءُ والرجالُ جميعاً ينظرُ بعضهم إلى بعضٍ ؟ قال ﷺ : يا عائشة الأمرُ أشدُّ مِنْ أَنْ ينظرُ بعضهم إلى بعضٍ »<sup>(٤)</sup> .

(١) الآية (١٠٤)

(٢) اللفظ لمسلم (٨ / ١٢٧) والحاوي (٨ / ١٣٥) واللؤلؤ والمرحاح (٣ / ٢٧٥) ومعنى عفراء سحر ، تبيل إلى الحمرة قليلا وفرصة النقي الحر الأبيض السالم من الغش والغي من حالة

(٣) تعرف جمع أعزل وهو من لم يحتن

(٤) اللفظ لمسلم (٨ / ١٥٦) واللؤلؤ والمرحاح (٣ / ٢٩٤) والحاوي (٨ / ١٣٦) .

ويحشر الكافرون على وجوههم ، لقوله تعالى من سورة الإسراء :  
« وَنَحْشُرُهُمْ يَوْمَ الْقِيَمَةِ عَلَىٰ وُجُوهِهِمْ عُمَا وَبُكْمًا وَصُمَّا مَّاوِيَهُمْ  
جَهَنَّمَ كُلَّمَا خَبَتْ زِدْنَاهُمْ سَعِيرًا ذَلِكَ جَزَاؤُهُمْ بِأَنَّهُمْ كَفَرُوا بِآيَاتِنَا  
وَقَالُوا إِذَا كُنَّا عِظْمًا وَرَفْنًا أَؤَنَّا لَمَبْعُوثُونَ خَلْقًا جَدِيدًا ﴿٩٨﴾ » (١)

وقيل للرسول ﷺ : كيف يحشر الكافر على وجهه يوم القيامة ؟  
قال : « أليس الذي أمشاه على رجليه في الدنيا قادراً على أن يمشيه  
على وجهه يوم القيامة ؟ » (٢)

وتدنى الشمس في ذلك اليوم من رؤوس الخلائق حتى تكون  
قريبة منهم جداً ، فتشدد الحرارة في الموقف ، ويعرق الناس لذلك  
حتى يذهب العرق سبعين ذراعاً ، فقد جاء بهذا الحديث الصحيح ففي  
مسلم عن المقداد بن الأسود قال : « سمعت رسول الله ﷺ يقول :  
« تدنى الشمس يوم القيامة من الخلق حتى تكون منهم كمقدار ميل ،  
فيكون الناس على قدر أعمالهم في العرق ، فمنهم من يكون إلى  
كعبه ، ومنهم من يكون إلى ركبتيه ، ومنهم من يكون إلى حقويه (٣)،  
ومنهم من يلجمه العرق إجماعاً قال : وأشار رسول الله ﷺ بيده إلى  
فيه » (٤)

(١) الأيتان (٩٧ ، ٩٨) .

(٢) متفق عليه واللفظ لمسلم (٨ / ١٣٥) والخازني (٦ - ١٣٧) والزرقي (٣ / ٢٨٢)

(٣) الحق يفتح الحاء والجمع حقاء كبناء هو الحصر أو الإزار لأنه يشد على الحق.

(٤) مسلم (٨ / ١٥٨) .



## فصل القضاء والشفاعة فيه

ما هو فصل القضاء :

١٠. بعد من فصل قصصه، هو أن الناس لم يحشروا إلى  
 بهم وبلغ بعد منهم مدد عظيم، وذلك من شدة الجوع،  
 وبعده سبقت، - عيون في أن يحكم الله تعالى فيهم أو بينهم  
 هو هذه وقد هم متفقون أنه حسب طهارة أرواحهم، أو حسب  
 في حكم من شدة خوفه وتعبه ومصادق هد في قوة تعالى :

وَيَذَرُ الْمُرْسَلُ قَتَّ ۖ لِأَيِّ يَوْمٍ أَجَلَتْ ۖ لِيَوْمِ الْفَصْلِ ۖ وَمَا  
دُرِيتُ مِ يَوْمِ الْفَصْلِ ۖ وَيَلْ يَوْمِئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ <sup>(١)</sup>

ثم في قوله عمر وحس

هَذَا يَوْمٌ لَا يَنْصُورُونَ ۚ وَلَا يُؤْذَنُ لَهُمْ فَيَعْبُدُونَ ۖ وَيَلْ يَوْمَئِذٍ  
لِّلْمُكْدِبِينَ ۖ هَذَا يَوْمٌ تُقْضَىٰ فِيهِ أَمَلُهُمْ ۖ وَأَلَا وَرَيْنَ ۖ فَوَيْلٌ كَانَ  
لِلْمُكْدِبِينَ ۖ وَيَلْ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكْدِبِينَ ﴿١٧﴾

وَقَدْ كَرِهَ اللَّهُ لِي أَنْ تَعْلَمُوا سِرِّي وَاللَّهُ يَسْمِعُ الْغُيُوبَ

110 11, 1 - 1/2 in. x 1/2 in.

12. 10. 1950

فيعتذر لهم ويقول : « إن ربي قد غضب اليوم غضباً لم يغضب قبله مثله ، ولن يغضب بعده مثله ، وإنه نهاني عن الشجرة فعصيته ، نفسي نفسي !! اذهبوا إلى غيري ، فيأتون المرسلين واحداً واحداً نوحاً ، إبراهيم ، فموسى ، فعيسى فيعتذر الكل ، ويقول نفسي نفسي !! حتى ينتهوا إلى خاتم الأنبياء ، وإمام المرسلين محمد ﷺ فيقول : « أنا لها فيأتي ربه فيخرُ ساجداً تحت العرش ، ويلهمه ربه تعالى محامداً يحمده بها ، فلا يزال كذلك حتى يقول له الرب تبارك وتعالى : « ارفع رأسك ، وسل تعط ، واشفع تُشفع ، فيرفع رأسه ويقول : يا رب أمتي فيقال له : يا محمد أدخل الجنة من أمتك من لا حساب عليه من الباب الأيمن من أبواب الجنة ، وهم شركاء الناس فيما سوى ذلك من الأبواب<sup>(١)</sup> » ، ويجري بعد ذلك القضاء مجراه فتعطى الكتب ، وتوضع الموازين ، ويحاسب الناس .

---

(١) كل هذا الذي ذكرنا من بيان الموقف ، والشفاعة ثابت في الصحيحين ! وقد تقدم في مبحث الشفاعة من هذا المعقيدة فليرجع إليه .

## الحساب والميزان

إن الحساب يدور على محتويات الكتب التي يعطّاها كل فرد من أفراد الناس في ساحة فصل القضاء ، ويقروّها كل واحد من أهل الموقف ، وسواء من كان يقرأ منهم ومن لم يكن يقرأ ، ويختلف أعطواهم تلك الكتب ، وتنقيهم لها ، يد منهم من يعطى كتبه بيمينه ومن أدمه ، ومنهم من يعطى كتبه بشماله ومن وراء ظهره ، وبمجرد إلقاء نظرة على محتوى كتاب يعلم صاحبه مصيره ، ويعين على تحديد من يقرأه ، وفرجه ، ومسروده ، أو عن حيثه ، وحرته ، وحسره .  
 فإن تعمى في باب هذا وتقريره من سورة الاستشفاء

﴿ فَمَنْ أُوِّيَ كِتَابُهُ بِيَمِينِهِ ۖ فَسَوْفَ يُحَاسَبُ حِسَابًا يَسِيرًا ۖ وَيَنْقَلِبُ إِلَىٰ أَهْلِهِ مَسْرُورًا ۖ وَأَمَّا مَنْ أُوِّيَ كِتَابُهُ وَرَاءَ ظَهْرِهِ ۖ فَسَوْفَ يَدْعُوا ثُبُورًا ۖ وَيَصْلَىٰ سَعِيرًا ۖ ﴾ (١)

و. من سورة الحاقة

﴿ فَمَنْ أُوِّيَ كِتَابُهُ بِيَمِينِهِ ۖ فَيَقُولُ هَذِهِ قُرْءَانُ كِتَابِي ۖ وَأُوِّيَ صَاحِبُ ۖ مَنْ مَنَعَ حَسْبِي ۖ فَهُوَ فِي عِيشَةٍ رَّاضِيَةٍ ۖ فِي حَتِّ عَيْنَةٍ ۖ ﴾

قُطِفُوهَا دَانِيَةً ﴿٢٢﴾ كُلُّوْا وَاشْرَبُوْا هَنِيئًا بِمَا أَسْلَفْتُمْ فِي الْأَيَّامِ الْخَالِيَةِ  
وَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ بِشِمَالِهِ فَيَقُولُ يَلْبِثْ بَنِيَّ لِمَ أُوتِيَ كِتَابِيَّةً ﴿٢٣﴾ وَلَمْ  
أَدْرِ مَا حِسَابِيَّةً ﴿٢٤﴾ يَلْبِثْهَا كَانَتْ الْقَاضِيَةَ ﴿٢٥﴾ مَا أَغْنَىٰ عَنِّي مَالِيه  
هَلَكَ عَنِّي سُلْطَانِيَّةً ﴿٢٦﴾ خَذُوْهُ فَعَلُوْهُ ﴿٢٧﴾ ثُمَّ الْجَحِيْمَ صَلُوْهُ ﴿٢٨﴾ ثُمَّ  
فِي سِلْسِلَةٍ ذَرْعُهَا سَبْعُونَ ذِرَاعًا فَاسْلُكُوْهُ ﴿٢٩﴾ إِنَّهُ كَانَ لَا يُؤْمِنُ بِاللَّهِ  
الْعَظِيْمِ ﴿٣٠﴾ وَلَا يَحْضُ عَلَىٰ طَعَامِ الْمِسْكِيْنَ ﴿٣١﴾ فَلَيْسَ لَهُ الْيَوْمَ هُنَا  
حَمِيمٌ ﴿٣٢﴾ وَلَا طَعَامٌ إِلَّا مِنْ غِسْلِيْنٍ لَا يَأْكُلُهُ إِلَّا الْخَاطِئُونَ ﴿٣٣﴾

وبينما هم كذلك إذ توضع الموازين القسط ، ويتقدم الناس واحداً  
واحداً للحساب ، فمنهم من يُحاسب حساباً يسيراً وهو العرض الذي  
قال الرسول صلى الله عليه وسلم فيه لعائشة أم المؤمنين رضي الله عنها  
« مَنْ حُوسِبَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عُذِبَ » فقلت : أليس الله عز وجل يقول :  
﴿ فَسَوْفَ يُحَاسَبُ حِسَابًا يَسِيرًا ﴾ (١)

فقال لها : ليس ذاك الحساب إنما قال العرض ، من نوقش الحساب  
يوم القيامة عُذِبَ (٢).

ومنهم من يحاسب حساباً عسيراً ، يُستنطق الفرد ، ويسأل عن كل  
صغيرة وكبيرة ، فإن أجاب بالصدق والحق فيها ونعمت ، وإن حاول  
الكذب أو الكتمان فإنه يختم على فمه ، وتستنطق جوارحه ، فتنطق

(١) الآيات (١٩ - ٣٧) .

(٢) سورة الانشقاق الآية (٨) .

(٣) متفق عليه واللفظ لمسلم (٨ / ١٦٤) اللؤلؤ والمرجان (٣ / ٢٩٩) ، والبحاري (١ / ٣٩) .

بالذي عمل في دينه ، ولا تخفي شيئاً ، فيلومها على نطقها وشهادتها عليه ، فيكون ردها عليه بقولها الذي حكاها القرآن الكريم من سورة فصلت :

﴿أَنْطَقَنَا اللَّهُ الَّذِي أَنْطَقَ كُلَّ شَيْءٍ﴾<sup>(١)</sup>

وقال تعالى في بيان هذه الحقيقة من سورة النور :

﴿يَوْمَ تَشْهَدُ عَلَيْهِمْ أَلْسِنُهُمْ وَأَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُمْ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾<sup>(٢)</sup>

وقال تعالى في ذلك من سورة يس :

﴿أَيَّامٌ نَحْنُ عَلَى أَقْوَمِهِمْ وَتُكَلِّمُنَا أَيْدِيهِمْ وَتَشْهَدُ أَرْجُلُهُمْ بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾<sup>(٣)</sup>

ويحري هذا الاستجواب والاستنطاق في جو رهيب للغاية ، إذ تنوم فيه لأشهاد ، ولا يؤذن لمرء في الاعتذار فيعتذر ، ولا تقل من ضلعة معذرة ، وتعرض الأعمال عرساً حياً نطقاً ، فيرى المرء عمله وهو يشهده وبه للنصيحة !!! قال تعالى من سورة الزلزلة :

﴿يَوْمَئِذٍ يَصْدُرُ النَّاسُ أَشْتَاتًا لِيُرَوْا أَعْمَلُهُمْ ۚ إِنَّهُمْ فِي مَعْمَلٍ مَشْغُولُونَ ۚ وَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ ۚ وَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ ۚ﴾<sup>(٤)</sup>

ثم توصع الموزن المعادلة ذات الدقة المتناهية ، وتحصر الأعمال فلا يترك منها عمل وإن قل ودق ، فتوصع في موازين العدل ، وتوزن ، وحسب نتيجة توزن تكون السعادة ، أو يكون لشقاء قال تعالى في بيان هذه الحقيقة من سورة الأنبياء :

١- الآية (٢١)

٢- الآية (٢٤)

٣- الآية (٦٥)

٤- الآيات (٦-٨)

﴿وَنَضَعُ الْمَوَازِينَ الْقِسْطَ لِيَوْمِ الْقِيَمَةِ فَلَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْئًا وَإِنْ كَانَ  
مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِنْ نَارٍ دَلِيلًا بَيْنًا يَبْنَاهَا وَكُنِيَ ابْنًا خَاسِرِينَ﴾ (١)

وقال تعالى من سورة المؤمنون :

﴿فَمَنْ ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ (١٧) وَمَنْ خَفَّتْ  
مَوَازِينُهُ فَأُولَئِكَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ فِي جَهَنَّمَ خَالِدُونَ ﴿١٨﴾ تَلْفَحُ  
وُجُوهُهُمْ النَّارُ وَهُمْ فِيهَا كَالِحُونَ ﴿١٩﴾ أَلَمْ تَكُنْ أَبْنَىٰ تُنَالٍ عَلَيْكُمْ  
فَكُنْتُمْ بِهَا تُكْذِبُونَ﴾ (٢)

(١) الآية (٤٧) .

(٢) الآيات (١٠٢ - ١٠٥) .

## الصراط

### وأخيراً الصراط :

إنه بعد وزن الأعمال والفراغ منها ، وبيان السعيد من الشقي في الحملة ، يضطر الناس إلى المرور على الصراط ، وهو حسر دقيق منصوب على ظهر جهنم وهي عقبة كداء في طريق الداهيين إلى دار نيلام ، وممر خطير للغاية يشهد لخطورته أن الرسول ﷺ يقف على جنبته والناس يَمُرُّون ، وهو يدعو : « رَبِّ سَلِّمْ سَلِّمْ »<sup>(١)</sup> . ويكون مرور الناس بحسب أعمالهم في الدنيا ، فمنهم من يمر بسرعة مدهشة حتى وكأنه البرق الخاطف . ومنهم من يمر دون ذلك إلى أن يحو من يحو ويو جواً على يديه وزكّيته ، ويهلك من يهلك سقوطه في جهنم دار الشقاء ، والجهنم ، والنوار ، والخسرات .

وقد وصف رسول الله ﷺ الصراط في معرض حديثه عن شدعة العظمى والمقام المحمود الذي وعده له ربه تبارك وتعالى في قوله

﴿ عَسَىٰ أَنْ يَبْعَثَ رَبُّكَ مَقَامًا مَّحْمُودًا ﴾<sup>(٢)</sup>

فقال ﷺ : « فيأتون محمداً ﷺ فيقوم فيؤذن له ، وترسل الأمانة والرحم

(١) وه مسلم (١) ١٢٩ - ١٣٠) وفي البخاري الحديث عن القيامة والصراط وكلام

« مثل سمندلهم سم سم سم » (١/ ١٩٣ ، ١٩٤) واللؤلؤ والمرجان (٤٢ - ٤٤) ومسلم

لفظ « ودعوى الرسل يومئذ لهم سم سم سم » (١/ ١١٢ ، ١١٤)

(٢) سورة الاسراء الآية (٧٩)

فتقومان جنبتي الصراط يميناً وشمالاً فيمر أولكم كالبرق : قلت : بأبي وأمي أي شيء كمر البرق ؟ قال : ألم تروا إلى البرق كيف يمر ويرجع في طرفه عين ، ثم كمر الريح ، ثم كمر الطير ، وشد الرجال تجري بهم أعمالهم ، ونبىكم قائم على الصراط يقول : رب سلم ، سلم . حتى تعجز أعمال العباد ، حتى يجيء للرجل فلا يستطيع السير إلا زحفاً ، قال : وفي حافتي الصراط كلاليب معلقة ، مأمورة بأخذ من أمرت به ، فمخدوش ناج ، ومكدوس في النار»<sup>(١)</sup>

### القنطرة بين الجنة والنار

هل هناك قنطرة بعد الصراط ؟

نعم : إنه بعد أن يجتاز المؤمنون الصراط بسلام وأمان من الوقوع في النار يوقفون على قنطرة بين الجنة والنار ، لتهذيبهم وتطهيرهم من كل ما كان بينهم من عداوات أو شحناء ، أو حقوقهم لبعضهم على بعض ، ثم بعد ذلك يؤذن لهم بدخول الجنة فيدخلون . وقد روي حديث القنطرة هذه الإمام أبو عبد الله البخاري في صحيحه ، وهذا نصه :

يخلص المؤمنون من النار فيحبسون على قنطرة بين الجنة والنار ، فيقتص لبعضهم من بعض مظالم كانت بينهم في الدنيا ، حتى إذا هذبوا ونقوا أذن لهم في دخول الجنة ، فوالذي نفس محمد بيده لأحدكم أهدى بمنزله في الجنة منه بمنزله كان في الدنيا»<sup>(٢)</sup>.

(١) أخرجه مسلم (١/ ١٢٩ ، ١٣٠) .

(٢) البخاري (٨/ ١٣٨ ، ١٣٩ ؛ ٣/ ١٥٨ ، ١٥٩) .



## دار السلام

إن من إتمام بحث عقيدة البعث والحراء ، وتوفية هـد الركن من ركن عقيدة المؤمن حقه في الـدرس والـبحث أن يحص كل من دار السلام ودار النوار<sup>(١)</sup> عرض حاص يجلي حقيقة كل مهمم بما يعث على لرعة في القور بدار السلام ، ويستعد عن الثانية سحتب لشرك ، وترك معصية الله تعالى ، ورسوله ﷺ .

ولما كاد الحديث عن دار السلام شيقاً ومحبباً إلى النفوس لمؤمنة ، فإن الإطاب فيه أولى من الإبحاز ، والاسهب أولى من الاختصار . ومن هـا فسيكون بحثنا نهـدا الجزء من ركن عقيدة لمؤمن في لبحث والجزء صافيا ، يتناول الحديث عن سعة دار لسلام ، وأمرها ، وأهارها ، وحدها ، ومطاعمها ، ومشاربها ، وسائر ألوان النعيم فيها . كما سيكون مصدر استقائنا لكل المعلومات في حديث عن در السلام هو الكتاب والسنة ، إذ ألأول كتاب من أوجدها ، وأوجد عيمها ، وخلق أهلها ، وهـداهم ، فأعدهم لها ، وعرفهم بها ، وأما لسنة فإنها أخبار من دخلها ، ووطئت أقدامه أرضها ، وبلغ سدره لمتتهى فيها كما قال تعالى ::

﴿ أَفْتَمَرُونَهُ عَلَى مَا يَرَىٰ ۚ وَلَقَدْ رَءَاهُ نَزْلَةً أُخْرَىٰ ۖ عِنْدَ سِدْرَةِ الْمُنْتَهَىٰ ۚ عِنْدَهَا جَنَّةُ الْمَأْوَىٰ ۖ ۝﴾<sup>(٢)</sup>

(١) دار النوار جهه لقوله تعالى : « وأحلوا قومهم دار النوار يصلوبها » سورة إبراهيم الآية ١٢

(٢٨ - ٢٩)

(٢) سورة النجم الآيات (١٢ - ١٥)

## سعة دار السلام وطيب ريحها

ما أوسع دار المتقين . وما أطيب ريحها !!

إن عرضها كعرض السموات والأرض ، وإن ريحها ليجد من  
مسيرة مائة عام ، إذ قال تعالى :

﴿وَسَارِعُوا إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَوَاتُ وَالْأَرْضُ  
أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ﴾<sup>(١)</sup>

وقال رسول الله ﷺ : « إن ريحها ليجد من مسيرة مائة عام »<sup>(٢)</sup>

### ( أبوابها )

إن للجنة دار النعيم لثمانية أبواب<sup>(٣)</sup> . أحدها يسمى الريان ، وهو  
خاص بالصائمين<sup>(٤)</sup> . ومنها باب خاص بالذين لا يحاسبون من أمة  
محمد ﷺ<sup>(٥)</sup> .

وأبواب الجنة في غاية الوسع ، والكبير حتى إن ما بين مصراع

(١) سورة آل عمران الآية (١٣٣) .

(٢) النسائي بلفظ ( وإن ريحها ليجد من مسيرة سبعين سنة ) ( ٢٢ / ٨ ) والترمذي ديات ( ١١ ) وابن  
ماجة ( ديات / ٣٢ ) وأحمد ( ١٧١ / ٢ ) ، ١٨٦ ، ٢٧ / ٥ ، ٥٠ ، ٥١ ) والموطأ بلفظ :

( وريحها يوجد من مسيرة خمسمائة عام ) ( ١٠٣ / ٣ ) .

(٣) لحديث مسلم في فضل الشاهد بعد الوضوء ( ١ / ١٤٤ ، ١٤٥ ) والبخاري ( ٤ / ١٤٥ ) .

(٤) ورد هذا في المتفق عليه اللؤلؤ والمرجان ( ٢ / ١٩ ، ٢٠ ) .

(٥) تقدم في حديث الشفاعة من فصل القضاء وهو مخرج في الصحيحين اللؤلؤ والمرجان ( ١ /  
٤٩ - ٥١ ) .

الباب مسيرة أربعين سنة ، ومع هذا الوسع فسوف تكتظ بأفواج الداخلين معها ، وتردحم ، وقد علم أن خلق تلك الأبواب مكونة من ياقوت أحمر ، قائمة على صفائح من ذهب ، فقد روى مسلم في صحيحه عن الصادق المصدوق عليه السلام قوله « إن ما بين مصرعين من مضاريع الجنة بينهما مسيرة أربعين سنة ، وليأتين عليها يوم وهي كظيظ من الزحام »<sup>(١)</sup> .

وقال عليه السلام وهو يحدث عن أهل الجنة : « ويتنهون إلى باب الجنة فإذا خلقه من ياقوتة حمراء على صفائح الذهب »<sup>(٢)</sup>

### عند باب الجنة

مادام عند باب الجنة :

إن عند باب الجنة شجرة عظيمة يبع من أصلها عيتان ، قد خصصت إحداها لشراب الداخلين ، وثانيتها لتطهيرهم فإذا شربوا من الأولى جرت في وجوههم نضرة النعيم فلا يأسون أبداً - وإذا اغتسلوا من الثانية لم تشعث أشعارهم أبداً ، وفي القرآن الكريم مصداق هذا قال تعالى : من سورة الإنسان :

﴿وَسَقَنَهُمْ رَبُّهُمْ شَرَابًا طَهُورًا﴾<sup>(٣)</sup>

وفي الحديث يقول الرسول ﷺ : « وإذا شجرة على باب الجنة ينبع من أصلها عيتان ، فإذا شربوا من إحداها جرت في وجوههم نضرة

(١) مسند أحمد في كتاب برهه (٢١٥ - ٨)

(٢) وه اس مئ الذب واليهقى في حديث طويل في وصف الجنة وصحح المنذري وقفه على عني صلى الله عه في الترعب والترهب (٤٩٤/٤) ولكنه في حكم المرفوع لأن مثله من

لا يقال بالرأى

(٣) الآية (٢١)

النَّعِيمِ ، وَإِذَا تَوَضَّعُوا مِنَ الْآخِرَى لَمْ تَشْعُرْ أَشْعَارَهُمْ أَبَدًا» (١) .

### استقبال أهل الجنة

إن دخول الجنة سيكون قطعاً في فترات متتالية ، وقد يبعد ما بين الفترة والأخرى ، إذ صح أن فقراء المسلمين يدخلون الجنة قبل ذوي الحظوظ بخمسمائة عام (٢) ، وذلك لعدم ما يستلزم وقوفهم طويلاً في ساحة فصل القضاء ، وموقف الحساب بخلاف أهل الحظ والغنى . وفي القرآن الكريم يقول تعالى من سورة الزمر :

﴿وَسِيقَ الَّذِينَ اتَّقَوْا رَبَّهُمْ إِلَى الْجَنَّةِ زُمَرًا حَتَّى إِذَا جَاءَهَا وَفُتِحَتْ أَبْوَابُهَا وَقَالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَا سَلَامٌ عَلَيْكُمْ طِبْتُمْ فَادْخُلُوهَا خَالِدِينَ﴾ (٣)

وفي الصحيحين من أخبار الرسول صلى الله عليه وسلم : « أن أول زمرة يدخلون الجنة على صورة القمر ليلة البدر . والذين يلونهم على أشد كوكب دري في السماء إضاءة لا يبولون ، ولا يتغوطون ، ولا يمتخطون ، ولا يتقلون أمشاطهم الذهب ، ورشحهم المسك ، ومجامرهم الألوة (٤) ، أزواجهن الحور العين ، أخلاقهم على خلق رجل واحد ، على صورة أبيهم آدم ستون ذراعاً في السماء » (٥) ، إن هذا التفاوت بين أهل الجنة في دخولهم ، وحسن هيئتهم وجمال وجوههم عائد إلى تفاوت أعمالهم في الدنيا ، في كمياتها وكيفياتها ،

(١) قال الحافظ المنذري : رواه ابن أبي الدنيا والبيهقي وغيرهما عن عاصم ابن حمزة عن علي موقوفاً عليه بنحوه وهو أصح وأشهر الترغيب والترهيب ( ٤ / ٤٩٤ - ٤٩٦ ) .

(٢) أبو داود ( ٢ / ٢٩٠ ) .

(٣) الآية (٧٣) .

(٤) العود يتبخر به .

(٥) اللفظ لمسلم ( ٨ / ١٤٦ ) واللؤلؤ والمرجان ( ٣ / ٢٨٩ ) ، والبخاري ( ٤ / ١٦٠ ) .

وهو أمر من الوصوح بحيث لا يخفى على ذي لب ، ففي الدنيا تكتسب النفس البشرية حسنها وجمالها من إيمان صاحبها ، وأعماله الصالحة ، وفي الآخرة يكتسب جمال الذات ، وكمال النعيم من نفس الزكاة الروحانية التي كانت لها نتيجة إيمانها ، وصالح أعمالها في الحياة الدني

وتستقبل الملائكة وفود الرحمن عند دخولهم إلى دار السلام ، وأول المستقلين هو رصود حازن الجنان ، ثم الملائكة الموكلون بنعيم الجنة وهذه وفي لقآن الكريم .

﴿وَلَتَقْلِبُنَّ الْأَمَلِيَّاتُ هَذَا يَوْمُكُمْ الَّذِي كُنْتُمْ تُوعَدُونَ﴾ (١)

وفيه أيضا

﴿وَقَالَ هُمْ نَحْنُ الْمَوْلَاةُ عَلَيْكُمْ فَادْخُلُوا خَلِيدِينَ﴾ (٢)

وفيه أيضا

﴿وَأَمَلِيَّاتُكَ يَدْخُلُونَ عَلَيْهِمْ مِنْ كُلِّ بَابٍ﴾ (٣) سَلَّمَ عَلَيْكُمْ بِمَا صَبَرْتُمْ فَبِعَمِّ عَقِي الدَّارِ ﴿٣﴾

### قصور دار السلام وتفاضلها

يكتفي بوصف قصور دار السلام ، وبيان تفاضلها بما جاء في رسالي « الجنة دار الأبرار والطريق الموصل إليها » إذ قلت : « من الذي يقوى على وصف قصورهم ، أو يحسن التعبير عن نعيمهم

(١) سورة الأعراف الآية (١٠٣)

(٢) سورة الأعراف الآية (٧٣)

(٣) سورة الأعراف الآية (٢٤ - ٢٣)

وسرورهم ، والله مكرمهم ، والمنعم عليهم يقول :

﴿وَإِذَا رَأَيْتَ ثُمَّ رَأَيْتَ نَعِيمًا وَمُلْكًا كَبِيرًا ۖ عَلَيْهِمْ ثِيَابٌ سُنْدُسٌ خُضْرٌ وَإِسْتَبْرَقٌ وَحُلُوا بِأَسَاوِرٍ مِنْ فِضَّةٍ وَسَقْنَهُمْ رَبُّهُمْ شَرَابًا طَهُورًا ۖ إِنَّ هَذَا كَانَ لَكُمْ جَزَاءً وَكَانَ سَعْيُكُمْ مَشْكُورًا ۝﴾ (٢١)

وقلت أيضاً : « إن الذي يمكن أن يحدثنا بعض الحديث عن قصور الجنة ، وما حوت من النعيم المقيم هو رجل واحد فقط ذلكم هو النبي الأمي محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم ، إذ هو الذي تشرفت دار السلام بقدومه عليها ، ورؤيته لها في هذه الحياة الدنيا يقظة مرة ، ومناماً مرات أخرى ، ورؤيا الأنبياء وحي ، فلنستمع إليه صلى الله عليه وسلم وهو يحدث عنها ويقول محدثاً عن آخر رجل يدخل الجنة « فيقول ( يا رب ) ألحقني بالناس . . فينتقل يرمل في الجنة إذ دنا من الناس رفع له قصر ، من درة ، فيخر ساجداً ، فيقال له : ارفع رأسك . مالك ؟ فيقول : رأيت ربي فيقال له : ارفع رأسك إنما هو منزل من منازلك . ثم يلقي رجلاً فيتها للِسجود له ، فيقال له : مه فيقول : رأيت أنك ملك من الملائكة ، فيقول له : إنما أنا خازن من خزانك ، وعبد من عبيدك . . فينتقل أمامه حتى يفتح له القصر ، وهو درة مجوفة سقافها ، وأبوابها ، وأغلقها ، ومفاتيحها منها ، تستقبله جوهرة خضراء ، مبطنة ، كل جوهرة تنفضي إلى جوهرة على غير لون الأخرى ، في كل جوهرة سرر ، وأزواج . ووصائف أدنان حوراء عيناء عليها سبعون حلة ، يرى مخ ساقها من وراء حللها ، كبداء مرآته ، وكبداء مرآتها ، إذا عرض عنها إعراضة ازدادت

(١) سورة الإنسان الآيات (٢٠-٢٢) .

في عينه سبعين ضعفا ، فيقال له : أشرف ، فيشرف ، فيقال له : ملكك مسيرة مائة عام ينفذه بصرك» (١) .

هذا وأما تفاوت درجات أهل دار السلام ، وتفاضل ما بينهم بحسب كمال إيمانهم ، وكثرة صالح أعمالهم . فلورث له الحديث الصحيح التالي : إذ فيه يقول الرسول صلى الله عليه وسلم : « إن أهل الجنة يترءون أهل الغرف من فوقهم كما يترءون الكوكب الدري الغابر في الأفق من المشرق أو المغرب ، لتفاضل ما بينهم ، قالوا ، يا رسول الله ، تلك منازل الأنبياء لا يبلغها غيرهم ، قال : بلى ، والذي نفسي بيده رجال آمنوا بالله ، وصدقوا المرسلين» (٢) .

وفي القرآن الكريم مصداق هذا في قوله تعالى من سورة الحديد .  
 ﴿ سَابِقُوا إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا كَعَرْضِ السَّمَاءِ  
 وَالْأَرْضِ أُعِدَّتْ لِلَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ ذَٰلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَاءُ  
 وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ ﴾ (٣)

### نظرة على أرض الجنة

وتحت هذا العنوان قلت في رسالتي المنشورة فيها :  
 ما نطل أحيى القارىء في أرض الجنة ؟ .

(١) قال حافظ محمد بن ٥٠٥ هـ ابن أبي السيب ، والطبري ، والحاكم هكذا عن ابن مسعود مرفوعاً ، وأحد طرق الطبري صحيح واللفظ له وقال الحاكم صحيح الاسناد وهو في

مسلم نحوه باختصار عنه الشريعت والترهيب (٤/٥٠٣ - ٥٠٦)

(٢) عليه « سنن أبي داود ونسائي وابن ماجه » (٢٨٨/٢) والبخاري (٤/١٤٥) ومسلم (٨/١٤٥)

(٣) الآية (٢١)

هل هي من تراب أبيض أو أحمر ؟

وهل حصاؤها من حجارة ملونة جميلة ؟ .

وهل جذران مبانيها من لبن في غاية الحسن والجمال ؟ .

وهل الطين الذي يوضع بين اللبنة لرصفها وإحكامها من مزيج الرمل الأبيض و (الأسمنت) <sup>(١)</sup> الأزرق الناعم ؟ .

إعلم أخي القارئ أنه لا يستطيع أحد أن يجيبك عن هذه التساؤلات كلها إلا أحد شاهدها ، وعاش ساعة فيها كرسول الله محمد صلى الله عليه وسلم وما هو ذا يسأله أحد أصحابه عنها فيقول له : «إنها لبنة من ذهب ، ولبنة من فضة ، وملاطها» <sup>(٢)</sup> المسك الأذفر ، وحصاؤها اللؤلؤ والياقوت ، وترابها الزعفران ، من يدخلها ينعم ولا يئس ، ويخلد لا يموت ، ولا تبلى ثيابهم ولا يفنى شبابهم» <sup>(٣)</sup> .

### جنة عدن بين الجنان

لجنة عدن بين سائر الجنات ميزة خاصة لم تكن لغيرها ، ألا وهي أن إيجادها تم بخلق الله تعالى المباشر لها ، إذ ثبت أن النبي صلى الله عليه وسلم أخبر أن الله تعالى قد خلق جنة عدن بيده فقد أخرج ابن أبي الدنيا والطبراني عنه صلى الله عليه وسلم قوله : «خلق الله جنة عدن بيده لبنة من درة بيضاء ، ولبنة من ياقوتة حمراء ، ولبنة

(١) الاسمنت كلمة معربة لمل عربيها الجير أو الجص أو نوع منهما يخالفهما في القوة والشكل لا في الماهية والذات .

(٢) الملاط : الطين .

(٣) رواه الترمذي (جنة/٢) والدارمي (رقائق / ١٠٠) . وأحمد (١ / ٣٠٥ ، ٤٤٥) ، وقال عبد القادر الأرناؤوط في تعليقه على جامع الأصول (١٠ / ٤٩٧) وابن حبان في صحيحه ، والطبراني في الأوسط .



مَنْ زَبْرَجْدَةٍ خَضْرَاءَ ، وَمَلَاطَهَا الْمَسْكُ ، وَحَشِيشَهَا الزَّعْفَرَانُ ،  
حَصْبَاؤُهَا اللَّوْلُؤُ ، تَرَابُهَا الْعَنْبَرُ ، ثُمَّ قَالَ لَهَا انْطَقِي ، قَالَتْ : قَدْ أَفْلَحَ  
الْمُؤْمِنُونَ <sup>(۱۱)</sup> .

تنبيه !

نحن نعلم أن الله تعالى هو خالق كل شيء ، وليس فيكون  
كده عبودية وسفلية إلا خالق واحد هو الله رب العالمين ، وبه لأولين  
ولا آخرين ، وليس ثم غيره أبداً .

فعندما يذكر أنه تعالى خلق كذا بيده ، لإحاطة تعالى بذلك كما  
في قوله

﴿ مَا مَنَعَكَ أَنْ تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتَ بِيَدَيَّ ﴾ <sup>(۱۲)</sup>

أو لإحاطة رسوله صلى الله عليه وسلم بذلك كما في الحديث السابق  
يد الله خلق الله تعالى حجة عبد بيده سبحانه وتعالى فيه معنى أن  
هو الحق قد تم على خلاف سببه الله تعالى في خلق الكائنات ، وإن  
ما حشر تعالى عنه أنه خلقه بيده يكون له مزيد شرف ورفعة بذلك  
خلق الخلق وهو الحق المستر

وهو باب تفریب هذه الحقيقة إلى أذهان بقول به عدم بامر  
لذلك و ذو السطوات بناء قصر مثلاً فیسی ، فیه بشار سی لست  
تقصیر ، و ب س بشار الشاء بيده ، وذلك لأن شاء قد تم بأمره ،  
لست لا منكسب لني وضعه تحت تصرف ربه ، كما أنه إن تدور  
لست حجر ه وضعه بيده في زاوية من زوايا حذر لتقصير بشار وضع  
لست حجر الأساس بيده ومعنى ذلك أنه بشر وضعه بيده حق وصدق

۱۱- ج ۱ ، ص ۴۱ ، ۵۱۳ ، ۵۱۴ ،  
۱۲- ص ۷۵ (۷۵)

وليس من باب المجاز المرسل الذي علاقه السببية في شيء .

ومن هنا قلنا : إن خلق الله تعالى لآدم بيديه هو خلق مباشر ،  
وحقيقة لا ينبغي إنكارها .

ومثل خلق آدم خلق جنة عدن ، وكل ما ورد في الكتاب والسنة  
أن الله تعالى خلقه بيديه هو من باب الحقيقة ، ولا معنى لذكر المجاز  
في ذلك ولا فائدة منه .

### الخيام والأسواق في دار السلام

بما أن الجنة فيها - بإخبار الله تعالى - ما تشتهي النفس وتلد  
العين ، ولأصحابها فيها كل ما يدعون ويطلبون ، وفيها من النعيم  
المقيم العظيم ما لم تره عين ، أو تسمع به أذن ، أو يخطر لبشر على  
قلب ، كما جاء ذلك في الصحيحين في قول الله تعالى على لسان نبيه  
محمد صلى الله عليه وسلم : ﴿أَعَدَدْتُ لِعِبَادِي الصَّالِحِينَ مَا لَا عَيْنٌ  
رَأَتْ ، وَلَا أُذُنٌ سَمِعَتْ وَلَا خَطَرَ عَلَى قَلْبِ بَشَرٍ﴾<sup>(١)</sup> وفي قوله تعالى  
من كتابه العزيز :

﴿يَعْبَادِ لَا خَوْفٌ عَلَيْكُمُ الْيَوْمَ وَلَا أَنْتُمْ تَحْزَنُونَ﴾<sup>(٢)</sup> الَّذِينَ ءَامَنُوا بِآيَاتِنَا  
وَكَانُوا مُسْلِمِينَ ﴿٦٦﴾ ادْخُلُوا الْجَنَّةَ أَنْتُمْ وَأَزْوَاجُكُمْ تُحْبَرُونَ ﴿٦٧﴾ يُطَافُ  
عَلَيْهِمْ بِصِيفٍ مِّنْ ذَهَبٍ وَأَكْوَابٍ وَفِيهَا مَائِنَّتُهُ الْآنْفُسُ وَتَلَذُّ  
الْأَعْيُنُ وَأَنْتُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴿٦٨﴾ وَتِلْكَ الْجَنَّةُ الَّتِي أُورِثْتُمُوهَا بِمَا كُنْتُمْ  
تَعْمَلُونَ ﴿٦٩﴾

(١) رواه مسلم (١٤٣/٨) والبخاري (١٤٣/٤) والذوّلز (٢٨٦/٣) .

(٢) سورة الزخرف الآيات (٦٨ - ٧٢) .

وفي قوله تعالى :

﴿إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَمُوا نَتَزَّلُ عَلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةُ أَلَّا تَخَافُوا  
وَلَا تَحْزَنُوا وَأَبْشِرُوا بِالْجَنَّةِ الَّتِي كُنتُمْ تُوعَدُونَ﴾ (٣٠) نحن أولياءُكُمْ في  
الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَشْتَهَى أَنْفُسُكُمْ وَلَكُمْ فِيهَا  
مَا تَدْعُونَ ﴿٣١﴾ تَزْلَمُونَ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿٣٢﴾

أقول بما أن الجنة حاوية لكل أوجه النعيم الروحاني والجنساني ،  
مشملة على كل ضروب السعادة ، وصنوف النعيم لا يستكر أن يكون  
فيها خيام ، ولا يستبعد أن يكون فيها أسواق إذ في الخيام متع ، وفي  
الأسواق سرور وجور وسكتفي بعرض هذه الحقيقة ، وتأكيدها بذكر  
كلمات قليلة جاءت في رسالتي « الجنة دار الأبرار » تحت عنوان جسي  
صغير :

في الخيام - حيث قلت : في الجنة خيام قطعاً ، وكيف لا ؟  
وحالقتها عز وجل يقول :

﴿حُورٌ مَّقْصُورَاتٌ فِي الْخِيَامِ﴾ (٣٣)

والسؤال هو ما شكل تلك الخيام ؟ ما نوعها ؟ ما هي مادة تكوينها ؟ وما  
مدى حسنها وجمالها ؟

والإجابة الصحيحة عن هذه التساؤلات لا تتلقى إلا من فم النبوة  
الظاهر برهاناً ساطعاً ، وحقاً قاضياً ، إذ يقول فداه أبي وأمي : « للمؤمن  
في الجنة لخيمة من لؤلؤة واحدة مجوفة طولها ( في السماء ) ستون  
ميلاً ( وعرضها ستون ميلاً ) للمؤمن فيها أهلون يطوف عليهم المؤمنون

(١) سورة قصص آيات (٣٠ - ٣١)

(٢) سورة الرحمن الآية (٧٢)

فَلَا يَرَىٰ بَعْضُهُمْ بَعْضًا ۖ<sup>(١)</sup> وَقَلَّتْ وَمِنَ الْخِيَامِ إِلَى السُّوقِ :

سبحان الله ؟! وهل في الجنة أسواق ؟ وكيف لا يكون ذلك والله

تعالى يقول لعباده من أهل الإيمان والاستقامة :

﴿نَحْنُ أَوْلَىٰ بِكُمُ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَشْتَهَىٰ  
أَنفُسُكُمْ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَدْعُونَ﴾<sup>(٢)</sup>

إنه ليس من المستغرب أبداً أن تتوق نفس المؤمن في الجنة إلى دخول  
سوق من الأسواق وخاصة المؤمنين الذين تعودوا الضرب في الأسواق ،  
والأرباح الطائلة ، كعبد الرحمن بن عوف رضي الله عنه وأمثاله ممن  
كانوا يتعاطون التجارة في صدق وأمانة ، ويربحون أعظم الأرباح - فقد  
تتوق نفس أحدهم إلى ذلك وهو في دار السلام فيطلبه ويدعوه فيخلق  
الله تعالى لهم أسواقاً يدخلونها إتماماً للأنعام في دار السلام .

وهذا مسلم يخرج لنا حديث السوق في الجنة فيقول : إن أنس  
ابن مالك قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « إِن فِي الْجَنَّةِ  
لَسُوقاً يَأْتُونَهَا كُلَّ جُمُعَةٍ فَتَهْبُ رِيحُ الشَّمَالِ فَتَحْنُو فِي وَجُوهِهِمْ وَثِيَابَهُمْ  
فِيَزْدَادُونَ حَسَنًا وَجَمَالًا ، فَيَرْجِعُونَ إِلَى أَهْلِهِمْ وَقَدْ أَزْدَادُوا حَسَنًا  
وَجَمَالًا ، فَيَقُولُ لَهُمْ أَهْلُهُمْ : وَاللَّهِ لَقَدْ أَزْدَدْتُمْ بَعْدَنَا حَسَنًا  
وَجَمَالًا ۖ »<sup>(٣)</sup> .

(١) رواه مسلم (٨ / ١٤٨ ، ١٤٩) وأما ما بين القوسين من الزيادات فهي في مسلم أيضاً في نفس  
الموضع ولكنها من أحاديث أخرى ورواه البخاري أيضاً في بدء الخلق باب صفة الجنة (٤ /

١٤٣) ، راجع اللؤلؤ والمرجان (٣ / ٢٨٩) .

(٢) سورة فصلت الآية ٣١ .

(٣) مسلم (٨ / ١٤٥) .

## أنهار الجنة وأشجارها

نحت هد لعنوان من رسالة « الجنة دار الأبرار » قلت يا أخي  
غذري هت يدك تحول قليلا بين أنهار الجنة وتحت أشجارها ، ونمتع  
بنفس ساعة قبل يوم تسعة !

هيا بنا إلى ذلك السعي لمقيم ، هيا بنا إلى الأنهار لأربعة التي  
هي أصل كل نهر الجنة ، إنها نهر الماء ، ونهر اللبن ، ونهر الخمر .  
ونهر لعسل كما جاء ذلك في قول الله عز وجل من سورة محمد ﷺ .  
﴿ مَثَلُ الْجَنَّةِ الَّتِي وُعدَ الْمُتَّقُونَ فِيهَا أَنْهَارٌ مِنْ مَّاءٍ غَيْرِ آسِنٍ وَأَنْهَارٌ  
مِنْ لَبَنٍ لَا يَتَغَيَّرُ طَعْمُهُ وَأَنْهَارٌ مِنْ خَمْرٍ لَذَّةٍ لِلشَّارِبِينَ وَأَنْهَارٌ مِنْ عَسَلٍ  
مُصَفًّى وَهُمْ فِيهَا مِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ ﴾ (١)

بـ من بين هذه الأنهار لعظمة نهر الكوثر ، وما أدراك ما  
كوثر !

بـ لله سبحانه وتعالى حصن به سيد محمد ﷺ وأمة ، وهو أعظم  
نهر الجنة ، وأحسبها ، جاء الوعد به في كتاب تعالى القرآن الكريم  
حت .

(١) زه (١٥)

﴿ إِنَّا أَنْعَمْنَا عَلَى الْكَوْثَرِ ۖ فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَأَنْحَرْ ۝ ﴾<sup>(١)</sup>

ولنستمع إلى صاحبه صلى الله عليه وسلم يصفه لنا فنمتع سمعنا بذلك ، روى البخاري عنه صلى الله عليه وسلم مرفوعاً قوله : « بينما أنا أسير في الجنة إذ أنا بنهر حافتاه قباب الدر المجوف ، فقلت : ما هذا يا جبريل ؟ قال : هو الكوثر الذي أعطاك ربك . قال فضرب الملك بيده فإذا طينه مسك أذفر »<sup>(٢)</sup> كما روى الترمذي بسند صحيح عنه صلى الله عليه وسلم قوله : « الكوثرُ نهرٌ في الجنة ، حافتاه من ذهب ، ومجرأه على الدر والياقوت ، تربته أطيّب من المسك وماؤه أحلى من العسل وأبيض من الثلج »<sup>(٣)</sup> قلت : ومن الأنهار إلى الأشجار .

فلنصغ إلى البخاري يروي لنا طرفاً من أخبار الأشجار ، فإنه أصح رواية ، وأدق عبارة في هذا الشأن . قال قال أبو هريرة رضي الله عنه : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « إن في الجنة شجرة يسيرُ الراكبُ في ظلّها مائة عامٍ لا يقطعها ، واقرءوا إن شئتم :

﴿ وَظِلٌّ مَّمْدُودٌ ۖ وَمَاءٌ مَّسْكُوبٌ ۖ وَفَيْكِهَ كَثِيرَةٌ لَا تَمْقُطُوعَةٌ وَلَا تَمْنُوعَةٌ ۖ وَفُرُشٌ مَّرْفُوعَةٌ ۖ ﴾<sup>(٤)</sup>

ويحدث ابن عباس عن هذا الظل فيقول « الظل الممدود » شجرة

(١) سورة الكوثر الآيتان (٢، ١) .

(٢) البخاري ١٤٩ / ٨ .

(٣) ذكر هذين الحديثين المنذري في الترهيب (٤ / ٥١٧) راجع الترمذي (٦ / ٨٤) .

(٤) رواه البخاري في (٦ / ١٨٣) ومسلم في (٨ / ١٤٤) واللؤلؤ والمرجان (٣ / ٢٨٧) والآيات

من سورة الواقعة الآيات (٣٠ - ٣٤) وراجع الترمذي (٧ / ٢٠٩) .

في الجنة على ساق قدر ما يسير الراكب المجد في ظلها مائة عام في كل نواحيها ، فيخرج أهل الجنة ، أهل الغرف وغيرهم فيتحدثون في ظلها فيشتهي بعضهم ويذكر لهو الدنيا ، فيرسل الله تعالى ريحاً من الجنة فتحرك تلك الشجرة بكل لهو كان في الدنيا<sup>(١)</sup> . ويقول : « نخل الجنة جذعها من زمرّد خضر ، وكربها ذهب أحمر ، وسعفها كسوة لأهل الجنة ، منها مقطعاتهم وحللهم ، وثمرها أمثال القلال والدلاء أشدّ بياضاً من اللبن ، وأحلى من العسل ، وألين من الزبد : ليس فيها عجم »<sup>(٢)</sup> .

### المطاعم والمشارب في الجنة

لقد ضل قوم من الفلاسفة والنصارى فزعموا أن نعيم الجنة روحاني بحث ، لا شيء فيه من النعم للجسم بالمرّة ، وهذا المعتقد خطأ محض ، وباطل لا شك في بطلانه عند من يعرف عن الله تعالى وعن رسله عليهم السلام .

وهذه حجج عقلية وسمعية نوردّها على صحة هذا المعتقد الحيوي الخطير فنقول :

أولاً : إن الأرواح التي يراد لها النعيم لا يتم لها التمتع الحقيقي إلا إذا كانت حالة في أجسام ثلاثيها ، وتستقر فيها ، وتقوم بها ، ولذا فإنه لما أريد إنعام الشهداء وتكريمهم خلق الله لأرواحهم أجساماً خاصة ثلاثيها فتحل فيها ، فتم لها التمتع بما أعد لها من نعيم طيلة حياتها في

(١) ر.ه الترمذي وحسه ، الترغيب والترهيب (٤ / ٥٢٠)

(٢) ر.ه الحاكم وصححه وذكره المنذري في الترغيب والترهيب (٤ / ٥٢٣) ، والحاكم (٢ / ٧٦) إلا أن في الحاكم لفظ « كرايمها » بدل « كربها » وكلاهما بمعنى : أصل السعفة العليضة العريضة

البرزخ ، فقد أخبر الرسول صلى الله عليه وسلم : « أَنْ أَرْوَاحَ الشُّهَدَاءِ فِي خَوَاصِلِ طَيْرٍ خَضِرٍ تَرعى فِي الْجَنَّةِ ، وَتَأْوِي إِلَى قَنَادِيلٍ مُعَلَّقَةٍ تَحْتَ الْعَرْشِ »<sup>(١)</sup> . ومصدق هذا في قوله تعالى :

﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتًا بَلْ أَحْيَاءٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ ﴿١٥٦﴾ فَرِحِينَ بِمَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ وَيَسْتَبْشِرُونَ بِالَّذِينَ لَمْ يَلْحَقُوا بِهِمْ مِنْ خَلْفِهِمْ أَلَّا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿١٥٧﴾﴾<sup>(٢)</sup>

وثانياً : أن القدرة الكافية التي خلقت الإنسان اليوم ورزقه ، وخلقت له ضروباً من النعيم الدنيوي كأطيب المطاعم ، وألذ المشارب ، وأجمل الملابس ، وأحسن المساكن وأفره المراكب ، قادرة على إيجاد ذلك في الملكوت الأعلى وتوفيره بصورة أجل وأكرم .

وثالثاً : تفضيل الحياة الدنيا التي وجدت على أساس الفناء على الآخرة التي وجدت على أساس البقاء ، وتفضيل ما يفنى على ما يبقى مردود عقلاً ، ومن هنا كان من غير المعقول أن يكون النعيم في الحياة الدنيا جثمانياً روحياً ينال الجسم والروح معاً مع أن الدار دار كدر ، وتنغيص ، وفناء ، كل ما فيها وجد على مبدأ الزمان المؤقت ، والأجل المعدود ، ويكون النعيم في الآخرة وهي الحياة الباقية الخالدة روحياً بحثاً لا وجود للأجسام ، ولا علاقة للأرواح بها ، في حين أن الحياة في البرزخ وهو الفترة ما بين موت الإنسان إلى يوم أن يبعث لم تنقطع فيها علاقة الروح بالجسد ، وإن فني وكان تراباً ، إذ سيبقى للروح تعلق بالقبر كامل ، فيكون القبر لها أشبه بمحطة اللاسلكي متى أرادت

(١) معنى الحديث مخرج في الحاكم على شرط مسلم ووافقه الذهبي (٢/ ٢٩٧ . ٢٩٨) ، وقد

رواه مسلم بقريب من هذا اللفظ (٦/ ٣٨ ، ٣٩) .

(٢) سورة آل عمران الأيتان (١٦٩ ، ١٧٠) .



الاتصال به اتصلت ، ولهذا ورد أن الميت إذا سلم عليه زائره في قبره عرفه ورد عليه السلام<sup>(١)</sup> .

هذا وكل ما ذكرنا من هذه الأدلة العقلية على أن النعيم يكون في الآخرة جثمانياً روحياً معاً ليس بشيء إلى جانب الأدلة السمعية الدينية الشرعية التي هي أخبار الله تعالى ، وأخبار رسوله صلى الله عليه وسلم ، إذ لا أعلم بالخلق من الخالق : ولا من الرائي بما رأى وشاهد . والله تعالى يقول مخبراً عما سينعم به على عباده المسلمين الذين آمنوا وكانوا يتقون

يَعْبُدُونَ لِأَخَوْفٍ عَلَيْكَ الْيَوْمَ وَلَا أَنْتُمْ تَحْزَنُونَ ﴿٥٨﴾ الَّذِينَ ءَامَنُوا بِبَيِّنَاتٍ وَكَانُوا مُسْلِمِينَ ﴿٥٩﴾ أَدْخَلُوا الْجَنَّةَ أَنْتُمْ وَأَزْوَاجُكُمْ تُحْبَرُونَ ﴿٦٠﴾ يُطَافُ عَلَيْهِمْ بِصُحُفٍ مِنْ ذَهَبٍ وَأَكْوَابٍ وَفِيهَا مَأْسُومَاتٌ مِثْلُ النُّفُسِ وَاسْتَأْذِنُ الْآعِينَ وَأَنْتُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴿٦١﴾ وَتِلْكَ الْجَنَّةُ الَّتِي أُورِثْتُمُوهَا بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٦٢﴾ لَكُمْ فِيهَا فَاكِهَةٌ كَثِيرَةٌ مِنْهَا تَأْكُلُونَ ﴿٦٣﴾

ولرسول صلى الله عليه وسلم يحدث عن نعيم أهل الجنة ، ويصفه كما رآه وعرفه فيقول : « أهل الجنة يأكلون فيها ويشربون ، ولا يتفنون ، ولا يبولون ، ولا يتغوطون . قالوا : فما بال الطعام ؟ قال : جشاء ورشح كرشح المسك . يلهمون التسبيح والتحميد كما تلهمون

١ . هـ . في حديث ثوري صحيحه عن عبد الله بن ثوري قال : « ما من رجل يمرض في حجره حتى يقرأ في الذكر فيسلم عليه إلا رد الله روحه حتى يرد عليه السلام » عن

ص ٤٢٦ - ٤٢٧

(٢١) ص ٤٢٦ - ٤٢٧ (٧٣ - ٦٨)

لنَفْسٍ»<sup>(١)</sup>. ويقول : «إِنَّ أَسْفَلَ أَهْلِ الْجَنَّةِ أَجْمَعِينَ دَرَجَةٌ لِمَنْ يَقُومُ عَلَى رَأْسِهِ عَشْرَةُ آلَافٍ خَادِمٍ ، مع كُلِّ خَادِمٍ صَحْفَتَانِ وَاحِدَةٌ مِنْ ذَهَبٍ وَالْأُخْرَى مِنْ فِضَّةٍ ، فِي كُلِّ وَاحِدَةٍ لَوْ لَيْسَ فِي الْأُخْرَى بِثَلْثُهُ ، يَأْكُلُ مِنْ آخِرِهَا بِمِثْلِ مَا يَأْكُلُ مِنْ أَوَّلِهَا يَجِدُ لآخِرِهَا مِنَ الطَّيِّبِ وَاللَّذَّةِ مِثْلَ مَا يَجِدُ لِأَوَّلِهَا ، ثُمَّ يَكُونُ ذَلِكَ رِيحَ الْمِسْكِ الْأَذْفَرِ ، لَا يُبُولُونَ ، وَلَا يَتَغَوَّطُونَ ، وَلَا يَمْتَخِطُونَ»<sup>(٢)</sup>.

وما ذكرناه لم يعد أن يكون شاهداً فقط ، وإلا فإن هناك عشرات الآيات ، والأحاديث الصحاح تصرح بنعيم أهل الجنة ، وأنه روحاني جشمانى ، وأنه ليس مقصوراً على المطاعم والمشارب بل يتعداه إلى ليس الحلل ، والتحلي بالحلي ، والجلوس على الأرائك ، والتمتع بالنساء والطرب ، وركوب الخيل ، والزيارات الكريمة ، واللقاءات الحبية .

وهذه أخبار الله تعالى ، وأخبار رسوله صلى الله عليه وسلم تتحدث بذلك فلنستمع إليها وهي تقول : عن الحلبي والحلل .

﴿إِنَّ اللَّهَ يَدْخُلُ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرَى مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ يُحَلَّوْنَ فِيهَا مِنْ أَسَاوِرَ مِنْ ذَهَبٍ وَلُؤْلُؤًا وَلِبَاسُهُمْ فِيهَا حَرِيرٌ ۝ وَهُمْ فِيهَا يَتَزَوَّجُونَ وَلَهُمْ فِيهَا مَزْجَجٌ وَفِيهَا أَزْوَاجٌ مُثَبَّاتَةٌ عَلَيْهِمْ فِيهَا كُنُفٌ وَمِنْ تَحْتِهَا نَاقُورٌ يَصُوتُ لِلرَّحْمَنِ إِذَا أَمَرَ بِشَيْءٍ فَإِذَا جَاءَ أَمْرُهُ يَفْعَلُ ۝ وَلا يَنْصَبُونَ عَلَيْهِمْ شَيْئاً مِنْ شَيْءٍ وَهُمْ فِيهَا ضَافِرُونَ فِي الْإِلَهِمْ أَغْرَقُوا ۝ وَهُمْ فِيهَا يَتَزَوَّجُونَ وَلَهُمْ فِيهَا مَزْجَجٌ وَفِيهَا أَزْوَاجٌ مُثَبَّاتَةٌ عَلَيْهِمْ فِيهَا كُنُفٌ وَمِنْ تَحْتِهَا نَاقُورٌ يَصُوتُ لِلرَّحْمَنِ إِذَا أَمَرَ بِشَيْءٍ فَإِذَا جَاءَ أَمْرُهُ يَفْعَلُ ۝ وَلا يَنْصَبُونَ عَلَيْهِمْ شَيْئاً مِنْ شَيْءٍ وَهُمْ فِيهَا ضَافِرُونَ فِي الْإِلَهِمْ أَغْرَقُوا ۝﴾<sup>(٣)</sup>

(١) رواه مسلم (٨ / ١٤٧) وفي البخاري معناه (٤ / ١٤٣) .

(٢) رواه ابن أبي الدنيا والطبراني : قال المنذري رواه ثقات الترغيب والترهيب (٤ / ٥٠٨) .

(٣) سورة الحج الآيتان (٢٣ ، ٢٤) .

وعن الأرائك والأسرة :

تقول :

﴿وَالسَّيُّقُونَ السَّيُّقُونَ﴾ ١٢٠ ﴿أُولَئِكَ الْمُقَرَّبُونَ﴾ ١٢١ ﴿فِي جَنَّاتِ النَّعِيمِ﴾ ١٢٢  
ثَلَاثَةٌ مِنَ الْأَوَّلِينَ ١٢٣ ﴿وَقَلِيلٌ مِنَ الْآخِرِينَ﴾ ١٢٤ ﴿عَلَى سُرُرٍ مَوْضُوعَةٍ﴾ ١٢٥  
مُتَّكِئِينَ عَلَيْهَا مُتَقَابِلِينَ ١٢٦ ﴿

وتقول :

﴿وَجَزَيْنَهُمْ بِمَا صَبَرُوا جَنَّةً وَحَرِيرًا﴾ ١٢٧ ﴿مُتَّكِئِينَ فِيهَا عَلَى الْأَرَائِكِ﴾  
لَا يَرَوْنَ فِيهَا تَمَرًا وَلَا زَمْهَرِيرًا ١٢٨ ﴿وَدَانِيَةً عَلَيْهِمْ ظِلَالُهَا وَذُلَّتْ﴾  
قُطُوفُهَا تَذَلِيلًا ١٢٩ ﴿

وعن النساء :

تقول :

﴿وَعِنْدَهُمْ قَصِيرَاتُ الْظُرْفِ عَيْنٌ﴾ ١٣٠ ﴿كَأَنَّهُنَّ بَيْضٌ مَكْنُونٌ﴾ ١٣١ ﴿

وتقول : « ولو اطلعت امرأة من نساء أهل الجنة إلى الأرض لَمَلَأَتْ مَا  
بينها ريحاً ، ولأضاعت ما بينها ، ولنصفقها على رأسها خيراً من الدنيا  
وما فيها » ١٣٢ ﴿

وتقول : « لو امرأة من نساء أهل الجنة أشرفت لَمَلَأَتْ الأرض ريح مسل ،

(١) سورة الواقعة الآيات (١٠ - ١٦)

(٢) سورة الإنسان الآيات (١٢ - ١٤)

(٣) سورة الصافات الآيات (٤٨ ، ٤٩)

(٤) البخاري يقرب من هذا اللفظ (٤) / ٢٠ ، (٢١)

وَلَذَهَبَ صَوُّ الشَّمْسِ وَالْقَمَرِ<sup>(١)</sup> .

وعن الطرب :

تقول : « إِنَّ فِي الْجَنَّةِ لِمَجْتَمَعًا لِلْحَوَارِ الْعَيْنِ يَرْقَعْنَ بِأَصْوَاتٍ لَمْ تَسْمَعْ  
الْخَلَائِقُ بِمِثْلِهَا يَقْلَنُ :

نَحْنُ الْخَالِدَاتُ ، فَلَا نَبِيدُ .

وَنَحْنُ النَّاعِمَاتُ ، فَلَا نَبَأُ .

وَنَحْنُ الرَّاغِبَاتُ ، فَلَا نَسْخَطُ .

طَوْنِي لِمَنْ كَانَ لَنَا وَكُنَّا لَهُ<sup>(٢)</sup> .

وتقول : « إِنَّ فِي الْجَنَّةِ نَهْرًا طُولُ الْجَنَّةِ ، حَافَتَاهُ الْعَذَارَى قِيَامٌ  
مُتَقَابِلَاتٌ يُغْنِيَنَّ بِأَحْسَنِ أَصْوَاتٍ يَسْمَعُهَا الْخَلَائِقُ ، حَتَّى مَا يَرُونَ فِي  
الْجَنَّةِ مِثْلَهَا ، قِيلَ لِأَبِي مُرَيْرَةَ ( رَاوِي هَذَا الْخَبَرِ ) : مَا ذَاكَ الْغِنَاءُ ؟ قَالَ : إِنَّ شَاءَ  
اللَّهُ : التَّسْبِيحُ ، وَالتَّحْمِيدُ ، وَالتَّقْدِيسُ ، وَالثَّنَاءُ عَلَى الرَّبِّ عَزَّ وَجَلَّ<sup>(٣)</sup> .

وعن الخيل وركوبها :

تقول : « قَالَ عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ سَاعِدَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ كُنْتُ رَجُلًا أُحِبُّ  
الْخَيْلَ فَقُلْتُ : يَا رَسُولَ اللَّهِ ، هَلْ فِي الْجَنَّةِ خَيْلٌ ؟ فَقَالَ : إِنَّ أَدْخَلَكَ  
اللَّهُ الْجَنَّةَ يَا عَبْدَ الرَّحْمَنِ كَانَ لَكَ فِيهَا فَرَسٌ مِنْ الْيَاقُوتِ لَهُ جَنَاحَانِ

(١) رواه الطبراني والبخاري وإسناده حسن . الترغيب والترهيب ( ٤ / ٥٢٣ ) .

(٢) رواه البهقي والترمذي ووسمه بالغرابية الترغيب والترهيب ( ٤ / ٥٣٧ ) .

(٣) رواه البهقي موقوفا الترغيب والترهيب ( ٤ / ٥٣٨ ، ٥٣٩ ) .

يَطِيرُ بِكَ حَيْثُ شِئْتَ»<sup>(١)</sup>، وتقول :

«إِنَّ فِي الْجَنَّةِ لَشَجَرَةً يَخْرُجُ مِنْ أَعْلَاهَا حُلَلٌ ، وَمِنْ أَسْفَلِهَا خَيْلٌ  
مِنْ ذَهَبٍ مُسَرَّجَةٌ مُلَجَمَةٌ مِنْ دُرٍّ وَيَاقُوتٍ لَا تَرَوْتُ وَلَا تَبُولُ ، لَهَا  
أَجْنَحَةٌ خُطُوها مَذْبُورٌ ، فَيَرْكَبُهَا أَهْلُ الْجَنَّةِ ، تَطِيرُ بِهِمْ حَيْثُ شَاءُوا»<sup>(٢)</sup> .

وعن تزاورهم :

تقول «إِذَا دَخَلَ أَهْلُ الْجَنَّةِ الْجَنَّةَ فَيَشْتَاقُ الْإِخْوَانُ بَعْضُهُمْ إِلَى  
بَعْضٍ ، فَيَسِيرُ سَرِيرٌ هَذَا إِلَى سَرِيرٍ هَذَا ، وَيَسِيرُ سَرِيرٌ هَذَا إِلَى  
سَرِيرٍ هَذَا حَتَّى يَجْتَمِعَا جَمِيعاً ، فَيَتَكَيءُ هَذَا وَيَتَكَيءُ هَذَا فَيَقُولُ أَحَدُهُمَا  
لصَاحِبِهِ : أَتَعْلَمُ مَتَى غَفَرَ اللَّهُ لَنَا ؟ فَيَقُولُ صَاحِبُهُ : يَوْمَ كَذَا ، فِي الْوَضْعِ  
كَذَا ، فَدَعَوْنَا اللَّهَ تَعَالَى فَغَفَرَ لَنَا»<sup>(٣)</sup> .

وعن أعظم نعيم روحاني يتم لهم في دار السلام :

تقول : «إِذَا سَكَنَ أَهْلُ الْجَنَّةِ الْجَنَّةَ أَتَاهُمْ مَلَكٌ فَيَقُولُ لَهُمْ : إِنَّ  
اللَّهَ تَعَالَى بِأَمْرِكُمْ أَنْ تَزُورُوهُ ، فَيَجْتَمِعُونَ ، فَيَأْمُرُ اللَّهُ تَعَالَى دَاوُدَ عَلَيْهِ  
الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ فَيَرْفَعُ صَوْتَهُ بِالتَّسْبِيحِ وَالتَّهْلِيلِ ، ثُمَّ تَوَضُّعُ مَائِدَةِ  
الْخُلْدِ ، قِيلَ يَا رَسُولَ اللَّهِ : وَمَا مَائِدَةُ الْخُلْدِ ؟ قَالَ : زَاوِيَةٌ مِنْ زَوَايَاهَا  
أَوْسَعُ مِمَّا بَيْنَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ ، فَيُطْعَمُونَ ، ثُمَّ يُكْسَوْنَ ، فَيَقُولُونَ :  
لَهُ يَبْقَى إِلَّا النَّظَرُ إِلَى وَجهِ رَبِّنَا عِزَّ وَجَلٍ فَيَتَجَلَّى لَهُمْ فَيَخْرُونَ سُجُوداً ،  
فَيَقَالُ : لَسْتُمْ فِي دَارِ عَمَلٍ إِنَّمَا أَنْتُمْ فِي دَارِ جَزَاءٍ»<sup>(٤)</sup> وتقول : «بَيْنَمَا

(١) . و . ص ١٠٠ ، تهافت الترغيب والترهيب (٤ / ٥٤٥)

(٢) . ص ١٠١ ، نبي وسكت عنه المندري الترغيب والترهيب (٥ / ٥٤٤)

(٣) . ص ١٠١ ، نديا والبرار وسكت عنه المندري ، الترغيب والترهيب (٤ / ٥٤٣)

(٤) . ص ١٠١ ، نبي وسكت عنه المندري وسكت عنه المندري معه موافقة مع على سلامة الرواية

ترغيب والترهيب (٤ / ٥٤٦)

أَهْلَ الْجَنَّةِ فِي نَعِيمِهِمْ إِذْ سَطَعَ لَهُمْ نَوْرٌ ، فَرَفَعُوا رُؤُوسَهُمْ ، فَإِذَا الرَّبُّ جَلَّ جَلَالُهُ . قَدْ أَشْرَفَ عَلَيْهِمْ مِنْ فَوْقِهِمْ فَقَالَ : السَّلَامُ عَلَيْكُمْ يَا أَهْلَ الْجَنَّةِ فَلَا يَلْتَفِتُونَ إِلَى شَيْءٍ مِمَّا هُمْ فِيهِ مِنَ النِّعَمِ مَا دَامُوا يَنْظُرُونَ إِلَيْهِ تَعَالَى حَتَّى يَحْتَجِبَ عَنْهُمْ ، وَتَبَقَّى فِيهِمْ بَرَكَتُهُ وَنُورُهُ<sup>(١)</sup> .

وتقول « إِنَّ اللَّهَ يَقُولُ لِأَهْلِ الْجَنَّةِ : يَا أَهْلَ الْجَنَّةِ . فَيَقُولُونَ : - لَيْبِكَ رَبَّنَا وَسِعْدِيكَ ، وَالْخَيْرُ فِي يَدَيْكَ . فَيَقُولُ : هَلْ رَضِيتُمْ ؟ يَقُولُونَ وَمَا لَنَا لَا نَرْضَى يَا رَبِّ وَقَدْ أُعْطِينَا مَا لَمْ نَعْطَ أَحَدًا مِنْ خَلْقِكَ فَيَقُولُ : أَلَا أُعْطِيَكُمْ أَفْضَلَ مِنْ ذَلِكَ ؟ فَيَقُولُونَ : يَا رَبِّ وَآيُ شَيْءٍ أَفْضَلُ مِنْ ذَلِكَ ؟ فَيَقُولُ أَجَلُ عَلَيْكُمْ رِضْوَانِي فَلَا أَسْخَطُ عَلَيْكُمْ بَعْدَهُ أَبَدًا<sup>(٢)</sup> .

(١) رواه ابن ماجه وغيره وسكت عنه المنذري (٤ / ٥٥٣) .

(٢) البخاري ومسلم واللفظ له (٨ / ١٤٤) ، واللؤلؤ والمرجان (٣ / ٢٨٧) . والبخاري (٨ / ١٤٢) .

## دار البوار

إن دار النوار هي نار جهنم مأوى الكافرين<sup>(١)</sup>، كما أن دار السلام هي الجنة دار المؤمنين المتقين<sup>(٢)</sup>، وقد تقدم لنا أنه من إتمام البحث لعقيدة المؤمن في اليوم الآخر، أو البعث والجزاء أن يخص كل من دار السلام، ودار النوار بعرض خاص يحلّي حقيقة كل منهما بما يبعث على الرغبة في الفوز بدار السلام، وعلى الرهبة من دار النوار، فتطلب دار السلام بالإيمان والتقوى، وتطلب الجنة من دار النوار بالحنث لشرك، وترك المعاصي، وقد استعرضت الجنة دار السلام ستعرض كدف - والحمد لله - حتى لكأن القارئ عندما يهيئ آخر حبر عنها قد رآه بأمره، وعاش فيها بنفسه وبذنه، وه نحن نستعرض دار النور - أعاذ الله منها - زحزحنا عنها لسحوا من عذابها، وفور راحة وعيمها فقول: إن الحديث عن دار النوار ليس كالحديث عن دار الأبرار، فإذا حس الأضباب في الحديث هناك فيه يحس الاقتصاب في الحديث هنا، إذ النفس تنسبط عند سماع النعيم، وترتاج له، وتند، وتقص عند سماع الشقاء، وترتاج له، وترهبه، ولذا فسرع في تعرض لدار البوار، ونوجز فيه ما أمكن الإيجاز على خلاف سعادتنا لدار السلام، وما فيها من نعيم مقيم، وهذا هو المعرض:

(١) بقا الله تعالى: "ألم تر إلى الذين بدلوا نعمة الله كفرا وأحلوا قومهم دار النوار، جهنم يصوبونها وشأن القرآن" سورة إبراهيم، الأيتان (٢٨، ٢٩).  
(٢) "ألم تر إلى الذين بدلوا نعمة الله كفرا وأحلوا قومهم دار السلام" سورة يونس الآية (٢٥) وقال عز من قائل: "ولهم دار السلام عند ربهم" سورة الأنعام الآية (١٢٧).

## مخبيء جهنم للناس في الموقف

وها هي ذي جهنم قد جيء بها ، وبرزت للناس في غرصات القيامة قال تعالى :

﴿وَجَاءَ يَوْمَئِذٍ يَوْمِئِذٍ بِجَهَنَّمَ﴾<sup>(١)</sup>

وقال : ﴿وَبُرَزَتِ أَلْحَمِيمُ لِلْغَاوِينَ﴾<sup>(٢)</sup>

إن الانقلاب الكوني الذي يتم ، وتبدل فيه الأرض غير الأرض ، والسموات غير السموات ، ويبرز للناس فيه الله الواحد القهار . كما قال تعالى من سورة إبراهيم عليه السلام :

﴿يَوْمَ تُبَدَّلُ الْأَرْضُ غَيْرَ الْأَرْضِ وَالسَّمَوَاتُ وَبَرَزُوا لِلَّهِ الْوَاحِدِ الْقَهَّارِ﴾<sup>(٣)</sup>

يفاجأ فيه الناس من أهل الموقف بظاهرة غريبة وهي بروز جهنم لهم ، ورؤيتهم لها ، حيث يجاء بها تُجر بالآزمة كما تجر القاطرة ، ولها تغيظ وزفير كما قال الله تعالى :

﴿وَجَاءَ يَوْمَئِذٍ يَوْمِئِذٍ بِجَهَنَّمَ يَوْمَئِذٍ يَتَذَكَّرُ الْإِنْسَانُ وَأَنَّى لَهُ الذِّكْرَى﴾<sup>(٢٣)</sup>  
يَقُولُ يَلَيْتَنِي قَدَّمْتُ لِحَيَاتِي﴾<sup>(٢٤)</sup>

(٢) سورة الشعراء الآية (٩١) .

(١) سورة الفجر الآية (٢٣)

(٣) الآية (٤٨) .

(٤) سورة الفجر الايتان (٢٣ ، ٢٤) .



وكفوله تعالى :

﴿ وَبَرَزَتْ الْجَحِيمُ لِلْغَاوِينَ ﴿٩١﴾ وَقِيلَ لَهُمْ إِنَّمَا كُنتُمْ تَعْبُدُونَ ﴿٩٢﴾ مِنْ دُونِ اللَّهِ هَلْ يَنْصُرُوكُمْ أَوْ يَنْتَصِرُونَ ﴿٩٣﴾ فَكُفُّوا فِيهَا هُمْ وَالْغَاوُونَ ﴿٩٤﴾ وَجُنُودُ إِبْلِيسَ أَتَمَعُونَ ﴿٩٥﴾ ﴾<sup>(١)</sup>

وقوله صلى الله عليه وسلم في الصحيح « يُؤْتَى بِجَهَنَّمَ يَوْمَئِذٍ لَهَا سَبْعُونَ أَلْفَ زَمَامٍ ، مع كُلِّ زَمَامٍ ، سَبْعُونَ أَلْفَ مَلَكٍ يَجُرُونَهَا »<sup>(٢)</sup> .

(١) سورة شعراء الآيات (٩١-٩٥)

(٢) رواه مسلم (٨ / ١٤٩) ورواه الترمذي كتاب صفة جهنم (١)

## أَبْوَابُ جَهَنَّمَ

إن دار البوار وهي عبارة عن عالم الشقاء ذات دركات ، دركة تحت الأخرى إلى نهايتها ، وهي سبع تتفاوت في شدة عذابها ، أخفها عذاباً أعلاها ، وأشدّها أسفلها ، ولكل دركة اسمها الخاص بها ، وبابها الخاص كما قال تعالى :

﴿وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمَوْعِدُهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٤٣﴾ لَهَا سَبْعَةُ أَبْوَابٍ لِّكُلِّ بَابٍ مِنْهُمْ جُزْءٌ مَّقْسُومٌ ﴿٤٤﴾﴾

وكما قال تعالى :

﴿إِنَّ الْمُنْفِقِينَ فِي الدَّرَكِ الْأَسْفَلِ مِنَ النَّارِ ﴿٣٠﴾﴾

وقد وردت أسماء دركات دار البوار في القرآن الكريم ، غير أنها وردت مفرقة في عدة سور ، ومذكورة في عشرات الآيات بحسب سياق الحديث عنها ، وقد يكون ترتيبها كالتالي : نار جهنم ، لظى ، الحطمة ، السعير ، سقر ، الجحيم ، والهاوية . هذه هي السبع الدركات ، اللهم أجرنّا منها ، واصرف عنا عذابها

﴿إِنَّ عَذَابَهَا كَانَ غَرَامًا ﴿٦٥﴾ إِنَّهَا سَاءَتْ مُسْتَقَرًّا وَمُقَامًا ﴿٦٦﴾﴾

(١) سورة الحجر الأيتان (٤٣ ، ٤٤) .

(٢) سورة النساء الآية (١٤٥) .

(٣) سورة الفرقان الأيتان (٦٥ ، ٦٦) .

## کیف یدخلونها؟

إنه یؤتی ناهل النار یسفون إلیها فوج متدعة فوج بعد جرج  
وزمرا متداركة رمرة بعد أخرى ، وقد روت لهم كما قال تعالیٰ  
﴿ وَسِيقَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِلَىٰ جَهَنَّمَ زُمَرًا ۖ ﴾ (۱۱)

وما إن تراهم من مكان عید حتی سمعوا لها تعیضه ورفیرہ . کما قال  
تعالیٰ

﴿ إِذْ رَأَوْنَهُمْ مِنْ مَّكَانٍ بَعِيدٍ سَمِعُوا لَهَا تَغِيْضًا وَزَفِيرًا ۚ ﴾ (۱۲)

ثم یخرج منها عنق فیتهم من شاء الله ان یتقیهم من هن  
لحدیث من الحدیث وللمشركین . فقد جاء هذا وحی فی رویہ  
شرمیٰ إذ بقول صلی الله علیه وسلم یخرج عنق من النار يوم  
القیامة له عینان تبصران . وأذانان تسمعان . ولسان ینطق . ینزل  
بكل حبار عنید . وبكل من دعا مع الله إلهها اخر . وبالمصورین . وتساق تنك  
الزمر إلی جهنم حتی إذا وصلوها وجدوا أبوابها مغلقة . فتفتح لهم . ویدفعون  
إلیها دفعا عنیفا كما قال تعالیٰ

﴿ یَوْمَ یُدْعَوْنَ إِلَىٰ نَارِ جَهَنَّمَ دَعَا هَٰذِهِ نَارُ جَهَنَّمَ ۖ كَذَّبَتْ  
فَسْخَرَهُدَّ ۖ هَٰ أَنتُمْ لَا تَبْصُرُونَ ۚ ۝ أَصْلَوْهُ فَصَبُّوا وَلَا تَنْصُرُوهُ  
سُوءًا عَلَیْكُمْ ۚ ۝ أَنْتُمْ تُجْرَوْنَ مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ۚ ﴾ (۱۳)

ثم یسوقون منها فی أماكن ضيقة وهم مقیدون فی الأصقار . مکبلون بالسلاسل

(۱۱) سورة الاحقاف: ۲۷

(۱۲) سورة الاحقاف: ۲۸

(۱۳) سورة الاحقاف: ۲۹-۳۰-۳۱

والأغلال كما قال تعالى :

﴿وَإِذَا الْقَوَا مِنْهَا مَكَانًا ضَيِّقًا مُقَرَّنِينَ دَعَوْا هُنَالِكَ ثُبُورًا﴾ (١)

وكما قال تعالى :

﴿وَتَرَى الْمُجْرِمِينَ يَوْمَئِذٍ مُقَرَّنِينَ فِي الْأَصْفَادِ﴾ (٢) ﴿سَرَابِلُهُمْ مِّنْ قِطْرَانَ النَّارِ﴾ (٣)

هذا طرف من بعض أحوال أهل النار عند دخولهم لها ، ذكرناه بياناً لجانب من جوانب الحديث عن دار البوار ، وسنواصل العرض والحديث في اقتضاب وإيجاز وفاء بما وعدنا والله المستعان .

### عذابهم فيها وتلاومهم

وما أن تستقر تلك الجماعات الهالكة ، والزمر الخاسرة في جهنم بعد أن ألقوا فيها مهانين ، حقيرين ، ذليلين حتى ينزل بهم عذاب نفساني أليم ، مهين ، ذلك هو عذاب التوبيخ ، والتقريع ، والتأنيب الذي يتلقونه من ملائكة العذاب الموكلين بهم مثل قولهم : ﴿أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَذِيرٌ﴾ (٤)

﴿أَلَمْ يَأْتِكُمْ رَسُولٌ مِّنْكُمْ يَتْلُونَ عَلَيْكُمْ آيَاتِ رَبِّكُمْ وَيُنْذِرُونَكُمْ لِقَاءَ يَوْمِكُمْ﴾ (٥) ﴿هَذِهِ النَّارُ الَّتِي كُنْتُمْ بِهَا تُكَذِّبُونَ﴾ (٦)

(١) سورة الفرقان الآية (١٣) .

(٢) سورة إبراهيم الأيتان (٤٩ ، ٥٠) .

(٣) سورة الملك الآية (٨) .

(٤) سورة الزمر الآية (٧١) .

(٥) سورة الطور الآية (١٤) .

﴿أَصْلَوْهَا فَاصْبِرُوا أَوْ لَا تَصْبِرُوا سَوَاءٌ عَلَيْكُمْ إِنَّمَا تُحْزَنُونَ مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾<sup>(۱)</sup> ﴿فَذُوقُوا فَلَنْ تَزِيدَكُمْ إِلَّا عَذَابًا﴾<sup>(۲)</sup>

كل هذا التوبيخ والتقريع والتأنيب جاء بيانه في كتاب الله عز وجل ، وما ذكرناه قليل من كثير .

وأما تلاومهم فحدث ولا حرج ، ويكفي أن نصفي إلى بعض الآيات القرآنية التي سحلت تلاومهم بأمانة وصدق فلنسمع خاشعين إلى قول الله تعالى وهو يخبر عنهم فيقول :

﴿كُلَّمَا دَخَلَتْ أُمَّةٌ لَعَنَتْ أُخْتَهَا حَتَّىٰ إِذَا آذَرُكُوا فِيهَا جَمِيعًا قَالَتْ أُخْرَاهُمْ لِأُولِهِمْ رَبَّنَا هَٰؤُلَاءِ أَصْلَوْا فَعَنَيْنَهُمْ عَذَابَ ضِعْفٍ مِّنَ النَّارِ قَالَ لِكُلِّ ضِعْفٍ وَلَكِن لَّا تَعْلَمُونَ ۖ وَقَالَتْ أُولَهُمْ لِأُخْرَاهُمْ فَمَا كَانَ لَكُمْ عَلَيْهِمْ مِّنْ فَضْلٍ فَذُوقُوا الْعَذَابَ بِمَا كُنْتُمْ تَكْسِبُونَ﴾<sup>(۳)</sup>

في سورة

﴿وَلَوْ تَرَىٰ إِذِ الظَّالِمُونَ مَوْقُوفُونَ عِندَ رَبِّهِمْ يَرْجِعُ بَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ أَن يَقُولَ الَّذِينَ الَّذِينَ اسْتَضَعِفُوا لِلَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا لَوْلَا أَنْتُمْ لَكُنَّا مُؤْمِنِينَ قَالَ الَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا لِلَّذِينَ اسْتَضَعِفُوا أَلَمْ يَكُنْ صَدَقْتَكُمْ عَنْ الْهُدَىٰ بَعْدَ إِذْ جَاءَكُمْ بَلْ كُنْتُمْ مُجْرِمِينَ ﴿٣٩﴾ وَقَالَ الَّذِينَ اسْتَضَعِفُوا لِلَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا بَلْ مَكْرُ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ إِذْ تَأْمُرُونَنَا أَنْ نَكْفُرَ بِاللَّهِ

(۱) سورة البقرة (۱۶)

(۲) سورة البقرة (۳۰)

(۳) سورة البقرة (۳۸، ۳۹)

وَجَعَلَ لَهُ أَنْدَادًا وَأَسْرُوا النَّدَامَةَ لَمَّا رَأَوْا الْعَذَابَ وَجَعَلْنَا الْأَغْلَلَ  
فِي أَعْنَاقِ الَّذِينَ كَفَرُوا هَلْ يُجْزَوْنَ إِلَّا مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿١١﴾

ويقول :

﴿وَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ يَتَسَاءَلُونَ ﴿٢٧﴾ قَالُوا إِنَّا كُنْتُمْ تَأْتُونَنَا عَنِ  
الْبَيْمِ ﴿٢٨﴾ قَالُوا بَلْ لَمْ تَكُونُوا مُؤْمِنِينَ ﴿٢٩﴾ وَمَا كَانَ لَنَا عَلَيْكُمْ  
مِنْ سُلْطَانٍ بَلْ كُنْتُمْ قَوْمًا طَافِينَ لِحَقِّ عَلَيْنَا قَوْلُ رَبِّنَا إِنَّا لَذَائِقُونَ  
فَأَعْوَيْنَكُمْ إِنَّا كُنَّا غَائِبِينَ ﴿٣٠﴾ فَإِنَّهُمْ يَوْمَئِذٍ فِي الْعَذَابِ  
مُشْتَرِكُونَ ﴿٣١﴾﴾

ويقول :

﴿هَذَا وَإِنَّ لِلطَّافِينَ لَشَرَّ مَقَابٍ ﴿٥٥﴾ جَهَنَّمَ يَصْلَوْنَهَا فَنَسُوا الْمِهَادُ  
هَذَا فَلْيَذُوقُوهُ حَمِيمٌ وَغَسَّاقٌ ﴿٥٧﴾ وَءَاخِرُ مِنْ شَكْلِهِ أَزْوَاجٌ ﴿٥٨﴾ هَذَا  
فَوْجٌ مُقْتَنِحٌ مَعَكُمْ لَا مَرَحَبَا بِهِمْ إِنَّهُمْ صَالُوا النَّارِ ﴿٥٩﴾ قَالُوا بَلْ  
أَنْتُمْ لَا مَرَحَبَا بِكُمْ أَنْتُمْ قَدَّمْتُمُوهُ لَنَا فَنَسِ الْقَرَارُ ﴿٦٠﴾ قَالُوا رَبَّنَا  
مَنْ قَدَّمَ لَنَا هَذَا فَزِدْهُ عَذَابًا ضِعْفًا فِي النَّارِ ﴿٦١﴾ وَقَالُوا مَا لَنَا لَا نَرَى  
رِجَالًا نَعُدُّهُمْ مِنَ الْأَشْرَارِ ﴿٦٢﴾ اتَّخَذْنَاهُمْ سِخْرِيًّا أَمْ زَاغَتْ عَنْهُمْ  
الْأَبْصَارُ ﴿٦٣﴾ إِنْ ذَلِكَ لِحَقٌّ تَخَاصُمُ أَهْلِ النَّارِ ﴿٦٤﴾﴾

(١) سورة سبا الآيات (٣١ - ٣٣) .

(٢) سورة الصافات الآيات (٢٧ - ٣٣) .

(٣) سورة ص (٥٥ / ٦٤) .

## خطبة إبليس في أهل النار

ومن أغرب ما يعرف عن أهل النار من أحوال في غاية العجب أن يخطب فيهم إبليس خطبة من أبلغ الخطب ، وأصحها ، وأشدّها أثراً ، ووقفاً في نفوس سامعيها أقماهم الله وإياه سوء الخاطب والمخطوب فقد يُنصب لإبليس منبر من نار فيرقاه فيخطب أهل النار عليه ، فيزيدهم في كربهم ، وطول محزنهم ، وشدة إبلاسهم ، وذلك لما يكسبهم خطابه من الندامة الممضة ، والحسرة القاتلة ، وقد سجل القرآن الكريم هذه الخطبة الإبلسية فلنستمع إليها كما جاءت من سورة إبراهيم عليه السلام

﴿ وَقَالَ الشَّيْطَانُ لَمَّا قُضِيَ الْأَمْرُ إِنَّ اللَّهَ وَعَدَكُمْ وَعَدَ الْحَقِّ وَوَعَدْتُكُمْ فَأَخْلَفْتُكُمْ وَمَا كَانَ لِي عَلَيْكُمْ مِنْ سُلْطَانٍ إِلَّا أَنْ دَعَوْتُكُمْ فَاسْتَجَبْتُمْ لِي فَلَا تَلُمُونِي وَلَوْلَا أَنْفُسُكُمْ مَا آتَاكُمْ مَصْرِحَكُمْ وَمَا أَنْتُمْ بِمُصْرِحِي إِلَى كَفَرْتُمْ بِمَا أَشْرَكْتُمُونِ مِنْ قَبْلُ إِنَّ الظَّالِمِينَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ١١ ﴾

## درجة الحرارة في جهنم

إن حر نار جهنم لشدته قد يصهر كل ما يلقى فيه ، وإن الاستعار والتأجج في جهنم يزداد باستمرار ، لقوله تعالى

﴿ مَا أُنْزِلَتْ بِهِمْ جَهَنَّمَ كَمَا خَبَتْ زِدْنَاهُمْ سَعِيرًا ١٢ ذَٰلِكَ جَزَاءُ هُم بِأَنَّهُمْ كَفَرُوا بِآيَاتِنَا وَقَالُوا أَإِذَا كُنَّا عِظْمًا وَرُفُنًا أَأَنْتَ الْمَبْعُوثُونَ خَلْقًا جَدِيدًا ١٣ وَهُمْ يَرْوَوْنَ أَنَّ اللَّهَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ قَادِرٌ عَلَى أَنْ يَخْلُقَ

(١) الآية (٢٢)

مِثْلَهُمْ وَجَعَلَ لَهُمْ أَجَلاً لَا رَيْبَ فِيهِ ﴿١١﴾

ولهذا فلن نستطيع أن نقدر حر نار جهنم بأية نسبة من النسب التي يعرفها الناس اليوم عندما يقيسون حرارة أي جسم حراري ، سواء كان مغلياً ، أو ناراً ملتهبة . بيد أننا إذا أخذنا في اعتبارنا حديث الصحيحين والذي يقول فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم : « نَارُكُمْ هَذِهِ الَّتِي يُوقَدُ بِنَوَادِمِ آدَمَ جُزْءٌ مِنْ سَبْعِينَ جُزْءاً مِنْ حَرِّ جَهَنَّمَ . قَالُوا : إِنْ كَانَتْ لِكَافِيَةٍ يَا رَسُولَ اللَّهِ : فَإِنَّهَا فَضِلَتْ عَلَيْهَا بِتِسْعَةٍ وَتِسْتِينَ جُزْءاً كُلُّهَا مِثْلُ حَرِّهَا » (١) . وإذا عرفنا درجة حرارة النار اليوم وضربناها في النسب المذكورة في الحديث أمكننا حينئذ أن نعرف درجة حرارة نار جهنم على وجه التقريب والمقايسة فقط .

### لون نار جهنم

إننا نعرف أن : النار جسم حراري ملتهب مضيء ، كما نشاهده عندما نوقد أي نار ، ونضرمها لحاجتنا إليها ، ولكن نار جهنم ليست معلومة عندنا ، ولا يمكننا أن نعرف أي شيء عنها ، إلا من طريق الوحي فقط ، فلو سألنا عن لونها ؛ لما أمكننا أن نجيب بشيء مقنع مالم يكن لدينا وحي فنجيب به . غير أن مالكاً رحمه الله تعالى قد روى لنا في موطنه حديثاً شريفاً ، صحيحاً أمكننا به أن نعرف لون نار جهنم ، وأنه أسود ، أشد سواداً من القار لقوله صلى الله عليه وسلم : في رواية مالك المشار إليها آنفاً : « أَتَرُونَهَا - نَارُ جَهَنَّمَ - خُمْرَاءُ كَنَارِكُمْ هَذِهِ ؟ لَيْسَ أَسْوَدُ مِنَ الْقَارِ » (٢) ويروي لنا الترمذي في جامعه عن أبي

(١) سورة الإسراء الآيات (٩٧-٩٩) .

(٢) متفق عليه واللفظ لمسلم (٨ / ١٤٩ ؛ ١٥٠) واللؤلؤ والمرجان (٢ / ١١٠) والبخاري (٤ /

١٤٧) ، والموطأ (٣ / ١٥٥-١٥٦) .

(٣) القار : الزفت المعروف . راجع الموطأ (٣ / ١٥٦) .



هزيمة رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : « أَوْقَدَ عَلَى النَّارِ أَلْفَ سَنَةٍ حَتَّى احْمَرَّتْ ، ثُمَّ أَوْقَدَ عَلَيْهَا أَلْفَ سَنَةٍ حَتَّى ابْيَضَّتْ ، ثُمَّ أَوْقَدَ عَلَيْهَا أَلْفَ سَنَةٍ حَتَّى اسْوَدَّتْ فَهِيَ سَوْدَاءُ مُظْلِمَةٌ » <sup>(١)</sup> ومن خلال هذا الوحي عرفنا لون نار جهنم . وبلغني وأنا أكتب هذا البحث أن علماء الكون اليوم قد أقرّوا هذه الحقيقة للون النار حسب مشاهداتهم للشموس الهائلة في هذا الفضاء الكبير والذي هو دون السماء الدنيا .

عمق جہنم وبعد غورها

إن جهنم وهي إحدى دركات دار البوار ليس من الممكن بغير  
البحر أن تعرف مدى عمقها ، ولا بعد غورها بحال من  
الأحوال ، لأنها لا تنس بقرون من أفران الدنيا اليوم مهما كان عظيماً ،  
حتى في عصر أفران الدرة وأنهدروحين ، وذلك لاختلاف ما بين الدب  
والحجارة ، وبعد ما بين ضيعتهما ، وللفرق الهائل الكبير بين صنع  
الحسين عز وجل وصنع المخلوق الضعيف .

ولكني عرف على وجه التقريب عمق جهنم ، وبعد غورها نورد قول رسول الله صلى الله عليه وسلم : « إِنَّ الصَّخْرَةَ تَلْقَى مِنْ شَفِيرِ جَهَنَّمَ فَتَهْوِي سَبْعِينَ عَامًا وَمَا تُفْضِي إِلَى قَرَارِهَا »<sup>(٢)</sup> . وقوله صلى الله عليه عليه وسلم في صحيح مسلم من رواية أبي هريرة : قَالَ : « كُنَّا مَعَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ إِذْ سَمِعَ وَخْبَةً<sup>(٣)</sup> فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : تَذَرُونَ مَا

(١) لَمَّا مَنَى (صَفَهُ حَيْثُ كَانَ) لَيْسَ لَمْ يَمْنَى (وَأَمَّا مَا حَذَاهُ) (الْبَرْهَدُ / الْبَابُ الثَّامِنُ وَالْثَلَاثِينَ) وَقَالَ

٢٠٠٠ هـ : أحدث في هجرة في هذا الموقف ، وذكره عنه المدرس في التهذيب

والتكرار في الكلام مما لا محذور شرعي فيه فهو في حكم المرفوع .

(۷۱) ۵۴۰ برومیدی (۲۰۰۰) و احمد (۱۷۴)

(۳) صوت سقوط 'ح' ح

هَذَا ؟ قُلْنَا : اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ ، قَالَ هَذَا حَجَرٌ رُمِيَ بِهِ فِي النَّارِ مِنْذُ سَبْعِينَ خَرِيفاً فَهُوَ يَهْوِي فِي النَّارِ الْآنَ حَتَّى انْتَهَى إِلَى قَعْرِهَا <sup>(١)</sup> . ومما يؤثر عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه أنه كان يقول في خطبه : « أَكْثَرُوا ذِكْرَ النَّارِ ، فَإِنَّ حَرَّهَا شَدِيدٌ ، وَإِنَّ قَعْرَهَا بَعِيدٌ ، وَإِنَّ مَقَامُهَا حَدِيدٌ <sup>(٢)</sup> »

### أودية جهنم

إن دار البوار لعالم كبير ، لا يعرف له مدى ولا منتهى ، غير أننا لو أردنا أن نستشف منه وسعه وكبره لأمكننا ذلك من خلال ما صرح عن النبي ﷺ « من أن ناب الكافر في جهنم يكون كجبل أحد الذي يزيد طوله عن خمسة أميال ، وارتفاعه عن ميل كامل <sup>(٣)</sup> » .

إن عالم الشقاء : دار البوار لا شك أنه مكون من أودية ، وجبال لورود الوحي بذلك ، ففي التنزيل الكريم وردت ألفاظ مقرونة بما يدل على أنها ألوان من العذاب ، وفسرها في الجملة كثير من السلف بأنها أودية في جهنم ، ومن ذلك : الغي في قوله تعالى : ﴿ نَخْلَفُ مِنْ بَعْدِهِمْ خَلْفٌ أَضَاعُوا الصَّلَاةَ وَاتَّبَعُوا الشَّهْوَاتِ فَسَوْفَ يَلْقَوْنَ غِيًّا <sup>(٤)</sup> »

والأثام في قوله تعالى :

﴿ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ يَلْقَ أَثَامًا <sup>(٥)</sup> »

(١) مسلم (٨ / ١٥٠) .

(٢) رواه الترمذي في صفة جهنم ، الباب الثاني .

(٣) رواه مسلم بلفظ « ضرس الكافر أو ناب الكافر مثل أحد ، وغلط جلده مسيرة ثلاث » (٥٠ /

١٥٣ ، ١٥٤) .

(٥) سورة الفرقان الآية (٦٨) .

(٤) سورة مريم الآية (٥٩) .

والويل في قوله تعالى :

﴿وَيْلٌ لِّلْمُطَفِّفِينَ﴾<sup>(١)</sup> ﴿وَوَيْلٌ لِّلْكَافِرِينَ﴾<sup>(٢)</sup>

كما قد صح عن النبي صلى الله عليه وسلم : « تفسير الويل بواد في جهنم يهوي فيه الكافر أربعين خريفاً قبل أن يبلغ قعره »<sup>(٣)</sup> .

### سلاسل جهنم وأغلالها

إن من لوازم العذاب الشديد عادة السلاسل والأغلال ، والكبول والأنكال<sup>(٤)</sup> حتى إنه قد لا يتصور عذاب أليم لا يُغل فيه صاحبه ولا يكبل ، أو لا يوضع في سلسلة .

ومن هنا كان في جهنم السلاسل والأغلال ، والكبول والأنكال . وقد جاء ذلك وبيانه في كتاب الله عز وجل مفرقاً في عدة سور منه كقوله تعالى :

﴿إِنَّا أَعْتَدْنَا لِّلْكَافِرِينَ سَلَاسِلًا وَأَغْلَالًا وَسَعِيرًا﴾<sup>(٥)</sup>  
وقوله :

﴿إِن لَّدَيْنَا أَنكَالًا وَجَحِيمًا﴾<sup>(٦)</sup> وَطَعَامًا ذَا غُصَّةٍ وَعَذَابًا أَلِيمًا<sup>(٧)</sup>  
وقوله :

﴿فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ إِذْ أُلْغِلُوا فِي أَعْنَقِهِمْ وَالسَّلْسِلُ يُسْحَبُونَ فِي  
أَعْقِيمٍ ثُمَّ فِي النَّارِ يُسْجَرُونَ﴾<sup>(٨)</sup>

(٢) سورة إبراهيم الآية (٢)

(١) سورة طه الآية (١)

(٣) . . . مذي (تفسير سورة الأبيه) وأحمد (٣/ ٤٧٥) والحاكم وصححه (٤/ ٥٩٦)

(٤) جمع كل القيد الشديد ، وكذا الكل الذي جمعه انكال

(٥) سورة الأبيه الآية (٤)

(٧) سورة غافر الآيات (٧٠-٧٢)

(٦) سورة العنكبوت الآيات (١٢-١٣)

وقوله : -

﴿ خُذُوهُ فَغُلُّوهُ ۖ ثُمَّ الْجَحِيمَ صَلُّوهُ ۖ ثُمَّ فِي سِلْسِلَةٍ ذَرْعُهَا سَبْعُونَ  
ذِرَاعًا فَاسْلُكُوهُ ۚ إِنَّهُ كَانَ لَا يُؤْمِنُ بِاللَّهِ الْعَظِيمِ ۚ وَلَا يَحْضُرَ عَلَى  
طَعَامِ الْمَسْكِينِ ۖ ﴾ (١)

وقد روي بأسانيد جياد عن كثير من السلف أن هذه السلسلة تدخل في  
فم الكافر ، وتخرج من دبره ، فينظم فيها كما تنظم السمسم في  
الخيوط ، والخرزة في السلك .

### الحيات والعقارب في جهنم

إذا كانت جهنم - أجازنا الله تعالى منها - هي دار العذاب ، وعالم  
الشقاء ، كان العذاب أنواعاً متنوعة ، وصنوفاً مصنفة حتى في عالمنا  
الأرضي هذا ، وحياتنا الدنيا هذه ، فما بالناس بعالم الشقاء ، ودار  
البوار ، إن فيها من صنوف العذاب ، وضروب الشقاء ما لم تره عين ،  
ولم تسمعه أذن ، ومن هنا فلا يستغرب أبداً وجود حيات ناهشة ، ولا  
عقارب لاذعة مميتة في جهنم ، يعذب بنهشها ولسعها أهل دار  
العذاب ، وكيف ، وقد فسر الخبر ابن عباس رضي الله عنهما ، وقوله  
تعالى :

﴿ الَّذِينَ كَفَرُوا وَصَدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ زِدْنَاهُمْ عَذَابًا فَوْقَ الْعَذَابِ  
بِمَا كَانُوا يَفْسِدُونَ ۖ ﴾ (٢)

فسر زيادة العذاب بأنها عقارب تلسعهم العقرب كالبلغة الموكفة (٣)

(١) سورة الحاقة الآيات (٣٠ - ٣٤) راجع ابن جرير الطبري في تفسيره (١١ / ٦٣) .

(٢) سورة النحل الآية (٨٨) .

(٣) الموكفة : الضخمة الغزيرة اللبن ، راجع ابن جرير في تفسير سورة النحل (٦ / ١٦٠) .

ولا يبعد أن يكون هذا التفسير من ابن عباس مرفوعاً إلى النبي صلى الله عليه وسلم لاسيما وقد روى الحاكم وصححه عن النبي صلى الله عليه وسلم قوله « إِنَّ فِي النَّارِ حَيَاتٌ كَأَمْثَالِ أَعْتَاقِ الْبُخْتِ <sup>(١)</sup> تَلْسَعُ إِحْذَاهُنَّ اللَّسَعَةُ فَيَجِدُ خَرَّهَا سَبْعِينَ خَرِيفاً، وَإِنَّ فِي النَّارِ عِقَابٍ كَأَمْثَالِ الْبَعَالِ الْمَوْكُفَةِ تَلْسَعُ إِحْذَاهُنَّ اللَّسَعَةُ فَيَجِدُ حَمَوَتَهَا <sup>(٢)</sup> أَرْبَعِينَ سَنَةً <sup>(٣)</sup> ».

(١) سحت الإبل الحراسنة

(٢) الحموة صوزة وشدة الألم

(٣) الحاكم وقال فيه صحيح الاسناد ونه يخرجاه ووافقه الذهبي (٤ / ٥٩٣)

## طعام أهل النار

هل لأهل النار من طعام ؟ وهل حياتهم تمكنهم من أن يأكلوا أو يشربوا ؟

نعم ، إن لأهل النار مطاعم كثيرة ومشارب ، إذ الطعام والشراب من لوازم الحياة ، وأهل النار أحياء فيها لا يموتون : إذ لو ماتوا لاستراحوا من العناء والعذاب ، ولكنهم لا يموتون كما قال تعالى : ﴿كُلَّمَا نَضِجَتْ جُلُودُهُمْ بَدَّلْنَاهُمْ جُلُودًا غَيْرَهَا لِيَذُوقُوا الْعَذَابَ﴾<sup>(١)</sup> وقد يسألون الموت بالفعل ، ويطلبونه ولكن لا يُستجاب لهم . جاء طلبهم الموت في القرآن في قوله تعالى :

﴿وَنَادُوا بِمَلِكٍ لِّيَقْضِيَ عَلَيْهِمْ رَبُّكَ قَالَ إِنَّكُمْ مَكِينُونَ﴾<sup>(٢)</sup> وقد أخبر تعالى عن عدم موتهم بقوله :

﴿لَا يُقْضَىٰ عَلَيْهِمْ فَيَمُوتُوا وَلَا يُخَفَّفُ عَنْهُمْ مِنْ عَذَابِنَا﴾<sup>(٣)</sup>

كما أخبر تعالى أن من يصلى النار الكبرى لا يموت فيها ولا يحيا جاء ذلك في قوله من سورة الأعلى :

(١) سورة النساء الآية (٥٦) .

(٢) سورة الزخرف الآية (٧٧) .

(٣) سورة فاطر الآية (٣٦) .

﴿وَيَتَجَنَّبُهَا الْأَشْقَى ﴿١١﴾ الَّذِي يَصْلِي النَّارَ الْكُبْرَى ﴿١٢﴾ ثُمَّ لَا يَمُوتُ فِيهَا وَلَا يَحْيَى ﴿١٣﴾﴾ (١)

بعض أنواع طعامهم :  
١ - الزقوم :

هو ثمر يخرج من شجرة تنبت في أصل الجحيم ، مذاقه مر شديد المرارة ، يغص في الحلق فلا يسوغ إلا بالماء الحميم ، ومن حواصه أنه يغلي في البطن غليان الماء فهو شبيه بالحير ، الذي إن صب عليه الماء فار وغلا ، قال تعالى في بيانه :  
﴿أَذْلِكَ خَيْرٌ نَزْلًا أَمْ شَجَرَةُ الزَّقُّومِ ﴿١١﴾ إِنَّا جَعَلْنَاهَا فِتْنَةً لِلظَّالِمِينَ ﴿١٢﴾ إِنَّهَا شَجَرَةٌ تَخْرُجُ فِي أَصْلِ الْجَحِيمِ ﴿١٣﴾ طَلْعُهَا كَأَنَّهُ رُءُوسُ الشَّيَاطِينِ ﴿١٤﴾ فِيهِمْ لَا كَوْنٌ مِنْهَا - قَالُوا مَنْ فِي الْبُطُونِ ﴿١٥﴾ ثُمَّ إِنَّمَا هُمْ عَلَيْهَا لَشَوٌّ مِنْ حَمِيمٍ ﴿١٦﴾﴾ (٢)

وقال

﴿إِن شَجَرَتِ الزَّقُّومِ ﴿١١﴾ طَعَامُ الْأَثِيمِ ﴿١٢﴾ كَالْمُهْلِ يَغْلِي فِي الْبُطُونِ ﴿١٣﴾ كَغَلْيِ الْحَمِيمِ ﴿١٤﴾﴾ (٣)

وقيل السي صلى الله عليه وسلم قوله تعالى من سورة ان عمران :

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُمْ مُسْلِمُونَ ﴿١٠٠﴾﴾

(١) سورة الزمر (١٣-١١)

(٢) سورة الزمر (١٦-١١)

(٣) سورة الزمر (١٤-١٣) والجهنم : النار المعكرونة أو لصوص أو الفضة : د

وقال «لَوْ أَنَّ قَطْرَةً مِنْ الزَّقْوَمِ قُطِرَتْ فِي الدُّنْيَا لَأَفْسَدَتْ عَلَى أَهْلِ الدُّنْيَا مَعَايِشَهُمْ ، فَكَيْفَ بِمَنْ يَكُونُ طَعَامُهُمْ ؟» (١) .

## ٢ - الغسلين :

وهو ما تجمع من عصارة أهل النار من قيح ، وصدید ، وعرق ، وما يخرج من فروج الزناة ، وما يسيل من لعاب شاربي الخمر ، والمفتابین ، والكذابين ، وقاتلي الباطل ، وشاهدي الزور .

ورد ذكر الغسلين في سورة الحاقة في قوله تعالى :

﴿ فَلَيْسَ لَهُ الْيَوْمَ هَهُنًا حَمِيمٌ ۖ وَلَا طَعَامٌ إِلَّا مِنْ غِسْلِينٍ ۚ لَا يَأْكُلُهُ إِلَّا الْخَاطِئُونَ ﴾ (٢)

والمراد من الخاطئين الذين كسبوا السيئات فأحاطت بهم خطاياهم فدخلوا النار بذلك . قال تعالى من سورة البقرة :

﴿ يَكُنْ مِنْ كَسْبِ سَيِّئَةٍ وَأَحَاطَتْ بِهِ خَطِيعَتُهُ ۖ فَأُولَٰئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴾ (٣)

## ٣ - الضريع :

وهو شوك مر متناه في المرارة ، ينشب في الحلق ، يسيغه الأكل بالحميم ، فيسبب له إسهالاً فظيماً ، فلذا هو لا يسمن آكله ، ولا يغنيه من جوع ، كما قال تعالى من سورة الغاشية :

﴿ لَيْسَ لَهُمْ طَعَامٌ إِلَّا مِنْ ضَرِيعٍ ۖ لَا يُسْمِنُ وَلَا يُغْنِي مِنْ جُوعٍ ﴾ (٤)

(١) رواه الترمذي وصححه (صفة جهنم / ٤) وابن ماجه (زهد / ٣٨) وأحمد (٣٠١/١) . (٣٣٨) .

(٢) الآيات (٣٥ - ٣٧) .

(٣) الآية (٨١) .

(٤) الأيتان (٦ ، ٧) .



## بعض انواع مشاربهم :

الشراب لازم لكل ذي كبد رطبة ، وأهل النار ذوو أكباد ، فلا بد لهم من ماء يشربون ، كما لا بد لهم من طعام يأكلون . إذ الأكل والشرب ضروريان لبقاء الحياة ، واستمرار نمائها ، وقد قدر لأهل النار البقاء فيها ، فلذا هم يأكلون ويشربون ولم يكن الأكل والشرب ليدفع عنهم غائلة الجوع والعطش ولكن ليزيد في محتتهم وطول عذابهم ، وقد سبق بيان بعض مآكلهم ، وهذا بيان بعض مشاربهم .

### ١ - الحميم :

وهو ماء حار يجري من عين آنية<sup>(١)</sup>، ومن خواصه أنه يصهر به ما في بطونهم ، ويقطع أمعاءهم قال الله تعالى :

﴿وَجُوهٌ يَوْمَئِذٍ خِشَعٌ ۖ (٢) عَامِلَةٌ نَّاصِبَةٌ ۖ (٣) تَصَلَّى نَارًا حَامِيَةً ۖ (٤) تَسْقَى مِنْ عَيْنٍ آَنِيةٍ ۖ (٥)﴾

وقال تعالى :

﴿وَسَقُوا مَاءً حَمِيمًا فَقَطَّعَ أَمْعَاءُهُمْ ۖ (٦)﴾

وقال تعالى :

﴿يُصَبُّ مِنْ فَوْقِ رُءُوسِهِمُ الْحَمِيمُ ۖ (٧) يُصْهَرُ بِهِ مَا فِي بُطُونِهِمْ وَالْجُلُودُ ۖ (٨) وَلَهُمْ مَقَمِعٌ مِنْ حَدِيدٍ ۖ (٩) كُلَّمَا أَرَادُوا أَنْ يَخْرُجُوا مِنْهَا مِنْ غَمٍّ أُعِيدُوا فِيهَا وَذُوقُوا عَذَابَ الْحَرِيقِ ۖ (١٠)﴾

(١) آنية أي درجة حرارة الماء قد انتهت إلى ما لا يريد عليه لئلا

(٢) سورة الغاشية الآيات (٢ - ٥)

(٣) سورة محمد الآية (١٥)

(٤) سورة الحج (١٩ - ٢٢)

## ٢ - ماء الصديد :

وهو ماء كدر ، يحوي كميات من الصديد ، يُفص به شاربہ حتى لا يكاد يسيغه ، يعاني شاربہ منه آلاماً لا يعلم مداها إلا الله تعالى :  
قال تعالى من سورة إبراهيم :

﴿وَحَابَ كُلُّ جَبَّارٍ عَنِيدٍ ﴿١٥﴾ مِّنْ وَرَآئِهِ جَهَنَّمُ وَيُسْقَىٰ مِن مَّاءٍ صَدِيدٍ يَخْرُجُهُ وَلَا يَكَادُ يُسِيغُهُ وَيَأْتِيهِ الْمَوْتُ مِنْ كُلِّ مَكَانٍ وَمَا هُوَ بِمَيِّتٍ وَمِنْ وَرَآئِهِ عَذَابٌ غَلِيظٌ ﴿١٦﴾﴾

## ٣ - ماء المهل :

وهو ماء تخين حار حتى لكانه النحاس المذاب بحيث إذا أدناه أحدهم من فمه ليشربه ، شوت حرارته جلدة وجهه ، قال تعالى فيه :  
﴿وَلَا يَسْتَفِيدُونَ مِنْهَا لَمَّا سَأَلُوا بِمَاءٍ كَالْمُهْلِ يَشْوِي الْوُجُوهَ بِئْسَ الشَّرَابُ وَسَاءَتْ مُرْتَفَقًا ﴿٢١﴾﴾

## ٤ - ماء نهر الغوطة :

وهو ماء متجمع مما يسيل من فروج الزواني من النساء فقد روى أحمد بسند صحيح أن النبي صلى الله عليه وسلم سئل عنه فقال :  
« نَهْرٌ يَجْرِي مِنْ فُرُوجِ الْمُؤْمِنَاتِ يُؤْذِي أَهْلَ النَّارِ رِيحُ فُرُوجِهِمْ » (٣) ،  
هذا ونهي الكلام على مطاعم أهل النار ومشاربهم بحديث تفصيلي

(١) الآيات (١٥ - ١٧) .

(٢) سورة الكهف الآية (٢٩) .

(٣) أول هذا الحديث : « ثلاثة لا يدخلون الجنة : مدمن الحمر ، وقاطع الرحم ومصدق بالسكر ، ومن مات مدمن الخمر سقاه الله جل وعلا من نهر الغوطة ، قيل : وما نهر الغوطة قال : نهر . . الخ » أحمد (٣٩٩/٤) .

رواه الترمذي موقوفاً عن أبي الدرداء رضي الله عنه ، حيث قد استعرضت فيه أحوال أهل النار بصورة وافية عجيبة يقول : « يُلقَى على أهل النار الجوع ، فيعدل ما هم فيه من العذاب ، فيستغيثون فيُغاثون بطعام من ضريع لا يسمن ولا يُغني من جوع ، فيستغيثون فيُغاثون بطعام ذي غُصة ، فيتذكرون أنهم يُجيزون الفُصص في الدنيا بالشراب ، فيستغيثون بالشراب ، فيدفع إليهم بكلايب من الحديد ، فإذا دنت من وجوههم شوت وجوههم ، فإذا دخلت بطونهم قطعت ما في بطونهم فيقولون : ادعوا خزنة جهنم ، فيقولون : « ألم تك تأتيكم رسولكم بالبينات ؟ قالوا : بلى قالوا : فادعوا ، وما دعاء الكافرين إلا في ضلال » قال : فيقولون : ادعوا مالكا ، فيقولون : « يا مالك ليقتضي علينا ربك ! قال : إنكم ماكثون » !! قال : الأعمش : بُثت أن بين دعائهم وبين إجابة مالك إياهم ألف عام قال فيقولون : ادعوا ربكم فلا أحد خير من ربكم ، فيقولون : « ربنا غلبت علينا شقوتنا وكنا قوماً ضالين ، ربنا أخرجنا منها فإن عدنا فإنا ظالمون » ، قال فيجيئهم . « احسوا فيها ولا تكلمون » ، قال : فعند ذلك ينسوا من كل خير وعند ذلك يأخذون في الزفير ، والحسرة ، والويل <sup>(١)</sup> .

(١) الترمذي صفة جهنم (٥)

## فحش أجسام أهل النار وقبح منظرهم

ماذا عسى أن نقول في فحش أجسام أهل النار ، وقبح منظرهم ، وهل في الإمكان تصور ذلك في الذهن ، أو تصويره للناس ليدركوه ، ويفهموا حقيقته لولا أن الوحي الإلهي الذي نطق به رسول الله صلى الله عليه وسلم قد رسم لنا صورة واضحة نستشف من خلالها مدى فحش أجسام أهل النار وقبح منظرهم ؟ ولنستمع إلى كل من الشيخين يروي لنا حديثاً في هذا الشأن يقول البخاري ومسلم في صحيحه يقول الرسول صلى الله عليه وسلم . « ما بين منكبي الكافر مسيرة ثلاثة أيام للراكب المسرع »<sup>(١)</sup> ويقول مسلم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « ضرس الكافر أو ناب الكافر مثل أحد ، وغلظ جلده مسيرة ثلاث »<sup>(٢)</sup> ويقول أحمد بن حنبل في مسنده : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « ضرس الكافر مثل أحد ، وفخذه مثل البيضاء »<sup>(٣)</sup> ومقعداه من النار كما بين قديد ومكة ، وكثافة جسده اثنان وأربعون ذراعاً بذراع الجبار .<sup>(٤)</sup> ويروي لنا أحمد وغيره بسند لا بأس به : « أن

(١) متفق عليه اللؤلؤ والمرجان (٢٩٣/٣) ، والبخاري (١٤٢/٨) ، ومسلم (١٥٤/٨) .

(٢) مسلم (١٥٣/٨) ، (١٥٤) .

(٣) البيضاء : جبل .

(٤) الحار : ملك من ملوك اليمن له ذراع معروف المقدار . والحديث في أحمد (١/٣٣٤) .

الكَافِرُ لِيَجْرُ لِسَانُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَرَأَاهُ قَدْرُ فَرَسَخَيْنِ يَتَوَطَّؤُهُ النَّاسُ» (١).

وما أحسب أن هناك منظرًا أقبح من هذا المنظر ، لولا ما أخبر به الله تبارك وتعالى في سورة المؤمنون عن كلوح أهل النار كقوله : ﴿ تَلْفَحُ وُجُوهَهُمُ النَّارُ وَهُمْ فِيهَا كَالِحُونَ ﴾ (٢)

حيث فسر الرسول صلى الله عليه وسلم ذلك بقوله : «تتقلص شفة الكافر العليا حتى تبلغ وسط رأسه ، وتسترخي شفته السفلى حتى تضرب سرتة» روى هذا التفسير للكلوح عن رسول الله صلى الله عليه وسلم . أحمد والترمذي والحاكم رحمهم الله تعالى أجمعين (٣).

### تفاوت عذاب أهل النار

إن تفاوت العذاب بين أهل النار في دار البوار ثابت مقطوع به ، صرحت بذلك الأحاديث النبوية الصحاح ، وهو تابع لتفاوت أعمالهم ، وما كسبوا من خير وشر في هذه الحياة الدنيا ، كما هو مقتضى العدل الإلهي القاضي بأن تجزى كل نفس بما عملت ، لها ما كسبت من خير وعليها ما اكتسبت من شروها هي ذي الأحاديث المصراحة بتفاوت أهل النار في العذاب بحسب كسبهم الإرادي الاختياري في الحياة الدنيا ، روى مسلم في صحيحه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : «أهون أهل النار عذاباً أبو طالب وهو متملئ بنعلين يفلئ منهما دماغه» (٤) وخف عذاب أبي طالب إلى هذه الدرجة من أجل ما قدمه من خدمات

(١) أحمد (٩٢/٢) ، ورواه الترمذي (صعة جهنم/٣) بلفظ «إن الكافر ليسحب لسانه العرسخ

و فرسخين يتوطؤه الناس»

(٢) سورة المؤمنون الآية (١٠٤)

(٣) الترمذي (جهنم/٥) أحمد (٨٨/٣)

(٤) مسلم (١٣٥/١)

للاسلام في شخص نبيه محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم ، كما روى البخاري قوله صلى الله عليه وسلم : « إِنَّ أَهْلَ النَّارِ عَذَاباً رَجُلٌ عَلَى أَحْمَصِ قَدَمَيْهِ جَمْرَتَانِ يَغْلَى مِنْهُمَا دِمَاعُهُ كَمَا يَغْلَى الْمَرْجُلُ بِالْقَمَقَمِ »<sup>(١)</sup> كما روى مسلم أيضاً قوله صلى الله عليه وسلم « مِنْهُمْ - من أهل النار - مَنْ تَأْخُذُهُ النَّارُ إِلَى كَعْبِيهِ وَمِنْهُمْ مَنْ تَأْخُذُهُ النَّارُ إِلَى رِكْبَتَيْهِ ، وَمِنْهُمْ مَنْ تَأْخُذُهُ النَّارُ إِلَى حُجْرَتِهِ ، وَمِنْهُمْ مَنْ تَأْخُذُهُ النَّارُ إِلَى عُنُقِهِ ، وَمِنْهُمْ مَنْ تَأْخُذُهُ النَّارُ إِلَى تَرْقُوَتِهِ »<sup>(٢)</sup> وفي هذا أظهر دليل وأوضحه على تفاوت العذاب بين أهل النار .

### بكاء أهل النار وعويلهم

إن العويل والبكاء من لوازم معاناة المخاوف والآلام ، ومقاساة الشدائد والأهوال ، ودار البوار وسكانها لا يرحون يتجرعون الغصص ، ويتذوقون مر العذاب ، حزنهم دائم ، وعذابهم لا ينقطع ولا يخف ، ومن هنا لا يستغرب منهم البكاء والعويل ، ولا يستنكر عليهم الصياح والنواح ، فهم يتضاعون فيها ، ويصطرخون ، يدعون بالويل ، والحسرة ، والنبور .

وهذا القرآن الكريم يقص علينا بالحق ما سوف به يدعون ويقولون ، قال الله تعالى :

﴿ وَإِذَا الْقَوَا مِنْهَا مَكَانًا ضَيِّقًا مَقْرَنَيْنِ دَعَوْا هُنَالِكَ ثُبُورًا ﴾<sup>(٣)</sup>

(١) متفق عليه واللفظ للبخاري ( ٨ / ١٤٤ ) ، واللؤلؤ والمرجان ( ١ / ٥٣ ) ومسلم ( ١ / ١٣٥ ) ، ( ١٣٦ ) .

(٢) رواه مسلم ( ٨ / ١٥٠ ) إلا أن قوله « وَمِنْهُمْ مَنْ تَأْخُذُهُ النَّارُ إِلَى عُنُقِهِ » ليس في هذه الرواية إنما هو في أخرى لمسلم أيضاً في نفس الجزء والصفحة .

(٣) سورة الفرقان الآية ( ١٣ ) .

وقال تعالى :

﴿وَهُمْ يَصْطَرِّخُونَ فِيهَا رَبَّنَا أَخْرِجْنَا نَعْمَلْ صَالِحًا غَيْرَ الَّذِي كُنَّا نَعْمَلُ﴾ (١)

وقال تعالى :

﴿لَهُمْ فِيهَا زَفِيرٌ وَهُمْ فِيهَا لَا يَسْمَعُونَ﴾ (٢)

وقال تعالى :

﴿وَاتَّبِعُوا أَحْسَنَ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكُمْ مِنْ رَبِّكُمْ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَكُمُ الْعَذَابُ  
بَغْتَةً وَأَنْتُمْ لَا تَشْعُرُونَ﴾ (٣) أَنْ تَقُولَ نَفْسٌ يَنْحَرِفَنِي عَلَىٰ مَا قَرَأْتُ فِي  
كِتَابِ اللَّهِ وَإِنْ كُنْتُ لَمِنَ السَّخِرِينَ (٣)

وقال تعالى :

﴿وَيَوْمَ يَعْصِي الظَّالِمُ عَلَىٰ يَدَيْهِ يَقُولُ يَلَيِّنَنِي أَنْتُمْ مَعَ الرَّسُولِ سَبِيلًا  
يَسُوِّبُنِي يَنْتَنِي لَمْ أَتَّخِذْ فُلَانًا خَلِيلًا﴾ (٤) لَقَدْ أَضَلَّنِي عَنِ الذِّكْرِ بَعْدَ  
إِذْ جَاءَنِي وَكَانَ الشَّيْطَانُ لِلْإِنْسَانِ خَذُولًا (٤)

وأخيراً فقد روى الحاكم بسند صحيحه عن النبي صلى الله عليه وسلم قوله : « إن أهل النار يكون حتى لو أجزيت السفن في دموعهم لجريت ، وإنهم لي يكون الدم يعني مكان الدمع » (٥) فاللهم قنا عذابك ، يوم تبعث عبادك ، وأجرنا من النار وأدخلنا الجنة مع الأبرار .

(١) سورة طه (٣٧)

(٢) سورة الأنبياء (١٠٠)

(٣) سورة الزمر (٥٥ ، ٥٦)

(٤) سورة الفرقان (٢٧ - ٢٩)

(٥) للترغيب والترهيب (٤/ ٤٩٣) والحاكم وقال صحيح الإسناد ولم يخرجاه ووافقه الذهبي

(٥٩٣/٤)

## البرزخ

### تعريف :

البرزخ في عرف اللغة : ما حجز بين شيئين ، أو ما فصل بين ماهيتين ، كاليابس من الأرض يكون بين بحرين ، أو نهريْن فاصلاً بينهما ، وقد يكون فاصلاً بين ماهيتين كالحد الفاصل بين ماهية الإنسان ، والحيوان وهو النطق أو الكلام مثلاً ، وقد يكون حتى بين الشك واليقين .

وفي عرف الدين : البرزخ هو : الحياة المجردة عن النعيم أو الشقاء الجسماني التي تستقل فيها الروح عن الجسد ، إذ الحيوانات ثلاث :

الأولى : الحياة الدنيا ، والتي تسعد أو تشقى فيها الأرواح مع الأجساد القائمة بها ، والحالة فيها .

الثانية : حياة البرزخ وهي الحياة التي تنفصل فيها الأرواح عن أجسادها التي كانت تعمها ، ويستقل فيها الروح عن الجسد بالنعيم أو العذاب ، وسواء وجد لها في العالم العلوي هياكل تناسبها فتحل فيها مؤقتاً ، أو لا يوجد لها ذلك<sup>(١)</sup> .

والثالثة : الحياة الآخرة وهي التي تعود فيها الأرواح إلى أجسادها التي كانت لها في الحياة الأولى ، وانفصلت عنها بالموت ، فالحياة الثانية بين الأولى والثالثة هي حياة البرزخ ، إذ هي حد فاصل بين الحياة الدنيا والحياة

---

(١) في هذه العبارة إشارة إلى ما صح عن النبي صلى الله عليه وسلم وقد سئل عن حياة الشهداء التي أئنتها لهم القرآن فقال : « أرواحهم في جوف طير خضر لها قناديل معلقة في العرش ، تسرح من الجنة حيث شاءت ثم تأوي إلى تلك القناديل . . . مسلم (٣٨/٦ ، ٣٩) .



الأخرة ، وهي عبارة عن عملية تربص وانتظار ، والغرض منها : اجتماع الأرواح ، وتكاملها استعداداً للدخول في الحياة الآخرة ، وذلك أن الحياة الأولى قامت على أساس الإيجاد المتلاحق ، فيخلق الله تعالى الجسد والروح على طريقة معينة في الخلق ، فيعيش ذلك المخلوق عاملاً بما خلق له زمناً معيناً ، ثم تحرّي له عملية انفصال الروح عن الجسد وهي ما يسمى بالموت فيموت ، ويحفظ له عمله في ديوان خاص ليحزى به في الحياة الآخرة إن كان قد مكّن من العمل ببلوغه من حياته زمن التكليف وهو سن يرشد بسويعه عقلاً ، وسميعه ، بصيراً ، ولما كان الخلق في الحياة الدنيى يأتي متلاحقاً حبلاً بعد حبيل ، هذا يوحد وذلك بعدم إلى أن ينتهي الخلق الذي قدر له حلقه وإيحيده في الحياة الدنيى ، ويومها يحدث الانقلاب الكوني لعظيم الذي تنتهي فيه حياة ، وتستدئ فيه أخرى .

قول : به ما كان الخلق يحري على ما ذكر . كان لا بد من وجود حده وسط بين حيتين ، نحتجع فيه لأرواح بعد انتهاء مهماتها التي حققت بها في الحياة الدنيى . وعدم يتكامل جمعها يعيد الله تعالى لها أحساده التي كانت بها . ويعتقد فيها تنتهي حراءه في الحياة الآخرة من عيه أو حبيب . وحده الدنيى هذا هي حياة عمل ، والحياة الآخرة هي حياة جراء ، والحياة الوسطى بين حيتين هي حياة ترح ، وهي حياة تربص وانتظار . قد الله تعالى من سورة : عمر : تقرير لبدء الحياة الأولى حياة عمل لا حراء ، . . . . . حياة الآخرة حياة حراء لا حياة عمل

كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ وَإِنَّمَا تُوَفَّقُونَ أُجُورَكُمْ يَوْمَ الْقِيَمَةِ  
فَمَنْ رُخِّحَ عَنِ النَّارِ وَأُدْخِلَ الْجَنَّةَ فَقَدْ فَازَ وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا  
إِلَّا مَتَاعٌ الْغُرُورُ ﴿١١﴾

والسؤال الآن هو هل في حياة البرزخ - وهي حياة علمنا أنها تستقل فيها  
الأرواح عن الأبدان - من نعيم يجري على الروح فتسعد به فترة تتربصها ، أو  
عذاب تشقى به مدة حبسها وانتظارها .؟؟  
والجواب : نعم ، وهذا بيانه مفصلاً .

اللَّهُ

## مراحل جريان النعيم أو العذاب على الروح في البرزخ

المرحلة الأولى عند الموت ونزع الروح :

يُنْزَعُ أَوْ عَذَابُ يَأْتِيهِ لَدُوحٌ عَدْنُوعُهُ بِوَاسِطَةِ مَلَائِكَةٍ رَحِمَةً أَوْ عَذَابٍ  
كَمَا جَاءَتْ لِأَحَدٍ لَصْدَقَةٌ لَصَحِيحَةٌ ذَلِكَ فِي الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ يَقُولُ اللَّهُ  
تَعَالَى مِنْ سُورَةِ الْأَنْفَالِ

﴿ وَنُزِّلَتْ ذُبُونُكَ تَذِينَ كَفَرُوا أَلَمَلِكَةً يَضْرِبُونَ وَجُوهَهُمْ  
وَذُبُرَهُمْ وَذُوقُوا عَذَابَ الْحَرِيقِ ﴾ ذَلِكَ بِمَا قَدَّمْتُمْ أَيْدِيَكُمْ وَأَنَّ اللَّهَ  
نَسَّ بِضَمِّ تَعْيِيدٍ ﴿ (١)

وَيَقُولُ عَزَّ وَجَلَّ مِنْ سُورَةِ الْأَنْعَامِ :

﴿ وَمَنْ نَزَى إِذْ أَصْبَحُوا فِي عَمَلَاتٍ لَمُوتٍ أَلَمَلِكَةً بِسُطُورٍ أَيْدِيهِمْ  
أَلَمَلِكَةً أَلَمَلِكَةً أَلَمَلِكَةً أَلَمَلِكَةً أَلَمَلِكَةً أَلَمَلِكَةً أَلَمَلِكَةً  
عَبْرَ الْحَقِّ وَكُنْتُمْ عَنْ أَيْنِهِ تَسْكَبُونَ ﴾ وَلَقَدْ جِئْتُمُونَا فَرَادَى  
كَمَا خَلَقْنَاكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَتَرَكْتُمْ مَا خَوَّلْنَاكُمْ وَرَاءَ ظُهُورِكُمْ وَمَا نَرَى  
مِنْكُمْ شُفْعَاءَ كَرَّ الَّذِينَ زَعَمْتُمْ أَنَّهُمْ فِيكُمْ شُرَكَاءُ لَقَدْ تَقَطَّعَ بَيْنَكُمْ  
وَصَلَّ عَنْكُمْ مَا كُنْتُمْ تَزْعُمُونَ ﴿ (٢)

(٢) الْأَنْبِيَاءُ (٩٣ ، ٩٤)

(١) الْأَنْفَالُ (٥٠ ، ٥١)

فقلوه : ﴿ باسطوا أيديهم ﴾ دال على أن الملائكة تعذب المحتضر الكافر أو الفاجر بضربه على وجهه وظهره ، كما هو صريح قوله تعالى في آية الأنفال المتقدمة : ﴿ والملائكة يضربون وجوههم وأدبارهم ﴾ هذا العذاب عند الموت ، وحال النزاع هو بالنسبة إلى ذي الروح الخبيث من أهل الكفر والإجرام ، وأما بالنسبة إلى ذي الروح الطيب الطاهر من المؤمنين المتقين فقد قال الرسول ﷺ : « إِنَّ الْعَبْدَ الْمُؤْمِنَ إِذَا كَانَ فِي انْقِطَاعٍ مِنَ الدُّنْيَا ، وَإِقْبَالٍ مِنَ الْآخِرَةِ نَزَلَ إِلَيْهِ مَلَائِكَةٌ مِنَ السَّمَاءِ ، بِيضُ الْوُجُوهِ ، كَأَنَّ وَجُوهَهُمُ الشَّمْسُ ، مَعَهُمْ كَفَنٌ مِنْ أَكْفَانِ الْجَنَّةِ ، وَحَنَوطٌ مِنْ حَنَوطِ الْجَنَّةِ ، حَتَّى يَجْلِسُوا مِنْهُ مَذَ الْبَصْرِ ، وَيَجِيءُ مَلَكُ الْمَوْتِ حَتَّى يَجْلِسَ عِنْدَ رَأْسِهِ فَيَقُولُ : أَيَّتَا الرُّوحُ الطَّيِّبَةُ أَخْرِجِي إِلَى مَغْفِرَةٍ مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانٍ ، قَالَ : فَتَخْرُجُ فَتَسِيلُ كَمَا تَسِيلُ الْقَطْرَةُ مِنْ فِي السَّقَاءِ » الحديث .

وأما ذو الروح الخبيثة من الكافرين والمنافقين فقال عنه رسول الله صلى الله عليه وسلم : « وَإِنَّ الْعَبْدَ الْكَافِرَ إِذَا كَانَ فِي انْقِطَاعٍ مِنَ الدُّنْيَا ، وَإِقْبَالٍ مِنَ الْآخِرَةِ ، نَزَلَ إِلَيْهِ مَلَائِكَةٌ سُودُ الْوُجُوهِ ، مَعَهُمُ السُّوْحُ فَيَجْلِسُونَ مِنْهُ مَذَ الْبَصْرِ ، ثُمَّ يَجِيءُ مَلَكُ الْمَوْتِ حَتَّى يَجْلِسَ عِنْدَ رَأْسِهِ فَيَقُولُ : أَيَّتَا النَّفْسُ الْخَبِيثَةُ أَخْرِجِي إِلَى سَخَطٍ مِنَ اللَّهِ وَغَضَبِهِ ، فَتَفْرُقُ فِي جَسَدِهِ ، فَيَتَزَعُّهَا كَمَا يَتَزَعُّ السَّفُودُ مِنَ الصَّوْفِ الْمَبْلُولِ » . . الحديث (١) .

(١) رواه أحمد ، قال المنذري رواه محتج بهم في الصحيح ، الترغيب والترهيب (٤/٣٦٦ ، ٣٦٧) ، وأحمد (٤/٢٨٨ ، ٣٩٦ ، ١٣٦/٥) والفتح الرباني (٧/٧٤ ، ٧٨) ورواه النسائي بلفظ قريب من هذا (٧/٤ ، ٨) ، ومعنى حنوط : طيب ، وفي السقاء : قم القربة ! والمسوح : ثياب خشنة غليظة ، والسفود : الحديد التي يشوى بها اللحم ، والمراد من سيل الروح كسيل القطرة من في السقاء : كناية عن سهولة خروجها من حشد المؤمن . والمقصود بنزعها كما ينزع السفود من الصوف المبلول : كناية عن شدة وصعوبة خروجها من جسد الكافر والفاجر ، والمراد من تفرق روح الكافر في جسده . كناية عن شدة الخوف والفرع وكأنها تريد الهرب عند سماعها ذلك الكلام . والله اعلم .

## المرحلة الثانية :

النعيم في القبر أو العذاب :

القبر أول منازل الحياة الثانية وهو العتبة للدار الآخرة ، ويجري فيه النعيم والعذاب على الروح والجسد معاً ، في الساعات الأولى منه ، ثم تستقل الروح بهما دون الجسد . إن نعيم القبر أو عذابه ثابت بالدليلين العقلي القياسي ، والنقلي الشرعي الديني ، فالدليل العقلي هو عدم استحالته . وما لم يكن مستحيلًا فهو جائز ، إذ ثبت النعيم أو العذاب للميت في القبر لا يوجب تصوره تناقضاً عقلياً . وثانياً : ما علمه كل إنسان ، وعرفه من نفسه المرات العديدة من رؤى منامية يرى فيها نفسه في نعيم كامل لا يؤسفه إلا أن يقطع عنه بالاستيقاظ . أو عذاب شديد لا ينهيه عنه إلا استيقاظه ، بل ينفي أثر الرؤى في نفس المرء فترة من الزمن خيراً كان أو شراً .

وأما الدليل النقبي الديني فقد صح عن النبي صلى الله عليه وسلم :  
 إن ملك الموت إذا أخذ روح العبد المؤمن لم تدعها الملائكة في يد ملك لموت طرفه عين حتى يأخذوها ، ويضعونها في ذلك الكفن ، وذلك الحنوط ( تقدم الحديث عنهما ) ويخرج منه كأطيب نفحة مسك وجدت على وجه الأرض . ثم قال : « فيصعدون بها فلا يمرون على ملا من الملائكة إلا قالوا : ما هذا الروح الطيب ؟ فيقولون : فلان ابن فلان بأحسن أسمائه التي كان يسمي بها في الدنيا حتى يتنوها بها إلى السماء الدنيا ، فيستفتحون له ، فيفتح له . فيشيعه من كل سماء مقربوها إلى السماء التي تليها ، حتى ينتهي بها إلى السماء السابعة فيقول الله عز وجل : اكتبوا عبدي في عليين ( في أعلى درجة في الجنة ) . وأعيدوه إلى الأرض في جسده ، فيأتيه ملكان فيجلسانه فيقولان : من ربك ؟ فيقول : ربي الله . فيقولان : ما دينك ؟ فيقول ديني الإسلام . فيقولان : ما هذا الرجل الذي بعث فيكم ؟ فيقول :

هو رسول الله ، وآمنت به ، وصدقته ، فينادي مُنادٍ مِنَ السماء : أَنْ صدقَ عبدِي ، فأفرشوه مِنَ الجنة ، وافتحوا لَهُ باباً فِي الجنة ، قَالَ فَيَأْتِيهِ مِنْ رُوحِهَا ورائحتها ، وطيبها ، ويفسحُ لَهُ فِي قبرِهِ مَدَ بصرِهِ . قَالَ : وَيَأْتِيهِ رَجُلٌ حَسَنُ الوجهِ ، حَسَنُ الثيابِ ، طيبُ الريحِ ، فيقولُ : أَبَشْرُ بِالَّذِي يَسْرُكُ ، هَذَا يَوْمُكَ الَّذِي كُنْتَ توعَدُ . . فيقولُ : مَنْ أَنْتَ ؟ فوجهُكَ الوجهُ الحسنُ يَجِيءُ بالخيرِ . فيقولُ : أَنَا عَمَلُكَ الصالحُ ، فيقولُ : رَبِّ أَقِمِ السَّاعَةَ حَتَّى أَرْجِعَ إِلَى أَهْلِي وَمَالِي ۝ (١) .

وفيه أيضاً أَنَّهُ قَالَ : إِنْ مَلَكَ المَوْتُ إِذَا أَخَذَ رُوحَ العبدِ الكافرِ لَمْ تدعُهَا الملائكةُ فِي يَدِهِ طَرْفَةَ عَيْنٍ حَتَّى يَجْعَلُوهَا فِي تِلْكَ المَسْوَحِ (٢) ، وَتُخْرَجُ مِنْهَا كَأَنَّ جِفَةَ وَجَدَتْ عَلَى وَجْهِ الأَرْضِ ، فيصعدُونَ بِهَا فَلَا يَمْرُونَ بِهَا عَلَى مَلَأَ مِنَ المَلَائِكَةِ إِلَّا قَالُوا : مَا هَذِهِ الرُّوحُ الخبيثةُ ؟ فيقولُونَ : فَلَانِ ابْنِ فَلَانٍ بَاقِبِجِ أَسمائِهِ الَّتِي كَانَ يُسَمِّي بِهَا فِي الدُّنْيَا ، فَيُسْتَفْتَحُ لَهُ فَلَا يُفْتَحُ لَهُ . وقرأ رسول الله ﷺ :

﴿ لَا تُفْتَحُ لَهُمْ أَبْوَابُ السَّمَاءِ وَلَا يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ حَتَّى يَلِجَ الْجَمَلُ فِي سَمِّ الْخِيَاطِ ۝ (٣) ﴾

فَيَقُولُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ اكْتُبُوا كِتَابَهُ فِي سَجِينٍ فِي الأَرْضِ السفلى ، ثُمَّ تُطْرَحُ رُوحُهُ طَرَحًا ، ثُمَّ قَرَأَ ،

﴿ وَمَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَكَأَنَّمَا خَرَّ مِنَ السَّمَاءِ فَتَخْطَفُهُ الطَّيْرُ أَوْ تَهْوِي بِهِ

(١) هذا اللفظ الذي سبق كلاهما حديث واحد وقد تقدم انه أخرجه أبو داود واحمد وأن رواه أحمد

كلهم محتج بهم في الصحيح كما قال الحافظ المنذري . راجع ص (٤١٣) .

(٢) : المسووح جمع مسح بكسر فتكون ثوب من شعر غليظ .

(٣) سورة الأعراف الآية (٤٠) .

## الرَّيْحُ فِي مَكَانٍ سَحِيقٍ ﴿١﴾

فَتَعَادَ رُوحَهُ فِي جَسَدِهِ ، وَيَأْتِيهِ مَلَكَانِ فَيَجْلِسَانِهِ فَيَقُولَانِ لَهُ : مَنْ رَبُّكَ ؟  
 فيقول : هاه هاه<sup>(٢)</sup> لا أدري ، قَالَ فَيَقُولَانِ لَهُ : مَا دِينُكَ ؟ فيقول : هاه ، هاه  
 لا أدري ، قَالَ فَيَقُولَانِ لَهُ : مَا هَذَا الرَّجُلُ الَّذِي يَبْعُثُ فِيكُمْ ؟ فيقول : هاه هاه  
 لا أدري ، فينادي مُنَادٍ مِنَ السَّمَاءِ أَنْ كَذَبَ فَاغْرُسُوهُ مِنَ النَّارِ ، وَافْتَحُوا لَهُ بَاباً  
 إِلَى النَّارِ ، وَيَأْتِيهِ مِنْ خَرَاها وَسُومُومِها ، وَيَضِيقُ عَلَيْهِ قَبْرُهُ حَتَّى تَخْتَلِفُ  
 أَضْلَاعُهُ ، وَيَأْتِيهِ رَجُلٌ قَبِيحُ الْوَجْهِ ، قُبِيحُ الثِّيَابِ ، مَتْنُ الرِّيحِ ، فيقولُ لَهُ :  
 أَبَشْرُ<sup>(٣)</sup> بِالَّذِي يَسُوكَ ، هَذَا يَوْمُكَ الَّذِي كُنْتَ تَوَعَدُ ، فيقولُ : مَنْ أَنْتَ  
 فَوَجْهَتُ الْوَجْهَ الْقَبِيحُ يَجِيءُ بِالشَّرِّ ؟ فيقولُ : أَنَا عَمَلُكَ الْخَبِيثُ . فيقولُ  
 ر : لَا تُقِمِّ السَّاعَةَ ، ثُمَّ يَقْبِضُ لَهُ أَعْمَى ، أَصَمَّ ، أَبْكَمَ فِي يَدِهِ مَرْزَبَةً لَوْ  
 ضُرِبَ بِهَا جَبَلٌ كَانَ تَرَاباً ، فَيَضْرِبُهُ ضَرْبَةً فَيَصِيرُ تَرَاباً ، ثُمَّ يَعِيدُهُ اللَّهُ كَمَا  
 كَانَ ، فَيَضْرِبُهُ ضَرْبَةً أُخْرَى ، فَيَصْبِغُ صَبِغَةً يَسْمَعُهُ كُلُّ شَيْءٍ إِلَّا الثَّقَلَيْنِ قَالَ  
 الْبَرَاءُ ، ثُمَّ يَفْتَحُ لَهُ بَابَ مِنَ النَّارِ ، وَيَمْهَدُ لَهُ مِنْ فَرْشِ النَّارِ . وَصَحَّ عَنْهُ  
 صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ . أَنَّ اسْمَ أَحَدِ الْمَلَائِكِينَ يُقَالُ لَهُ مُنْكَرٌ ، وَأَنَّ اسْمَ الثَّانِي  
 يُقَالُ لَهُ نَكِيرٌ ، وَأَنَّهُمَا يَشِيرَانِ الْأَرْضَ بِأَنْبِيَائِهِمَا ، يَلْجِفَانِ<sup>(٤)</sup> الْأَرْضَ  
 بِشَفَاهُمَا ، أَصَوَاتُهُمَا كَالرَّعْدِ الْقَاصِفِ وَأَبْصَارُهُمَا كَالْبَرْقِ الْخَاطِفِ ،  
 فَيَجْلِسَانِهِ . . الْحَدِيثُ<sup>(٥)</sup> .

(١) سورة الحج الآية (٣١)

(٢) كلمة هاه ، هاه هي صوت الصاحك وهي ها التوهم ، والحيرة لعدم علمه مما يقول .

(٣) كلمة « أشر » ها المراد بها التهكم والتوبيخ والتفريع والتهديد

(٤) يلجفان : يصرطان الأرض شعاهما ، ويحفرانها بهما

(٥) رواه أحمد وقال الحافظ المندري أساده حسن الترغيب والترهيب (٣٦٩/٤)

## نعيم الروح أو عذابه وهو في برزخ بعيد عن القبر ، متصل به

إنه بعد انتهاء فترة القبر التي تتم فيها فتنه الإنسان ، وبها ينكشف أمره ، وتظهر حاله ، فيسعد أو يشقى نتيجة لما يجيب به عن سؤال الملكين ، حيث يثبت الله الذين آمنوا بالقول الثابت ، ويضل الله الظالمين .

بعد انتهاء الفترة هذه تودع الروح البشرية في مستودع للرحمة أو العذاب في عليين ، أو في سجين ، وتبقى هكذا مرهونة محبوسة في ذلك المستودع إلى يوم يبعثون ، حيث بعيد الله تعالى الأجسام بعد فنائها ويأذن للأرواح أن تدخلها .

بيد أن للأرواح . وسواء كانت في عليين مستودع الأخيار ، أو في سجين مستودع الأشرار اتصالاً مباشراً بالقبر الذي ضم رفاة صاحبها ، وأودعت جثته فيه ، وهو اتصال مباشر شبيه بالاتصال اللاسلكي الذي يتم اليوم بين محطات الإرسال والاستقبال . وبذلك يتم معرفة الزائر للقبر ، والمسلم على صاحبه<sup>(١)</sup>، بل ذلك الاتصال تجد الروح معه لذة النعيم ، أو ألم الجحيم في القبر ، ولا يستثنى من هذه الحقيقة إلا أرواح الشهداء ، فإن القرآن والسنة قد صرحا بأن أرواح الشهداء تكون بعد الاستشهاد في حواصل طير خضر ترعى في الجنة ، وتأوى إلى قناديل معلقة بالعرش قال تعالى :

---

(١) روى ابن عبد البر صححه عن ابن عباس مرفوعاً : « ما من أحد يمر بقبر أخيه المسلم كان يعرفه في الدنيا فيسلم عليه إلا رد عليه روحه حتى يرد عليه السلام » وقد مر في المطامع والمشارب في الجنة فليرجع إليه .



﴿وَلَا تَحْزَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتًا بَلْ أَحْيَاءٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ  
يُرْزَقُونَ﴾ فَرِحِينَ بِمَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ ﴿١﴾

وقال رسوله صلى الله عليه وسلم «أرواحهم - الشهداء - في جوف طير  
خضبر . لها قناديل معلقة بالعرش ، تسرح من الجنة حيث شاءت ، ثم تأوى  
إلى تلك القناديل . فاطلع إليهم ربهم اطلاعة فقال : هل تشتهون شيئاً ؟  
قالوا : أي شيء نشتهي ، ونحن نسرح من الجنة حيث شئنا ؟ ففعل بهم ذلك  
ثلاث مرات ، فلما رأى أنهم لن يتركوا من أن يسألوا قالوا : يا رب نريد أن  
ترد أرواحنا في أجسامنا حتى نقتل في سبيلك مرة أخرى ، فلما رأى أن ليس  
لهم حاجة تركوا» (٢).

١ سورة البقرة الآية ( ١٦٩ ، ١٧٠ )

(٢) مسلم ( ٣٨ / ٦ ، ٣٩ )

## الركن السادس من أركان عقيدة المؤمن الإيمان بالقضاء والقدر

إنه ما تزال العقيدة الإسلامية منذ إحداثها في العالم ذلك الانقلاب العظيم ، وهزتها العنيفة لأركانه المتداعية ، وخلخلتها للكيان البشري المهزوز . منذ ذلك الانقلاب الهائل العظيم الذي أطاح بصروح الباطل ودك عروش الشر والكفر والفساد ، ما تزال العقيدة الإسلامية ، تُستهدف للطعن الشديد ، وتعرض للنقد القاسي المرير من خصومها الألداء ، وأعدائها الأشداء من يهود ونصارى ، ومجوس وملحدین على حد سواء ، علماً منهم أن سر ذلك الانقلاب العظيم الذي وقع في الكون على أيدي أصحاب رسول الله ﷺ ، وأتباعهم من التابعين المؤمنين المحسنين إنما كان في العقيدة الإسلامية ، فلهذا لم يبرح أولئك الخصوم يشككون فيها ، ويطعنون حتى زلزلوها في نفوس أكثر المسلمين ، ويومها فقط تسنى لهم<sup>(١)</sup> ، أن يوقفوا تيارها ، ويقطعوا أسلاك أنوارها ، فتعود الظلمة إلى العالم الإنساني ، وتصاب البشرية بنكسة كبيرة أدت بها إلى مهاوي الردى ، وأسقطتها في جحيم لا يطاق .

ولنذكر في هذا وعلى سبيل المثال فقط : أن عقيدة القضاء والقدر وهي أحد أجزاء العقيدة الإسلامية ، وليست كلها أبداً قد تعرضت لطمع عييف ، وتشكيك سخيف ، بصورة تدعو إلى العجب والاستغراب . إنه لم تكذب تذهب آثار شمس النور المحمدي المتخلف مع البقية الباقية من أصحاب

(١) تسنى : نهيا ونيسر .

رسول الله ﷺ حتى ظهر في المسلمين مبدأ نفي القدر ، والقول بالجبر ، ومذهب الاعتزال ، والتشيع ، ونجم<sup>(١)</sup> الشر واستطار ، وطرق كل الأقطار ، وتعرضت أمة الإسلام بعقائدها ، وبلادها ، وبكل وجودها إلى أعنف الهزات التي زلزلت كيانها ، تهاوى تحت ضربات الحانقين ، وطعنات الناقمين .

ولما هوى ذلك النجم الذي أضاء المعمورة ، وغمر الحياة بالهدى والخير قال الذين كفروا - تشفياً من الإسلام ، وإمعاناً في الإجرام - إن ما أصاب المسلمين من الانهيار والسقوط ، بعد التفكك والضعف الكبير ، كان نتيجة بعض العقائد عندهم ، وخصوصاً بالذكر عقيدة الإيمان بالقضاء والقدر ، وكان ذلك منهم إفكاً<sup>(٢)</sup> مفترى ، وكذباً مقلوباً ، مشوهاً للحقيقة ، إذ الواقع هو أن الذي أحل بالمسلمين ما أحل بهم من ضعف وهوان ودون لم يكن نتيجة إيمانهم بالقضاء والقدر على الوجه الصحيح المطلوب ، وإنما كان نتيجة إيمانهم بالقضاء والقدر على وجه غير صحيح ولا مطلوب ، وذلك بما دس فيها لأعداء ، وما شوهوها به من تأويل باطل ، وتحريف سحيق قضى عيبه ، وأمنه في نفوسهم أو كاد .

وهذا من شدة ما يملأ نفس أسي وجور ، إن أعداء المسلمين ما رنوا بفساد عبيد عقائدهم ، ويشككونهم فيها حتى تحو عيب ، فصنعوا ذلك ، وهذبوا ، ثم ابترى أولئك الأعداء بقولهم : يا ضعف المسلمين كد من حراء عقائدهم التي يعبدون عبيد معتقديها ، مشعبيها ، مستحيبيها .

ومن المؤسف جداً أن أكثر المسلمين ما رنوا إلى يوم لم يصرفوا دهم ، ولا ما كذبه به أعداؤهم ، إذ لم يري كثيراً منهم يدرك بسببه عقيدة القضاء والقدر ، ويحتج بها مرة على فسقه ، وتهربه من مسؤوليته ، ومرة يحسب بها عن الله تعالى ربه وحالقه ومدبر أمره ، وميسره إلى ما حلفه به

(١) نجم ص ١٠

(٢) إفك : كذب ، لغو ، ما لا يثبت .

فينسب إليه تعالى الظلم ، ويعترض عليه في قضائه ، ومجاري أقداره ،  
وعادل أحكامه .

ومن هنا رأيت العناية ببحث هذا الجزء من عقيدة المؤمن واجبة ، لما  
عسى أن ينفع الله به من يقرؤه أو يسمعه ممن هم في بلبلة فكر ، واضطراب  
نفس من عقيدة القضاء والقدر ، فينقطع بلبال أفكارهم ، ويزول اضطراب  
نفوسهم ، فيؤمنون ويرضون ، ويعملون بطاعة الله ورسوله فينجون  
ويسعدون .

وبين يدي بحث هذا الجزء من عقيدة المؤمن وهو القضاء والقدر أقدم  
ثلاث كلمات تمهيدية قد تساعد على فهم هذا المعتقد ، وتسهل الوصول إلى  
إدراك حقيقته .

لشك فيه ، كما يقول علماء الكون اليوم أن العالم لم يكن أزلياً أبداً وإنما هو حادث - مخلوق ، كما لم يكن أبدياً أبداً ، بل لا بد له من نهاية حتماً ، وسر ذلك أن الطاقة الحرارية المتاحة تنتقل دائماً من جسم حراري إلى آخر على خلافه ، ولا يمكن أن يكون العكس ، فهذه الطاقة المتاحة لا بد وأن يكون هناك من أتاحها أولاً ، إذ العدم السابق لا ينتج شيئاً فتعين أن يكون خالقه أزلياً . وبهذا يبطل أن يكون الوجود أزلياً كما ادعى بعض الفلاسفة الملحددين ولزم أن يكون حادثاً ، له بداية ، ولما كان له بداية كان له نهاية حتماً .

وعند تقرير هذه الحقيقة العلمية يقول أحد علماء الغرب : وهكذا أثبتت البحوث العلمية دون قصد أن لهذا الكون بداية ، فأثبتت تلقائياً وجود الإله لأن كل شيء ذي بداية لا يمكن أن يتبدى بذاته . ولا بد أن يحتاج إلى المبدئ الأول وهو الإله الخالق سبحانه وتعالى ، وفي القرآن الكريم مصداق هذا حيث جاء فيه قول الله تعالى :

﴿سَنُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الْآفَاقِ وَفِي أَنْفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ﴾ (١)

يحكم هذا القانون السابق الذكر وهو انتقال الطاقة من الأحسام الحرارية إلى غيرها ، وهي عملية مستمرة فإن هذه الطاقة ستنفد في يوم من الأيام وعندها تنتهي هذه الحياة ، هكذا يقول علماء الكون ، وهي نظرية سليمة ، غير أن نهاية الحياة أخبر عنها خالقها بأنها تكون عند نهاية الأجل المسمى لها ، ولا تكون بفقد الطاقة الحرارية ، ولكن باختلال الأفلاك ، كما قال تعالى في كتابه العزيز :

﴿إِذَا وَقَعَتِ الْوَاقِعَةُ ۖ لَيْسَ لِوَقْعَتِهَا كَاذِبَةٌ ۖ خَافِضَةٌ رَّافِعَةٌ ۚ إِذَا رُجَّتِ الْأَرْضُ رَجًا ۖ وَبُسَّتِ الْجِبَالُ بَسًا ۖ فَكَانَتْ مَبَاءً مُنْبَثًا ۖ﴾ (٢)

(٢) سورة الواقعة الآيات (١ - ٦)

(١) سورة فصلت الآية (٥٣)

﴿وَإِذَا الشَّمْسُ كُوِّرَتْ ۖ وَإِذَا النُّجُومُ انْكَدَرَتْ ۖ وَإِذَا الْجِبَالُ سُيِّرَتْ ۖ﴾<sup>(١)</sup>  
﴿وَإِذَا السَّمَاءُ انْفَطَرَتْ ۖ﴾ ﴿وَإِذَا الْكَوَاكِبُ انْتَثَرَتْ ۖ﴾<sup>(٢)</sup>

يبد أن أولئك العلماء حسيهم أنهم قد اتسوا بطريقتهم العلمية الخاصة  
حدوث العائمه وعدم أبديته ، وأنه لا بد من فائمه ، وبهاية هذه الحية  
البد

و بعد مد فـن السؤال المصح هو كيف كان بدء الوجود ؟ أو كيف كان هذا الكون ؟ وعبد الخوف عن هـد السؤال فـطعت نفسه لاجابة من كويين ومن غيرهم . فلم يحازوا جواباً ، وثـى لهم ان يحيو شـيء سوى نفوس ، وانحـميين ، وانحـدس ، ونـظ ، وكـد ، وحرص ، ومن تلك الطـون وانـحصت قول عـصمه ان لأرض قد غـصبت عن سـبـل سـرارة منتهة ، ثم ردت بعد ملايين سـبـل ، وانـحـدس ، و صـحـد ، و فـتـة تـبة ، فـتـت بـنـك الحق ، و حـدة عـنه

وَأَمَّا حُبَّةٌ فِيهِمْ يَفْوِيحُ ، فَهِيَ دَنَاتٌ حَبِيَّةٌ سَبِيحَةٌ ، تَمُوتُ نَحْبَةً .  
وَتَتَكَثَّرُ حَتَّى وَصَلَتْ إِلَى مَا وَصَلَتْ إِلَيْهِ لَأَرْبَابُهَا ، تَمُوتُ مَسْبُوحَةً أَلْفِيَّةً .  
كَتَبْتُ لَأَرْبَابِهَا فِي مَقْصِدَاتِ عِلْمِهَا ، وَتَمُوتُ مَسْبُوحَةً أَلْفِيَّةً .  
وَهِيَ مَلَايِيسُ تَفْدِيهِكُمْ أَلْفِيَّةً عَمَّا تَدْرِكُ عِلْمُهَا .

وَحَبِيبَةُ الْحَبِيبَةِ، وَهِيَ شَقِيَّةٌ، بَدَأَ اللَّهُ بِهَا فِي الْوَسْطِ، وَهِيَ  
حَرْثُومَةٌ مِنْ بَعْضِ أَكْبَرِ الْأَحْزَانِ، لَا يَكُنِي حَبِيبَةً إِلَّا بِهَا  
كَرَّكَ حَرْثُ الْفَقْرِ مُثَلًّا، وَبَدَأَ فِيهَا بِهَا عَالِي الْأَحْزَانِ  
أَكْبَرُ عَالِي الْأَحْزَانِ، وَهِيَ الْوَسْطُ، وَهِيَ الْوَسْطُ  
أَحْبَدُ بَدَأَ فِيهَا عَالِي الْوَسْطِ، وَهِيَ الْوَسْطُ، وَهِيَ الْوَسْطُ

$\rho = 1, \dots, n$  and  $\sigma = 1, \dots, m$

Y. 11. 22. 2. 2. (Y)

سطحه كما يزعمون ؟؟ والحمد لله القائل :

﴿ مَا أَشْهَدُهُمْ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلَا خَلَقَ أَنْفُسَهُمْ وَمَا كُنْتُ مُتَّخِذَ الْمُضِلِّينَ عَصَدًا ﴾ (١)

فقد أغنى الله سبحانه وتعالى عباده المؤمنين عن هذه الهواجس ،  
والوساوس ، والظنون والتخرصات حيث أخبر تعالى وهو الخالق عن كيفية  
خلق الكون ، وكفى بمن خلق مخبراً ، وكيف لا يعلم ما خلق وهو اللطيف  
الحسيب ؟ يقول تعالى :

﴿ أَمْ يَرَأُونَ كُفْرًا أَنْ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ كَانَتْ رَتْقًا  
فَفَتَقْنَاهُمْ وَجَعَلْنَا مِنَ الْمَاءِ كُلَّ شَيْءٍ حَيٍّ أَفَلَا يُؤْمِنُونَ وَجَعَلْنَا  
فِي الْأَرْضِ رَوْسِي أَنْ يَمْدَ بِهِمْ وَجَعَلْنَا فِيهَا فِجَاجًا سَبِيلًا لَعَلَّهُمْ  
يَهْتَدُونَ وَجَعَلْنَا السَّمَاءَ سَقْفًا مَحْفُوظًا وَهُمْ عَنْ آيَاتِهَا مُعْرِضُونَ  
وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ كُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ ﴾ (٢)

وقد :

﴿ قُلْ أَنْتُمْ لَسْتُمْ بِأَلَدِي خَلَقَ الْأَرْضَ فِي يَوْمَيْنِ وَتَجْعَلُونَ لَهُ أَنْدَادًا  
ذَلِكَ رَبُّ الْعَالَمِينَ وَجَعَلَ فِيهَا رَوْسِي مِنْ فَوْقِهَا وَبَرَكَ فِيهَا وَقَدَّرَ  
فِيهَا أَقْوَامًا فِي أَرْبَعَةِ أَيَّامٍ سَوَاءً لِّلسَّالِينَ ﴿١٠﴾ ثُمَّ اسْتَوَى إِلَى السَّمَاءِ  
وَهُى دُخَانٌ فَقَالَ لَهَا وَلِلْأَرْضِ ائْتِيَا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا قَالَتَا أَتَيْنَا  
طَائِعِينَ فَقَضَاهُنَّ سَبْعَ سَمَوَاتٍ فِي يَوْمَيْنِ وَأَوْحَى فِي كُلِّ سَمَاءٍ

(١) سورة النحل : ١٦٥

(٢) سورة النحل : ١٦٥ - ١٦٦ - ١٦٧ - ١٦٨ - ١٦٩ - ١٧٠ - ١٧١

أَمْرَهَا وَزَيْنًا السَّمَاءَ الدُّنْيَا بِمَصْصِيحٍ وَحِفْظًا ذَلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ  
الْعَلِيمِ ﴿١﴾

هد حیره تعالیٰ عن خلق النکون ، واما عن خلق الانسان ، و حیوان ،  
و نحبون ، و الست فبقول تعالیٰ

﴿ خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ صَلْصَلٍ كَالْفَخَّارِ وَخَلَقَ الْجَانَّ مِنْ مَّارِجٍ مِنْ نَارٍ ﴾ ﴿٢﴾  
و یقول

﴿ وَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنْ صَلْصَلٍ مِنْ حَمِإٍ مَسْنُونٍ ۖ وَالْجَانَّ  
مِنْ قَبْلُ مِنْ نَارِ السَّمُومِ ﴾ ﴿٣﴾  
و یقول

﴿ وَاللَّهُ خَلَقَ كُلَّ دَابَّةٍ مِنْ مَاءٍ فَمِنْهُمْ مَنْ يَمْشِي عَلَىٰ بَطْنِهِ وَمِنْهُمْ  
يَمْشِي عَلَىٰ رِجْلَيْنِ وَمِنْهُمْ مَنْ يَمْشِي عَلَىٰ أَرْبَعٍ يَخْلُقُ اللَّهُ مَا يَشَاءُ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ  
قَدِيرٌ ﴾ ﴿٤﴾  
و یقول

﴿ فَلْيَنْظُرِ الْإِنْسَانُ إِلَىٰ طَعَامِهِ ۚ أَنَا صَبَبْتُ سَّمَاءً مَاءً فَسَالَتْ  
الْأَرْضُ شَقًّا فَأَنْبَتْنَا فِيهَا حَبًّا وَعَبَا وَقَضْبًا ۖ وَرَبَّيْنَاهُ سَعِيبًا  
وَحَدَّيْنَاهُ غُلْبًا ۖ وَفَكَهَمُوا ۖ وَأَبْأَمْتُهُمْ لَا يَسْمَعُونَ ۖ

(١) سہ د قسط ۱۰ ص ۹۱ ، ۱۲

(٢) سہ د قسط ۱۰ ص ۲۶ ، ۲۷

(٣) سہ د قسط ۱۰ ص ۲۵

(٤) سہ د قسط ۱۰ ص ۲۵ ، ۲۶



أين هذا الإيمان الواقعي ، والقول الشافي ، والبأ اليقين في خلق الإنسان والكون ، من ذلك الهراء الحواء ، والخرص والتحمين ، بل الكذب والإفك المبين؟؟ إن ما بينهما كما بين الوجود والعدم ، والسمع والصمم !!  
وأين هؤلاء من أولئك!!!

هؤلاء هُدوا بإيمانهم لمعرفة الحق فعرفوه ، وقبلوه ، وسكنت له نفوسهم ، وآثروه ، وأولئك ضلوا بكفرهم ، فأثروا العمى على الهدى ، فعارضوا العلم الحق بالشبهات ، وردوا اليقين بالشك والمين<sup>(١)</sup>.

المؤمنون أضاء لهم نور الوحي المبين ، فأروا في نوره أهل الظلمات في آرائهم بعمهون ، وفي ضلالاتهم يتهوكون<sup>(٢)</sup> وفي ربهم يترددون . والكافرون لاح لهم في ببداء الهوى سراب ، فجروا وراءه ظانين أنه الحكمة وفصل الخطاب ، ولما انتهوا إليه بعد كلال ، وجدوه خيبة آمال وسوء مآل .  
قال تعالى :

﴿ وَالَّذِينَ كَفَرُوا أَعْمَلُوا كَسَرَابٍ بِقِيعَةٍ يَحْسَبُهُ الظَّمْآنُ مَاءً حَتَّى إِذَا جَاءَهُمْ لَمْ يَجِدْهُ شَيْئًا وَوَجَدَ اللَّهَ عِنْدَهُ فَوَفَّاهُ حِسَابَهُ وَاللَّهُ سَرِيعُ الْحِسَابِ أَوْ كَظُلُمَاتٍ فِي بَحْرٍ لُجِّيٍّ يَغْشَاهُ مَوْجٌ مِّنْ فَوْقِهِ مَوْجٌ مِّنْ فَوْقِهِ سَحَابٌ ظُلُمَاتٌ بَعْضُهَا فَوْقَ بَعْضٍ إِذَا أَخْرَجَ يَدُهُ لَمْ يَكَدْ يَرْنَهَا وَمَن لَّمْ يَجْعَلِ اللَّهُ لَهُ نُورًا فَمَا لَهُ مِن نُّورٍ ﴾<sup>(٣)</sup>

الثالثة :

لقد أصبح معلوماً بالضرورة لدى العالمين بأحوال الكون أن الكون كله

(١) حين صبح الميم ، وسكون الياء الكذب ومنه قولهم : أكثر الطون ميون

(٢) عمه وتهوؤك كلالهم بمعنى التبحر والترودد

(٣) سورة البور الأيتان ( ٣٩ ، ٤٠ )

عربیہ و سنہ مریضہ دُفین ہو عیہ فی مدقہ . فمن کدر ححم فیہ کوکب  
شمس مثلاً ہی اصغر شیء کبوتر مدقہ . کل مشدود نفوس عجیبہ .  
و محکوم سس نامہ لا تفسد ولا تعبر . کد صرح مدقہ غور کربہ فی  
فویہ

﴿ فَلَنْ نَجِدَ لِسُنَّتِ اللَّهِ تَبْدِيلًا وَلَا نَجِدَ لِسُنَّتِ اللَّهِ تَحْوِيلًا ﴾

و ان فرض ان سنہ من سنت سس ہی تفسد کوکب فہ حنت حرب  
عہ جمع

فہی لغہ عربی مثلاً و ان حدادہ علی مقدم سس حروج  
عقل کوکب غل مسدود . و صمدہ مع عقل کوکب و احقر احقر  
بہیہ عہ حنت و ان حریرہ سس ذہ سنہ غل و فی عہ و  
عقل و پوزہ . و نقصت غل و فی عہ عقل سس و ان سس  
غل لارض لاحقر فی مدقہ بصبہ فی عہ و ان سس و ان سس  
بصبہ فی عہ سس

فہی عہ عقل . و فی عہ سس . و ان سس .  
و فی و حد و احقر فی عہ ۷۱ . و ان سس و ان سس .  
مثلاً و احقر فی سس سس و ان سس و ان سس

فہی عہ عقل و ان سس و ان سس .  
و ان سس و ان سس و ان سس .  
فہی عہ و ان سس و ان سس .  
و ان سس و ان سس و ان سس .  
و ان سس و ان سس و ان سس .  
و ان سس و ان سس و ان سس .  
و ان سس و ان سس و ان سس .

و ان سس و ان سس و ان سس

السنن الخاصة بالأحياء معلومة لمن تأملها ، وفكر فيها . ومن هذه السنن أذكر على سبيل المثال ثلاث سنن من سنن اللقاح في الإنسان ، والحيوان ، والنبات فأقول : -

إن الميل الفطري الذي يجده الرجل إلى امرأته ، والمرأة إلى زوجها ، وذلك الغشيان الخاص للنسل ، وحفظ النوع عميل يتم وفق سنة موضوعة للإنسان لحفظ نوعه .

ومن أجل تحقيق تعاون بين الزوجين ينتج عنه حفظ الأولاد ، وتربيتهم توجد الظاهرة التالية ، وهي أن الرجل يبقى في حاجة إلى غشيان المرأة حتى في حال حملها ، بخلاف الحيوان فإنه إذا حبلت أثناء عافها وتركها مما يدل على أنه مفطور على إتيانها لا لغريزة الشهوة المركبة فيه كما هو الظاهر فقط . وإنما للنسل ، والذي بواسطته يتوفر للإنسان غذاؤه من اللحم ، والنبس ومشتقاته ، والصوف ، والوبر ، والشعر لفراشه ولباسه ، في حين أن الحيوان يصرف عن أنثى في حال حملها ، وتنقطع المودة بينهما ، وذلك لعدم الحاجة إلى التعاون بينهما على تربية الولد ، وحفظه كما هي الحال في الإنسان في تربية أولاده ، وحفظهم . ولعل هذه الظاهرة قد توجد في الحيوان الذي يفترق بنيه ولده في تربيته وحفظه إلى أمد معين - فسيحان من أعطى كل شيء خلقه ، ثم هدى ، هذا في الإنسان والحيوان ، وإنه ليبدمع عقولاً ، مقبولاً . أما في المسات فإنه لم يأخذني العجب من شيء في ظواهر هذا الكون كما أخذني من ظاهرة كيفية عملية لقاح شجر التين . وحقاً إنها لظاهرة جد عجيبة ، تأخذ بلب المتأمل فيها ، وبكل مشاعر الناظر إليها .

إنه يوحد في نوع شجر التين شجر منه يعرف بذكر التين . وفي أوساط الربيع وبصدم بورق كل من ذكره وأنثاه يخرج كل منهما حباً صغيراً هو ثمرة التين . غير أن الملاحظ في ذلك أن حب الذكر يكبر بسرعة حتى إذا ما تهيأت الأنثى للقاح حسب سنة الله تعالى فيه كان حب الذكر قد ينح ، فيأخذ

الفلاح ثمرة الذكر البانعة فيعلقها بأغصان الشجرة الأثني . فيخرج من حبة الذكر المعلقة ذباب صغير في غاية الصغر ، ويعرف ذلك الذباب طريقه إلى حبة الأثني فيدخل في مكان على سطحها قد أعد لذلك هو أشبه ما يكون بفرج حيوان ، فيدخل ذلك الذباب حاملاً معه مادة بيضاء قد غلفت بحسمه الصغير ، ثم يخرج منها بعد أن يكون أتم عملية التلقيح ، فيدخل في حبة أخرى ليلقحها وهكذا حتى يلقيح عدداً كثيراً من حبات التين الصغيرة لمهيأة للتلقيح ، وبعدها يموت ذلك الذباب وقد أتم مهمته التي حثه الله تعالى لها . هكذا تتم هذه العملية المعقدة العجيبة التي هي من أقوى البراهين على وجود الله تعالى ، وقدرته ، وعلمه ، وتدبيره ، فسبحان من أعطى كل شيء خلقه ثم هدى ، لا إله إلا هو ولا رب سواه

والآن ونحن في غاية التأثر والإعجاب بهذه الظاهرة الكريمة في شجرة التين لا يسعنا إلا أن نسجل كلمة ستودعها الله تبارك وتعالى في يوم القيامة . فينبغنا بها وهي أن ظهرة كهده في نرح هذه المصيبة المباركة يستحيل أن تتم بالظاهرة ، أو بالصدفة ، بل بالقدرة العظيمة والملاحظة والطبيين ، وإنما تتم بحسن وتقدير ، والله رب العالمين ، رب السموات والأرضين ، رب كل شيء ومليكه الذي أشهد شهادته علمه وبه . اللهم يا مستودع هذه الشهادة والقسط ، العزيز الحكيم . اللهم يا مستودع هذه الشهادة ودبعة تردها علينا يوم القيامة وأحير فهذا الظاهر في حبه . لم يكن إلا بتيحة قدر وعلم سقاه فكأن كل شيء ، هو هذا المقنضى ذلك التقدير الأبري القديم الذي هو المقصود . إيمان عبد إلا به ، والله الموفق والهادي إلى ما يشاء

## القضاء والقدر

ولكي يسهل علينا معرفة القضاء والقدر ينبغي أن نرجع بالذاكرة إلى تلك الكلمات الثلاث التي قدمناها تمهيداً لبحث القضاء والقدر . وما أوردنا فيها من كلام في خلق الكون والنظام الذي ربط به ، والسنن التي تحكم كل أجزائه وما وقفنا عليه من عجب الخلق والتدبير في هذا الكون كله : في الإنسان ، والحيوان ، في النبات ، والجمادات . لقد رأينا أن النظام الشمسي في غاية الدقة إذ لكل كوكب بل لكل نجم من السجوم وهي بلايين مساره الذي يسير فيه ، ومداره الذي يدور عليه ، وذلك على مر هذه الحياة الطويلة ، ولم يقع أن يخرج كوكب عن مداره الذي يدور عليه ، ولا نجم عن مساره الذي يسير فيه إذ لو وقع ذلك لانتهى العالم من الوجود .

كما رأينا سنن الله تعالى في حياة الإنسان ، والحيوان ، والنبات نشوءاً ، وتطوراً ، ونماء ، وبقاء ، وفناء . وأن ذلك مربوط بسنن لا تتبدل ، وبذلك انتظمت الحياة فهي تسير إلى غاياتها المحدودة لها . وعرفنا أن هذا هو سر للقدر وتفسيره .

ومن هنا صح لنا أن نعرف القدر والقضاء بأنهما : علم الله تعالى الأزلّي بكل ما أراد إحاده من العوالم ، والخلائق ، والأحداث ، والأشياء ، وتقدير ذلك الخلق ، وكتابته في الذكر الذي هو اللوح المحفوظ ، كما هو حين يقضي بوجوده في كميته ، وكيفيته ، وصفته ،

وزمانه ، ومكانه ، وأسابيه ، ومقدماته ونتائجه بحيث لا يتأخر شيء ، من ذلك عن إبانته<sup>(١)</sup> ، ولا يتقدم عما حدد له من زمان ، ولا يتبدل في كميته بزيادة أو نقصان ، ولا يتغير في هيئة ولا صفة بحال من الأحوال ، وذلك : -

أولاً : لسعة علم الله تعالى الذي علم ما كان وما يكون ، وما لم يكن لو كان كيف يكون ، وعظيم قدرته عز وجل التي لا يحدها شيء ، ولا يعجزها آخر ، فما شاء الله كان وما لم يشأ لم يكن

وثانياً : لربطه تعالى الوجود كله بقانون النسي الذي يحكم كل أجزاء الكون علويه وسفليه على حد سواء . هذان هما نقصاء والقدر اللذان لا ينكرهما إلا مكابر مجاهد ، أو جاهل معبد ، يد هما صاحب في شكل قوانين ثابتة تشمل كل كائن في هذا الوجود من الفلك إلى السور والحلحك ، ومن الإنسان إلى الحيوان ومن السمات إلى الحمديد

ولنستم بآذان صاغية إلى الحقائق العلمية والقصص النبوية  
سبحانه وتعالى وهو يخبر عن قدرته وحكمته في آياته ومعجزاته  
وقضائه به :

﴿مَا أَصَابَ مِنْ مُصِيبَةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي أَنْفُسِكُمْ إِلَّا فِي كِسْفٍ قَبْلَ أَنْ نَبْرَأَهَا إِنَّ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ﴾ (٣)

﴿ وَلَا أَرْضَ مَدَدْنَهَا وَأَنْقَبَ فِيهَا رُوسِي ۖ نَسَبْتُ فِيهَا ذُرِّيَّيَ ۖ  
وَجَعَلْنَا لَكُمْ فِيهَا مَعِيشَ ۖ وَمَنْ لَكُمْ لَكُمْ بِرَأْسَيْكُمْ ۖ وَإِنْ مِنْكُمْ  
نَحْرَابُكُمْ ۖ وَمَا نَسَبُكُمْ إِلَّا بِقَدَرٍ مَعْلُومٍ ۖ ﴾<sup>(١)</sup>

$$x^2 + y^2 + z^2 = 1 \quad (1)$$

(٢) الضمير في قوله : عنه .

19. 1. 1981, 22. 1. 1981, 23. 1. 1981

﴿ إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ ﴾<sup>(١)</sup> ﴿ ثُمَّ جَعَلْنَا عَلَى قَدَرٍ يَمُوسَى ﴾<sup>(٢)</sup>  
﴿ وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ وَقَدَرَهُ تَقْدِيرًا ﴾<sup>(٣)</sup> ﴿ وَكَانَ أَمْرُ اللَّهِ قَدَرًا مَقْدُورًا ﴾<sup>(٤)</sup>  
﴿ سَبِّحْ اسْمَ رَبِّكَ الْأَعْلَى الَّذِي خَلَقَ فَسَوَّى وَالَّذِي قَدَّرَ فَهَدَى ﴾<sup>(٥)</sup>

هذا ولم ينكر القدر؟ والإنسان المخلوق المحكوم بقوانين القدر التي لا يستطيع أن يخرج عنها بحال من الأحوال، لا ينكر عليه إذا أراد أن ينزل من السماء أن يرسم له صورة كاملة على ورقة صغيرة، ثم يأخذ في سائه، فيحرقه إن كان ذا قدرة وعلم كفيين، صورة ضئيلة أصلاً فلا يختلف شيء مما قدره فيه، ولا يختلف فيه شيء عما رسمه له.

إذا كان الإنسان على ضعفه وعجزه لا يستغفر منه ذلك، بل يحمده عليه، ويشي عليه به، فكيف يستغفر مثل ذلك من الله خلاق، الغني، ذي القوة المتين!!!

وإذا فكيف وجد من ينكر القدر، ويحادل فيه؟

وقبل الإجابة عن هذا السؤال ينبغي أن نذكر هنا أن القدر قد ران: قدر سلمه، وأمن به كل المؤمنين بالله تعالى، ولم ينكره أحد: أو يمد فيه آخر، وهذا النوع من القدر هو ما كان مثل خلق نعالهم، وما فيه من سنن، وما يجري فيه من أحداث كالنحية والسموت، والفحظ والجذب، وما ينزل بالإنسان من مصائب لم يتسبب هو فيها، ولم يكن له قدرة بحال على دفعها، وذلك ككونه يولد جميلاً

(١) سورة الفجر الآية (٤٩)

(٢) سورة ص الآية (٤٠)

(٣) سورة الفرقان الآية (٢)

(٤) سورة الأحزاب الآية (٣٨)

(٥) سورة الأعلى الآيات (١-٣)

أو دميماً ، طويلاً أو قصيراً ، وفي زمن كذا دون غيره من الأرمته ، وفي بلد كذا دون غيره من البلاد مثلاً .

وَيَكُونُ الْقَضَاءُ مَضَى بِسَعَادَةِ الْمَرْءِ أَوْ شِقَاةِهِ ، كَمَا مَضَى تَحْدِيدُ رِزْقِهِ وَأَجَلِهِ ، فَهَذَا الْمَوْعِدُ مِنَ الْقَدَرِ هُوَ مِنْ مَرَادِ قُوَّةِ تَعَالَى

﴿مَا أَصَابَ مِنْ مُصِيبَةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي أَنْفُسِكُمْ إِلَّا فِي كِتَابٍ مِنْ قَبْلِ أَنْ نَبْرَأَهَا إِنَّ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ﴾<sup>(١)</sup>

وقول الرسول ﷺ لاس عدس رضي الله عنهم «واعلم أن الأمة لو  
اجتمعت على أن ينفعوك بشيء لم ينفعوك إلا بشيء قد كتبه الله لك،  
ولو اجتمعوا على أن يضروك لم يضروك إلا بشيء قد كتبه الله عليك،  
رفعت الأقلام، وجفت الصحف» وهذا هو معنى قوله تعالى  
«الإيمان به، يحب رضى به، ونسيبه لله تعالى فيه وفيه»  
رضى الله تعالى، وبه على مشيئته وحكمته ووقعه تعالى  
نصحه وحقيقته، وبه من حدثه تحدث في كلامه  
حكمته، عليه، مقصوده، ومن هو فاعله،  
لأحداث مقدره، كما حمل به في قوله تعالى

$\gamma \gamma_1$  also has one more root.

[illegible]



## ثمرۃ الرضا بالقضاء

وللرضا بهذا المقصد نتائج مباركة ، وثمرات طيبة ، ومن تلك  
 نتائج السارة والثمرات الطيبة ، أنه يكسب صاحبه قوة التكيمة ،  
 ومضاء العريمة ، إذ من اطمأنت نفسه إلى أن ما أصابه لم يكن  
 ليخطئه ، وأن ما أخطأ لم يكن ليصيبه حلت جميع أعماله من الحيرة  
 والتردد ، وانتهى من حياته القلق والاضطراب ، لأنه بمجرد ما يترجح  
 لديه الإقدام على أمر ما أقدم عليه في غير ما خوف ، ولا هيبه ، ولا  
 تردد ، ومن هذا فإنه لا يحزن على ما مضى ، ولا يعتم لحاضر ، ولا  
 يأنسهم المستقبل وبذلك يكون سعد الناس حالا وأصفيهم نفسا ،  
 وأصحبهم حالا ، وهذا هم حاضر ، وميتهم أيضا أنه يكون من أشجع  
 الناس غللا وقتا ، وتكرمهم قولا ونفسا ، إذ من عرف حبه  
 محدوده ، وعرفته معدوده فلا يحزن يريد في غيره ، ولا ألتجح يريد في  
 غيره ، فليس في تطورات وسعد في متكررات

ومن لا شك فيه ، وهذه صفات قد نلت وصحة في هذه  
 الدنيا ، ولا شك في ذلك عند المقصد ، والتجرب ، وصحة في  
 أنفسهم ، فلو لم يكن فيهم فقد ، فلو كان سحره وشرفه ، وصبر  
 وحسن ، وعرفه ، وأمر ، إلى ما كان به من سعادة بعينه وقدره هذه  
 الدنيا ، فلو كان فيهم فقد ، فلو كان سحره وشرفه ، وصبر

ولا شك في ذلك عند المقصد ، والتجرب ، وصحة في

وهو : كيف وجد من ينكر القدر ويجادل فيه ؟ فنقول : لقد علمنا من الكلمة التي استطردناها هنا عند إرجائنا الإجابة عن هذا السؤال أن القدر الذي وجد بين المسلمين من ينكره ويجادل فيه ليس هو القدر العام الذي يشمل الكون كله وما يجري فيه من أحداث لا بد للإنسان فيها ، ولا قدرة له على دفعها أو تغييرها إذ هي جارية على نظام السنن التي يقول الله تعالى فيها :

﴿ وَلَنْ نَجِدَ لِسُنَّتِ اللَّهِ تَحْوِيلًا ﴾<sup>(١)</sup>

وإنما هو القدر الخاص المتعلق بأفعال العباد ، حسنها وسيئها ، صالحها وفاسدها ، وأول ما ظهر القول فيه على عهد عمر بن عبد العزيز لخلبة لأُموي الراشد ، وذلك في حدود المائة الأولى من الهجرة ، قل له ، وأظهره ودع إليه غيلان الدمشقي حتى قتله هشام بن عبد الملك ، وهذا لا بد في ما روي من أن القول بسمي القدر كان في أواخر أيام خلافة رضي الله عنهم ، إذ ما قبل في تلك الأيام لم يعد كونه مجرد قول قديم فرد أو فرد فذكره عليهم من وجد من أصحاب رسول الله ﷺ كس عمر ، وس عدس رضي الله عنهم حتى قصروا عليه ، وأحمدوا رسول الله ﷺ إلى حين

ونفي أولئك القدر بقدر معناه أن الأمور لم تكن في قدر ، نقض أولاً ، ولم تكن في كتب التقدير<sup>(٢)</sup> ولم يذهبوا إلى أن القدر هو وجوده ، ويبدو أن القناعة التي قلت بسمي القدر في كتابي دحضت حجتها ، وذهب رضيها وتهافت بها من جاء بها ، فكتبوا والسنن في إثبات القدر الحاصل معناه بعد ذلك بعد مكره كقول لا مقدم له بين الحاصل

(١) سورة ص الآية (٤٣)

(٢) لم يرد في كتب حدود النسخ محققون إلى كتاب الله في غير شيء



الساعة»<sup>(۱)</sup> وقوله ﷺ لبعض أهل بيته وقد لاموا أنساً في بعض تقصيره في إحضار شيء طلبوه منه : « دَعُوهُ فَلَوْ قَضَى شَيْءٌ لَكَانَ »<sup>(۲)</sup> وقول ابن عمر رضي الله عنهما في صحيح مسلم وقد أخبر بأن ناساً يزعمون أن لا قدر ، وأن الأمر أنف<sup>(۳)</sup> . قوله لمن أخبره بذلك : « إِذَا لَقِيتَ هَؤُلَاءِ فَأَخْبِرْهُمْ أَنِّي بَرِيءٌ مِنْهُمْ وَأَنْتُمْ بَرَاءٌ مِنِّي ، وَالَّذِي يَخْلُفُ بِهِ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عَمْرِو لَوْ أَنَّ لِأَحَدِهِمْ مِثْلَ أَحَدٍ ذَهَباً فَأَتَفَقَّ فِي سَبِيلِ اللَّهِ مَا قَبِلَ اللَّهُ مِنْهُ حَتَّى يُؤْمِنَ بِالْقَدَرِ »<sup>(۴)</sup> ، وقد تقدم حديث ابن عباس عند الترمذي وفيه قوله ﷺ « رَفَعْتَ الْأَقْلَامَ ، وَجَفْتَ الصُّحُفَ » . غير أنه قد وجد فيما بعد من يقول بنفي القدر عن أفعال العباد ، فزعم أن العبد يحمي أفعاله بنفسه . وأن الله تعالى لا دخل له في ذلك ، ولا عمل ، وأن أفعال العباد لم تقدر ولم يعلمها الله تعالى قبل وجوده . وقوله كَيْفَ تَعْبُدُونَ اللَّهَ الْقَبِيحَ وَهُوَ يَنْهَى عَنْهُ وَيَحْرِمُهُ ، وَهَذَا هُوَ أَسَاسُ شَيْئِهِمْ . وعليها مذهبهم في كون الله تعالى لم يخلق فعل العبد ولا قدره . أو عليهم ، وإنما العبد وحده هو الخالق لأفعاله . وحده هو الذي يخلق هذه شئته أخرى وهي قولهم كيف يخلق الله أفعاله من غير أن يخلق عليها ؟ وأصبحوا بهذا يعرفون بالقدرية ، أي بعبادته . والعبد مادام يستقل بخلق أفعاله فقد أصبح له حرية كاملة . وبطل بذلك التوحيد الذي هو أحسن . هنا سموا بمحوس هذه الأمة ، لتعدد الخلق في عبادة الله . الإنسان خالق أفعاله بمقتضى قدرته وعظمه ولا يستطيع

(۱) أبو داود ( ۲ ) ۵۲۷ ، ۵۲۸ . كذا في نسخة ابن جرير .

(۲) هذه الرواية ذكرها ابن القيم في كتابه عند أبيه .

(۳) عن أبي أسود رضي الله عنه قصة حديثه .

أو صبيته فلامني فإن لامي أحسن من أفعالي .

(۴) الألف المستحدثة في نسخة ابن جرير .

(۵) في نسخة ابن جرير .

(۶) مسلم ( ۱ ) ۲۸ .

## الجبر وحقيقته

وعلى العكس من نفاة القدر كانت طائفة الحبرية من المعتزلة ، وأول من ظهر منهم الجعد بن درهم ، وكان قد تلقى مذهب الجبر من يهودي من يهود الشام ، وتلقاه عنه الجهم بن صفوان رئيس الطائفة الجهمية نفاة الصفاة المعطلين .

ومما تجدر الإشارة إليه أن مذهب القدر كمذهب الجبر كليهما من صنع اليهود ، لإفساد عقيدة المسلمين ، إذ سبق أن ذكرنا أن أول من قال بنفي القدر غيلان الدمشقي الذي قتله هشام بن عبد الملك فلا يعد أن يكون غيلان هذا قد تلقاه من يهود الشام أيضاً .

وحقيقة الجبر : أن الإنسان لا يخلق أفعاله ، ولا ينبغي أن تنسب إليه إلا على سبيل المحاز . فهي نسبة فعل لا نسبة إرادة واختيار إذ هي أفعال الله تعالى ، أجراها على يد العبد بدون إرادة من العبد ؛ ولا اختيار ؛ ولأزم هذه العقيدة أن العبد غير مؤاخذ على أفعاله ، وأنه لا يعاب منه فعل ، ولا يلام عليه ، وثو كان في غاية القبح والفساد . ولذا كان هذا المذهب أفسد وأشد شراً من سابقه الذي هو مذهب القدرية والذي يسعى للإشارة إليه هنا هو أن عقيدة الحر بالرغم من كونها أكثر صبراً وفساد من عقيدة نفي القدر فقد ظلت طاهرة في المسلمين . سره منهم ويدور برأيه منهم لها ، ولا رغبة فيها ، ولعل السبب يعود في ذلك إلى أن عقيدة الحر هذه تلقي الشعة عن العبد فيما يرتك من معصية ، وفساد يذوق من الذنوب ، وتجعله معدوماً أمام نفسه ، حتى قال بعض أصحاب هذا المعتقد الخطير



لا جبر ، ولا نفي للقدر

الإنسان فاعل مختار

والله خالق الإنسان وخالق أفعاله

به قد صعب على غير الموفقين من الناس التوفيق بين كون  
الإنسان فاعلاً لأفعاله ، مريداً لها ، محتاراً فيها ، مهياً للثواب عليها إن  
كانت خيراً ، وللعقاب عليها إن كانت شراً ، وبين كون الله تعالى هو  
خالقه وخالق أفعاله خيراً وشرها ، مع اعتقاد عدل الله ، وتنزيهه عن  
نظمه

ومن هه انقسموا فوق فقاتل فرقة منهم ان العبد هو خالق افعاله  
نفسه ، وليس لله تعالى فيها دخل ائنة ، واعتدروا بكون افعال الإنسان  
منه ، هو شر وقيح بئره الله تعالى عنه ، ولا تحور نسبته إليه ، فالتمروا  
به على هذا المذهب بمبدأ بقي القدر عن افعال العباد ، أي أنه  
يعمل لله تعالى أولاً ، ولم يقدرها ، ولم تكن في الذكر ( كتاب  
المقدس ) . ويزعمهم في معتقدهم هه أن يكون لكون غير خالق  
واحد ، وهو رد صريح لقول لله تعالى

﴿أَلَا لَهُ الْخَلْقُ وَالْأَمْرُ﴾ <sup>(١)</sup> وَفِيهِ ﴿وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ﴾ <sup>(٢)</sup>  
﴿ذِكْرُ اللَّهِ ذِكْرٌ لَّآ يَنْهَىٰ عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنكَرِ ۚ وَالَّذِينَ يُغْتَابُوا عَنِ الْمَذْهَبِ أَلَّا يَذْكُرُوا لَهُ ۚ هُم مَّا ظَنَنَّا عَنْ لِقَائِهِ أَعْتَابُوه ۚ وَهُمْ يُكَذِّبُوهٗ ۚ وَهُمْ لَكَاظِمُونَ ۚ﴾ <sup>(٣)</sup>

٥٤٠ ٤٠ ٢٠ ١٠ ٥

(٩٦) ٤٠٠ ٥ ٤٠٠ ١٧١

$$(1+Y) \dot{a}'_1 \approx a'_1 \approx 0 \text{ in } (Y)$$





المذهب مذهب الجبر والتعطيل أسوأ ، وأفسد ، وأقبح من القدرية  
« نفاة القدر » .

وقال فريق ثالث : إنه ما دام الله تبارك وتعالى قد غفى الظلم عن  
نفسه في قوله

﴿ إِنَّ اللَّهَ لَا يَظْلِمُ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ وَإِنْ تَكُ حَسَنَةً يُضَعِفَهَا <sup>(١)</sup> ﴾

وحرمه على نفسه وعلى عباده في قوله في حديث مسلم مقدسي : ﴿ يَا  
عبادي إني حرمت الظلم على نفسي وحرمته بينكم محرماً فلا  
تظالموا <sup>(٢)</sup> ﴾

فكيف يحوز إذا عقلاً أن يكتب على العبد أولاً أعماله ليقوم بها  
حتماً ، ثم يواجهه عليها ؟ بل ذهبوا إلى أكثر من هذا القول بشدة  
وقبح فقالوا : ما دام الله تعالى قد غفى عنه مصير العبد ، وقرره ، حيث  
قدره بكتبته في كتاب المقادير العام النوح ( المحفوظ ) ، وأصبح العبد  
لا محالة صائراً إليه شاء أم أبى ، أحب أم كره ، فكيف يؤمر العبد إذ  
وينهى ، ويطلب بفعل الطاعات ، وتوكل المعاصي ، والأمر قد نُت  
فيه ، وفرغ منه ، إنما يؤمر وينهى من لم يحدد له مصير ، وتقرر له  
نهاية ، فمثل هذا يؤمر وينهى ليتقرر مصيره بحسب استجابته لما أمر به  
وينهى عنه ، وعذمه

(١) (٤٠) .

(٢) (٧٨) .

(الإبليس)

هذا ملخص هذا المذهب الثالث ، وإنه يبدو أن أصحابه مترددون بين إثبات القدر ونفيه ، والقول بالحر وعدمه ، ورغمهم في مذهبهم هذا ما أصبحوا به شرا من إبليس ألا وهو الاعتراض على الله تعالى ، ونسبة الظلم إليه وهو المزمع عن الظلم ، اتعبد عن كل شخص سبحانه لا إله إلا هو ، ولا رب سواه .

وأخيراً ينبغي أن تسمى هذه العروقة بحيرى الحمد لله (الحمد لله  
وإن كانت شر من إبليس).

وهدى الله أهل الإيمان والتقوى إلى الحق الذي حلت فيه راحة  
الفرق فصلى الله عليه وآله وعاش عبيد الله ، وهى فى سبيل الله  
رافية لأقدار الله تعالى ، متنة بظلال حقيق معدة فى  
حين أنه لا حلق إلا الله سبحانه وتعالى

وَبِئْسَ حَبْرِيَّةً مَعْطِلُهُ الشَّيْخُ ، فَكَلِمَاتُ عَيْنٍ ، وَفِيهَا  
عَلَى اللَّهِ تَعَالَى فِي قَدَرِهِ ، وَهُوَ عَسَمُهُ وَحَلَامُهُ ، وَهُوَ  
وَرَحْمَةُ قَضَائِهِ

هذه هم أهل الإيمان ، نعمى . . .  
وفداه ، وعائلته ، وأحمته ، . . .  
وقولوا لا يتم إيمانكم حتى تحاربوا . . .  
ذلك المقدار الذى هم ساء فيه . . .

وتقديره لكل شيء ، وكتابته في اللوح المحفوظ ، والمعبر عنه أحياناً بالإمام المبين كقوله تعالى .

﴿وَكُلُّ شَيْءٍ أَحْصَيْنَاهُ فِي إِمَامٍ مُبِينٍ﴾<sup>(١)</sup>

فلا يزيد شيء عما كتب ولا ينقص . الأحداث الصغار التي تجري في هذا الكون كالأحداث الكبار ، والأعراض والصفات كالأجسام والدوات ، كل شيء كان منذ كان الكون أو سيكون إلى انقراض الكون ، قد جرى به العلم ، ومضى فيه التقدير ، وكتب في الذكر حتى عثر الحامنين ، وكيس النابهين . روى مسلم في صحيحه عن النبي ﷺ قوله : « كُلُّ شَيْءٍ يُقَدَّرُ حَتَّى الْعَجْزُ وَالْكَيْسُ »<sup>(٢)</sup> وأخرج الشيخان عن أبي عبد الله رضي الله عنه قال : « مَا مِنْكُمْ مِنْ أَحَدٍ إِلَّا وَقَدْ كُتِبَ مَقْعَدُهُ مِنَ النَّارِ ، وَمَقْعَدُهُ مِنَ الْجَنَّةِ . قَالُوا يَا رَسُولَ اللَّهِ : أَفَلَا نَتَكَلَّمُ عَمَى كِتَابِنَا ، وَنَدْعُ الْعَمَلَ ؟ قَالَ . « اْعْمَلُوا فَكُلُّ مُسِيرٍ لِمَا خُلِقَ لَهُ مَا مِنْ كَانَ مِنْ أَهْلِ السَّعَادَةِ فَيُسِيرُ لِعَمَلِ أَهْلِ السَّعَادَةِ ، وَأَمَّا مَنْ كَانَ مِنْ أَهْلِ الشَّقَاوَةِ فَيُسِيرُ لِعَمَلِ أَهْلِ الشَّقَاوَةِ . ثُمَّ قَرَأَ : فَأَمَّا مَنْ أُعْطِيَ ، وَاتَّقَى ، وَصَدَّقَ بِالْحُسْنَى »<sup>(٣)</sup> الآيات كما روى البخاري أن النبي ﷺ قال لأبي هريرة « جَفَّ الْقَلَمُ بِمَا أَنْتَ لَاقٍ فَاخْتَصْ عَلَى ذَلِكَ أَوْ ذُرْ »<sup>(٤)</sup>

من هؤلاء الموفقون بالقضاء ، والتقدير والعدل ، والإرادة ، وحشيته ، وإحكامه ولم يصعب عندهم كما صعب على غيرهم لتوفيق

(١) سورة الحديد (١٢١، ١٢٢)

(٢) مسلم (٨٠، ٥١، ٥٢)

(٣) سورة الحديد (٢٠٩، ٢١٠، ٢١١، ٢١٢، ٢١٣، ٢١٤، ٢١٥، ٢١٦، ٢١٧، ٢١٨، ٢١٩، ٢٢٠، ٢٢١، ٢٢٢، ٢٢٣، ٢٢٤، ٢٢٥، ٢٢٦، ٢٢٧، ٢٢٨، ٢٢٩، ٢٣٠، ٢٣١، ٢٣٢، ٢٣٣، ٢٣٤، ٢٣٥، ٢٣٦، ٢٣٧، ٢٣٨، ٢٣٩، ٢٤٠، ٢٤١، ٢٤٢، ٢٤٣، ٢٤٤، ٢٤٥، ٢٤٦، ٢٤٧، ٢٤٨، ٢٤٩، ٢٥٠، ٢٥١، ٢٥٢، ٢٥٣، ٢٥٤، ٢٥٥، ٢٥٦، ٢٥٧، ٢٥٨، ٢٥٩، ٢٦٠، ٢٦١، ٢٦٢، ٢٦٣، ٢٦٤، ٢٦٥، ٢٦٦، ٢٦٧، ٢٦٨، ٢٦٩، ٢٧٠، ٢٧١، ٢٧٢، ٢٧٣، ٢٧٤، ٢٧٥، ٢٧٦، ٢٧٧، ٢٧٨، ٢٧٩، ٢٨٠، ٢٨١، ٢٨٢، ٢٨٣، ٢٨٤، ٢٨٥، ٢٨٦، ٢٨٧، ٢٨٨، ٢٨٩، ٢٩٠، ٢٩١، ٢٩٢، ٢٩٣، ٢٩٤، ٢٩٥، ٢٩٦، ٢٩٧، ٢٩٨، ٢٩٩، ٣٠٠، ٣٠١، ٣٠٢، ٣٠٣، ٣٠٤، ٣٠٥، ٣٠٦، ٣٠٧، ٣٠٨، ٣٠٩، ٣١٠، ٣١١، ٣١٢، ٣١٣، ٣١٤، ٣١٥، ٣١٦، ٣١٧، ٣١٨، ٣١٩، ٣٢٠، ٣٢١، ٣٢٢، ٣٢٣، ٣٢٤، ٣٢٥، ٣٢٦، ٣٢٧، ٣٢٨، ٣٢٩، ٣٣٠، ٣٣١، ٣٣٢، ٣٣٣، ٣٣٤، ٣٣٥، ٣٣٦، ٣٣٧، ٣٣٨، ٣٣٩، ٣٤٠، ٣٤١، ٣٤٢، ٣٤٣، ٣٤٤، ٣٤٥، ٣٤٦، ٣٤٧، ٣٤٨، ٣٤٩، ٣٥٠، ٣٥١، ٣٥٢، ٣٥٣، ٣٥٤، ٣٥٥، ٣٥٦، ٣٥٧، ٣٥٨، ٣٥٩، ٣٦٠، ٣٦١، ٣٦٢، ٣٦٣، ٣٦٤، ٣٦٥، ٣٦٦، ٣٦٧، ٣٦٨، ٣٦٩، ٣٧٠، ٣٧١، ٣٧٢، ٣٧٣، ٣٧٤، ٣٧٥، ٣٧٦، ٣٧٧، ٣٧٨، ٣٧٩، ٣٨٠، ٣٨١، ٣٨٢، ٣٨٣، ٣٨٤، ٣٨٥، ٣٨٦، ٣٨٧، ٣٨٨، ٣٨٩، ٣٩٠، ٣٩١، ٣٩٢، ٣٩٣، ٣٩٤، ٣٩٥، ٣٩٦، ٣٩٧، ٣٩٨، ٣٩٩، ٤٠٠، ٤٠١، ٤٠٢، ٤٠٣، ٤٠٤، ٤٠٥، ٤٠٦، ٤٠٧، ٤٠٨، ٤٠٩، ٤١٠، ٤١١، ٤١٢، ٤١٣، ٤١٤، ٤١٥، ٤١٦، ٤١٧، ٤١٨، ٤١٩، ٤٢٠، ٤٢١، ٤٢٢، ٤٢٣، ٤٢٤، ٤٢٥، ٤٢٦، ٤٢٧، ٤٢٨، ٤٢٩، ٤٣٠، ٤٣١، ٤٣٢، ٤٣٣، ٤٣٤، ٤٣٥، ٤٣٦، ٤٣٧، ٤٣٨، ٤٣٩، ٤٤٠، ٤٤١، ٤٤٢، ٤٤٣، ٤٤٤، ٤٤٥، ٤٤٦، ٤٤٧، ٤٤٨، ٤٤٩، ٤٥٠، ٤٥١، ٤٥٢، ٤٥٣، ٤٥٤، ٤٥٥، ٤٥٦، ٤٥٧، ٤٥٨، ٤٥٩، ٤٦٠، ٤٦١، ٤٦٢، ٤٦٣، ٤٦٤، ٤٦٥، ٤٦٦، ٤٦٧، ٤٦٨، ٤٦٩، ٤٧٠، ٤٧١، ٤٧٢، ٤٧٣، ٤٧٤، ٤٧٥، ٤٧٦، ٤٧٧، ٤٧٨، ٤٧٩، ٤٨٠، ٤٨١، ٤٨٢، ٤٨٣، ٤٨٤، ٤٨٥، ٤٨٦، ٤٨٧، ٤٨٨، ٤٨٩، ٤٩٠، ٤٩١، ٤٩٢، ٤٩٣، ٤٩٤، ٤٩٥، ٤٩٦، ٤٩٧، ٤٩٨، ٤٩٩، ٥٠٠، ٥٠١، ٥٠٢، ٥٠٣، ٥٠٤، ٥٠٥، ٥٠٦، ٥٠٧، ٥٠٨، ٥٠٩، ٥١٠، ٥١١، ٥١٢، ٥١٣، ٥١٤، ٥١٥، ٥١٦، ٥١٧، ٥١٨، ٥١٩، ٥٢٠، ٥٢١، ٥٢٢، ٥٢٣، ٥٢٤، ٥٢٥، ٥٢٦، ٥٢٧، ٥٢٨، ٥٢٩، ٥٣٠، ٥٣١، ٥٣٢، ٥٣٣، ٥٣٤، ٥٣٥، ٥٣٦، ٥٣٧، ٥٣٨، ٥٣٩، ٥٤٠، ٥٤١، ٥٤٢، ٥٤٣، ٥٤٤، ٥٤٥، ٥٤٦، ٥٤٧، ٥٤٨، ٥٤٩، ٥٥٠، ٥٥١، ٥٥٢، ٥٥٣، ٥٥٤، ٥٥٥، ٥٥٦، ٥٥٧، ٥٥٨، ٥٥٩، ٥٦٠، ٥٦١، ٥٦٢، ٥٦٣، ٥٦٤، ٥٦٥، ٥٦٦، ٥٦٧، ٥٦٨، ٥٦٩، ٥٧٠، ٥٧١، ٥٧٢، ٥٧٣، ٥٧٤، ٥٧٥، ٥٧٦، ٥٧٧، ٥٧٨، ٥٧٩، ٥٨٠، ٥٨١، ٥٨٢، ٥٨٣، ٥٨٤، ٥٨٥، ٥٨٦، ٥٨٧، ٥٨٨، ٥٨٩، ٥٩٠، ٥٩١، ٥٩٢، ٥٩٣، ٥٩٤، ٥٩٥، ٥٩٦، ٥٩٧، ٥٩٨، ٥٩٩، ٦٠٠، ٦٠١، ٦٠٢، ٦٠٣، ٦٠٤، ٦٠٥، ٦٠٦، ٦٠٧، ٦٠٨، ٦٠٩، ٦١٠، ٦١١، ٦١٢، ٦١٣، ٦١٤، ٦١٥، ٦١٦، ٦١٧، ٦١٨، ٦١٩، ٦٢٠، ٦٢١، ٦٢٢، ٦٢٣، ٦٢٤، ٦٢٥، ٦٢٦، ٦٢٧، ٦٢٨، ٦٢٩، ٦٣٠، ٦٣١، ٦٣٢، ٦٣٣، ٦٣٤، ٦٣٥، ٦٣٦، ٦٣٧، ٦٣٨، ٦٣٩، ٦٤٠، ٦٤١، ٦٤٢، ٦٤٣، ٦٤٤، ٦٤٥، ٦٤٦، ٦٤٧، ٦٤٨، ٦٤٩، ٦٥٠، ٦٥١، ٦٥٢، ٦٥٣، ٦٥٤، ٦٥٥، ٦٥٦، ٦٥٧، ٦٥٨، ٦٥٩، ٦٦٠، ٦٦١، ٦٦٢، ٦٦٣، ٦٦٤، ٦٦٥، ٦٦٦، ٦٦٧، ٦٦٨، ٦٦٩، ٦٧٠، ٦٧١، ٦٧٢، ٦٧٣، ٦٧٤، ٦٧٥، ٦٧٦، ٦٧٧، ٦٧٨، ٦٧٩، ٦٨٠، ٦٨١، ٦٨٢، ٦٨٣، ٦٨٤، ٦٨٥، ٦٨٦، ٦٨٧، ٦٨٨، ٦٨٩، ٦٩٠، ٦٩١، ٦٩٢، ٦٩٣، ٦٩٤، ٦٩٥، ٦٩٦، ٦٩٧، ٦٩٨، ٦٩٩، ٧٠٠، ٧٠١، ٧٠٢، ٧٠٣، ٧٠٤، ٧٠٥، ٧٠٦، ٧٠٧، ٧٠٨، ٧٠٩، ٧١٠، ٧١١، ٧١٢، ٧١٣، ٧١٤، ٧١٥، ٧١٦، ٧١٧، ٧١٨، ٧١٩، ٧٢٠، ٧٢١، ٧٢٢، ٧٢٣، ٧٢٤، ٧٢٥، ٧٢٦، ٧٢٧، ٧٢٨، ٧٢٩، ٧٣٠، ٧٣١، ٧٣٢، ٧٣٣، ٧٣٤، ٧٣٥، ٧٣٦، ٧٣٧، ٧٣٨، ٧٣٩، ٧٤٠، ٧٤١، ٧٤٢، ٧٤٣، ٧٤٤، ٧٤٥، ٧٤٦، ٧٤٧، ٧٤٨، ٧٤٩، ٧٥٠، ٧٥١، ٧٥٢، ٧٥٣، ٧٥٤، ٧٥٥، ٧٥٦، ٧٥٧، ٧٥٨، ٧٥٩، ٧٦٠، ٧٦١، ٧٦٢، ٧٦٣، ٧٦٤، ٧٦٥، ٧٦٦، ٧٦٧، ٧٦٨، ٧٦٩، ٧٧٠، ٧٧١، ٧٧٢، ٧٧٣، ٧٧٤، ٧٧٥، ٧٧٦، ٧٧٧، ٧٧٨، ٧٧٩، ٧٨٠، ٧٨١، ٧٨٢، ٧٨٣، ٧٨٤، ٧٨٥، ٧٨٦، ٧٨٧، ٧٨٨، ٧٨٩، ٧٩٠، ٧٩١، ٧٩٢، ٧٩٣، ٧٩٤، ٧٩٥، ٧٩٦، ٧٩٧، ٧٩٨، ٧٩٩، ٨٠٠، ٨٠١، ٨٠٢، ٨٠٣، ٨٠٤، ٨٠٥، ٨٠٦، ٨٠٧، ٨٠٨، ٨٠٩، ٨١٠، ٨١١، ٨١٢، ٨١٣، ٨١٤، ٨١٥، ٨١٦، ٨١٧، ٨١٨، ٨١٩، ٨٢٠، ٨٢١، ٨٢٢، ٨٢٣، ٨٢٤، ٨٢٥، ٨٢٦، ٨٢٧، ٨٢٨، ٨٢٩، ٨٣٠، ٨٣١، ٨٣٢، ٨٣٣، ٨٣٤، ٨٣٥، ٨٣٦، ٨٣٧، ٨٣٨، ٨٣٩، ٨٤٠، ٨٤١، ٨٤٢، ٨٤٣، ٨٤٤، ٨٤٥، ٨٤٦، ٨٤٧، ٨٤٨، ٨٤٩، ٨٥٠، ٨٥١، ٨٥٢، ٨٥٣، ٨٥٤، ٨٥٥، ٨٥٦، ٨٥٧، ٨٥٨، ٨٥٩، ٨٦٠، ٨٦١، ٨٦٢، ٨٦٣، ٨٦٤، ٨٦٥، ٨٦٦، ٨٦٧، ٨٦٨، ٨٦٩، ٨٧٠، ٨٧١، ٨٧٢، ٨٧٣، ٨٧٤، ٨٧٥، ٨٧٦، ٨٧٧، ٨٧٨، ٨٧٩، ٨٨٠، ٨٨١، ٨٨٢، ٨٨٣، ٨٨٤، ٨٨٥، ٨٨٦، ٨٨٧، ٨٨٨، ٨٨٩، ٨٩٠، ٨٩١، ٨٩٢، ٨٩٣، ٨٩٤، ٨٩٥، ٨٩٦، ٨٩٧، ٨٩٨، ٨٩٩، ٩٠٠، ٩٠١، ٩٠٢، ٩٠٣، ٩٠٤، ٩٠٥، ٩٠٦، ٩٠٧، ٩٠٨، ٩٠٩، ٩١٠، ٩١١، ٩١٢، ٩١٣، ٩١٤، ٩١٥، ٩١٦، ٩١٧، ٩١٨، ٩١٩، ٩٢٠، ٩٢١، ٩٢٢، ٩٢٣، ٩٢٤، ٩٢٥، ٩٢٦، ٩٢٧، ٩٢٨، ٩٢٩، ٩٣٠، ٩٣١، ٩٣٢، ٩٣٣، ٩٣٤، ٩٣٥، ٩٣٦، ٩٣٧، ٩٣٨، ٩٣٩، ٩٤٠، ٩٤١، ٩٤٢، ٩٤٣، ٩٤٤، ٩٤٥، ٩٤٦، ٩٤٧، ٩٤٨، ٩٤٩، ٩٥٠، ٩٥١، ٩٥٢، ٩٥٣، ٩٥٤، ٩٥٥، ٩٥٦، ٩٥٧، ٩٥٨، ٩٥٩، ٩٦٠، ٩٦١، ٩٦٢، ٩٦٣، ٩٦٤، ٩٦٥، ٩٦٦، ٩٦٧، ٩٦٨، ٩٦٩، ٩٧٠، ٩٧١، ٩٧٢، ٩٧٣، ٩٧٤، ٩٧٥، ٩٧٦، ٩٧٧، ٩٧٨، ٩٧٩، ٩٨٠، ٩٨١، ٩٨٢، ٩٨٣، ٩٨٤، ٩٨٥، ٩٨٦، ٩٨٧، ٩٨٨، ٩٨٩، ٩٩٠، ٩٩١، ٩٩٢، ٩٩٣، ٩٩٤، ٩٩٥، ٩٩٦، ٩٩٧، ٩٩٨، ٩٩٩، ١٠٠٠، ١٠٠١، ١٠٠٢، ١٠٠٣، ١٠٠٤، ١٠٠٥، ١٠٠٦، ١٠٠٧، ١٠٠٨، ١٠٠٩، ١٠١٠، ١٠١١، ١٠١٢، ١٠١٣، ١٠١٤، ١٠١٥، ١٠١٦، ١٠١٧، ١٠١٨، ١٠١٩، ١٠٢٠، ١٠٢١، ١٠٢٢، ١٠٢٣، ١٠٢٤، ١٠٢٥، ١٠٢٦، ١٠٢٧، ١٠٢٨، ١٠٢٩، ١٠٣٠، ١٠٣١، ١٠٣٢، ١٠٣٣، ١٠٣٤، ١٠٣٥، ١٠٣٦، ١٠٣٧، ١٠٣٨، ١٠٣٩، ١٠٤٠، ١٠٤١، ١٠٤٢، ١٠٤٣، ١٠٤٤، ١٠٤٥، ١٠٤٦، ١٠٤٧، ١٠٤٨، ١٠٤٩، ١٠٥٠، ١٠٥١، ١٠٥٢، ١٠٥٣، ١٠٥٤، ١٠٥٥، ١٠٥٦، ١٠٥٧، ١٠٥٨، ١٠٥٩، ١٠٦٠، ١٠٦١، ١٠٦٢، ١٠٦٣، ١٠٦٤، ١٠٦٥، ١٠٦٦، ١٠٦٧، ١٠٦٨، ١٠٦٩، ١٠٧٠، ١٠٧١، ١٠٧٢، ١٠٧٣، ١٠٧٤، ١٠٧٥، ١٠٧٦، ١٠٧٧، ١٠٧٨، ١٠٧٩، ١٠٨٠، ١٠٨١، ١٠٨٢، ١٠٨٣، ١٠٨٤، ١٠٨٥، ١٠٨٦، ١٠٨٧، ١٠٨٨، ١٠٨٩، ١٠٩٠، ١٠٩١، ١٠٩٢، ١٠٩٣، ١٠٩٤، ١٠٩٥، ١٠٩٦، ١٠٩٧، ١٠٩٨، ١٠٩٩، ١١٠٠، ١١٠١، ١١٠٢، ١١٠٣، ١١٠٤، ١١٠٥، ١١٠٦، ١١٠٧، ١١٠٨، ١١٠٩، ١١١٠، ١١١١، ١١١٢، ١١١٣، ١١١٤، ١١١٥، ١١١٦، ١١١٧، ١١١٨، ١١١٩، ١١٢٠، ١١٢١، ١١٢٢، ١١٢٣، ١١٢٤، ١١٢٥، ١١٢٦، ١١٢٧، ١١٢٨، ١١٢٩، ١١٣٠، ١١٣١، ١١٣٢، ١١٣٣، ١١٣٤، ١١٣٥، ١١٣٦، ١١٣٧، ١١٣٨، ١١٣٩، ١١٤٠، ١١٤١، ١١٤٢، ١١٤٣، ١١٤٤، ١١٤٥، ١١٤٦، ١١٤٧، ١١٤٨، ١١٤٩، ١١٥٠، ١١٥١، ١١٥٢، ١١٥٣، ١١٥٤، ١١٥٥، ١١٥٦، ١١٥٧، ١١٥٨، ١١٥٩، ١١٦٠، ١١٦١، ١١٦٢، ١١٦٣، ١١٦٤، ١١٦٥، ١١٦٦، ١١٦٧، ١١٦٨، ١١٦٩، ١١٧٠، ١١٧١، ١١٧٢، ١١٧٣، ١١٧٤، ١١٧٥، ١١٧٦، ١١٧٧، ١١٧٨، ١١٧٩، ١١٨٠، ١١٨١، ١١٨٢، ١١٨٣، ١١٨٤، ١١٨٥، ١١٨٦، ١١٨٧، ١١٨٨، ١١٨٩، ١١٩٠، ١١٩١، ١١٩٢، ١١٩٣، ١١٩٤، ١١٩٥، ١١٩٦، ١١٩٧، ١١٩٨، ١١٩٩، ١٢٠٠، ١٢٠١، ١٢٠٢، ١٢٠٣، ١٢٠٤، ١٢٠٥، ١٢٠٦، ١٢٠٧، ١٢٠٨، ١٢٠٩، ١٢١٠، ١٢١١، ١٢١٢، ١٢١٣، ١٢١٤، ١٢١٥، ١٢١٦، ١٢١٧، ١٢١٨، ١٢١٩، ١٢٢٠، ١٢٢١، ١٢٢٢، ١٢٢٣، ١٢٢٤، ١٢٢٥، ١٢٢٦، ١٢٢٧، ١٢٢٨، ١٢٢٩، ١٢٣٠، ١٢٣١، ١٢٣٢، ١٢٣٣، ١٢٣٤، ١٢٣٥، ١٢٣٦، ١٢٣٧، ١٢٣٨، ١٢٣٩، ١٢٤٠، ١٢٤١، ١٢٤٢، ١٢٤٣، ١٢٤٤، ١٢٤٥، ١٢٤٦، ١٢٤٧، ١٢٤٨، ١٢٤٩، ١٢٥٠، ١٢٥١، ١٢٥٢، ١٢٥٣، ١٢٥٤، ١٢٥٥، ١٢٥٦، ١٢٥٧، ١٢٥٨، ١٢٥٩، ١٢٦٠، ١٢٦١، ١٢٦٢، ١٢٦٣، ١٢٦٤، ١٢٦٥، ١٢٦٦، ١٢٦٧، ١٢٦٨، ١٢٦٩، ١٢٧٠، ١٢٧١، ١٢٧٢، ١٢٧٣، ١٢٧٤، ١٢٧٥، ١٢٧٦، ١٢٧٧، ١٢٧٨، ١٢٧٩، ١٢٨٠، ١٢٨١، ١٢٨٢، ١٢٨٣، ١٢٨٤، ١٢٨٥، ١٢٨٦، ١٢٨٧، ١٢٨٨، ١٢٨٩، ١٢٩٠، ١٢٩١، ١٢٩٢، ١٢٩٣، ١٢٩٤، ١٢٩٥، ١٢٩٦، ١٢٩٧، ١٢٩٨، ١٢٩٩، ١٣٠٠، ١٣٠١، ١٣٠٢، ١٣٠٣، ١٣٠٤، ١٣٠٥، ١٣٠٦، ١٣٠٧، ١٣٠٨، ١٣٠٩، ١٣١٠، ١٣١١، ١٣١٢، ١٣١٣، ١٣١٤، ١٣١٥، ١٣١٦، ١٣١٧، ١٣١٨، ١٣١٩، ١٣٢٠، ١٣٢١، ١٣٢٢، ١٣٢٣، ١٣٢٤، ١٣٢٥، ١٣٢٦، ١٣٢٧، ١٣٢٨، ١٣٢٩، ١٣٣٠، ١٣٣١، ١٣٣٢، ١٣٣٣، ١٣٣٤، ١٣٣٥، ١٣٣٦، ١٣٣٧، ١٣٣٨، ١٣٣٩، ١٣٤٠، ١٣٤١، ١٣٤٢، ١٣٤٣، ١٣٤٤، ١٣٤٥، ١٣٤٦، ١٣٤٧، ١٣٤٨، ١٣٤٩، ١٣٥٠، ١٣٥١، ١٣٥٢، ١٣٥٣، ١٣٥٤، ١٣٥٥، ١٣٥٦، ١٣٥٧، ١٣٥٨، ١٣٥٩، ١٣٦٠، ١٣٦١، ١٣٦٢، ١٣٦٣، ١٣٦٤، ١٣٦٥، ١٣٦٦، ١٣٦٧، ١٣٦٨، ١٣٦٩، ١٣٧٠، ١٣٧١، ١٣٧٢، ١٣٧٣، ١٣٧٤، ١٣٧٥، ١٣٧٦، ١٣٧٧، ١٣٧٨، ١٣٧٩، ١٣٨٠، ١٣٨١، ١٣٨٢، ١٣٨٣، ١٣٨٤، ١٣٨٥، ١٣٨٦، ١٣٨٧، ١٣٨٨، ١٣٨٩، ١٣٩٠، ١٣٩١، ١٣٩٢، ١٣٩٣، ١٣٩٤، ١٣٩٥، ١٣٩٦، ١٣٩٧، ١٣٩٨، ١٣٩٩، ١٤٠٠، ١٤٠١، ١٤٠٢، ١٤٠٣، ١٤٠٤، ١٤٠٥، ١٤٠٦، ١٤٠٧، ١٤٠٨، ١٤٠٩، ١٤١٠، ١٤١١، ١٤١٢، ١٤١٣، ١٤١٤، ١٤١٥، ١٤١٦، ١٤١٧، ١٤١٨، ١٤١٩، ١٤٢٠، ١٤٢١، ١٤٢٢، ١٤٢٣، ١٤٢٤، ١٤٢٥، ١٤٢٦، ١٤٢٧، ١٤٢٨، ١٤٢٩، ١٤٣٠، ١٤٣١، ١٤٣٢، ١٤٣٣، ١٤٣٤، ١٤٣٥، ١٤٣٦، ١٤٣٧، ١٤٣٨، ١٤٣٩، ١٤٤٠، ١٤٤١، ١٤٤٢، ١٤٤٣، ١٤٤٤، ١٤٤٥، ١٤٤٦، ١٤٤٧، ١٤٤٨، ١٤٤٩، ١٤٥٠، ١٤٥١، ١٤٥٢، ١٤٥٣، ١٤٥٤، ١٤٥٥، ١٤٥٦، ١٤٥٧، ١٤٥٨، ١٤٥٩، ١٤٦٠، ١٤٦١، ١٤٦٢، ١٤٦٣، ١٤٦٤، ١٤٦٥، ١٤٦٦، ١٤٦٧، ١٤٦٨، ١٤٦٩، ١٤٧٠، ١٤٧١، ١٤٧٢، ١٤٧٣، ١٤٧٤، ١٤٧٥، ١٤٧٦، ١٤٧٧، ١٤٧٨، ١٤٧٩، ١٤٨٠، ١٤٨١، ١٤٨٢، ١٤٨٣، ١٤٨٤، ١٤٨٥، ١٤٨٦، ١٤٨٧، ١٤٨٨، ١٤٨٩، ١٤٩٠، ١٤٩١، ١٤٩٢، ١٤٩٣، ١٤٩٤، ١٤٩٥، ١٤٩٦، ١٤٩٧، ١٤٩٨، ١٤٩٩، ١٥٠٠، ١٥٠١، ١٥٠٢، ١٥٠٣، ١٥٠٤، ١٥٠٥، ١٥٠٦، ١٥٠٧، ١٥٠٨، ١٥٠٩، ١٥١٠، ١٥١١، ١٥١٢، ١٥١٣، ١٥١٤، ١٥١٥، ١٥١٦، ١٥١٧، ١٥١٨، ١٥١٩، ١٥٢٠، ١٥٢١، ١٥٢٢، ١٥٢٣، ١٥٢٤، ١٥٢٥، ١

بين كون فعل العبد قد قدره الله تعالى ، وكتبه عليه ، وسبق به علمه قبل التقدير والقضاء وبين كون العبد فاعلاً لفعله مريداً له ، محتاراً في فعله وفي تركه ، يحاسب به ، ويحرقى عليه . ولا بين كون العبد فاعلاً لفعله وبين كون الله خالقاً للعبد وحالفاً لفعله . ولا بين كون الله يقضي للعبد ما شاء من قضاء ، ثم يأمره وينهاه ، ويحرره حسب عمله الذي قدر له ، وكتبه له أو عليه ، فقالوا : إن الله تعالى لما قدر ما للعبد وما عليه من خير أو شر ، وسعادة أو شقاء قد قدره مربوطاً بأسبابه ، فلحقير أسبابه ، وللشر أسبابه ، كما قدر أن العبد يأتي تلك الأسباب ، ويعمل بها محض إرادته التي قدره له ، وحرية اختياره الذي قضى له به فلا يصل العبد إلى ما كتب عليه وقدر له من سعادة أو شقاء إلا بوسيلة تلك الأسباب التي يقعها غير مكره عليها . ولا محذور عنها .

والحجة في ذلك قول الرسول ﷺ : « إن الله إذا خلق المريد » . استعمله بعمل أهل الجنة حتى يموت على عمل من أعمال أهل الجنة فيدخله ربه الجنة ، وإذا خلق العبد للنار استعمله بعمل أهل النار حتى يموت على عمل من أعمال أهل النار فيدخله النار » (١) . ودلالة هذا الحديث الصحيح ظاهرة في أن الله كتب على العبد أولاً السعادة ، أو الشقاء كتب به تلك الأسباب التي تسعد أو تشقى لتمام السعادة أو الشقاء .

والأسباب كما أن الاستدلال بنظم الكون العام في كل جزء من الكون كله ، والكون جميعه مربوط بسبب الله تعالى .

نهاية أجله فلم لا يكون إذا الإنسان كذلك .

مربوط كذلك بسبب تحكمه لا يمكنه الخروج .

(١) أخرجه مالك في الموطأ (٣/ ٩٢، ٩٣) .

تفسيره سورة الأعراف (٢) .

وتلك هي نظام القضاء والقدر إذ أنه لا فرق بين الإنسان والكون إلا أن الإنسان مطور في سعيه إلى إحدى غايتين : السعادة أو الشقاء فهو واصل بسعيه إلى إحداهما لا محالة فلذا اختلف سعيه عن سعي غيره من سائر الخلق ، ومن أجل هذا أعطي قدراً زائداً عن سائر الخلق وهو الإرادة والاختيار في سعيه ، فالكون من غير الإنسان يسعى مسعاه الذي قدر له لا يخرج عنه لأنه غير مطور في سعيه إلى إحدى الغايتين وإما إلى غاية واحدة لا تتخلف فلذا لم يعط إرادة ولا اختياراً ، وكان بعكسه لإنسان الذي أعطي الإرادة والاختيار فتحمل بهما الأمانة بعد أن رفضه تكون كنهه وأبناها قال تعالى في سورة الأحزاب :

﴿ إِن عَرَضَتْ الْأَمَانَةُ عَلَى السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالْجِبَالِ فَبَيَّنَّ أَنْ يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا الْإِنْسَانُ إِنَّهُ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا ﴾<sup>(١)</sup>

زيادة ايضاح :

ولمزيد التوضيح لهذه الحقيقة نقول إن الإنسان محذوق لله تعالى . مربوط له كسائر الخلق كالشمس والقمر والنات والحيوان يقوم بمعونه كما تقوم سائر المخلوقات بما أناط بها ربها تعالى من أفعال تقوم بها . وإنما الفرق بين الإنسان وسائر الخلق أن الإنسان أعطي إرادة واختياراً لعل التكليف : والحزاء عليه بخلاف غيره<sup>(٢)</sup> فإنه لا حزاء له على عمله الذي يقوم به لعدم منحه إرادة حرة ، واختياراً كاملاً بحيث يكون إن شاء فعل وإن شاء ترك ، فيصّل إلى إحدى غايتيه بما أرادته من عنده ، واحتره لنفسه بمحض إرادته واختياره ومن هنا لو أن العبد أكره على عمله ، وأحتره عليه لم يترتب عليه حساب ولا حزاء بثوب أو

(١) ٧٢: ١٦

٢. وما هذا إلا المحجب والقصي والمكروه والسي لا مؤاحدة عليهم في أفعالهم ، عدم وجود إرادته ولا حصار عدهم

عقاب لعله فقدته الإرادة الحرة ، والاختيار التام .

هذا أنه لأوثق الموقفين التوفيق بين كون فعل العبد قد قصده الله تعالى أولاً على العبد فهو فاعله لا محالة ، وبين كون العبد يريد لضعفه مختاراً أنه يثاب على حسنه ويعاقب على سيئه .

وَيُنِيزُ حَقِيقَةَ كَوْنِ الْعَدُوِّ فَاعِلًا لِفِعْلِهِ قَائِمًا بِهِ . وَاللَّهُ حَقِيقُهُ .  
وِخَالِقُ فِعْلِهِ يَقُولُ : إِنْ أَلْكَوْا كَيْفَهُ مَحْذُوقٌ لَمْ يَعْنَى . وَبِئْسَ لَمْ يُمْ  
خَلَقَ غَيْرَهُ سَحَابَهُ وَتَعْنَى .

﴿ذَٰلِكُمُ اللَّهُ رَبُّكُمْ خَلِقُ كُلِّ شَيْءٍ ۖ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ ۚ فَاَنۡتَ تُدۡفِكُوۡنَ﴾

وإليس من حميه حر، الكون المحنوق فهو بد محنوق، به حشفه  
وحنق ككون كده، وهن المحنوق يحنق به

١. أَوْلَاكْ تَدَوَّرْ وَتَكُونُكَ سَيَرْ ، وَتَسْتَحْدِ سَيَرْ ، هَاسَاطْ تَدَوَّرْ  
 عَمَدَه فَيَاكُلْ ، وَيَسْرَبْ ، وَيَسْرَبْ ، فَيَاكُلْ عَمَدَه تَدَوَّرْ تَدَوَّرْ تَدَوَّرْ  
 يَهْ حَقِيقَه لَأَعْلَاهُ ' أَمْ لَمْ هُوَ يَدْنِي حَقِيقَه تَدَوَّرْ تَدَوَّرْ تَدَوَّرْ  
 نَحْوَاتْ وَحَدْ وَهَذَا لَمْ يَدْنِي حَقِيقَه تَدَوَّرْ تَدَوَّرْ تَدَوَّرْ  
 مَضْطَرُوحْ فَعَلْ أَعْدَدْ مِنْ هَذَا نَحْلَمْ عَمَدَه ' تَدَوَّرْ تَدَوَّرْ تَدَوَّرْ  
 أَحْرَاءْ أَلَكُونْ مَرْبُوطْ مَشْشْ مَشْشْ مَشْشْ ، لَمْ يَدَوَّرْ تَدَوَّرْ تَدَوَّرْ  
 الْإِنْسَانْ مَرِيدْ لَأَعْلَاهُ ، وَحَدْ يَهْ ' فَيَاكُلْ تَدَوَّرْ تَدَوَّرْ تَدَوَّرْ  
 عَمَدَه ' لَمْ يَدْنِي حَقِيقَه ، وَتَدَوَّرْ تَدَوَّرْ تَدَوَّرْ  
 كُونَهْ عَمَدَه لَمْ يَدَوَّرْ تَدَوَّرْ تَدَوَّرْ تَدَوَّرْ تَدَوَّرْ تَدَوَّرْ  
 فَيَهْ ، وَتَدَوَّرْ تَدَوَّرْ تَدَوَّرْ تَدَوَّرْ تَدَوَّرْ تَدَوَّرْ  
 مَشْشْ ' أَلْمَحْنُوقَاتْ فِي أَلْقَسْ وَتَدَوَّرْ تَدَوَّرْ تَدَوَّرْ  
 أَوَّلَهْ ' أَلَكُونْ ، وَتَدَوَّرْ تَدَوَّرْ تَدَوَّرْ

بهذا قد تقرررت هذه الحقيقة وثبتت ناصعة وهي أن الإنسان فاعل لأفعاله ليس خالقاً لها . والله جل جلاله خالق للإنسان ، وخالق لأفعاله .

ونزيد الأمر توضيحاً ، والحقيقة تقريراً فنقول : أليس الإنسان ينطق ، ويسمع ، ويبصر ويعقل ، والله هو الذي جعله كذلك ؟ .

أليس الإنسان يذهب ويحيى ، ويأخذ ويعطي والله هو الذي أقدره على ذلك ؟ أليس الإنسان يحب ويكره ، ويريد ويشاء ويختار ، والله هو الذي هيأه لذلك ؟ إذاً فما دام الله تعالى هو الذي جعله وأقدره ، وهيأه لكل أفعاله تلك فهو خالقه . وخالق أفعاله بلا جدل ولا نزاع . وكل ما في الأمر أن الإنسان يريد لأفعاله الإرادية ، مختار لها ، والله هو الذي جعله كذلك لعله الابتلاء والجزاء .

وهنا يقال للذي لا تنتهي وساوسه في هذا الباب : يا عبد الله احسأ ، لا تعُدْ قدرك ! ولا تعترض على ربك ، إنك تسأل ولا يُسأل . خلقتك ولم تخلقه ، كنت به ولم يكن بك ، وكان ولم تكن .

وقال أولئك الموفقون في كون الله تعالى قَدَرٌ للعبد أزلماً ما شاء من قدر ، وقضى به عليه . ثم هو يأمره ، وينهاه ، ويجزيه بحسب استجبته لأمره ونهيه ، وعدمها - قالوا :

وَأولاً . - إنا لله تعالى يفعل ما يشاء ، ويحكم ما يريد . له الملك ، وله الحمد ، ولا يُسأل عما يفعل ، وذلك لِكَمالِ عِزِّهِ . وعدله ، وحكمته ورحمته .

وثانياً : - أن فعل الله تعالى ، وتقديره ، وحكمه كله عدلٌ وخير ، وليس في أفعال الله تعالى ، ولا تقديراته ، ولا أحكامه ظلم أو شر فَعَدْلٌ . قضى بهذا العقل ، وصح به النقل ، فهو سبحانه وتعالى يقول :

﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَظْلِمُ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ﴾<sup>(١)</sup>

ويقول .

﴿وَمَا رَبُّكَ بِظَلَمٍ لِلْعَبِيدِ﴾<sup>(٢)</sup>

ورسولہ ﷺ يقول وهو يقرئ هذه الحقيقه لى قدمه والحبر كنه في

يديك . والشر ليس إليك<sup>(٣)</sup>

إن الظلم والشر . ويزاد فيهما لم تكن إلا من صلب جحش .  
وسمات المخلوقين . أم ذو عرش لمجيد . شعاع من نور .  
عن العبيد فقد تنزه عن الظلم وفعل شر . وكيف هو مأمور .  
قوله .

﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ وَيَنْهَىٰ ذِي الْقُرْبَىٰ

الْفَحْشَاءَ وَالْمُنْكَرَ وَالْبَغْيَ﴾<sup>(٤)</sup>

وهو الذي عن الظلم . المحرم في قوله ﴿فاحشوا﴾ .  
الظلم على نفسي وجعلته بينكم محرماً فلا تظالموا<sup>(٥)</sup>

فمن حبر شويه

﴿وَلَا تَتَّبِعُوا مِنْ حَتَّىٰ نَعْلَمَ﴾

وقوله

﴿وَأَفْعَلَهُ نَحْنُ عَلَّمَ نَحْنُ﴾

١- سورة النحل الآية ٩١

٢- سورة النحل الآية ٩٦

٣- سورة النحل الآية ٩٥

٤- سورة النحل الآية ٩٠

٥- سورة النحل الآية ٩٨

٦- سورة النحل الآية ٩٩



وثالثاً : - ما هو الظلم ، وما هو الشر ؟ أليس في مفهوم كل لعقلاء هو وضع الشيء في غير موضعه ، وأن الشر هو كل فعل خلا من نفع ، أو راد صرره عن نفعه ؟ بلى ، وإدأ ، فهل تعذيب عاص متمرّد على ربه ، فاسق باختياره وإرادته عن أمر مولاه ، عازم على مواصلة الفسق ، مصمم على المعصية ولو عاش دهر الدهاير ، وآباد الأبدى ، ولم يحدث نفسه بالتوبة ، ولم يرُدّها ، وهو قادر عليها بما وهبه الله من قدرة ، وما منحه من إرادة .

فهل يا معشر العقلاء تعذيب هذا الإنسان يعد ظلماً وشرّاً ؟  
لهم . لا

رابعاً : - إنه يحكم منكية الله تعالى لعباده بحلقه إياهم ، ورزقه لهم ، وتديره لأموالهم كان له الحق المطلق في أن يتصرف فيهم بما يشاء فهو عذبهم أجمعين لما كان ظالماً لهم ، ولو رحمهم أجمعين لكانت رحمته خيراً من عملهم . وبهذا صح الخبر ، إذ روى أحمد وأبو دود وس ماحه بسند لا بأس به عن زيد بن ثابت رضي الله عنه عن نسي بيته قوله : « لو أن الله عز وجل عذب أهل السموات والأرض عذبهم وهو غير ظالم لهم ، ولو رحمهم لكانت رحمته خيراً لهم من أعمالهم . ولو اتفقت مثل أحد ذهباً في سبيل الله ما قبله منك حتى تؤمن بالقدر ، وتعلم أن ما أصابك لم يكن ليخطئك ، وأن ما أخطأك لم يكن ليصيبك ، ولو م على غير هذا لدخلت النار »

(١) ترمذ ( ٢ / ٥٢٧ ) وابن ماجه ( مقدمة ١٠ ) وأحمد ( ٥ / ١٨٢ ، ١٨٥ ، ١٨٦ )

خامساً۔ إن الله تعالى لما قدر مقادير العباد من أعمار وأرزاق، وسعادة وشقاء قدر ذلك مع موجباته وأسبابه بحيث لا ينفك قدر مهما كان عن سببه۔ إلا أن يشاء الله۔ كما هي الحال بالنسبة إلى سائر أجزاء الكون إذ الكل مربوط بنظام السنن، محكوم بقوانينها من أكبر جرم إلى أصغره كخلية النواة.

ويشهد لهذه الحقيقة مثل قول الرسول ﷺ: «إِنْ أَحَدُكُمْ لَيَعْمَلُ بِعَمَلِ أَهْلِ الْجَنَّةِ حَتَّى مَا يَكُونُ بَيْنَهُ وَبَيْنَهَا إِلَّا ذِرَاعٌ فَيَسْبُغُ عَلَيْهِ الْكِتَابُ فَيَعْمَلُ بِعَمَلِ أَهْلِ النَّارِ فَيَدْخُلُهَا. وَإِنْ أَحَدُكُمْ لَيَعْمَلُ بِعَمَلِ أَهْلِ النَّارِ حَتَّى مَا يَكُونُ بَيْنَهُ وَبَيْنَهَا إِلَّا ذِرَاعٌ. فَيَسْبُغُ عَلَيْهِ الْكِتَابُ فَيَعْمَلُ بِعَمَلِ أَهْلِ الْجَنَّةِ فَيَدْخُلُهَا» (١) ويشهد من هذا ما

نصحيح ثبت تصدق لأسبب، فيه ما ذكر من دخول الجنة من غير

يُدخلون النار لأسبب، فإن بعد فهم حسن من هذا ما ذكر

سعدته أو شقائه فيه لا يد في نفسه من غير ما ذكر من

أو غيره في كتب المقادير يوافق عند الله ما ذكر من

لوقت مرية فحذر لم يُكره على فعل ما ذكر من

تلك

من هذه حقيقته لمدته حرة من هذه

بشي لا أشك في أن عند الله ما ذكر من

سببه، ثم لا تصدق فيه غفوه من هذه

مسحبه ويعني

وهي هذه حقيقته من هذه

(١) مشهور في بعض النسخ: «وإن أحدهم يعمل بعمل أهل الجنة حتى ما يكون بينه وبينها إلا ذراع فيسبغ عليه الكتاب فيعمل بعمل أهل النار فيدخلها»

(۱۱) من مسلم رحمه الله عن عمرو بن العاص رضي الله عنه قال سمعت رسول الله ﷺ يقول  
 «مبثثة ثلاثين فيلًا يحدقن السموات والأرض بحمسين ألف سنة» قال عرشه على  
 بعدة (۸) (۵۱)

## إرادة الله تعالى ومشيتته

إن مما له صلة وثيقة بموضوع القصء والفكر مسأله المشيئة .

فلنسمع كلمة في هذا الموضوع تبين لنا حجم الجهل في هذه المسألة التي هي أقوم وأحسن في هذه المسألة حصصها في العلم والمؤمن .

والكمة في هذا الموضوع تدور على تسلي

الأول : إثبات إرادة الله تعالى ومشيتته .  
والعقلي .

لشي . هو أن إساءة فهم كثير من حسن بركات الله تعالى  
الذي أوقعهم في ضلال مبين ، وحفظ وثمة قصء .

أما إثبات إرادة الله تعالى ومشيتته في العلم  
السمعية وهي أحرازه تعالى ، وأحد أسوء ما يقع في العلم  
قوله تعالى من سورة النقره

﴿ يَرِيدُ اللَّهُ بِكُمُ الْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ الْعُسْرَ ﴾

وقوله في سورة النحل :

﴿إِنَّمَا قَوْلُنَا لِشَيْءٍ إِذَا أَرَدْنَاهُ أَنْ نَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ﴾<sup>(١)</sup>

هذا في إرادته تعالى ، وأما مشيئته فيقول تعالى من سورة الأعراف

﴿وَمَوْشَىٰ رَبِّكَ مَا فَعَلُوا فَذَرِهِمْ وَمَا يَفْتَرُونَ﴾<sup>(٢)</sup>

ويقول من سورة التكاوير

﴿وَمَا تَشَاءُونَ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ﴾<sup>(٣)</sup>

ويقول رسول الله ﷺ في إثبات إرادة الله تعالى : من يرد الله به خيرا يفقهه في الدين<sup>(٤)</sup> .

ويقول في إثبات إرادة مشيئته تعالى : إحرص على ما ينفعك ،

واستعن بالله ، ولا تعجز ، وإن أصابك شيء فلا تقل لو أني فعلت كان كذا وكذا ، ولكن قل قدّر الله وما شاء فعل ، فإن لو تفتح عمل الشيطان<sup>(٥)</sup> .

، فيما ذكر من أحاديث تعالى ، وقول رسوله ﷺ وهو قليل من

كثيرة لدليلا كافيا في إثبات إرادة الله تعالى ومشيئته سبحانه وتعالى .  
ولشفع هذا الدليل السمعي بالدليل العقلي فيقول : إن الله تعالى يكونه  
حالق كل شيء ، وره ، ومديكه مستنزه لإرادته تعالى ومشيئته ، إذ لو

(١) لا ٤١ .

(٢) لا ١١٢ .

(٣) لا ٢٦ .

(٤) د ٤١ ، ١٠٣ ، ٩ ، ١٢٥ ، مسند (٣) ٩٥ ، ٦ ، ٥٣ ، ٥٤ والنوّل ونمرحار

(٥) ٢١٩ ، ٢١٨ .

(٥) مسند ٦١ ، ٥٦ ، في حديث . وكذا في قدر الله روي لفظ قدر بالدال

مهملة المنصوح به . وروى شعبة ، وروى بشير بن

لم يكن مريداً لكان مكرها ، ولو كان مكرها لما تأتى له إيجاد العوالم ،  
 والتصرف فيها ، والتدبير لها بمقتضى المصلحة والحكمة ، كما أن كون  
 الإنسان مريداً شائياً بقصر لإرادة الله تعالى ومشيئته ، إذ من غير  
 المعقول أن يكون المخلوق مريداً شائياً ، ويكون حائقه لا إرادة له ولا  
 مشيئة ، بل إن العقل يقضي بإثبات إرادة الخالق ، ومشيئة أعظم من  
 إرادة الإنسان ومشيئته المخلوقين منه . فلذا ما أراد المخلوق شيئاً ولا  
 شاء إلا وقد أَرَادَهُ الخالق وشاء ذلك وإلا لزم أن يكون المستحوف دوى  
 من الخلق ، مستقلاً بالأمر عنه وهو محل عقاب وشرع ورعي

﴿ أَفَمَنْ يَخْلُقُ كَمَنْ لَا يَخْلُقُ ﴾<sup>(١)</sup>

وقول تعالى :

﴿ وَمَا نَسَاءُ وَنَ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ ﴾<sup>(٢)</sup>

هذا في إثبات إرادة الله تعالى ومشيئته . ومن غير مشيئة الله تعالى  
 من النسيان لهما ، وما ترتب على ذلك من صلال ، فليس « فَمَنْ يَخْلُقُ »  
 بقول :

« مَنْ يَخْلُقُ » من غير المحرفة في كلام الله تعالى ، بل من غير  
 المؤمنين من ينسب إرادة لله تعالى ومشيئته ، بل من غير المؤمنين  
 ترتب عليه صلال لا يقل حصة عن صلال « مَنْ يَخْلُقُ »

وهذه المسألة أيضاً ناس فيها خلاف « مَنْ يَخْلُقُ »

لنقصه والقد ، وقد تقدم سبقه ، وقد تقدم

من ربيع القلوب

(١) - سورة الحجر الآية ٩١ ،

(٢) - سورة الحديد الآية ٢٩ ،

فالوسط نجا هنا كما نجا هناك ، والطرفان ضلاً هنا كما ضلاً هناك ، والله المستعان .

وهذا بيان صلال القوم : إن الطرفين منهما مفرط ، ومهم مفرط ، والطرف المفرط هو من زعم أن لا إرادة يحضه له ، ولا مشيئة لا إرادته هو ومشيئته ، فجميع أفعاله في زعمه لا تخضع إلا لإرادته وحده ، فما شاء كان ، وما لم يشأ لم يكن ، ولا يستثنى من ذلك إلا ما كرهه على قلبه ، أو فعله ، بقوة سلطان قاهر له ، ألحاه بالقوة المادية ، أي قول ما لا يريد ، أو فعله ، وما عدا ذلك من تصرفاته فهو لا يخضع فيها لإرادته ومشيئته فقط . وهذا الصلال في هذه المسألة هو صلال لملاحدة الدين لا يؤمنون بوجود الله تبارك وتعالى ، ولا بسببه على حقه ، وحكمه فيهم

سأله شاركهم فيه ضائعان من المؤمنين ! أحدهما يقول : إن الله تعالى أمره أن يريد صلال صال . أو كفر كافر ، أو يشاء فعل لمواجش . أو ارتكب القبائح . فنفوا بهذا إرادة الله تعالى ، ومشيئته في أكثر حوادث العالم الحارية فيه ، ولأزلة هذا المعتقد أن الله تعالى قد يقع في منكه ما لا يريد ، وأن هناك مشاركا له في حق لحدوث . ويحدد إرادة مستقلة عن إرادة الله تعالى . وهذا قطعاً صلال ، وشرك ينزأ مهم ، ويستعاض من مثلهما .

وقلت الأخرى وهي ممن لا رأي لهم في هذا الموضوع ولا علم ، وإما هي مجموعة جهلة المسلمين ومقلداتهم ، وأكثرهم من مثقفة المستعربين ، قالوا :

إن لا دخل لمشيئة الله تعالى في أفعالنا ، وإما مرد أفعالنا إلى دننا الخاصة ، ومشيتنا ، فما شئنا فعله فعلناه ، وما لم نشأ فعله لم نفعله . ولهذا تراهم يكرون بشدة على من يقول سأفعل كذا غداً إن

شاء الله تعالى ، ويردون عليه في عصب وزمجرة : لا تقل إن شاء الله  
 في سافعل فنظ لا تقل لنا إن شاء الله ، هذه الكلمة خلها جانباً ،  
 وفي سافعل كذا وكفى !!

ومن مظاهر صلاتهم هذا أن أحدهم يتكلم بأخبار مستقلة حالصة  
 بالاستفسار ، ولا يقيد حراً واحداً منها بمشيئة الله تعالى ، فيحذر أنه  
 سيصدر ، أو يبيع ، أو يشتري ، أو يسي ، أو يهدم ، أو يأخذ ، أو  
 يعطي ، ولا يقيد من ذلك بمشيئة الله تعالى شيئاً أبداً ، بل يطبق أقواله  
 بطلاق من لا يؤمن بغير إرادته ومشيئته ولا أدل على ذلك من أن  
 مدعي شرب الخمر في لعب الإداعات ، وانتقادات الإسلامية من  
 عربية وعجمية يفتخرون أقوالهم بحرمين بوقوع مدلولاتها كالأمر لهم  
 وحدهم ، ليس لهم فيه مشترك فيقول أحدهم سبب الخمر عند  
 شربه ، وعريه ، وسرور مضر عريه أو صعيته في مصته ،  
 وشركه لسحب على كذا ، أو يزل صحبت مضر حفيضة غير كذا ،  
 حرمة شربها ، ويقولون في شربهم لحمة شوية ، أو  
 منها مشيئة الله تعالى ولا إرادته ، ولا إرادة شئ ، فإذن ذلك مدعي  
 بصلواتهم بمشيئة الله تعالى ، ولا إرادته ، ولا إرادة من شاء من شاء ،  
 يشاء لم يكن ومن كان بينهم يؤمن بإرادة الله ، ومشيئته وإرادته  
 لاستثناء مشيئة الله تعالى خوف من الملاحدة والحدود ،  
 فيصح قريب لهم في الشرب والصلوات

هذه حال الطوفان المضطرب ، وفي نظاف الملاحدة ،  
 صلاتاً بطلا على مقادير ، فيه يهدم ، فيصح ما له  
 وما وهبهم من مشيئة تبيد نادميتهم ، وتبطل ما  
 تتكاثف التي تنقر بها مقصي العبد في  
 كلام على القصص والتفاني فدأ  
 إنه لا إرادة للعبد ولا مشيئة لله ، وإنما إرادة الله وحده



وحده ، وأنكروا أن يكون للمعد إرادة أو مشيئة ، فساقهم هذا المعتقد  
 الفاسد إلى ضلال لا حد له ، ولا حصر ، حتى أصبحوا به معطلة أسوأ  
 حالاً من الملاحدة الذين لا يؤمنون بالله تعالى ، ولا بشرعه ، ولا  
 بلقائه

وانعكست عندهم الأمور ، واختلطت الأشياء ، فأصبح القبيح  
 عندهم حسناً والحسن قبيحاً ، والكفر بالإيمان ، والفسق والفجور ،  
 كإطاعة والبرور ؛ فكل عامل عندهم هو مطيع لله سواء عمل بطاعته ،  
 أو عمل بمعصيته ؛ فالعامل بالمعصية مراً من تبعه عمله ، وحريرة فعله  
 ولا دس ولا وذر ، وبالتالي علا عذاب ولا عقاب ، وذلك لأن كل عامل  
 في نظرهم هو يعمل بإرادة الله تعالى ومشيئته لا بإرادة نفسه ومشيئته ،



محبوباً لديه لما نهى عنه ، وحرمه في كتابه ، وعلى لسان رسوله محمد صلى الله عليه وسلم .

وهنا يحسن التذكير بقاعدة جليلة ، وحكمة ثمينة وضعها الهداة المهتدون من فرقة الوسط الناجون وهي : أنه لا يحتاج بإرادة الله وقدره على المعائب ؛ ولكن يحتاج بهما على المصائب . فالمعائب وهي للذنوب والمعاصي ما دام الله تعالى قد حرمها على عباده ، وكرهها لهم ، ومنهم ، وأنزل بذلك كتبه ، وبعث رسله ، فإن العبد إذا غشيها مريداً لها ؛ وتلبس بها مختاراً غير مكره عليها . لا يصح عقلاً أن يحتاج بالقدر الذي هو علم الله ، وتقديره لأحداث الكون خيرها وشرها ؛ وكتائنه لها في كتاب المقادير ( اللوح المحفوظ ) بخلاف المصائب التي تصيب المرء ولم يكن قد تسبب فيها بترك طاعة ؛ أو مخالفة سنة من سن الله تعالى الشرعية أو الكونية ، فإنه إن قيل له في ذلك صبح منه الاحتجاج بالقدر بل بالإرادة الكونية ، إذ لم يكن بإرادة منه ولا اختيار ، فدرج يسقط عليه جدار ، أو تلسعه حية ، أو تنقلب به سيرة ولم يكن قد عم تصدع الحدار وحلج نحته ، ولا بوحود الحية ودم عيه ، ولا تحور حد السرعة المعتادة لسيره

أما إن نسب في هذا فلا حق له في الاحتجاج بالقدر ، بل عيه أن يتحمل نتائج معصيته ، ومعاقبة ربه تعالى له لمخالفته سنة ، وهما له لأسباب المشرعة لسلامته .

وبالمسألة يُذكر هنا احتجاج آدم وموسى عليهما السلام قال موسى عليه السلام لآدم لائماً له : « أنت أبونا خيبتنا وأخرجتنا من الجنة ، فرد عليه آدم عليه السلام محتجاً على المصيبة التي شكاه موسى ، وهي الخروج من الجنة قائلاً : « أتلومني على أمر قد رده الله عليّ قبل أن يحشني بأربعين سنة ، فحج آدم موسى » وغلبه في الحجة ، لأن المصائب يحتاج فيها بالقدر ، بخلاف المعائب ، لأن المصيبة لم يردّها



## سوء فهم كثير من الناس لإرادة الله تعالى أوقعهم في الحيرة والخطأ

لقد ثبت بالتجربة والملاحظة أن خللاً بسيطاً يقع في جهاز ضخّم كطائرة (الكوكورد) الفرنسية البريطانية، أو كبنية كبرى كقاطحات السحاب الأمريكية قد يفسده ويدمره فيحيله إلى خراب ودمار. وكذلك الحال بالنسبة إلى عقيدة القضاء والقدر، والإرادة والمشيئة إذا وقع فيها أدنى حراف، وبأي وجه، أو صورة أوقع صاحبه في ضلال وخطأ لا حد لهما.

من أكثر الذين تسنت أفكارهم، واضطربت نفوسهم في عقيدة لإرادة والمشيئة من المسلمين كانوا ممن غفلوا عن كون القدر هو نظام حياة تدبّر يحكمها من نواتها إلى نهايتها، وأنه يجب أن يمضي كما علم وكتب. وأن نغير شيء منه معه خراب الحياة بكاملها.

ونحن نحتج على العهد التسليم به، وله، وحرم عليه إنكاره، وإلغائه عليه، كما لا يجوز بحال الاحتجاج به، أو الاتكال عليه. هذا هو الحق، وممد بعد الحق إلا الضلال؟

وذهبوا من جهلوا أن إرادة الله تعالى - ومشيئته منها - تنقسم إلى ثلاثة دوائر قدرية، وهي تلك التي لا يناط بها تكليف الإنسان، ولا شبهة ومعرفة، وهي الإرادة التي كان بها القدر ونظامه، والتي لا حيز للإنسان أن يطرأ عليها تغيير غير الرضا والتسليم، وإلا أصبح محارب له، معارضا لنظامه، يدعي السمو إليه، والتعالي عليه، وهو



جزاءهم بإثابة المحسنين وعقوبة المسيئين .

هذه هي الإرادة الدينية الشرعية كما ينبغي أن تعلم .

وأما الإرادة الكونية القدرية والتي سبق بيانها فإن الله تعالى لم يجعل للعبد قدرة على الخروج عنها ، والتمرد عليها بحال من الأحوال ، لأنها لا تتعلق بأفعال العباد الإرادية الاختيارية التي هي التكليف والجزاء إلا من حيث أنه تعالى شاءها أن تكون أزلاً كذلك ، فكانت طرداً لعموم إرادته حتى لا يخرج الكون عنها .

وزيادة في الايضاح للإرادة الكونية والتي لا سبيل للإنسان إلى الخروج عنها نقول : فهل يمكن للإنسان أن يرفض أن يكون ذكراً إذا كان أنثى ؟ أو العكس ؟ أو يرفض أن يكون أسود إذا كان هو أبيض . أو يرفض أن يكون قصيراً إذا كان هو طويلاً ، أو يرفض أن يولد في بلد كذا أو تاريخ كذا إذا كان هو في بلد وزمان غير ما كان فيه ؟؟؟ والجواب في كل هذا ، لا ، ولم ؟ والجواب : هو أن إرادة الله تعالى الكونية لا يعصى فيها ، ولا تتخلف بحال من الأحوال ، لأنها مناط نظام الكون ، وآية الربوبية ، وموجب الألوهية لله سبحانه وتعالى ، وبخلافها الإرادة الشرعية التكليفية المتعلقة بأفعال العباد الإرادية الاختيارية ، فإن الله تعالى أقدر العبد على امتثالها ، ورفضها ليلبثه ثم يحزبه .

وأخيراً إنه لا يسع العبد أمام هذه العظمة الإلهية إلا أن يسجد لله هية وإحلالاً . وأن يذكره ويشكره اعترافاً وتقديراً ، وبذلك تتم كرامته ، وتكتمل إنسانيته ويستقيم في حياته استجابة لما أراد الله تعالى منه كوناً وتقديراً ، وشرعاً ودينياً





یَسْأَلُ عَمَّا يَفْعَلُ ، وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ . وَلَكِنَّ الْقَوْمَ لَمَّا لَمْ يَوْفُقُوا  
سَكْرًا مَسْئَلَكَ إِبْلِيسَ فِي الْإِعْتِرَاضِ عَلَى اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ وَأَصَابَهُمْ ذَلِكَ  
إِبْلَاسٌ وَحَذَلَانٌ . وَلَوْ وَفَّقُوا - وَقَدْ عَرَفُوا أَنَّ اللَّهَ تَعَالَى يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ ،  
وَيُضِلُّ مَنْ يَشَاءُ لِلْحَاقِّ إِلَيْهِ تَعَالَى رَاغِبِينَ خَائِفِينَ ، يَسْأَلُونَهُ الْهُدَايَةَ ،  
وَيَسْتَعِينُونَهُ مِنَ الضَّلَالِ ، إِذْ هُوَ مَالِكُ الْمَلِكِ ، الْقَادِرُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ  
لَمْ يَوْفُقُوا لَأَمْرًا بِهِ سَائِلِينَ ، وَلِنَادُوهُ حَتَّى يَحْصِلَهُ مَحْنَمِينَ ، حَيْثُ لَاحَ ظَرْفُ  
يَهْدَى

﴿ مِنْ يَهْدِ اللَّهُ فَهُوَ الْمُهْتَدِ وَمَنْ يُضِلِّ فَلَنْ تَجِدَ لَهُ وَلِيًّا مُرْشِدًا ﴾<sup>(۱)</sup>

وَلَكِنْ مَا وَفَّقُوا فَاتَّعَوْا حُصُوتَ الشَّيْطَانِ ، فَدَعَوْا بِالْحَرَمَانِ ، وَلَنَدَى  
وَدَعَاهُمْ لِهَذَا الْحَسْرَةِ وَلِئِهْوَ حَقِّهِمْ رِبُوبِيَّةَ اللَّهِ تَعَالَى ، وَسُوءَ ظَنِّهِمْ  
فِي التَّوْحِيدِ فَحَقِّهِمْ بِالرِّبُوبِيَّةِ الَّتِي مِنْ مَقْتَضِيَّاتِهَا التَّرْبِيَّةُ وَالْإِصْلَاحُ ،  
وَمِنْ مَسْتَدْرِمَاتِهَا الْهُدَايَةُ وَالْإِصْلَاحُ هُوَ الَّذِي حَقَّهُمْ يَسْأَلُونَ كَيْفَ ؟  
وَيَسْأَلُونَ مِنْ حَقِّهِمْ أَنْ يَسْأَلُوا ، وَسُوءَ ظَنِّهِمْ بِرَبِّهِمْ فِي تَقْدِيرِهِ ، وَحَسْرَةِ  
نَدْبِهِ حَقَّهُمْ يَعْتَرِضُونَ عَلَى حُكْمِهِ ، وَيَسْتَحْفُونَ حُكْمَتَهُ ، فَهَيِّكُوا  
حَقِّهِمْ ، وَسُوءَ ظَنِّهِمْ بِرَبِّهِمْ

فَمَا أَسْبَغُ حَقَّهُمْ ؟ (۱) وَمَا أَحْسَرُ مَا لَهُمْ ؟ (۲)

وَلِحَقِيقَةِ الَّتِي قَدْ حَقَّتْ عَلَيْهِمْ فَضُولٌ هِيَ لَهُمْ لَمْ يَعْمُوا أَنَّ اللَّهَ  
تَعَالَى إِذَا يَضِلُّ مَنْ يَضِلُّ بَعْدَ أَنْ يُعَذَّرَ إِلَيْهِ تَبْيِينَ سَبِيلِ الْهُدَى وَاضِحَةٌ ،  
وَيُمْسِجَةُ الْقُدْرَةِ الْكَافِيَةِ عَلَى السَّيْرِ فِيهَا ، فَإِذَا تَرَى الْعَدَدَ - بَعْدَ الْعَمَلِ -  
لِضَّلَالٍ عَلَى الْهُدَى ، وَلَا هِيَ اللَّهُ مَا تَوَلَّى ، فَكَانَ ذَلِكَ عَدْلًا مِمَّا تَعَالَى ،  
لَا ظَنَّهُ مَعَهُ . قَالَ تَعَالَى مِنْ سُورَةِ التَّوْبَةِ

﴿ وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُضِلَّ قَوْمًا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَهُمْ حَتَّى يُبَيِّنَ لَهُمْ مَا يَتَّقُونَ ﴾<sup>(۲)</sup>

إنهم لم يعلموا أن الهداية كالإضلال كل منهما يتم حسب سنن الله تعالى في خلقه ، والسنة في الإضلال كالسنة في الهداية وهي الإيثار ، والرغبة ، والطلب ، والعمل

فمن أثر الهداية ورغب فيها ، وطلبها وعمل بأسبابها تمت له ، ووجد من الله تعالى عوناً له على تحصيلها وتحقيقها وهذا من رحمة الله تعالى بعباده ، وفضله عليهم . ومن أثر الضلالة ، ورغب فيها وطلبها ، وعمل بأسبابها تمت له . ولم يجد من الله تعالى صارفاً عنها وهذا من عدل الله تعالى في عباده ، وحسن تدبيره فيهم . وجهلوا سنة الله تعالى في تزيين الأعمال لأصحابها ، فأكبروا على الله تعالى ذلك ، وقلوا كيف يزيب الباطل الشر لعبد حتى إذا فعله عاقبه عليه ؟

وما علموا أن هذا التزيين إنما حسب سنة إلهية لا تتحدث وهي أن المرء إذا أثر العمل بحقيقته ، وأحبه من نفسه ، ولا بد من عمله عنه زمن طويلاً أصبح ذلك عمل ريباً له ، حسد عبده ، ريباً له . فيجد عند غيره ، والعمل الفاسد كأنه عمل الصالح في هذه السنة فلا يزيب فاعبه بهذه الصريفة

غير أنه من رحمة الله تعالى بعبده . فيصميم بحسنه ، وحرره في كتبه ، وعي السنة بسنة حبه . ستمدة عمل فاسد ، والإصرار عليه . ودهش منه ، قل أن سبع من نوبتهم حد يزين ، ودهش لهم حسب سنة الله تعالى ، ويومئهم بدهش فاسد . وفي هذا يقول تعالى في سورة النور .

﴿ أَفَلَمْ يَرَوْا أَنَّهُمْ كَمَلَهُمْ قَرَأَهُ حَسْبُهُ ﴾

ويقول :

﴿كَذَلِكَ زَيَّنَّا لِكُلِّ أُمَّةٍ عَمَلَهُمْ﴾<sup>(١)</sup>

فمن استجاب لتحذير الله تعالى ، وترك فاسد الأعمال ، وسيئها نجا ، ومن تجاهل التحذير ، وواصل في سبيل الغي السَّير هلك ، ومن نجا فقد نجا برحمة الله وفضله ، حيث هيا له أسباب النجاة ، وأعاناه على الأخذ بها ، ومن هلك فقد هلك بعدل الله تعالى حيث نهاه عن الغي ، فأثَّره على الرشد ، ودعاه إلى التوبة ، فرفضها ، وأصر على خلافها حتى وصل في عمله حد التزيين فزين له فرأه حسناً ، وبذلك فقد الاستعداد لقبول دعوة الخير والهدى ، ومضت فيه سنة الله في التزيين ، فهتَّ مع الهالكين ، ولا عدوان إلا على الظالمين .

﴿وَمَا ظَنُّهُمْ أَنَّ اللَّهَ وَكُنَّ كَانُوا أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ﴾<sup>(٢)</sup>

(١) سورة الأعراف الآية (١٠٩)

(٢) سورة النحل الآية (٣٣)

## الجزاء من ثواب وعقاب قائم على أساس الرحمة والعدل

ومن غفلة بعض المؤمنين عن كيفية إجراء الثواب والعقاب عن العباد في الدنيا والآخرة تورطوا في جدل وخصومات لا معنى لها ، ولا داعي إليها في مسألة العدل والظلم

حتى ضل منهم خلق كثير . وقتلتهم حشرات من عقبتهم على بعض السنن الذي هو نظام القدر ، وباع منه ، ودخل فيه ، وسيرجحه عنه ، ولا متافياً معه .

وهذا بيان ذلك : إن الله تعالى جعل للأعمال الجزاء الذي التي يقوم بها الإنسان أثراً في نفسه ، وحسب ذلك الجزاء من ثواب وعقاب .

ومن هنا كان العمل الإرادي كعمل الإنسان ، والمكره ، والمجبون لا تأثير له على نفس العمل ، وتأثير بذلك العمل حسب سنة الله تعالى في ذلك ، عقاب .

أما ما كان من العمل إرادياً ، فمن كان العمل صالحاً أي لله ، وتعالى لعباده لتركيبه أرواحهم ونظيرهم ، وتعالى في الملكوت الأعلى ، ويسمى ذلك الانطباع حسه ، وفي بعض الناس

لمسب لذلك على سبيل المحار الذي علاقته السبية

وإن كان العمل سيئاً أي مما جعله الله تعالى حسب سته مؤثراً في نفس بالظلمة والندسية ليكون مؤهلاً للإسكان لمحدورة الشياطين في جهنم من عالم الشفاء كان الانطباع أو الأثر وصفاً سيئاً لنفس ، ويسمى ذلك الانطباع سيئة ، وجمعها سيئات . كما قد يطلق لفظ السيئة على عمل المكسب لها إضلاف محوريا علاقته لسيئة أيضاً ، وقد جاء في هذا عدة آيات قرآنية منها قوله تعالى من سورة الشمس :

﴿ قَدْ أَفْلَحَ مَنْ زَكَّاهَا ۖ وَقَدْ خَابَ مَنْ دَسَّاهَا ۖ ﴾<sup>(١)</sup>

وقوله من سورة الانفطار :

﴿ هَـٰٓ أَتَىٰ الْأَبْرَارَ رَبِّي بَعِيمٍ ۖ وَإِنَّ الْفُجَّارَ لَبِىَّ جَحِيمٍ ۖ ﴾<sup>(٢)</sup>

ووصف مشعر عنه الحكم ، والبرور والفجور هم سب دخول لعيب ولحجيم ، وقوله تعالى من سورة النروج :

﴿ يٰۤاَۤلَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّٰلِحٰتِ هُمْ هٰٓنَا حَتَّىٰ تَخْرُجَ مِنْ تَحْتِهَا ۖ لَا تَنْهَرُ ذَٰلِكَ النَّارُ كَبِيرٌ ۖ ﴾<sup>(٣)</sup>

وقوله من سورة الحرف :

﴿ إِنَّ الْمُجْرِمِينَ فِي عَذَابٍ مُّتَسَاوِينَ ۖ أَعْدَابُ جَهَنَّمَ خَالِدُونَ ۖ لَا يُفْتَرُ عَنْهُمْ وَهُمْ فِيهِ مُنْسَوُونَ ۖ وَمَا ظَنَنَّهُمْ وَلٰكِن كَانُوا هُمُ الظَّٰلِمِينَ ۖ ﴾<sup>(٤)</sup>

والإيمان والعمل الصالح سب في تطهير النفس ، والإحرام بالشرك

(١) - (٩) - (١٠)

(٢) - (١٣) - (١٤)

(٣) - (١١)

(٤) - (٧٤) - (٧٦)

والمعاصي سبب في تدينسها ، وبحسب ذلك الأثر الطيب أو الخبيث  
يكون الجزاء بالثواب والعقاب . ومصدق هذا وارد في كتاب الله تعالى  
من سورة الأنعام ، إذ قال تعالى

﴿ سَيَجْزِيهِمْ وَصْفَهُمْ إِنَّهُ حَكِيمٌ عَلِيمٌ ﴾ <sup>(١)</sup>

إنه وإن كان ثلاثة الكريمة معنى غير الذي أوردناه هذه في معنى  
سيجري المشركين بوصفهم الكذب بما حرموا من الأفعال ونحو ذلك ،  
على الله تعالى فإن المعنى الذي أوردناه قائم ثلاثة أقسام ، وهذا  
الجزء على الأعمال الصالحة والسبب يكون بحسب وصف الأعمال  
منها لنفس البشرية التي فتقت سنة الله تعالى فصاحبها هو الله تعالى  
لإرادته الاختيارية مما جرمه الله تعالى ومعنى هذا في معنى  
وذلك من كل ما شرع من الأعمال الصالحة ، وهذا جرم الله تعالى  
لأعمال الصالحة فائدة مما يفهم من معنى هذا الآية  
على حد سواء

وبناء على هذا فإن حرمه حرام محرم في حرمه  
وعمل في العمل يكسب عمله محقق في حرمه في حرمه  
مما يحب الله تعالى حيث نفعه عوده ، وهذا حرمه  
وأعني عليه ، عوده ، ففهم عوده ، ثم حرمه  
أعني ، فكان حرمه ، عوده ، حرمه ، وأعني  
مما كره الله تعالى لعوده ، ففهم حرمه ، عوده ،  
عن وعده حرمه ، لأنه ثم عوده ، أعني  
رصده ، ثم هو إن حرمه في حرمه ،  
أعني لإلهي ، وأعني حرمه في حرمه ،

ولا حيف ولا ظلم .

وهكذا فقد تقرر ما توخياه من إثبات هذه الحقيقة ، وتقريرها وهي أن الجزاء ، والثواب ، والعقاب على كسب المرء قائم على أساس الرحمة ، والعدل الإلهيين ، خال من كل معنى للإساءة أو ظلم . وصدق الله العظيم إذ يقول :

﴿ إِنَّ اللَّهَ لَا يَظْلِمُ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ وَإِنْ تَكُ حَسَنَةً يُضَعِفَهَا وَيُؤْتِ مِنْ لَدُنْهُ أَجْرًا عَظِيمًا ﴾

الحسنة والسيئة من الله تعالى  
أو من النفس

بين يدي الحديث عن الحسنة والسنية ، وهذا همم من عبد الله  
تعالى ؛ أو الحسنة من الله ، والسنية من النفس ، عظم أي قوة تعنى  
من سورة النساء .

﴿وَإِنْ تُصِيبَهُمْ حَسَنَةٌ يَقُولُوا هَذِهِ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ وَإِنْ تُصِيبَهُمْ سَيِّئَةٌ يَقُولُوا هَذِهِ مِنْ عِنْدِكَ قُلْ كُلٌّ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ رَاسِخِينَ﴾

مع قومه عبد رحمن بن عيسى بن سيار بن واثق بن

﴿ وَمَا أَصَابَكَ مِنْ سَيِّئَةٍ فَمِنْ نَفْسِكَ وَأَرْسَلْنَاكَ مُبَارَكًا وَكَافًّا ۖ بِٱللَّهِ شَهِيدٌ ۖ ﴾

فول من شش حشمی همد : جسد : - - -  
مسل عقیقه نمودن ، در آب صید و نهاده جود  
و احسن و الاحسن ، لا بد از دستبند ، و ...  
و هم به مسکن با فول که انقباض ، و ...  
و آنکه آب و نمک و ...

1125

19, 34, 71



ويرضاه من عبده ، ويرضى به عنه . أقول : إن الحسنة وهي ما يحسن لدى الإنسان مما يلائم مراجه فيورث باطنه صفاء وطهراً ، أو جسمه نعومة ونضرة ، وهي بهذا المعنى قسمان :

الأول : حسنة سببها الإيمان والعمل الصالح ، أو هي حسنة الطاعة لله ورسوله محمد صلى الله عليه وسلم .

الثاني : حسنة سببها الإنعام الإلهي على العبد بما يريح جسمه من النصب ، ونفسه من الغم والهم ، وذلك بما يؤتيه من مال ، وسلامة بدن ، وصبر ، وعز ، ومحمد .

والسيئة ضد الحسنة وهي ما لا يحسن لدى الإنسان مما لا يتلاءم مع مزاجه وطبعه ، أو هي ما يسوءه في باطنه ، ويضره في ظاهره ، وهي بهذا المعنى قسمان أيضاً .

الأول : سيئة سببها الشرك والمعاصي إذ هما حسب سنة الله تعالى يورثان النفس ظلمة وحث ، فتمرص لذلك وتشتقى .

الثاني : سيئة سببها الانتقام الإلهي ، وذلك كأمراض الجسم وعينه ، وصبيغ المال ، والهزيمة في الحروب ، وفقد الشرف ، وذهاب الكرامة .

وبناء على هذا الذي تقدم فالحسنة التي هي بمعنى الطاعة لله . ورسوله صلى الله عليه وسلم يوفق العبد لفعلها ، والاتيان بها على الوجه الذي شرع الله تعالى لعباده ، هذه الحسنة لا تُنسب إلا إلى الله تعالى . إذ هو الذي شرعها للعبد ، وعلمه إياها ، وأمره بفعلها ، وأعانها . ووعد بحسن المثوبة عليها ترغيباً له في فعلها ، كما أنه كتبها . ولا وقضى بها له قدرأ . فهذه الحسنة نستنها إلى غير الله تعالى خطأ فاحش لا يقر عليه أنذا .

والسيئة التي هي بمعنى معصية الله تعالى ورسوله صلى الله عليه وسلم ، ومخالفتها في أمرهما ونهيهما ، هذه السيئة إذا فعلها العبد بإرادته واختياره مؤثراً المعصية على الطاعة ، والمخالفة على الامتثال . فهذه السيئة لا تُسبب إلا إلى العبد فاعلها ، ولا تصح نسبتها إلى الله تعالى أبداً ، لأن الله تعالى لم يشرعها ، ولم يأمر بها ، ولم يرغب فيها ، بل حرمها ، وتوعد عليها مفرأ منها فكيف تصح نسبتها إلى الله تعالى ؟ اللهم لا . وكيف والله تعالى يقول :

﴿ مَا أَصَابَكَ مِنْ حَسَنَةٍ فَمِنَ اللَّهِ وَمَا أَصَابَكَ مِنْ سَيِّئَةٍ فَمِنْ نَفْسِكَ ﴾

وأما إن كانت النحسة بمعنى نعمة وإتلاء حاجير كنعان، فربما  
والصحة والعافية في ذلك، وكنصير والظفر، والعر والحد، ورب  
نسبة معنى النعمة والإتلاء بأثر ودك كنصير في...  
والهروب في الحروب، وما إلى ذلك من شدة، وحروب، و...  
أي نحسة والنسبة - من هذ النوع - كلاهما من عهد ما بعد  
عز وجل هو الذي يبدو عده متحدا، ويتقدم ح... منصير...  
في تربية عده، وتدريب متابعيه، قال تعالى

﴿وَنَبَلِّغُكُمْ بِاللَّهِ وَالْخَيْرِ فِتْنَةً وَإِلَيْنَا تُجْعَلُونَ﴾

وَقَدْ عَمِدَ وَثَرٌ

فَمَا لِلْإِنْسَانِ إِذْ مَا أَبْلَتْهُ أَهْوََاكُمْ، وَمَنْعَهُ دِينًا  
وَأَمَّا إِذَا مَا أَبْلَتْهُ فَقَدَرَ عَلَيْهِ رَأْفَتُ عِيْشَتِهِ  
بَلْ لَا تَكْفُرُونَ الْيَتِيمَ ۝

ومن هنا لما كان المنافقون بالمدينة ينسبون الحسنة بمعنى النعمة إلى الله تعالى ، وينسبون السيئة بمعنى النقمة ، والبلاء ، والشر ينسبونها إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم رد الله تعالى عليهم قولهم هذا ، وعابه عليهم ، ونسبهم إلى سوء الفهم ، وقلة الإدراك ، وأحبر مقررأ أن كلا من هذين النوعين من الحسنة والسيئة هما من عند الله تعالى . قال عز وجل :

﴿ قُلْ كُلٌّ مِّنْ عِندِ اللَّهِ قَالِ هَؤُلَاءِ الْقَوْمِ لَا يَكَادُونَ يَفْقَهُونَ حَدِيثًا ﴾ (١)

وبهذا زال والحمد لله الإشكال الذي كان يقف عنده كثير من المؤمنين حيارى يكادون أن يقولوا : إن بين الآيتين تناقضاً أو تعارضاً في حين أنه لا تناقض بينهما ولا تعارض وحاشا كتاب الله تعالى أن يضرب بعضه بعض تناقضاً أو تعارضاً ، وكيف يكون ذلك والله مزيل وهو العزيز الحكيم يقول :

﴿ وَإِنَّهُ لَكِتَابٌ عَزِيزٌ ۚ لَا يَأْتِيهِ الْبَطْلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ ۚ تَنْزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ ﴾ (٢)

ويحسن التنبه هنا إلى أن العبد وإن سست إليه السيئة التي هي لمعصية الله ورسوله ﷺ ، والتي يترتب عليها تدسية النفس وتلويها ليس معنى ذلك أن العبد قد فعل ما لم يكن قد كتب عليه ألا ، وقصى به عليه قدراً ، لا والله ، بل ما فعل العبد إلا ما كتب عليه أن يفعله ، كما أن كون العبد أسي المعصية باختياره وفعله نفسه مريداً لها ، لا يدل

(١) سورة النجم (٧٨)

(٢) سورة القصص (٤١-٤٣)

على أنه خلق فعله فيها ، بل الخالق هو الله الذي خلقه وخلق إرادته واختياره .

وإنما لم تنسب السيئة التي هي المعصية لله ورسوله ﷺ لم تنسب إلى الله تعالى ، لأن الله تعالى قد حرّمها ، ونهى عن فعلها ، وتوعد عليها ، ولم يرضها لعبده كما رضي له الطاعة ، إذ قال تعالى من سورة الزمر :

﴿وَلَا يَرْضَى لِعِبَادِهِ الْكُفْرَ وَإِنْ تَشْكُرُوا يَرْضَهُ لَكُمْ﴾<sup>(١)</sup>

مع العلم والتسليم بأن الله تعالى لو شاء أن يحول بين العبد وبين فعله المعصية أو الطاعة لفعل ، وهو على ذلك لو شاء قدير . لكنه لم يفعل ، لأنه خلق هذا المخلوق ليستليه في هذه الحياة ورعي

﴿تَبَارَكَ الَّذِي بِيَدِهِ الْمُلْكُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾<sup>(٢)</sup>  
الْمَوْتَ وَالْحَيَاةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا وَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ<sup>(٣)</sup>

فإذا منح العبد إرادة واختياراً يثنى كل شيء عليه . . . . .  
سبيل من سبل الهدى أو الضلال ، نعمى أو أعمى . . . . .  
أرادته واحترده يصل إلى الغاية التي جعل لتسبيل مبادئها

﴿فَلَنْ نَجِدَ لِسُنَّتِ اللَّهِ تَبْدِيلًا﴾<sup>(٤)</sup>

(١) الآية (٧)

(٢) سورة الملك (١١) ، (٢٠)

(٣) سورة ص (٤٣)

## بحث مهم في المشيئة

وأخيراً إنه قد يظن البعض أن مشيئة العبد كافية في إيجاد ما يريده ، ويرغب في حصوله ، وهو ظن باطل خاطيء قطعاً . وذلك : -

أولاً : - أنه قد ثبت بالمشاهدة والحس أن العبد كثيراً ما يريد الشيء ، ويرغب في تحصيله ، ويذل كل وسيلة من شأنها أن تحقق الشيء المطلوب ، ثم يخيب العبد في سعيه ، ولا يفوز بمراده .

وثانياً : - أن القدر قد سبق في كل ما هو كائن إلى يوم القيامة فلم يكن في الكون إلا ما كتب أولاً ، وقُدر أن يكون . وبهذا يعلم أن مشيئة العبد التي يتحقق بها المراد هي نفسها مكتوبة أولاً ، ومحكوم بوقوعه في إبانها ليتحقق بها ذلك الفعل الذي أراد العبد أن يفعله ، وأثر فعله واختاره على غيره وفي هذا يُقرأ قوله تعالى :

﴿وَمَا تَشَاءُونَ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ﴾<sup>(١)</sup>

وتوضيح ذلك أن العبد ليس له أن يشاء إلا ما سبق به الكتاب وإذا سبق كتاب المقادير بشيء يقع على يد العبد أوجد الله تعالى للعبد مشيئة تدفعه إلى إتيان العمل . وخلق له اختياراً في نفسه يرجح به لفعل على الترك فيكون ذلك المقدور .

(١) سورة الشورى الآية (٢٩)

وبهذا تتأكد الحقيقة العظمى وهي أن الرب غير العد ، وأن العد  
غير الرب سبحانه وتعالى ، ويتبع ذلك أن لا تكون للعد مشيئة مستقلة  
عن مشيئة الرب ، وسابقة لها ، وأن لا يكون للعد من حق أن يسأل  
الرب تبارك وتعالى : لم فعل كذا ؟ أو لم لم يفعل كذا ؟ قال تعالى :

﴿ لَا يُسْأَلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْأَلُونَ ﴾<sup>(١)</sup>

(١) سورة النور ، الآية ٦٤ (٢٣) .



## الخاتمة

وأخيراً إن الإيمان بجميع أركانهِ وإن كان مطلوباً لذاته كما هو ظاهر نصوص الكتاب والسنة المطالِبة بذلك كقولهِ تعالى :

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا ءَامِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ ؕ وَالْكِتَابِ الَّذِي نَزَّلَ عَلَى رَسُولِهِ ؕ وَالْكِتَابِ الَّذِي أُنزِلَ مِنْ قَبْلُ وَمَنْ يَكْفُرْ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ ؕ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا بَعِيدًا ۝﴾

وَقَالَ الرَّسُولُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي حَجْرٍ مِنْ سَيِّدَاتِ  
 الْإِيمَانِ: «الْإِيمَانُ أَنْ تُؤْمِنَ بِاللَّهِ، وَمَلَائِكَتِهِ، وَكُتُبِهِ، وَرُسُلِهِ، وَاليَوْمِ  
 الْآخِرِ، وَالْقَدْرَ خَيْرُهُ وَشَرُّهُ»<sup>٢</sup>

ففيه بانظر إلى ما يترتب عليه من حيث له معنى .  
وحشيتة . وإرادة إليه . وضعته لغير محله .  
رسوله . وتعظيمه وضعته والانشاء له . ومعناه . هو  
ذلك أن الساعت الحسن علي طاعه له معنى .  
إيمان بالله تعالى بمصادق محله .  
لاستقامة لأحد علي طاعه له معنى .

129. a)  $\sin \alpha$  b)  $\cos \alpha$

$$, \quad \Psi_1 \quad \Psi_1 \rightarrow \text{some } a \in A \quad ( \Psi_3 )$$



وسلم . لهذا صح أن ينظر إلى الإيمان على أنه وسيلة لا بد من تحقيقها ، وذلك لتوقف الاستقامة عليه .

وهذا بيان ذلك :-

١ - الإيمان بالله تعالى وسيلة لطلب معرفته بأسمائه وصفاته ، ولحمه وتعظيمه ، وطاعته وخشيته ، والتقرب إليه بفعل محابه ، واجتناب محارمه ، يشهد لهذا ، ويدل عليه قوله تعالى :

﴿ وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ ۚ إِن كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ ﴾<sup>(١)</sup>

د عتق تعالى حصول ما طلبه منهم على إيمانهم .

٢ - الإيمان بالملائكة وسيلة إلى الاعتبار بطاعتهم لأنهم :

﴿ لَا يَعْصُونَ اللَّهَ مَا أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ ﴾<sup>(٢)</sup>

وسيلة إلى الاستحياء منهم ، والاستئناس بهم لعلم المرء بأن الكرام الكاتبين عن يمينه وشماله لا يفارقونه ، كما أنه وسيلة إلى معرفة عظمة الله تعالى فيهم<sup>(٣)</sup> ، وقدرته عليهم إذ يقول تعالى :

﴿ يَخَافُونَ رَبَّهُمْ مِنْ فَوْقِهِمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ ﴾<sup>(٤)</sup>

٣ - الإيمان بالكتب وسيلة إلى الإيمان بالله تعالى ، ومعرفة علمه ، وأسمائه ، ووعدته ووعدته ، كما هو وسيلة إلى تصديق الرسل الذين أرسلوا بها ، وأنزلت عليهم ، ووسيلة أيضاً إلى معرفة شرائع الله

(١) سورة الأنعام الآية (١)

(٢) سورة سحر الآية (٦)

(٣) جاء في الصحيحين أن الرسول ﷺ رأى حبريل وله ستمائة جناح . اللؤلؤ والمرجان (١)

(٤) . وسنن أبي داود (٤١) ، ومسنن (١٠٩)

(٤) سورة النحل الآية (٥٠)

تعالى ، وجميع ما يحبه الله ، ويرضاه ، أو يكرهه ويسخطه من المعتقدات ، والأقوال ، والأفعال ، وإلى معرفة الغيب وأحوال الدار الآخرة .

٤ - الإيمان بالرسول وسيلة إلى معرفة تطبيق شرائع الله تعالى ، وبيان كفيات أداء عباداته ، ووسيلة إلى محبة الرسل الباعثة على طاعتهم ، واتباعهم والتزام شرائعهم .

٥ - الإيمان باليوم الآخر وسيلة إلى فعل الحيرات ، وترك المنكرات بما يوجد في النفس من الرقة فيما عند الله من حيري لدي والآخرة ، وبما يوحد لها من الخوف من عذاب الله ، وترهه من عقابه .

٦ - إيمان بالقدر وسيلة إلى ترك الحزن على ما فات من مراح الحياة ، وترك الفرح الحامل على الضرر والأثر بما يؤتي الإنسان من حطام الدنيا ، ومتاعها الزائل . كما هو وسيلة إلى نصير وسخو ، وانطمانية ولسكون<sup>(١)</sup>

وبناء على كل الذي سبق فيه ينشئ بوضوح أن كل واحد من أركان إيمان الستة المكونة لعقيدة المؤمن يثمر له ثمرة حميدة فالإيمان بالله تعالى يثمر محبة الله ، وتعظيمه ، ومسامحة ، وإحسانه ، والإيمان بالملائكة يثمر الاعتدال بطاعتهم ، والاستسكان بهم ، والإيمان بالكتب والرسل يثمر فقه الدين ، والإيمان بالله تعالى ، ويثمر معرفة ، شرائعه ، وكفيات أدائها ، والإيمان بثمر الرقة في فعل الحيرات ، والخير من

(١) قال الله تعالى ﴿ مَا أَصَابَ مِنْ مُصِيبَةٍ إِلَّا أَنْزَلْنَا مِنْ قَبْلِهَا سُورَةً وَمَا كَانَ لَكُمْ عَلَى شَيْءٍ مِنْ حَقٍّ إِلَّا أَنْزَلْنَاهُ مِنْ قَبْلِهَا سُورَةً ﴾ (الحجرات: ٢٢، ٢٣) .

والمنكرات . والإيمان بالقدر يثمر سكون النفس ، ورضاها ، وطمأنينة القلب ، وهدوءه ، وهدايته ، وذلك بتخليص النفس من الفرج بالحياة الدنيا ، والغم على ما فات منها ، ومن الهم على ما قد يفوت المرء منها .

وبالنظر في هذا والتأمل فيه نجد أن الإيمان وسيلة للحصول على تلك الثمرات التي يثمرها كل جزء من أجزائه ، كما نجد أن تلك الثمرات هي وسيلة إلى غاية من أشرف الغايات وهي كمال الانسان الذاتي والروحي ، وسعادته في الدنيا والآخرة ، إذ كل كمال للإنسان ، وسعادة له مردهما إلى طاعة الله ورسوله تلك الطاعة المزكية للنفس ، والمؤهلة للانسان لدخول دار السلام .

قال الله تعالى :

﴿ قَدْ أَفْلَحَ مَنْ زَكَّاهَا ۖ وَقَدْ خَابَ مَنْ دَسَّاهَا ۖ ﴾ (١)

وقال تعالى :

﴿ وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَالرَّسُولَ فَأُولَٰئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ وَحَسُنَ أُولَٰئِكَ رَفِيقًا ۚ ذَٰلِكَ الْفَضْلُ مِنَ اللَّهِ وَكَفَىٰ بِاللَّهِ عَلِيمًا ۖ ﴾ (٢)

تم تحرير هذا الكتاب في الفاتح من رمضان سنة ١٣٩٦ هـ  
والحمد لله أولاً وآخراً ، والصلاة والسلام الأتمان الأكملان  
على نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلم تسليماً كثيراً

(١) سورة الشمس الآيات ( ٩ ، ١٠ ) .

(٢) سورة النساء الآيات ( ٦٩ ، ٧٠ ) .

## المراجع

- ١ - في التفسير :  
 ١ - أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن - محمد أمين الشنقيطي المتوفى ١٣٩٣ هـ الطبعة الأولى بمطبعة حدي  
 ٢ - إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم - أبي جعفر -  
 طبعة دار المعصوم للطباعة والنشر  
 ٣ - التسهيل لعلوم التنزيل - لاس - حرق - منذ ١٩٧٣ هـ -  
 الطبعة الثانية (١٣٩٣ هـ - ١٩٧٣ هـ) - نشر دار الكتب  
 بيروت .  
 ٤ - تفسير القرآن العظيم - لاس كثير معاني (٢٠٠٤)  
 عيسى ندي وشركه  
 ٥ - جمع البيان في تفسير القرآن - لاس -  
 (٣٠١ هـ) الطبعة الثانية (١٣٩٢ هـ - ١٩١٢ هـ)  
 والنشر .  
 ٦ - الجامع لأحكام القرآن - المنذرى  
 الثانية بمطبعة دار الكتب لمطبعة  
 ٧ - روح المعاني في تفسير القرآن -  
 للألبوسي المتوفى (١٢٧٠) نسخة ثانية بمطبعة

٨ - غرائب القرآن ورغائب الفرقان لنظام الدين النيسابوري المعروف بالقمي مطبوع مع تفسير ابن جرير .

٩ - فتح القدير الجامع بين في الرواية والدراية من علم التفسير للشوكاني المتوفى (١٢٨١ هـ) مطبعة الحلبي وأولاده .

١٠ - الفتوحات الإلهية على الحلالين لسليمان الحمل المتوفى (١٢٠٤ هـ) مطبعة الحلبي وشركاه .

١١ - في ضلال القرآن لسيد قطب - الطبعة الثانية - مطبعة الحلبي وشركاه

١٢ - المنار للإمامين محمد عمده ورشيد رضا المتوفى (١٣٥٤ هـ) - الطبعة الرابعة أصدرتها دار المنار بمصر ١٣٧٣ هـ ، ١٩٥٤ م .

ب - كتب الحديث :

١ - تحفة الأحودي على جامع الترمذي - للمباركفوري المتوفى (١٣٧٣ هـ ، ١٩٥٤ م) مطبعة الحسني .

٢ - الترغيب والترهيب للمسندري المتوفى (٦٥٦ هـ) الطبعة الثانية (١٣٧٣ هـ ، ١٩٥٤ م) مطبعة الحلبي

٣ - توير الحوالك شرح موطأ مالك لمسيوطي المتوفى (٩١١ هـ) مطبعة الحلبي .

٤ - جامع الأصول لاس الأثير الحزري المتوفى (٦٠٦ هـ) تحقيق عبد القادر الأرناؤوط الطبعة الأولى (١٣٨٩ هـ ، ١٩٦٩ م) مطبعة الملاح

٥ - جمع الوسائل في شرح السمائل - لعلي القاري المتوفى (١٠١٤ هـ) - الطبعة الثانية بمطبعة دار المعرفة للطباعة والنشر - بيروت

- ٦- سبل السلام على بلوغ المرام للصنعاني المتوفى (١١٨٢هـ)  
الطبعة الرابعة (١٣٧٩هـ ، ١٩٦٠م) مطبعة الحلبي .
- ٧- السندي على سنن ابن ماجة القزويني - السندي المتوفى  
(١١٣٨هـ) للطبعة الأولى بالمطبعة التازية بمصر .
- ٨- سنن أبي داود - الطبعة الأولى (١٣٧١هـ - ١٩٥٢م) مطبعة  
الحلبي
- ٩- سنن الترمذي - للترمذي المتوفى (٢٧٩هـ) المطبعة المطبوعة  
بحمص - (١٣٨٥هـ ، ١٩٦٥م) .
- ١٠- سنن الدارمي - لعبد الله الدارمي المتوفى (٢٥٥هـ) بتحقيق  
عبد الله هاشم يماني - شركة الطاعة القوية المتحدة
- ١١- السيوطي على النسائي ومعه حاشية السندي ، ١٩٦٣م .  
مطبعة المصرية بالأهر
- ١٢- شرح الموطأ للزرقاني - مطبعة مصطفى محمد ، ١٩٦٦م .  
(١٩٣٦م)
- ١٣- شرح النووي على صحيح مسلم - مطبعة  
(٦٧٦هـ) المطبعة المصرية ومكتبتها
- ١٤- صحيح البخاري - لسحري - مطبعة  
وأولاده - تسعة أجزاء - صحيح مسلم - مطبعة  
مشهورات لمكتب السحري لطباعة و النشر
- ١٥- عمدة القاري شرح صحيح مسلم  
(٨٥٥هـ) المطبعة المصرية

۱۶۔ عون المعبود شرح سنن أبي داود . الطبعة الثانية ( ۱۳۸۸ھ - ۱۹۶۸م ) .

۱۷۔ فتح الباري شرح صحيح البخاري - لاس حجر العسقلاني المتوفى ( ۸۵۲ھ ) طبعة الحلبي ( ۱۳۷۸ھ - ۱۹۵۹م )

۱۸۔ الفتح الرباني لترتيب مسند الامام أحمد الشيباني - للسعدني - الطبعة الأولى - مطبعة الفتح الرباني .

۱۹۔ اللؤلؤ والمرجان فيما اتفق عليه الشيخان - لمحمد فؤاد عبد الباقي - الطبعة الأولى - مطبعة الحلبي .

۲۰۔ مجمع الزوائد ومنبع الفوائد - لنور الدين الهيثمي المتوفى ( ۸۰۷ھ ) الطبعة الثانية ( ۱۹۶۷م ) .

۲۱۔ مستدرک الحاکم علی الصحیحین - للحاکم المتوفى ( ۴۰۵ھ ) - نشر مكتبة مطابع النصر الحديثة بالرياض

۲۲۔ مسند الامام أحمد - لأحمد بن حنبل المتوفى ( ۲۴۱ھ ) الطبعة الأولى ( ۱۳۸۹ھ ، ۱۹۶۹م ) المكتب الإسلامي دار صادر .

ج۔ كتب العقيدة :

۱۔ آکام اللؤلؤ والمرجان في أخبار الجان للشبلي الحفي المتوفى ( ۷۶۹ھ ) طبعة محمد علي صبيح ( ۱۳۷۶ھ ) .

۲۔ الإسلام في عصر العلم للغمراوي - الطبعة الأولى ( ۱۳۹۳ھ - ۱۹۷۳م ) مطبعة السعادة .

۳۔ الإسلام يتحدى - لوحيد الدين خان - الطبعة الأولى ( ۱۳۹۰ھ - ۱۹۷۰م )

۴۔ إلى التي سألت : أين الله ؟ للاستاذ أحمد بهجت

٥ - الإيمان - لابن تيمية المتوفى (٧٢٨هـ) المكتب الإسلامي  
بدمشق (١٣٨١هـ ، ١٩٦١م) .

٦ - التوسل ، أنواعه ، وأحكامه - للألباني - الطبعة الأولى .

٧ - تيسير العزيز الحميد في شرح كتاب التوحيد لسليمان بن عبد  
الله بن محمد بن عبد الوهاب المتوفى (١٢٣٣هـ) الطبعة الثانية  
(١٣٩٠هـ) طبعة المكتب الإسلامي .

٨ - شرح الطحاوية بتحقيق الألباني - الطبعة الرابعة (١٣٩١هـ)  
المكتب الإسلامي بيروت

٩ - الشرك ومظاهره - لميبي الحرثري - نطبعة تسمية  
(١٩٦٦م)

١٠ - العقيدة الإسلامية وسبب - عبد الرحمن حسن حسكة

١١ - قصة الإيمان - لنحسب - نطبعة الثالثة (١٣٩٩هـ)  
(١٩٦٩م) المكتب الإسلامي

١٢ - الكوكتف نخبه عن معاني يوسف - نطبعة

الاسمان - نطبعة - ريعه مؤسسه مكة نطبعة - سنة ١٣٩٩هـ

١٣ - نوضح لأور نهيه - بسند جي - المتوفى (١٣٩٨هـ) نطبعة  
الأولى

د - كتب السيرة

١ - نداه و نهيه - لاس سنة المتوفى ١٣٩١

(١٩٦٦م) د: نطبعة نطبعة

٣ - سيرة بن هشم - لاس سنة المتوفى ١٣٩١

نطبعة - سنة مكنه حشمه - نطبعة - سنة ١٣٩١هـ



٤ - محمد المثل الكامل - لمحمد أحمد جاد المولى - الطبعة الرابعة (١٣٧١هـ ، ١٩٥١م) مطبعة الاستقامة .

٥ - مختصر سيرة الرسول . لعبد الله بن محمد بن عبد الوهاب المتوفى (١٢٤٤هـ) مطابع الحكومة بمكة .

هـ - كتب اللغة :

١ - دائرة معارف القرن العشرين - لفريد وجدي المتوفى (١٣٧٣هـ) - الطبعة الثالثة (١٩٧١م) دار المعرفة للطباعة والنشر .

٢ - القاموس المحيط - للفيروزآبادي المتوفى (٨١٧هـ) المطبعة الحسينية المصرية .

٣ - لسان العرب لابن منظور - دار بيروت للطباعة والنشر .

٤ - مختار الصحاح - للرازي المتوفى (٦٦٦هـ) الطبعة الأولى (١٩٧٦م)

٥ - محد الطلاب - لمعلوف - الطبعة السابعة عشرة .

## الفهرست

الموضوع	الصفحة
المقدمة	٥
حاجة الإنسان إلى العقيدة وضروتها له	١١
الإنسان - تعريفه - بدأ خلق الإنسان - حقوقه - الآيات القرآنية في خلق آدم وذريته - الكلمات التي تلقاها آدم من ربه فتاب بها عبيه - مادة خلق كل من الملائكة ، والجنان وآدم عليه السلام - إتيان آدم يوم القيامة ليشفع لهم عند الله تعالى واعتذاره إليهم - إحتجاج موسى على آدم عليهما السلام ، وغلبة آدم في خجة - قصص آدم الجمعة على سائر الأيام خلق ذرية آدم كان بالخلق التدرجي - وجوده عليه السلام كان بالخلق المباشر الإنسان في معتقد بعض الملوك - وكونه متحولاً عن خلية هبطت من بعض الكواكب - ثم تطور إلى حيوان رديء ثم إلى حيوان أرقى ثم إلى إنسان - وجوده في الارزقاء والتطور - عامل الوراثة - ثم يكون النسل في الكونية هي من خلق الله تعالى ، فلذا هم إن شاء الله أمصاها سنة التدرج في خلق بني آدم - سئل الله عن الملائكة بالقبول الطبعية تفصيلاً - النظرية لداروينية - بقص النظرية - وجوده في خلقه وإثبات أن آدم عليه السلام خلق بالخلق المباشر	

- الغربيين في النظرية الداروينية : أنها أبوها الكفر وأمها القذارة !!
- ٢٣ ..... العقيدة - تعريفها بأدق معنى وأوضحه
- حاجة الانسان إلى العقيدة - إبطال فرية الماركسية في أن الإنسان هو  
الذي خلق الإله - إبطال مزاعم الملاحدة في أن الانسان اليوم قد  
٢٤ استغنى عن الإيمان بالله تعالى وعن التدين - سرائر الملاحدة للدين .
- ٢٨ بيان وجه ضرورة الدين للانسان - إبطال دعوى أن العقل في إمكانه  
الاستقلال بهداية الإنسان دون الدين - بيان المراد من الدين  
لضروري لإكمال الإنسان والسعادة وأنه الدين الإسلامي لا غير -  
دعوة عقلاء العالم إلى الدين الإسلامي ، إذ هو الدين الوحيد الكفيل  
بإسعاد الإنسان ، لأنه لم يحرف ولم يبدل بخلاف غيره من الأديان فانها  
فسدت بالتحريف والتبديل والنقصان والزيادة التي وقعت فيها . . .
- ٣٣ الإيمان بالله رب العالمين - وبيان المسلك الصحيح في إثبات وجود الله  
تعالى - مثل من أنكر وجود الله وكفر به لمجرد أن عرف بعض ظواهر  
الطبيعة - مناقشة لكلمات الطبيعة ، والضرورة ، والصدفة وتعريف  
كل منها - لم يكفر الملاحدة بالله تعالى إلا فرارا من الطاعة والنظام -  
بيان معنى الصدفة - أمثلة لبطلان الصدفة بيان معنى الضرورة التي  
يقول بها الملاحدة . . . . .
- ٤٣ معرفة الله جل جلاله ، ومراتب المؤمنين فيها . . . . .
- ٤٥ الطريقة الأولى من طرق الهداية العقلية . . . . .
- ٤٦ قانون العلة وبيانه ، قانون الوجوب وبيانه - قانون الحدوث وبيانه -  
قانون النظام وبيانه - قانون العناية بالانسان وبيانه .
- ٥٢ مظاهر العناية بالانسان في الكون . . . . .
- ٥٦ الهداية الدينية وبيان كونها تجمع بين الهدايتين العقلية والشرعية . . . . .
- ٧٦ مقارنة بين الايمان بالله تعالى والايمان بالطبيعة العمياء . . . . .

	أسماء الله تعالى وصفاته - ذكر مبدأين هامين في باب الأسماء
٧٨	والصفات .....
٨٢	خلاصة بحث الأسماء والصفات - براءة واعتدار .....
٨٥	التوحيد .....
٨٩	توحيد الربوبية .....
٩٠	فطرية الإقرار بالربوبية .....
٩١	الإلحاد الشيعي - عوامل الإلحاد في العالم .....
٩٤	أوروبا الضحية الأولى للإلحاد الشيعي .....
٩٨	شرك الربوبية ومظاهره في الأمة الإسلامية .....
١٠٢	توحيد الألوهية - الإيمان بالله تعالى والكفر بالطاغوت هو مدلول لا إله إلا الله - لا تكون العبادة قربة إلا إذا توافرها العنم بها ، ومعروف
	كيفية أدائها وإفراد الله تعالى بها .....
١٠٦	الشرك في الألوهية ، ومظاهره في الأمة الإسلامية ، وتعريف الشرك
١٠٧	الذات المقدسة - صفات الله تعالى وأسماءه .....
	بيان ما يرتكبه المؤمنون لصفات الله تعالى من جهل وحفظ وكفر
	عبادات الله تعالى وبيانها بالتفصيل ، وبيان كيف يوحد الله بها
١٠٨	أعمال القلوب - المحبة وبيانها .....
١١٠	الخوف والخشية وبيان الفرق بينهما - الرجاء والرغبة .....
١١١	الإنبابة وبيان كل منها .....
	التوكل وبيان أعمال الجوارح - الدعاء
	الاستغاثة وبيانها - النذر وبيانها - دفع القربان .....
	والسجود - الطواف بالبيت وتقبيل الحجر الأسود .....
	العبادات - ترك طاعة الله ورسوله المدعى أنه الزهية - تعظيم الله تعالى
	بالخلف به - الوسيلة - تعريف الوسيلة لغة وشرعا - معنى الوسيلة

- الشرعية على ثلاثة أمور - شروط الوسيلة النافعة ثلاثة وبيانها - بيان ما يجوز من الوسيلة وما لا يجوز منها مع أمثلة للوسائل المحرمة - التوسل في الأمور الإلهية .....
- الوسائل المشروعة - التوسل بالإيمان وبيان أنه من أشرف الوسائل . ١٣٢
- الصلاة والصيام من أشرف الوسائل وأنفعها ..... ١٣٣
- التوسل بالصدقات من طيب المال ويطيب النفس ١٣٤
- الحج والاعتماد من الوسائل المفيدة في الحصول على الرغائب ....
- الجهاد والرباط وكونها من أعظم الوسائل للفوز بالقرب من الله تعالى ١٣٥
- تلاوة القرآن الكريم ، والذكر والتسبيح من الوسائل النافعة ..... ١٣٦
- الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم من الوسائل النافعة ..... ١٣٧
- الاستغفار من الوسائل المشروعة النافعة ..... ١٣٨
- الدعاء - دعاء المؤمن من الوسائل المجدية النافعة ..... ١٣٩
- التوسل بأسماء الله الحسنى وصفاته العليا ..... ١٤١
- فعل الخيرات وترك المحرمات من الوسائل النافعة جداً ..... ١٤٢
- الوسائل المحرمة - دعاء الصالحين ..... ١٤٤
- النذر لهم - الذبائح على قبورهم ..... ١٤٥
- العكوف حولها - سؤال الله تعالى بجاء فلان ..... ١٤٦
- سؤال الله تعالى بحق فلان ..... ١٤٧
- تنبيه هام في ثلاث شبه وردت في أربعة أحاديث : حديث الضير ١٤٩
- وحديث استسقاء عمر بالعباس رضي الله عنهما وحديث اللهم إني أسألك بحق السائلين عليك - وحديث فاطمة بنت أسد رضي الله عنها .....
- الاستشفاع والشفع والشفاعة ..... ١٥٤
- قياس خاطيء في مسألة الشفاعة ..... ١٥٦

١٥٩	الشفاعة في الآخرة وهي قسمان ثابتة ومنفية - شفاعات الرسول صلى الله عليه وسلم ومنها الشفاعة العظمى في فصل القضاء .....
١٦٦	شروط الشفاعة المثبتة .....
١٦٧	التبرك وبيان حقيقته .....
١٦٨	بم يكون التبرك ؟ .....
١٦٩	كيف يكون ؟ وبيان حقائق هامة في باب التبرك .....
١٧١	الولاية والكرامة - بيان أصل الولاية وشرطها .....
١٧٤	الفرق بين ولاية الرب للعبد وولاية العبد للرب تبارك وتعالى .....
١٧٥	الولي - معنى موالاة الله تعالى للعبد .....
١٧٧	الكرامة وهي خاصة وعامة - وبيان أحوال أهلها .....
١٨٠	مراتب الأولياء .....
١٨٢	تقريرات هامة تتعلق بالأولياء والكرامات
١٨٤	أولياء الشيطان ومهاجمتهم
١٨٥	اللائمات الملائكة وهو الركن الثاني من أركان عقيدة المؤمنين - مقدمات هامة في هذا الشأن تحل للائمات الملائكة بقياس في نفس المؤمن
١٨٦	الأحبار
١٨٧	اللائمات
١٨٨	لائمات الملائكة أحد أركان العقيدة الإسلامية
١٨٩	حقائق الملائكة - مدد الجن
١٩٠	تفاصيل الملائكة - أعمال الملائكة
١٩١	عصص صفات الملائكة
١٩٢	الحسن والشياطين
١٩٣	أدلة وجود الحسن والشياطين
٢١٨	وجوب الايمان بالحسن والشياطين

٢١٨	بعض معلومات هامة عن الجن والشياطين ، وذلك كتوالدهم وتغذيتهم ومادة خلقهم وما إليه من معلومات تتعلق بعلمهم . . . . .
٢٣١	فائدة عظيمة النفع في دفع الشيطان . . . . .
	الركن الثالث من أركان عقيدة المؤمن : الإيمان بالكتب - تعريف
٢٣٤	الكتب - حقيقة الايمان بالكتب . . . . .
٢٣٥	ما عرف من الكتب الإلهية ، وما لم يعرف . . . . .
٢٤٠	على أي دليل آمن المؤمن بالكتب . . . . .
٢٤٥	أدلة وحوب الايمان بالكتب وكونه ركن الايمان . . . . .
٢٤٨	منزلة القرآن الكريم بين كتب الله تعالى . . . . .
٢٥٢	لوحة مشرقة ببيان ما في القرآن من الهدى والخير . . . . .
٢٥٦	شروط الانتفاع التام بما في القرآن من الخير والهدى . . . . .
٢٥٨	تقرير أخير لعقيدة المؤمن في الكتب الأربعة : القرآن ، والتوراة والإنجيل والربور . . . . .
٢٦١	الركن الرابع من أركان عقيدة المؤمن : الإيمان بالرسل عليهم السلام
	إمكان الوحي - تعريف الوحي . . . . .
٢٦٣	الوحي الإلهي وطرقه - تعريفه . . . . .
٢٦٧	ضرورة الوحي وحاجة الناس إليه . . . . .
٢٦٨	النبوة - تعريفها . . . . .
٢٦٩	النبي تعريفه - مؤهلات النبوة . . . . .
٢٧٠	المثالية - شرف النسب - عامل الزمن . . . . .
٢٧٢	صفات الأنبياء - الصدق - الأمانة - التبليغ - الفطنة . . . . .
٢٧٤	الرسل عليهم السلام - الرسل في التاريخ . . . . .
٢٧٥	عدد الرسل . . . . .
٢٧٦	زمن وجود كل منهم . . . . .

الموضوع	الصفحة
ديارهم .....	٢٧٧
أولو العزم منهم .....	٢٧٨
وجوب الايمان بالرسول عليهم السلام .....	٢٨٠
محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم - التعريف به - نشأته - زواجه - أولاده .....	٢٨٣
عناية الله تعالى به .....	٢٨٥
نبوءته وبعثته .....	٢٨٦
بدء دعوته .....	٢٨٨
مؤملاته للنبوّة - كماله الخُلقي - كماله الخُلقي .....	٢٨٩
رجاحة عقله .....	٢٩٢
شجاعته .....	٢٩٤
سياسته .....	٢٩٦
رحمته .....	٢٩٨
كرمه - عدله .....	٢٩٩
عفوّه وحلمه .....	٣٠٠
شرف نسبه - طهارة أرومته .....	٣٠١
وجوب الايمان بنبوّة محمد صلى الله عليه وسلم - أدلّٰا دلّٰت - انبياء الكتب السابقة له على نبوءته - ما جاء من الشّارات لنبوءته في القرآن والانجيل .....	٣٠٢
شهادة علماء أهل الكتابين بنبوته صلى الله عليه وسلم .....	٣٠٣
شهادة بلايين المسلمين بنبوته ورسائله وإيمانه - شهادة له بنبوته .....	٣٠٤
شهادته وهي قسمان : شهادة أخبار .....	٣٠٥
شهادة معجزات - المعجزات المحمدية وذكر عدد منها .....	٣٠٦



٣١٧	ختم النبوات بنبوذة محمد صلى الله عليه وسلم وأدلة ذلك العقلية والسمعية الشرعية .....
٣٢١	الركن الخامس من أركان عقيدة المؤمن بالإيمان باليوم الآخر - تعريف اليوم الآخر - إمكان الفناء وأدلته .....
٣٢٣	إمكان المعاد وأدلته - البعث وأدلته .....
٣٢٩	الحكمة في المعاد .....
٣٣١	وحوب الإيمان باليوم الآخر وأدلة ذلك من سمعية وعقلية .....
٣٣٥	ظواهر الانقلاب الكوني أو أشراط الساعة - الآيات الصغرى ما ظهر مبهاً وما لم يظهر منها إلى الآن - الآيات الكبرى .....
٣٤٤	آيات قرينة جداً من قيام الساعة .....
٣٤٦	بداية الانقلاب الحقيقي .....
٣٤٩	شؤون الحياة الثانية بعد انتهاء الأولى .....
٣٥٢	الحشر والموقف الصعب في عرصات القيامة - تعريف الحشر .....
٣٥٤	فصل القضاء والشفاعة فيه .....
٣٥٦	الحساب والميزان ، بعد إعطاء الناس كتبهم واختلافهم في تناولها ..
٣٦٠	أشراط - مرور الناس عليه - دعوة النبي صلى الله عليه وسلم يومئذ الهم سلم سلم .....
٣٦١	القنطرة بين الجنة والنار .....
٣٦٢	دار السلام - سمعتها - طيب ريحها - أبوابها - عند باب الجنة - استقبال أهل الجنة - قصور دار السلام - وتفاضلها .....
٣٦٨	بطرة عن أرض الجنة .....
٣٦٩	جنة عدن .....
٣٧٠	تسميه في الخلق المباشر كآدم وجنة عدن . والغرض من ذلك .....
٣٧١	الحيام والأسواق في دار السلام .....

٣٧٤	أنهار الجنة وأشجارها
٣٧٦	المطاعم والمشارب في الجنة - الأرائك والسرر - نساء دار السلام وحسنهن وجماهن - الطرب وركوب الخيل في دار السلام
٣٨٢	أكبر نعيم روحاني لأهل دار السلام وهو النظر إلى وجه الرب تبارك وتعالى وهو آخر دار السلام وما فيها من إنعام
٣٨٤	دار البوار - محبي جهنم للناس في الموقف - أبوابها - كيفية الدخول من تلك الأبواب - عذاب أهلها فيها - تلاومهم - خطبة أبلّيس في أهل النار - درجة الحرارة في جهنم
٣٩٣	لون نار جهنم - عمقها وبعد فورها - أوديتها - سلاسلها وأعلامها الحيات والعقارب فيها
٣٩٩	طعام أهل النار - الزقوم - الغلسين - الضريع
٤٠٣	مشارب أهل النار - الحميم - الصديد - المهل - ماء نهر الغوصة
٤٠٤	فحش أجسام أهل النار - قبح منظرهم - تفاوتهم في العذاب - عذاب أهل النار وعويلهم
٤٠٥	البرزخ - تقسيم الحياة إلى ثلاث حيوات - وبيان كل منها
٤٠٦	مراحل جريان النعيم أو العذاب على الروح وهي في الأربع - القبر ونعيمه - عروج الروح بعد قضائها وردها إلى جسدها - الدفن - سؤال الملكين للميت في قبره
٤٠٧	نعيم الروح أو عذابه وهو بعيد عن القبر في غيب أو سحر - الروح بالقبر اتصالاً مباشراً دائماً وأبداً إلى يوم بعث الله
٤٠٨	الركن السادس من أركان عقيدة المؤمن - الأركان الخمسة ومظاهر التنظيم فيه - ثلاث مقدمات مهمة :
٤٠٩	القضاء والقدر
٤١٠	القضاء والقدر

الموضوع	الصفحة
ثمره الرضاء بالقضاء	٤٣٦
الجبر وحقيقته - أول من قال به	٤٤٠
لا جبر ولا نفي للقدر - الانسان فاعل مختار - والله خالق الانسان وخالق أفعاله	٤٤٢
الأبليسية وبيان مذهبه الفاسد	٤٤٥
إرادة الله تعالى ومشيتته - عدم جواز الاحتجاج بالقدر على ارتكاب المعاصي ، وجواز الاحتجاج به على المصائب . حجاج آدم وموسى عليهما السلام	٤٥٥
سوء فهم كثير من الناس لإرادة الله تعالى أوقعهم في الحيرة والخطأ	٤٦٤
الهداية والاضلال	٤٦٧
الجزاء من ثواب وعقاب قائم على أساس الرحمة والعدل الالهيين	٤٧١
الحسنة والسيئة من الله تعالى ، أو من النفس	٤٧٥
بحث مهم في المشيئة	٤٨٠
الخاتمة في بيان أن مرد أركان الايمان إلى ما يشجره من أعمال القلوب والجوارح تلك الأعمال التي تطهر الروح ، وتزكي النفس ، وتبيء الانسان للسعادة والكمال في الحال والمآل	٤٨٣
مراجع الكتاب	٤٨٧





یسر مکتبه العلوم والحکم أن تعلن  
عن نشرها "تفسیرابی المظفر السمعانی"  
بکامله فی ۱۵ مجلدًا . تحقیق الذکتور  
عبدالقادر منصور منصور الأبودجانه

بسم الله الرحمن الرحيم  
الحمد لله الذي هدانا لهذا  
الذي كنا لنهتدي لہ  
لو اننا كنا نعلمون

الحمد لله الذي هدانا لهذا  
الذي كنا لنهتدي لہ  
لو اننا كنا نعلمون

الحمد لله الذي هدانا لهذا  
الذي كنا لنهتدي لہ  
لو اننا كنا نعلمون

الحمد لله الذي هدانا لهذا  
الذي كنا لنهتدي لہ  
لو اننا كنا نعلمون